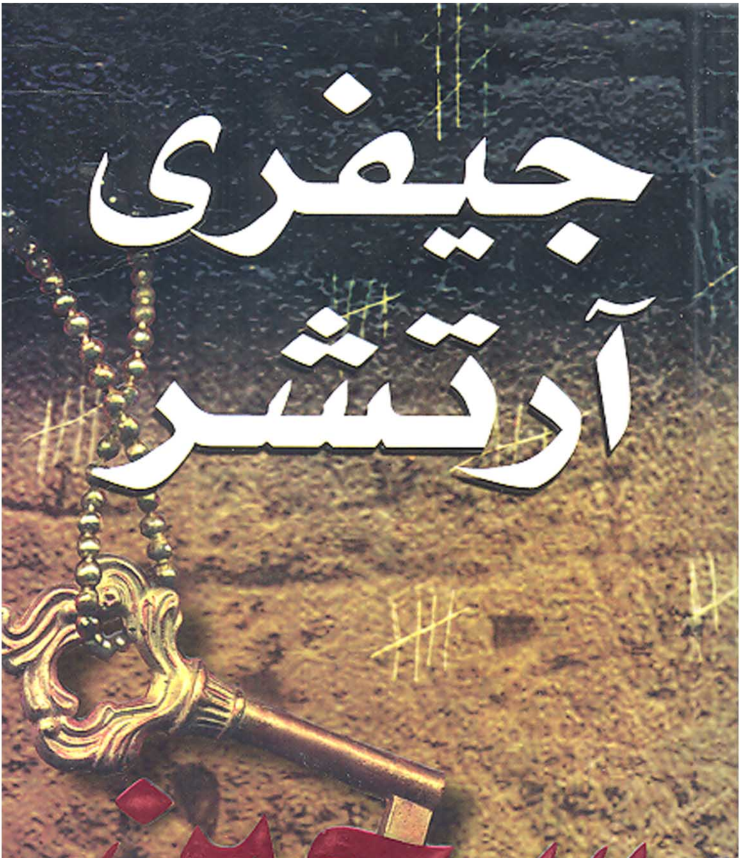

جيفري
آرتشر
سجين
بالميلاد

سجين بالميلاد

سجين بالميلاد

جيفري آرتشر

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... ليست مجرد مكتبة
— not just a Bookstore

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... ليست مجرد مكتبة – not just a Bookstore

للتعرّف على فروعنا فى
المملكة العربية السعودية ، قطر ، الكويت والإمارات العربية المتحدة
نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarirbookstore.com
للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على :
jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

المملكة العربية السعودية ص. ب: ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١
تليفون: ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+ – فاكس: ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٩٦٦+

JEFFREY ARCHER

A PRISONER OF BIRTH

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ... ليست مجرد مكتبة

إلى جوناثان وماريون

شكر وتقدير

أود أن أشكر الأشخاص التالى ذكرهم على ما قدموه لى خلال إنجاز هذا الكتاب من نصح وعون لا يقدران بثمن:

السيدات والسادة: ميشيل بيلوف مراقب الجودة، وكيفين روبرسون، وسيمون بانبريدج، وروزى دى كورسى، وماري روبرتس، وآليسون برينس وبيلى ليتل
(HMP Whitemoor. LCVM (Hons). BX7974 Soc Sci (Open). Dip Sp & C (Open))

بداية الأحداث

قالت بيث، "أوافق على الزواج منك".

حاولت أن تظهر دهشتها لكن لم يكن هذا مقنعًا لأنها قررت الزواج منه منذ أن كانا معًا بالمدرسة الثانوية، ومع ذلك فقد اندهشت حقًا عندما جثا دانى على إحدى ركبتيه وسط المطعم المزدحم بالرواد.

كررت بيث كلامها قائلة: "أوافق"، وتمنت أن ينهض قبل أن يتوقف الجميع عن تناول الطعام ليحدقوا إليهما. لكنه لم يتحرك من موضعه، بل ظل جاثيا على إحدى ركبتيه، وكما يفعل الحواة أخرج علبة صغيرة فجأة وفتحها مظهرًا خاتم الخطوبة الذهبى البسيط المرصع بماسة واحدة أكبر فى حجمها مما كانت تتوقعه بيث- على الرغم من أن أخاها قد أخبرها بأن دانى أنفق راتب شهرين ليشترى هذا الخاتم.

عندما قام دانى أخيرًا فاجأها مرة أخرى. طلب رقمًا على هاتفه الخلوى وكانت بيث تعلم تمام العلم من كان على الطرف الآخر.

قال دانى بنبرة انتصار: "لقد وافقت!". ابتسمت بيث وهى تمسك بالخاتم الماسى فى النور لتراه عن قرب. قال دانى قبل أن تتمكن من منعه: "لماذا لا تنضم إلينا؟ رائع، لنتقابل فى المقهى الذى يقع بشارع فولهام، ذاك الذى ذهبنا إليه بعد

مباراة شيلسى العام الماضى، أراك هناك يا صديقى".

لم تعترض بيث، فعلى كل حال لم يكن بيرنى مجرد أخ لها فحسب، بل هو أقدم أصدقاء دانى، ولعل دانى قد طلب من بيرنى بالفعل أن يكون وصيفه يوم حفل الزفاف.

أغلق دانى الهاتف وطلب من النادل المار فاتورة الحساب، وجاء رئيس الندل بخطى سريعة وقال لهما وهو يبتسم ابتسامة دافئة: "الحساب على المطعم يا سيدى".

كان مقدرًا لهذه الليلة أن تكون ليلة المفاجآت.

عندما توجه دانى و بيث للمقهى وجدا بيرنى جالسًا على مائدة فى الركن وإلى جانبه زجاجة من أفخر المشروبات وثلاث كئوس.

وقبل أن يتمكنا حتى من الجلوس بجواره قال لهما: "خبر سار، تهانئى!".

قال دانى وهو يصافح صديقه: "شكرًا لك يا رفيقى".

قال بيرنى وهو يفتح زجاجة الشراب ويملأ الكئوس: "اتصلت بأبى وأمى لأخبرهما بالنبأ السعيد، ولم يندهشا، فلم يكن الأمر سرًا خفيًا على أحد فى منطقة بو بأكملها".

قالت بيث: "لا تقل لى إنهما قادمان للاحتفال معنا".

قال بيرنى وهو يرفع كأسه: "كلا، أتيت وحدى، لنشرب نخب المناسبة السعيدة، من أجل حياة مديدة ومن أجل الفوز لفريق ويستهام بالكأس". فقال دانى معقبًا: "أعتقد أن أحدهما على الأقل ممكن".

قالت بيث وهى تبتسم لأخيها: "أعتقد أنك كنت ستتزوج من فريق ويستهام لو استطعت".

قال بيرنى: "ربما أقع فيما هو أسوأ ".

ضحك دانى وقال: "أما أنا فسأتزوج الاثنين طيلة حياتى".

قال بيرنى مذكرًا إياه:"باستثناء موعد المباراة مساء كل سبت بالطبع".

قالت بيث: "بل قد تضحى ببعض من هذه الأوقات عندما تتولى مسئوليات أبى بعد تقاعده".

عبس دانى، وكان قد ذهب لمقابلة والد بيث أثناء وقت راحة الغداء ليطلب يد ابنته- بعض العادات لا تموت أبدًا فى الحى الشرقى من لندن. تحمس السيد ويلسون كثيرًا لأن دانى سيصبح زوج ابنته لكنه قال لـ دانى إنه غيَّر رأيه بشأن أمر كان يظن دانى أنهما متفقان عليه مسبقًا.

قال بيرنى مقاطعًا أفكار دانى: "إن كنت تظن أننى سأناديك بلقب "سيدى" بعد أن تحل محل أبى فأنت مخطئ". لم يعلق دانى.

سألت بيث: "هل هذا هو الشخص الذى فى خاطرى؟".

حدق دانى إلى الرجال الأربعة الواقفين إلى نضد المقهى وقال:"لا شك أنه يشبهه تمام الشبه".

قال بيرنى:"عمن تتحدثان؟".

"الممثل الذى يلعب دور د.بيرسفورد فى مسلسل الوصفة الطبية".

همست بيث : "إنه لورانس ديفنبورت".

قال بيرنى: "سأطلب منه التوقيع فى الأوتوجراف".

قالت بيث: "لا داعى لذلك، رغم أن والدتى لا تفوت حلقة واحدة ".

قال بيرنى وهو يصب فى الكئوس الفارغة حتى حافتها:"أظنك معجبة به".

قالت بصوت عالٍ بما يكفى لجذب انتباه أحد الرجال، الذى استدار نحوها: "كلا بالطبع، وعلى أية حال"، ابتسمت متوجهة بحديثها لخطيبها:"دانى أكثر وسامة من لورانس ديفنبورت ".

قال بيرنى: "أنت تحلمين، لمجرد أن دانى حلق ذقنه وغسل شعره كتغيير تعتبرينه وسيمًا، لا أظنه سيواصل هذه العادة يا أختاه، مستحيل، تذكرى أنه يعمل فى الحى الشرقى وليس فى وسط المدينة ".

قالت بيث وهى تمسك بيد دانى: "يستطيع دانى أن يعمل فى أى مهنة يحبها".

قال بيرنى وهو يضرب دانى على ذراعه على سبيل المزاح: "ما الذى تتخيلينه يا أختاه؟ أن يكون رجل أعمال أم لصًا؟".

"دانى لديه خطط بالنسبة للمرآب، خطط ستجعلك عندما تعرفها....".

قال لها دانى وهو يصب المزيد من الشراب فى كأس صديقه: "صه".

فقال بيرنى: "من الأفضل أن يكون لديه خطط؛ لأن الزواج يكلف الكثير من المال، وكبداية أين ستعيشان؟".

قال دانى: "هناك شقة فى الطابق الأرضى للبيع قريبة من هنا".

فسأله بيرنى: "لكن هل معك مقدم ثمنها؟ فشقق الطابق الأرضى مكلفة حتى فى الحى الشرقى".

قالت بيث: "لقد وفرنا معًا مبلغًا ادخرناه من أجل مقدم الثمن، وعندما يحل دانى محل أبى ....".

قال بيرنى: "لنشرب نخب ذلك". لكنه وجد الزجاجة فارغة فقال :"سأطلب زجاجة أخرى".

قالت بيث بحزم: "كلا، لابد أن أصل للعمل فى الموعد المحدد صباحا، حتى إن لم تكن أنت مضطرا لهذا".

قال بيرنى:"سحقًا للعمل. إننا لا نحتفل بخطوبتك لأعز أصدقائى كل يوم"، وصاح: "إلىّ بزجاجة أخرى!".

ابتسم النادل وهو يحضر زجاجة شراب ثمين أخرى من الثلاجة تحت نضد المقهى بجواره، وفحص أحد الرجال

الواقفين بجوار النادل نوع الشراب وقال: "لا يستحقون هذا النوع الفاخر".

قفز بيرنى من مقعده ولكن دانى أجلسه فى الحال وقال: "تجاهلهم، لا يستحقون المكان الواقفين فيه".

سار النادل مسرعًا نحو مائدتهم وقال وهو ينزع سدادة الزجاجة: "من فضلكم لا داعى للشجار أيها الشباب، أحدهم يحتفل بعيد ميلاده وقد أفرطوا فى الشراب حتى ثملوا".

حدقت بيث إلى الرجال الأربعة بينما أعاد النادل ملء كئوسهم، ووجدت أحدهم يحدق إليها وغمز لها وفتح فمه ولعق شفتيه بلسانه. حولت بصرها عنه، وطمأنها أن وجدت أخاها وخطيبها يثرثران ولم يلحظا ذلك.

قال بيرنى: "أين ستقضيان شهر العسل؟".

سألهما دانى: "فى سانت تروبيز".

أضافت بيث: "ولن تصحبنا هذه المرة".

قال أحد الرجال الأربعة: "إن الساقطة التى معهما لا بأس بها بالمرة، لكنها لا تصبح كذلك عندما تفتح فمها لتتكلم".

وثب بيرنى ناهضا عن مقعده مرة أخرى ليجد اثنين منهم يحدقان إليه فى تحد.

قالت بيث: "إنهم سكارى ، تجاهلهم".

فقال الرجل الآخر: "لم أكن أعرف أنه توجد أوقات تحب فيها الساقطة أن تفتح فمها".

تناول بيرنى الزجاجة الفارغة ليتشاجر بها لكن دانى استجمع كل قوته حتى أجلسه مكانه.

قالت بيث بحزم: "أريد مغادرة هذا المكان، لست بحاجة لحفنة رجال مختالين بأنفسهم مثل طلبة الثانوى حتى يفسدوا علىَّ فرحة حفل خطوبتى".

قام دانى فى الحال ولكن بيرنى ظل جالسًا يحتسى شرابه فقال له دانى: "هيًا يا بيرنى، لنخرج قبل أن نقوم بما نندم

عليه لاحقًا". قام بيرنى على مضض وتبع صديقه لكنه لم يرفع عينيه من على الرجال الأربعة. سرت بيث لأنهم أعطوهم ظهورهم وانهمكوا فى الحوار مع بعضهم.

لكن لحظة أن فتح دانى الباب استدار أحدهم بسرعة وقال: "هل سترحلون؟ بعد أن تفرغا منها أعيراها لنا، فأنا وأصدقائى تبقى معنا من المال ما يكفينا لنقيم حفلاً خاصًا معها". وأخرج حافظة نقوده.

قال بيرنى: "أيها الخنزير اللعين!".

"لماذا لا نحل المشكلة فى الخارج كالرجال؟".

فأجاب بيرنى: "فى انتظارك يا ملعون بالخارج"، بينما دانى يدفعه دفعًا نحو الباب ومنه للشارع قبل أن يتفوه بأى شىء آخر.

أغلقت بيث الباب وراءهم بشدة وسار ثلاثتهم فى الشارع الضيق. لم يسيروا سوى خطوتين قبل أن يحاول بيرنى الرجوع ثم يمسكه دانى من مرفقه ويهزه بينما يقول بيرنى: "لنعد ونؤدبهم".

قال دانى وهو مازال ممسكا بمرفق صديقه الحميم ويسير به فى الشارع الضيق: "ليس الليلة".

عندما وصلت بيث للشارع الرئيسى وجدت الرجل الذى سبه أخوها يعترض طريقهم وإحدى يديه خلف ظهره ويلعق شفتيه وينظر لها بشهوة كما فعل داخل الحانة، فى الوقت الذى لحق به صديقه من عند الناصية، وكان يلهث قليلاً. استدارت بيث لتجد أن أخاها يقف متحفزًا للعراك ويبتسم.

صاحت بيث لدانى: "لنعد إلى داخل المقهى". لكن اعترض الرجلان الآخران طريقهم للحانة بالوقوف عند الباب.

قال بيرنى: "عليهم اللعنة، حان الوقت لتلقينهم درسا لن ينسوه".

صاحت بيث فى توسل بينما أتاهم أحدهم تأهبًا

للقتال: "كلا، كلا".

قال بيرنى: "تول أنت الخنزير اللعين وسأتولى أنا أمر الثلاثة الباقين".

نظرت بيث إلى دانى فى رعب بينما سدد له "اللعين" لكمة فى جانب ذقنه جعلته يترنح للوراء، ولكنه أفاق فى الوقت المناسب ليصد اللكمة التالية وسدد ضربه فى الهواء ثم أخرى فى وجه "اللعين" مما فاجأه ووقع على ركبته وقام مسرعًا قبل أن يسدد لكمة أخرى لـ دانى.

بينما لم يشترك الرجلان عند الباب فى الشجار، خمنت بيث أن العراك سينتهى بسرعة ووجدت أخاها قد سدد لكمة قوية من أسفل لأعلى للرجل الآخر كاد يسقط على الأرض بسببها. بينما انتظر بيرنى أن يقوم الرجل صاح نحو بيث: "أسدى لنا معروفًا يا أختاه، استدعى لنا سيارة أجرة، سننتهى من الشجار بسرعة ونهرب من هنا".

وجهت بيث انتباهها لدانى للتأكد من أنه كان له الغلبة كانت فى شجاره مع "اللعين". كان دانى راقدًا فوقه "واللعين" ممدد على الأرض وتحت سيطرة دانى. نظرت لهما نظرة أخيرة قبل أن تمتثل لأمر أخيها وركضت للشارع الرئيسى لاستدعاء سيارة أجرة. انتظرت دقيقتين حتى جاءت واحدة بعلامتها الصفراء المميزة المدون عليها كلمة: "أجرة ".

أشارت بيث للسيارة بينما سار بجوارها الرجل الذى أوقعه بيرنى مترنحًا واختفى فى جنح الظلام.

قال سائق السيارة الأجرة: " إلى أين يا حلوة؟".

قالت بيث وهى تفتح الباب الخلفى: "طريق بيكون إلى منطقة لبو، سيأتى صديقاى حالا".

حدق سائق التاكسى من خلفها نحو الشارع الصغير المؤدى للمشرب وقال: "لا تحتاجين للتاكسى يا سيدتى، لو كان هذان صديقين لى لاستدعيت الإسعاف هاتفيا على الفور".

الكتاب الأول

المحاكمة

١

"لست مذنبًا".

كان دانى كارترايت يشعر بساقيه ترتعشان تمامًا كما لو كانتا ترتعشان قبل الجولة الأولى فى مباراة ملاكمة يعرف مسبقًا أنه سيلقى فيها هزيمة مؤكدة. قام محامى المحكمة بتسجيل الحكم على قرار الاتهام وقال وهو ينظر نحو دانى: "يمكنك أن تجلس".

ارتمى دانى على المقعد الصغير فى وسط قفص الاتهام، وقد استراح لأن الجولة الأولى قد انتهت. رفع بصره نحو القاضى، الذى كان جالسًا فى الجانب البعيد من قاعة المحكمة على مقعد جلدى أخضر عالى الظهر يبدو كأنه عرش، وكان أمامه منضدة طويلة مصنوعة من خشب البلوط والمتناثرة عليها أوراق القضية فى ملفات ذات حلقات معدنية. نظر القاضى السيد ساكفيل نحو دانى، لم توح نظرته لا بقبول ولا بنفور. أزاح نظارته ذات البعدين عن أرنبة أنفه وقال بصوت آمر: "استدع المحلفين".

فيما انتظر جميع الحاضرين ظهور الاثنى عشر رجلًا وامرأة، حاول دانى أن يستوعب ما يحيط به من مرئيات وأصوات غير مألوفة له لقاعة المحكمة رقم أربعة فى دار قضاء أولد بيلى. نظر نحو الرجلين الجالسين على طرفى المقعد

الطويل المخصص للمحامين كما قد قيل له. محاميه الشاب، آليكس ردماين، رفع عينيه إليه وابتسم له بمودة، لكن الرجل الأكبر سنًا والجالس على الطرف الآخر من المقعد الطويل، والذى كان السيد بيرسون يشير له دائمًا بوصفه ممثل الادعاء، لم يلق ولو نظرة واحدة نحو دانى.

حوَّل دانى نظره لأعلى نحو مقصورة الحضور العاديين. جلس والداه فى الصف الأول. كان أبوه يستند بذراعيه القويتين والموشومتين إلى سياج المقصورة، بينما بقى رأس أمه منحنيًا. كانت تتطلع ببصرها بين الحين والآخر لتلقى نظرة نحو ابنها الوحيد.

اقتضى الأمر شهورًا عدة من التحقيق فى القضية المرفوعة ضد دانيال كارترايت حتى تصل إلى قاعة محكمة أولد بيلى. بدا لـ دانى أن الأمر بمجرد أن يتعلق بالقانون و القضاء فإن كل شىء يسير بالحركة البطيئة، وفجأة دون سابق إنذار، انفتح باب فى نهاية الردهة البعيدة لقاعة المحكمة، وظهر الحاجب من جديد. تبع الحاجب سبعة رجال وخمس نساء تم اختيارهم ليقرروا مصير دانى. ساروا إلى داخل المربع المخصص لهيئة المحلفين: ستة منهم فى الصف الأمامى، وستة وراءهم؛ غرباء عن بعضهم البعض، لا يجمع بينهم غير مصادفة.

وما إن اتخذوا مجلسهم، نهض ممثل الادعاء من مكانه وخاطبهم قائلاً: "السيدات والسادة، أعضاء هيئة المحلفين، إن المتهم الماثل أمامكم، واسمه دانيال كارترايت، متهم بجريمة القتل العمد لشخص واحد. وقد أقر المتهم بأنه غير مذنب فى هذا الاتهام. ستكون مهمتكم بناء على هذا أن تستمعوا إلى الأدلة والدفاع من الجانبين لكى تقرروا إن كان مذنبًا أم لا".

٢

ألقى القاضى السيد ساكفيل بنظرة لأسفل نحو المقعد الذى أمامه، قائلاً: "سيد بريسون، هلا تفضلت بافتتاح نظر الدعوى باسم التاج الملكى".

نهض رجل قصير وممتلئ الجسم ببطء من موضعه فى منصة الإدعاء. فتح السيد آرنولد بريسون، ممثل الادعاء، ملفًا سميكًا موضوعًا على المنضدة قبالته. مس بيده باروكة شعره المهترئة، كما لو أنه يتأكد من أنه قد تذكر أن يضعها على رأسه قبل المجىء، ثم سحب طيات عباءته الرسمية؛ وهى لمسات روتينية لم يبدلها على مدى الثلاثين عامًا الماضية.

بدأ يتحدث بطريقة بطيئة ومضجرة: "إذا سمحت لى سيدى القاضى، فإننى أمثل المملكة المتحدة فى هذه القضية، بينما يمثل خصمى" — واختلس نظرة سريعة ليتأكد من الاسم على صفحة من الورق أمامه — "السيد آليكس ردماين، يمثل المتهم. والقضية التى أمام سيادتك قضية قتل نفس. قتل مع سبق الإصرار والترصد للسيد بيرنارد هنرى ويلسون".

وفى المقصورة المخصصة للحضور من الأهل والعامة، كان والدا الضحية يجلسان فى الركن القصى من الصف الخلفى. ألقى السيد ويلسون، الأب، بنظرة نحو دانى، غير قادر على

إخفاء خيبة أمله البادية فى عينيه. أما السيدة ويلسون فقد حدقت أمامها بلا أى تعبير على وجهها، بوجه شاحب، لا تختلف كثيرًا عن امرأة ثكلى تحضر جنازة عزيز لها توفى، وعلى الرغم من أن الأحداث المأساوية التى ارتبطت بموت بيرنى ويلسون قد غيرت حياة أسرتين فى الويست إند، تغيرًا لا يمكن إصلاحه أو تداركه، بعد أن كانتا أسرتين مقربتين لأجيال خلت، فإن تلك الأحداث لم تكد تتجاوز أصداؤها حدود طريق بيكون بمنطقة (بو) إلا بعشرة شوارع أو نحو ذلك.

واصل السيد بريسون حديثه وهو يلوح بيده نحو قفص الاتهام دون أن يتجشم عناء النظر نحو دانى نظرة واحدة: "خلال مباشرتنا لهذه المحاكمة سوف تدركون كيف قام المتهم باستدراج السيد ويلسون إلى مقهى يقع فى شلسيا ليلة السبت، الموافق الثامن عشر من سبتمبر لعام ١٩٩٩، حيث نفذ جريمته البشعة والتى دبرها عن عمد وقصد مسبق، وكان قد اصطحب شقيقة السيد ويلسون – ومرة أخرى راجع الملف الموجود أمامه – إليزابيث، إلى مطعم لوشيو فى طريق فولهام، وسوف تطلع هيئة المحكمة على أن كارترايت قد عرض الزواج على الآنسة ويلسون بعد أن أعلنت أنها حبلى منه، ثم اتصل بشقيقها السيد بيرنارد ويلسون على هاتفه الخلوى ودعاه للانضمام إليهما فى دانلوب آرمز، وهو مقهى يقع خلف هامبلدون تيراس، بمنطقة شلسيا، بغرض أن يحتفلوا معًا بالمناسبة السعيدة".

"وقد سبق للآنسة ويلسون أن قدمت شهادة مكتوبة بأنها لم تتردد على هذا المقهى من قبل، ومع ذلك فقد كان واضحا أن كارترايت يعرف المكان تمام المعرفة، وهو ما يؤدى لأن تقترح النيابة أنه قد تخير هذا المكان تحديدًا لسبب، وسبب واحد فقط، وهو أن بابه الخلفى يفتح على زقاق هادئ، وهو موقع مثالى لشخص لديه نية ارتكاب جريمة قتل؛ تلك الجريمة التى ادعى كارترايت فيما بعد أنه يحمل مسئوليتها على كاهل

شخص غريب تمامًا صادف أن يكون أحد زبائن دانلوب آرمز فى تلك الليلة".

حدق دانى ناظرًا نحو السيد بريسون، وتساءل فى نفسه ترى كيف له أن يعرف أى شىء عما حدث فى تلك الليلة بينما لم يكن هناك؟ غير أن دانى لم يفرط فى القلق. فعلى كل حال، فقد أكد له السيد / ردماين أنه سيعرض روايته لما حدث ليلتها أثناء المحاكمة ويجب ألا يفرط فى التوتر إذا بدا كل شىء كئيبًا ومشئومًا عندما يقوم ممثل الادعاء، السيد بريسون، بعرض القضية. وعلى الرغم من تلك التأكيدات المطمئنة والمتكررة من قبل السيد محامى دانى، فإن أمرين على التحديد كانا يقلقان دانى: كان آليكس ردماين قريبًا للغاية منه فى العمر، وقد سبق أن نبهه إلى أن هذه هى قضيته الثانية وحسب كمحامٍ مستقل.

واصل بريسون قائلاً: "ولكن من سوء حظ السيد كارترايت، فإن الزبائن الأربعة الآخرين الموجودين فى دانلوب آرمز تلك الليلة قدموا قصة مختلفة عن قصته، وقصتهم قد أثبتت تماسكها ومنطقها، ليس هذا وحسب بل وعضدتها شهادة نادل المقهى الذى كان يعمل فى ذلك الحين. وسوف يقدم الادعاء الشهود الخمسة وسوف يخبرونكم بأنهم سمعوا مشادة تجرى بين الرجلين، اللذين شوهدا يغادران المكان من الباب الخلفى للمقهى وذلك بعد أن قال كارترايت: "لماذا لا نحل المشكلة فى الخارج كالرجال؟"، وقد رأى هؤلاء الخمسة جميعًا كارترايت يغادر من الباب الخلفى، متبوعًا ببيرنالد ويلسون وأخته إليزابيث، التى كان من الواضح أنها فى حالة اضطراب بالغ. بعد ذلك بدقائق معدودة سمعت صرخة فى الخارج. ترك السيد سبنسر كريج، وهو أحد زبائن المقهى الأربعة، رفاقه الآخرين وانطلق راكضًا نحو الزقاق الخلفى، حيث وجد كارترايت يمسك بالسيد ويلسون من رقبته، ويطعنه المرة تلو

الأخرى بسكين فى صدره.

"اتصل السيد كريج فى الحال بخط الطوارئ من هاتفه الخلوى، وقد تم تسجيل توقيت هذه المكالمة، وكذلك المحادثة التى جرت خلالها يا سيدى القاضى، فى نقطة شرطة بيلجرافيا. بعدها بدقائق معدودة، وصل إلى مسرح الجريمة ضابطا شرطة ليريا السيد كارترايت منحنيًا فوق جثة السيد ويلسون، والسكين فى يده - وهى سكين لابد أنه التقطها من المقهى، لأن اسم المكان كان منقوشًا على مقبضها".

كان المحامى الشاب آليكس ردماين يدون كلمات بريسون.

سحب بريسون طيات عباءته، وواصل حديثه مرة أخرى قائلاً: "أعضاء هيئة المحلفين الكرام، لابد من وجود دافع وراء كل جريمة قتل، وفى هذه القضية لسنا بحاجة إلا لأن نبحث فى أقدم جريمة على وجه الأرض، بين الشقيقين قابيل وهابيل، لكى ندرك الدافع: وهو الحسد، الطمع والطموح، وهى خصال قذرة، عندما اجتمعت معًا حرضت كارترايت على أن يمحو المنافس الوحيد الذى يعترض طريقه".

"السيدات والسادة أعضاء هيئة المحلفين، كان كل من كارترايت والسيد ويلسون يعملان فى ورشة (مرآب) ويلسون فى طريق مايل إند. والورشة يملكها ويديرها السيد جورج ويلسون، والد المتوفى، والذى كان يخطط للتقاعد فى نهاية هذا العام، حيث كان ينوى أن يسلم العمل لابنه الوحيد، بيرنارد. وقد تفضل السيد جورج ويلسون بتقديم إفادة مكتوبة بهذه المسألة، والتى قد اتفق عليها دفاع المتهم، لذا لن نكون بحاجة لاستدعائه كشاهد".

"أعضاء هيئة المحلفين، سوف تكتشفون أثناء هذه المحاكمة أن الشابين كان لهما معًا تاريخ طويل فى التنافس والخصومة مما يرجع إلى عهد دراستهما فى الثانوية، ولكن إذا خرج بيرنارد ويلسون من الصورة، فقد خطط كارترايت للزواج من

ابنة صاحب العمل وأن يسيطر بنفسه على المشروع التجارى المزدهر".

"ومع هذا، لم تسر كل الأمور كما خطط لها كارترايت، وعندما تم القبض عليه، حاول أن يلقى باللوم على شاهد برئ، وهو الرجل نفسه الذى خرج راكضًا من المقهى إلى الزقاق لكى يرى ما الذى دفع الآنسة ويلسون لأن تصرخ. ولسوء حظ كارترايت، لم يكن قد خطط لوجود أربعة رجال آخرين خلال الواقعة بأكملها". ابتسم بريسون لهيئة المحلفين مواصلاً حديثه: "أعضاء هيئة المحلفين، بمجرد أن تستمعوا لشهادات هؤلاء الشهود لن يتبقى لديكم أى شك فى أن دانيال كارترايت مذنب بجريمة قتل من الدرجة الأولى". ثم التفت إلى القاضى قائلاً: "وبذلك اختتم الادعاء باسم التاج وعلى هذا سيدى القاضى فإن النيابة التى تمثل المملكة المتحدة تطلب استدعاء شاهدها الأول". أومأ القاضى ساكفيل برأسه، وقال بريسون بصوت حازم: "إننى أستدعى السيد سبنسر كريج".

نظر دانى كارترايت عن يمينه وراقب حاجبًا فى مؤخرة قاعة المحكمة يفتح بابًا، ويخرج إلى الردهة وينادى: "السيد سبنسر كريج". بعدها بلحظات، دخل إلى القاعة رجل طويل، لا يكبر دانى فى العمر بكثير، يرتدى حُلة زرقاء مقلمة، وقميصًا أبيض ورابطة عنق بنفسجية فاتحة. كم كان مختلفًا عما كان خلال لقائهما الأول.

لم ير دانى سبنسر كريج خلال الشهور الستة الماضية، ولكن لم يمر يوم خلالها دون أن يتخيل صورته بكل وضوح. ألقى نظرة جريئة على الرجل، لكن كريج لم ينظر باتجاه دانى – كما لو أن دانى غير موجود بالقاعة.

سار كريج فى قاعة المحكمة كمن يعرف تمام المعرفة إلى أين يتجه، وعندما سار نحو منصة الشهود، التقط الكتاب المقدس على الفور وألقى بالقسم الذى بدا أنه يحفظه عن ظهر قلب،

فلم يضطر لأن يلقى بنظرة واحدة على البطاقة الصغيرة التى رفعها أمامه حاجب الجلسة، والمدون فيها نص القسم. ابتسم السيد بريسون فى وجه شاهده الرئيسى، قبل أن يعود بنظره نحو الأسئلة التى أمضى الشهر الماضى فى إعدادها.

"هل اسمك هو سبنسر كريج؟".

أجاب: "نعم يا سيدى".

"وتقيم فى رقم ثلاثة وأربعين بمنطقة هامبلدون تيراس، بلندن، إس دابليو ثرى؟".

"صحيح يا سيدى".

سأله السيد بريسون: "وما عملك؟" وكأنه لا يعرف الجواب.

"إننى محام قانونى".

"وما مجال تخصصك؟".

"القضايا الجنائية".

"إذن فأنت تألف تمامًا قضايا القتل؟".

"نعم، بكل أسف يا سيدى".

"علىّ الآن أن أعود بك إلى مساء الثامن عشر من سبتمبر من العام الماضى، حينما كنت بصحبة مجموعة من الأصدقاء تحتسون الشراب فى مقهى دانلوب آرمز فى هامبلتون تيراس. لعلك تستطيع أن تحكى لنا ما حدث ليلتها بالتمام والكمال".

"كنت أنا وأصدقائى نحتفل ببلوغ صديقنا جيرالد الثلاثين من عمره ـ".

قاطعه بريسون: "جيرالد؟".

فقال كريج: "جيرالد بين، إنه صديق قديم من أيام الدراسة فى كامبريدج، كنا نقضى سهرة مرحة معًا، نستمتع بزجاجة من الشراب".

سجل المحامى الشاب آليكس ملاحظة – كان بحاجة لأن يعرف كم من الزجاجات استهلكها الأصدقاء تلك الليلة.

أما دانى فأراد أن يسأل ما تعنيه كلمة سهرة مرحة هنا.

قال بريسون بسرعة: "ولكن بكل أسف لم تنته سهرتكم نهاية مرحة".

أجاب كريج: "بل كانت أبعد ما يكون عن ذلك". وهو مازال يتجنب النظر ناحية دانى.

قال بريسون وهو ينظر نحو ملاحظاته: "أرجو أن تخبر المحكمة بما حدث بعد ذلك".

التفت كريج بوجهه صوب هيئة المحلفين للمرة الأولى: "كنا، كما قلت، نستمتع بكأس من شراب الكروم احتفالاً ببلوغ جيرالد الثلاثين، عندما انتبهنا لأصوات مرتفعة. استدرت ورأيت رجلاً، كان يجلس إلى مائدة فى الركن البعيد من الغرفة مع سيدة شابة".

سأله بريسون: "هل هو نفس الرجل الذى تراه فى قاعة المحكمة الآن؟".

أجاب كريج: "إنه هو". وأشار باتجاه قفص الاتهام.

"ماذا حدث بعد ذلك؟".

واصل كريج قائلاً: "نهض واثبًا من مكانه، وبدأ يصيح ويلوح بأصبعه نحو الرجل الآخر، الذى لبث جالسًا. وسمعت أحدهما يقول: "إن كنت تظن أننى سأناديك بلقب "سيدى" بعد أن تحل محل أبى فأنت مخطئ"، وكانت السيدة الشابة تحاول أن تهدئه. وكنت على وشك أن ألتفت من جديد إلى أصدقائى – فعلى كل حال، لم تكن هذه المشادة من شأنى – عندما صاح المتهم: "لماذا لا نحل المشكلة فى الخارج كالرجال؟" ظننت أنهما يمزحان، ولكن عندما قام الرجل الذى تفوه بهذه الكلمات بالتقاط سكين من طرف نضد المقهى...".

سأله بريسون: "اسمح لى أن أستوقفك هنا يا سيد كريج. هل رأيت المتهم يلتقط سكينًا من فوق النضد المخصص للشراب؟".

"نعم، رأيته".

"وما الذى حدث عندئذ؟".

"انطلق يهرول صوب الباب الخلفى، وهو الأمر الذى أدهشنى".

"ولماذا أدهشك؟"

"لأننى من سكان منطقة دانلوب آرمز، ولم يسبق لى أن رأيت هذا الرجل فى المنطقة".

قال بريسون: "لست متأكدًا من فهمى لمقصدك يا سيد كريج". بينما كان يتابع كل كلمة من كلمات الشاهد بمنتهى اليقظة.

"لأن المخرج الخلفى غير ظاهر على مرمى بصر من يجلس فى مائدة بركن الغرفة، ولكنه بدا أنه يعرف تمامًا إلى أين يتجه".

قال بريسون: "نعم، أفهمك الآن. استمر من فضلك".

"بعدها بلحظات نهض الرجل الآخر ولاحق المتهم، تتبعه السيدة الشابة عن كثب. لم أكن لأمنح الأمر مزيدًا من التفكير لولا أن سمعنا الصرخة بعدها بدقائق".

كرر بريسون: "صرخة؟ صرخة من أى نوع؟".

أجاب كريج: "صرخة عالية وحادة، صرخة امرأة".

"وماذا فعلت؟".

"تركت أصدقائى فورًا وجريت نحو الزقاق خشية أن تكون المرأة قد تتعرض لأى خطر".

"وهل كانت معرضة لأى خطر".

"كلا يا سيدى. لقد كانت صرختها موجهة إلى المتهم، تتوسل إليه أن يتوقف".

سأل بريسون: "يتوقف عن ماذا؟".

"عن مهاجمة الشخص الآخر".

"أكانا يتقاتلان؟".

"نعم يا سيدى، الرجل الذى رأيته قبلها يلوح بأصبعه ويصيح كان الآن يثبت الشاب الآخر إلى الجدار، وقد لف رسغه حول رقبته". التفت كريج نحو هيئة المحلفين ورفع ذراعه اليسرى ليعرض عليهم الوضعية.

سأله بريسون: "وهل حاول السيد ويلسون الدفاع عن نفسه؟".

"بكل ما أوتى من قوة لكن المتهم كان يطعنه فى صدره بسكين، المرة تلو الأخرى".

سأله بريسون بهدوء: "وماذا فعلت بعد ذلك؟".

"اتصلت بخدمة الطوارئ، وأكدوا لى أنهم سوف يرسلون الشرطة وعربة إسعاف فى الحال".

سأل بريسون ناظرًا نحو ملاحظاته المسجلة: "وهل أخبروك بأى شىء آخر؟".

أجاب كريج: "نعم يا سيدى، فقد أخبرونى بألا أقترب من الرجل الذى يحمل سكينًا تحت أية ظروف، ولكن أن أعود للمقهى وأن أنتظر وصول الشرطة". توقف قليلاً ثم تابع قائلاً: "وقد نفذت تلك التوجيهات بالحرف الواحد".

"ماذا كان رد فعل أصدقائك عندما عدت لهم وأخبرتهم بما شاهدته؟".

"أرادوا الخروج لرؤية ما يمكنهم القيام به للمساعدة، ولكنى أخبرتهم بما نصحنى به رجال الشرطة وقد رأيت أيضًا أنه من الحكمة فى ظل هذه الظروف أن يعود كل منهم لبيته".

"أية ظروف؟".

"كنت أنا الشخص الوحيد الذى شاهد الواقعة بكاملها ولم أرد لهم أن يتعرضوا لأى خطر خشية أن يعود الرجل الممسك بالسكين إلى المقهى".

قال بريسون: "تصرف يحمد لك".

قطب القاضى حاجبيه ناظرًا إلى ممثل الادعاء، بينما

واصل المحامى الشاب آليكس ردماين تسجيل الملاحظات.

"كم انتظرت من وقت حتى وصلت الشرطة؟".

"لم تمر إلا دقائق معدودة قبل أن أسمع صوت سرينة، وبعد ذلك بدقائق أخرى دخل المقهى شرطى فى ملابس مدنية من الباب الخلفى، أشهر شارته وقدم نفسه بصفته التحرى الرقيب فولر، وقد أخبرنى أن الضحية فى طريقه الآن لأقرب مستشفى".

"وما الذى حدث بعد ذلك؟"

"قدمت إفادتى كاملة، ثم أخبرنى الرقيب فولر بأن بوسعى العودة لبيتى".

"وهل فعلت؟".

"نعم، عدت لبيتى، الذى لا يبعد أكثر من مائة ياردة من دانوب آرمز، آويت للفراش، لكنى لم أتمكن من النوم".

كتب آليكس ردماين عبارة: حوالى مائة ياردة.

قال بريسون: "أمر مفهوم".

فقطب القاضى حاجبيه غير راضٍ للمرة الثانية.

" وهكذا نهضت من نومى، ودخلتُ مكتبى وسجلت كل ما قد جرى فى وقت سابق من تلك الليلة".

"ولمَ فعلت هذا يا سيد كريج، فى حين أنك قدمت بالفعل إفادة كاَملة لرجال الشرطة؟".

"لقد علمتنى خبرتى فى الوقوف، حيث تقف أنت الآن يا سيد بريسون، بحيث جعلتنى أحذر من أن البرهان الذى يقدم على منصة الشهود غالبًا ما يكون متأرجحًا، بل ويفتقد الدقة، عندما يحين وقت المحاكمة بعد مرور عدة شهور على ارتكاب الجريمة".

"صحيح تماما". هكذا قال بريسون، وهو يقلب الصفحات فى ملفه". متى علمت أن دانيال كارترايت متهم بقتل بيرنارد ويلسون؟".

"قرأت التفاصيل فى صحيفة إيفننج ستاندرد يوم الاثنين التالى، وقد ورد فيها أن السيد ويلسون قد توفى وهو فى طريقه إلى مستشفى ويستمنيستر آند شلسيا، وأن كارترايت متهم بقتله".

"وهل اعتبرت أنه بهذا تنتهى المسألة، فيما يتعلق بدورك الشخصى فى المسألة؟".

"نعم، على الرغم من أننى أعرف أنه سيتم استدعائى كشاهد للمحاكمة التى ستحدث فيما بعد، فى حالة ما إذا قرر كارترايت أنه غير مذنب".

"ولكن حدث منعطف جديد لم تستطع أنت، حتى مع كل خبرتك مع مئات المجرمين، أن تتوقعه مسبقا".

أجاب كريج: "حدث هذا بلا شك، ففى أصيل اليوم التالى جاء لزيارتى أثنان من ضباط الشرطة ليقوموا بلقاء آخر معى".

قال بريسون: "ولكن لماذا بعد أن كنت قدمت إفادتك شفاهة وكتابة للرقيب فولر من قبل بالفعل؟".

"لأن كارترايت صار الآن يتهمنى أنا بقتل السيد ويلسون، بل وادعى أننى التقطت السكين من النضد المخصص للشرب".

"هل سبق لك أن رأيت السيد كارترايت أو السيد ويلسون قبل تلك الليلة؟".

أجاب كريج بنبرة صادقة: "كلا يا سيدى".

"شكرا لك يا سيد كريج".

ابتسم كل من الرجلين لبعضهما البعض، قبل أن يلتفت بريسون نحو القاضى، يقول: "لا مزيد من الأسئلة يا سيادة القاضى".

٣

التفت القاضى السيد ساكفيل بانتباهه نحو المحامى الجالس على الطرف الآخر من المقعد الطويل. كان يعرف والد آليكس ردماين معرفة جيدة، فقد تقاعد مؤخرًا عن منصب قاضٍ للمحكمة العليا، لكن ابنه لم يظهر أمامه قبل اليوم.

قال القاضى منغمًا الحروف: "سيد ردماين، هل تود أن تستجوب الشاهد؟".

فأجاب ردماين وهو يجمع ملاحظاته: "أود بالتأكيد".

تذكر دانى أنه بمجرد أن تم القبض عليه، نصحه أحد الضباط بأن يستعين بمحام. وثبت أن هذا أمر ليس سهلاً، سرعان ما اكتشف أن المحامين، مثل الميكانيكيين، يأخذون أجرهم بالساعة ولا يمكنك أن تحصل منهم إلا على ما تستطيع أن تدفع مقابله. لم يكن بوسعه إلا أن يدفع عشرة آلاف جنيه، وهو المبلغ الذى ظل يدخره على مدى السنوات العشر الماضية، وكان ينوى أن يدفعه كمقدم لشقة الطابق الأرضى فى منطقة (بو)، حيث يمكنه أن يعيش هو وبيث والطفل ما إن يتم الزواج. وقد أنفق كل بنس من ذلك المبلغ قبل أن يقترب موعد المحاكمة بوقت طويل، والمحامى الذى اختاره دانى، السيد ماكبيس، طالب بمبلغ خمسة آلاف جنيه مقدمًا، حتى قبل أن ينزع غطاء قلمه الحبر، ومبلغ خمسة آلاف أخرى ما إن ينتهى من إرشاد

آليكس ردماين واطلاعه على القضية، بصفته المحامى الذى سيمثله أمام المحكمة، لم يكن بوسع دانى أن يفهم سبب احتياجه إلى اثنين من المحامين للقيام بالمهمة نفسها. عندما كان يصلح سيارة ما، لم يكن يطلب من بيرنى، أن يرفع له غطاء السيارة إلى أن ينتهى من إلقاء نظرة على المحرك، وبالطبع لم يكن يطالب بمقدم أتعاب قبل أن يسحب صندوق الأدوات.

غير أن دانى أعجب بآليكس ردماين منذ يوم أن التقى به أول مرة، ولا يرجع هذا فقط لأنه يشجع فريق ويستهام. كان لديه نبرة أبناء الأثرياء كما كان خريج جامعة أوكسفورد، لكنه لم يتحدث إليه باستعلاء ولو مرة واحدة.

بعد أن اطلع السيد ماكبيس على صحيفة الاتهام وبعد أن استمع لما توجب على دانى قوله، نصح موكله بأن يعترف بأنه مذنب بالقتل الخطأ، وكان واثقًا من أنه يستطيع أن يتوصل إلى اتفاق بحكم مخفف مع النيابة، بما قد يتيح لدانى أن ينجو بعقوبة تصل إلى ستة أعوام، ورفض دانى العرض رفضًا مطلقًا.

طلب آليكس ردماين من دانى و من خطيبته أن يسردا عليه ما جرى فى تلك الليلة مرارًا وتكرارًا، بينما راح يفتش فى رواية عميله للحكاية عن أى ثغرة أو نقاط تناقض. لم يجد شيئًا من هذا القبيل، وعندما نفد ما عند دانى من مال كان مازال موافقًا على أن يتولى الدفاع عنه.

بدأ المحامى الشاب آليكس استجوابه، دون أن يسحب طيات عباءته أو يلمس باروكته، قائلاً: "السيد كريج، أنا متأكد أنه لا داعى لأن أذكرك بأنك مازلت تحت القسم الذى أقسمته، وأنك مسئول مسئولية إضافية بصفتك محاميًا".

قاطعه القاضى قائلاً: "خفف الوطء يا سيد ردماين، وتذكر أن موكلك هو الذى يحاكم وليس الشاهد".

"سوف نرى إن كان هذا هو رأيك سيدى القاضى عندما

تصل إلى حكمك النهائى".

وهنا قال القاضى بحدة: "سيد ردماين، ليس من مسئوليتك أن تذكرنى بدورى فى قاعة المحكمة. مهمتك أن تطرح الأسئلة على الشاهد، ومهمتى هى التعامل مع أية نقاط قانونية تطرأ فى هذه القضية، ثم دعنا نترك الحكم لهيئة المحلفين حتى يتخذوا قرارهم".

استدار ردماين ليواجه الشاهد، ثم قال: "كما تشاء سيدى القاضى، سيد كريج، متى وصلت أنت وأصدقاؤك إلى مقهى دانلوب آرمز ذلك المساء؟".

أجاب كريج: "لا أتذكر الوقت على وجه التحديد".

"دعنى إذن أجرب وأنعش ذاكرتك. هل كانت السابعة؟ أم السابعة والنصف؟ أم كانت الثامنة تماما؟".

"حوالى الثامنة، على ما أحسب".

"إذن فقد كنتم تشربون لمدة حوالى ثلاث ساعات عند وصول موكلى، وخطيبته وأقرب أصدقائه إلى المقهى".

"كما سبق وأن أخبرت المحكمة لم يحدث أن رأيتهم حين وصلوا للمكان".

قال ردماين، محاكيًا أداء بريسون: "عظيم جدًا، وكم شربتم عند حلول، لنقل الحادية عشرة تمامًا؟".

"لا أعلم. لقد كان يوم ميلاد جيرالد الثلاثين، ولم يكن أحدنا يعد أو يحسب".

"حسنًا، كما تبينا الآن فقد كنتم تشربون لمدة أكثر من ثلاث ساعات، فهل كان ما شربتموه ست زجاجات من الشراب أم سبع زجاجات، أم وصلوا إلى ثمانى زجاجات؟ ".

صحح له كريج قائلا: "بل خمسة، على أقصى تقدير، وهو ما لا يعد إسرافا بالنسبة لأربعة أشخاص".

"كنت لأتفق معك تمامًا يا سيد كريج، لولا أن أحد رفاقك قد أفاد فى شهادته المسجلة أنه لم يشرب إلا المياه الغازية، بينما

قال شخص آخر إنه لم يتناول إلا كأسا أو اثنتين من الشراب لأنه كان من المفترض به أن يقود سيارته".

قال كريج: "ولكن لم يكن على أن أقود سيارة، فإن دانلوب آرمز يقع فى منطقة سكنية، وأعيش على بعد مائة ياردة فقط".

كرر ردماين: "مائة ياردة فقط؟" وعندما لم يجب كريج، واصل قائلاً: "لقد أخبرت المحكمة أنك لم تنتبه إلى أن هناك زبائن آخرين قد وصلوا إلى المقهى حتى سمعت أصواتًا ترتفع".

"ذلك صحيح".

عندما زعمت أنك سمعت المتهم يقول: "لماذا لا نحل المشكلة فى الخارج كالرجال؟".

"وذلك صحيح أيضًا".

"لكنه ليس الحقيقة يا سيد كريج، فقد كنت أنت من بدأت هذه المشاجرة كلها عندما تفوهت بكلام ناب لا ينسى لموكلى بينما كان يغادر المكان" — ألقى بنظرة سريعة نحو ملاحظاته، واستطرد: "هل سترحلون؟ بعد أن تفرغوا منها أعيروها لنا!" انتظر ردماين لكى يجيب كريج، ولكنه حينما ظل صامتًا، قال: "هل لى أن أفترض أن فشلك فى الإجابة يعنى صدق كلامى".

أجاب كريج بازدراء: "ليس لك أن تفترض أى شىء يا سيد ردماين. إننى ببساطة لا أعتبر سؤالك جديرًا بالرد عليه".

" أرجو أن يكون هذا هو ما تشعر به يا سيد كريج، لكن سؤالى التالى جدير بالرد عليه؛ لأننى سوف أقترح أنه حين شتمك السيد ويلسون قائلاً: "أيها الخنزير اللعين!". فإنه أنت من قال: "لماذا لا نحل المشكلة فى الخارج كالرجال؟".

أجاب كريج: "أعتقد أن هذه اللغة النابية متوقعة أكثر من موكلك".

"أو من رجل أفرط فى الشراب قليلاً، وأحب أن يستعرض أمام امرأة جميلة من أجل أصدقائه السكارى؟".

قاطعه القاضى: "علىَّ أن اذكرك مرة أخرى يا سيد ردماين، أن موكلك هو المتهم فى هذه القضية، وليس السيد كريج".

حنى ردماين رأسه انحناءة خفيفة، ولكن حين رفع بصره، لاحظ أن هيئة المحلفين تمعن فى كل كلمة من كلماته. فواصل قائلاً: "إننى أقترح يا سيد كريج، أنك خرجت من الباب الأمامى وركضت نحو الباب الخلفى ورحت تهرول هناك سعيا وراء مشاجرة".

"لم أذهب لذلك الزقاق إلا بعد أن سمعت الصرخة".

"أكان ذلك عندما التقطت سكينًا من طرف النضد المخصص للشراب؟".

قال كريج فى حدة: "إننى لم أفعل شيئًا كهذا، لقد التقط موكلك السكين عندما كان فى طريقه للخارج، كما أوضحت فى شهادتى".

سأله ردماين: "أهذه هى الشهادة التى صغتها بكل عناية وحرص عندما جافاك النوم فى وقت تالٍ من تلك الليلة؟".

ومرة أخرى، لم يجب كريج على سؤاله.

اقترح ردماين قائلاً: "لعل ما أقوله الآن مثال آخر على نوع الأسئلة غير الجدير بإعمال الفكر فيه؟ هل تبعك للخارج أى من أصدقائك؟".

"كلا، لم يتبعونى".

"وهكذا، فإنهم لم يشاهدوا المشاجرة التى تشاجرتها مع السيد كارترايت؟".

" كيف لهم أن يشاهدوها بينما لم أتشاجر أصلاً مع السيد كارترايت؟".

"هل حصلت على جائزة فى مباراة ملاكمة عندما كنت بجامعة كامبريدج يا سيد كريج؟".

تردد كريج، ثم قال: "نعم، حدث".

"وأثناء الدراسة فى الجامعة، هل حدث أن تم طردك مؤقتًا بسبب ....".

تساءل القاضى ساكفيل: "هل لهذا صلة بالقضية؟ "

فقال ردماين: "يسرنى أن أترك هذا لقرار هيئة المحلفين يا سيدى القاضى". ثم التفت من جديد نحو كريج، وأكمل: "هل تم طردك مؤقتًا من كامبريدج بعد تورطك فى شجار سكارى مع بعض سكان الجيرة ممن وصفتهم فيما بعد للمحققين على أنهم "حفنة من الرعاع؟".

"حدث هذا قبل سنوات عديدة، عندما كنت فى المرحلة الجامعية".

"وهل حدث، بعد ذلك بسنوات، فى ليلة الثامن عشر من سبتمبر لعام ١٩٩٩، أنك سعيت وراء شجار سكارى آخر مع حفنة أخرى من "الرعاع" عندما قررت أن تستخدم السكين التى التقطتها من فوق النضد المخصص للشراب؟".

"سبق أن أخبرتك بأننى لست أنا من التقط السكين، لكننى رأيت موكلك يطعن السيد ويلسون فى صدره".

"فعدت أدراجك للمشرب؟".

"نعم، فعلت، عندما اتصلت برقم الطوارئ على الفور".

"دعنا نحاول أن نتحرى مزيدًا من الدقة هاهنا يا سيد كريج، فأنت لم تتصل حقًا بخدمات الطوارئ، بل اتصلت على الهاتف الخلوى للمحقق الرقيب فولر".

"ذلك صحيح يا ردماين، لكنك تنسى أننى كنت أبلغ عن جريمة، ومن المعروف جيدًا أن فولر سوف ينبه خدمات الطوارئ. ففى الحقيقة، إذا كنت تتذكر، وصلت سيارة الإسعاف قبل وصول المحقق الرقيب".

أكد ردماين قائلاً: "قبله ببضع دقائق، ومع ذلك، فإن لدى فضولاً لأعرف كيف صادف أن تكون موفق الحظ لدرجة

امتلاكك رقم الهاتف الخلوى لضابط شرطة معاون".

"لقد عملنا مؤخرًا أنا وهو فى قضية مخدرات كبرى استدعت استشارات كثيرة مطولة، وأحيانًا تبادل ملاحظات قصيرة للغاية".

"الرقيب فولر إذن صديق لك".

قال كريج: "إننى لا أعرفه، إن علاقتنا مهنية ولا شىء أكثر من هذا".

"أقترح يا سيد كريج أنك كنت تعرفه معرفة طيبة بما يكفى لأن تتصل به وتتأكد من استماعه لروايتك للوقائع أولاً".

"لحسن الحظ أن هناك أربعة شهود آخرين ليصدقوا على روايتى للوقائع".

"وإننى فى غاية اللهفة لأن أستجوب كل واحد من أصدقائك المقربين يا سيد كريج، كما أن الفضول ينتابنى من ناحية سبب طلبك منهم، بعد عودتك للمقهى، أن يعود كل منهم إلى بيته".

فقال كريج: "إنهم لم يشهدوا موكلك يطعن السيد ويلسون فى صدره، وبالتالى فليس لهم صلة بالأمر، كما أننى ارتأيت أنهم قد يتعرضون للخطر إن هم بقوا".

"ولكن إن كان هناك أى شخص معرض للخطر يا سيد كريج، فإنه سيكون الشاهد الوحيد على مقتل السيد ويلسون، فلماذا لم تغادر بصحبة أصدقائك؟".

ومن جديد بقى كريج صامتا، ولكن هذه المرة ليس بسبب أنه كان يرى السؤال غير جدير بالرد عليه.

قال ردماين: "لعل السبب الحقيقى وراء طلبك منهم أن يغادروا هو أنك كنت بحاجة للتخلص منهم، لكى تذهب إلى بيتك فتخلع ملابسك الملطخة بالدم وتستبدل بها ثيابًا نظيفة قبل وصول الشرطة؟ فعلى كل حال، لا تقيم إلا، كما ذكرت، على بُعد مائة ياردة".

أجاب كريج بسخرية: "يبدو أن نسيت أن المحقق الرقيب فولر قد وصل بعد ارتكاب الجريمة بدقائق معدودة".

"مضت سبع دقائق بعد أن اتصلت بالمحقق الرقيب ثم وصل هو إلى مسرح الجريمة، ثم أمضى هو فترة زمنية يستجوب موكلى قبل أن يدخل إلى المقهى".

انطلق كريج يقول بسرعة: "هل تتخيل أنه بإمكانى أن أخاطر بينما أعلم أن الشرطة قد تظهر فى أى لحظة؟".

أجاب ردماين: "نعم أنا أتخيل هذا، إن كان البديل هو أن تقضى ما تبقى من حياتك فى السجن".

علا طنين مزعج فى قاعة المحكمة. كانت أعين هيئة المحلفين مثبتة الآن على سبنسر كريج، ولكنه لم يجب على كلمات ردماين بأى شىء مرة أخرى، وانتظر ردماين لبعض الوقت قبل أن يضيف: "سيد كريج، أكرر أننى أتطلع بلهفة لاستجواب أصدقائك واحدًا بعد الآخر"، والتفت نحو القاضى وقال: "لا مزيد من الأسئلة لدى يا سيادة القاضى".

فقال القاضى: "سيد بريسون لابد وأنك بلا شك ترغب فى إعادة استجواب هذا الشاهد؟".

قال بريسون: "نعم سيدى القاضى، هناك سؤال واحد أتوق لمعرفة جوابه"، وابتسم نحو الشاهد قائلاً: "سيد كريج، هل أنت السوبرمان القادر على القيام بكل شىء؟".

بدا كريج متحيرًا، ولكنه انتبه إلى أن بريسون يحاول معاونته، فأجاب: "كلا يا سيدى ولِمَ هذا السؤال؟".

"لأن السوبرمان فقط هو من يستطيع، بعد أن يكون شاهدًا على جريمة أن يعود للمشرب ويخبر أصدقاءه بالأمر، ثم يرجع إلى منزله ويأخذ حمامًا منعشًا، ويغير ثيابه، ثم يطير محلقًا عائدًا إلى المقهى ويجلس بشكل طبيعى إلى المقهى حتى وصول المحقق الرقيب فولر". حاول بعض أعضاء هيئة النضد المخصص للشراب أن يكبتوا ابتساماتهم، بينما واصل السيد

بريسون حديثه: "أو ربما كان هناك هاتف عملة مناسب قريب من المكان فى متناولك". تحولت الابتسامات إلى ضحكات، وانتظر بريسون حتى تختفى الضحكات ثم أضاف: "اسمح لى يا سيد كريج، أن أستغنى عن العالم الخرافى الذى أقحمنا فيه السيد ردماين وأن أطرح عليك سؤالاً واحدًا جادًا". كان هذا دور بريسون أن ينتظر حتى تصبح كل عين مصوبة نحوه. "عندما قام الخبراء الشرعيون بشرطة سكوتلانديارد بفحص سلاح الجريمة هل كانت بصمات أصابعك أنت التى وجدوها على مقبض السكين أم كانت بصمات أصابع المتهم؟".

فقال كريج: "بالطبع لم تكن بصمات أصابعى أنا، وإلا لكنت أنا من يجلس الآن فى قفص الاتهام".

قال بريسون: "لا مزيد من الأسئلة عندى يا سيدى القاضى".

٤

فتح باب الزنزانة وظهر أحد الضباط وقدم لدانى صينية من البلاستيك مكونة من خانات منفصلة تحمل طعامًا لا طعم له ولا رائحة والذى راح يتناوله بينما ينتظر بدء جلسة الأصيل.

فوت آليكس ردماين الغداء بحيث يتسنى له أن يراجع ملاحظاته. هل قلل من مقدار الوقت الذى قضاه كريج قبل أن يصل فولر إلى المقهى؟

أما القاضى ساكفيل فقد تناول غداءه بصحبة مجموعة من القضاة الآخرين، والذين لم ينزعوا باروكاتهم الرسمية، كما أن أحدهم لم يناقش قضية الآخر وبقوا يمضغون وجبتهم المكونة من اللحم ونوعين من الخضراوات.

أما المحامى بريسون فقد تناول غداءه بمفرده فى مطعم ميس فى الطابق الأخير من مبنى المحكمة. أدرك أن زميله المؤهل قد ارتكب خطأ عندما سأل كريج حول التوقيت، لكن لم يكن من مسئوليته أن ينوه بذلك. راح يدفع حبة بازلاء من هذا الجانب للصحن إلى الآخر بينما يتدبر ويتأمل فى العواقب والتبعات.

ما إن دقت الساعة الثانية تمامًا، بدأت الطقوس نفسها مرة أخرى. دخل القاضى السيد ساكفيل إلى قاعة المحكمة وابتسم

ابتسامة خفيفة لهيئة المحلفين قبل أن يتخذ مجلسه. نظر لأسفل نحو كلا المحاميين وقال: "طبتما مساء أيها السيدان. سيد بريسون، لعلك تستدعى الشاهد التالى".

قال بريسون وهو ينهض من مكانه: "شكرا لك سيدى القاضى، إننى أستدعى السيد جيرالد بين".

راقب دانى رجلاً يدخل إلى قاعة المحكمة لم يتعرف عليه للوهلة الأولى. لابد أن طوله خمس أقدام وتسع بوصات، لديه صلع مبكر، وكانت حلته حسنة التصميم والخياطة غير قادرة على إخفاء حقيقة أنه فقد بعض الوزن منذ أن رآه دانى آخر مرة، قاده الحاجب نحو منصة الشهود، وناوله نسخة من الكتاب المقدس وبطاقة مدونًا عليها نص القسم، وعلى الرغم من أن "بين" قرأ القسم من البطاقة، فقد أبدى الثقة بالنفس عينها التى أبداها سبنسر كريج ذلك الصباح.

" أنت السيد جيرالد بين، المقيم فى رقم اثنين وستين بمنطقة ويلنجتون ميوز، لندن دابليو تو؟".

أجاب بين بصوت حازم: "ذلك صحيح".

"وما مهنتك؟".

"إننى استشارى فى بيع وشراء الأراضى".

دون ردماين بجانب اسم بين عبارة: سمسار عقارات.

سأله بريسون: "وأى شركة تعمل لديها؟".

"إننى شريك فى شركة بيكر وترملى آند سمايث".

فقال بريسون ببراءة: "ولكنك صغير السن للغاية على أن تكون شريكًا فى شركة مرموقة مثل تلك".

أجاب بين: "إننى أصغر الشركاء سنًا خلال تاريخ الشركة". وبدا أنه قد تدرب على هذه العبارة تدريبًا جيدًا.

كان واضحًا لردماين أن شخصًا ما قد لقن بين قبل مثوله فى منصة الشهود بوقت طويل، ولأسباب أخلاقية أدرك أن هذا الشخص ليس المحامى بريسون، ليس هناك إذن إلا مرشح

واحد وحيد للعب هذا الدور.

قال بريسون: "تقبل تهانينا".

فقال القاضى: "ادخل فى الموضوع يا سيد بريسون".

" إننى أعتذر سيدى القاضى، كنت ببساطة أحاول أن أؤكد مصداقية الشاهد لدى هيئة المحلفين".

فقال القاضى السيد ساكفيل فى حدة: "إذن فقد نجحت فى هذا، والآن فلنتطرق إلى بيت القصيد رجاء".

راح بريسون فى أناة وصبر يستعيد مع بين أحداث الليلة المقصودة، فأكد له أن كريج ومورتيمر ودافنبورت كانوا جميعًا حاضرين فى مقهى دانلوب آرمز ذلك المساء، ولم يجازف بالخروج إلى الزقاق عندما سمع الصرخة، وعاد كل منهم إلى بيته عندما نصحهم بذلك سبنسر كريج. ولم ير المتهم قبل ذلك ولا مرة واحدة فى حياته.

انتهى بريسون من استجوابه قائلاً: "شكرًا لك يا سيد بين، أرجو أن تبقى مكانك".

نهض ردماين ببطء من مكانه، استغرق بعض الوقت ليعيد ترتيب بعض الأوراق قبل أن يطرح سؤاله الأول – وهى حيلة علمها له والده عندما كانوا يجرون محاكمات تدريبية بالمنزل. كان والده يقول له: "إن كنت على وشك أن تبدأ بسؤال مفاجئ يا بنى فدع الشاهد يخمن ويخمن ما قد يكونه سؤالك".انتظر حتى صار القاضى، وهيئة المحلفين، وبريسون يحدقون جميعًا إليه. ما هى إلا ثوانٍ معدودة، ولكنه يعرف أنها أمد طويل بالنسبة لأى شخص يجلس على منصة الشهود.

قال ردماين أخيرًا، وهو ينظر نحو الشاهد: "سيد بين، عندما كنت فى المرحلة الجامعية هل كنت عضوًا فى جماعة تسمى نفسها جماعة الماسكتيرز؟".

أجاب بين والحيرة بادية عليه: "صحيح".

"وهل كان شعار الجماعة يقول: "الجميع من أجل الفرد، والفرد من أجل الجميع؟".

وثب بريسون ناهضًا على قدميه قبل حتى أن يتسنى لبين الفرصة لأن يجيب، وقال: "سيدى القاضى، إننى لا يمكننى أن أفهم كيف يمكن لعضوية قديمة فى جماعة أيام الدراسة الجامعية أن تعنى أى شىء فى أحداث الثامن عشر من سبتمبر من العام الماضى؟".

أجاب القاضى: "أميل للاتفاق معك يا سيد بريسون، ولكن لا شك أن السيد ردماين على وشك أن يبدد لنا هذا الغموض".

أجاب ردماين، دون أن يرفع عينيه عن بين: "هذا صحيح بالفعل يا سيدى القاضى، هل كان شعار جماعة الماسكتيرز يقول: الجميع من أجل الفرد، والفرد من أجل الجميع؟"، هكذا كرر ردماين.

أجاب بين وفى صوته نبرة تهيب وتردد: "نعم، هذا صحيح".

" وما الأشياء الأخرى التى كان يتقاسمها أعضاء هذه الجماعة بينهم؟".

"الإعجاب بالروائى الفرنسى آلكسندر دوما، العدل وزجاجة من الشراب الجيد".

قال ردماين معقبًا، بينما يستخرج صفحة زرقاء من دفتر ورقى من وسط كومة الأوراق التى أمامه: "أو ربما بعض زجاجات من شراب الكروم الجيد؟" بدأ يقلب صفحات الدفتر الصغير ببطء مضيفًا. "وهل كان من بين قواعد هذه الجماعة أنه إذا تعرض أى عضو من الأعضاء للخطر، فإن من واجب جميع الأعضاء الآخرين أن يهبوا لنجدته؟".

أجاب بين: "هذا صحيح، لطالما اعتبرت الإخلاص هو المحك الذى يمكن به الحكم على أى رجل".

قال ردماين: "أحقًا ترى ذلك؟ وهل كان السيد سبنسر كريج بالمصادفة هو الآخر عضوًا من أعضاء جماعة الماسكتيرز؟".

أجاب باين: "نعم، لقد كان عضوًا، الحق أنه كان رئيسًا سابقًا لها".

"وهل هببت أنت وأصدقاؤك لنجدته ليلة الثامن عشر من سبتمبر من العام الماضى؟".

وثب بريسون من مقعده من جديد، قائلا: "سيدى القاضى، هذا تجاوز للحدود".

فتدخل ردماين قائلاً: "أين التجاوز للحدود يا سيدى القاضى، حتى السيد بريسون يبدو كما لو أنه يهب لنجدة شاهده عندما يبدو أنه بحاجة للنجدة، لعله هو الآخر كان عضوا فى جماعة الماسكتيرز؟".

ابتسم كثير من المحلفين.

قال القاضى فى هدوء: "سيد ردماين، هل تقترح أن الشاهد يشهد زورًا لمجرد أنه كان عضوًا فى جماعة حينما كان يدرس بالجامعة؟".

" إذا كان البديل هو السجن مدى الحياة لأقرب أصدقائه يا سيدى، فهذا صحيح أراه يفعل ذلك، لابد أن هذا قد خطر بعقله".

كرر بريسون، واقفًا على قدميه: "هذا مجاوز للحدود".

قال ردماين: "لكنه ليس مجاوزًا للحدود بقدر إرسال رجل برىء للسجن بقية حياته، من أجل جريمة لم يرتكبها".

قال بريسون: "لا شك سيدى القاضى أننا سنناقش ما إذا كان عامل المقهى هو الآخر عضوًا فى جماعة الماسكتيرز".

أجاب ردماين: "كلا ، لن نفعل هذا، لكننا سوف نكتفى بأن عامل المقهى هو الشخص الوحيد فى مقهى دانلوب آرمز الذى لم يخرج إلى الزقاق تلك الليلة".

قال القاضى: "أظن أنك قد أوضحت مقصدك، ربما قد

حان الوقت لكى تنتقل إلى سؤالك التالى".

قال ردماين: "لا مزيد من الأسئلة للشاهد يا سيادة القاضى".

"هل تود أن تعيد استجواب الشاهد يا سيد بريسون؟".

قال بريسون: "نعم، اود سيدى القاضى. سيد بين هل يمكنك أن تؤكد من جديد بحيث لا يتبقى أى شك فى نفوس المحلفين، أنك لم تتبع السيد كريج إلى الزقاق بعد أن سمعتم صرخة المرأة؟".

قال بين: "نعم، أؤكد هذا من جديد، لم أكن فى حالة تسمح لى بالقيام لهذا".

"عظيم جدًا، لا مزيد من الأسئلة للشاهد يا سيادة القاضى".

قال القاضى: "يمكنك مغادرة قاعة المحكمة يا سيد بين".

لم يستطع آليكس ردماين أن يمنع نفسه من ملاحظة أن بين لا يبدو الآن متمتعًا بالثقة بالنفس عينها التى دخل بها إلى قاعة المحكمة.

سأل القاضى: "هل تود أن تستدعى شاهدك التالى يا سيد بريسون؟".

"لقد كنت أنوى استدعاء السيد دافنبورت يا سيدى القاضى، ولكن قد ترى أنه من الحكمة أن نؤجل هذا الاستجواب حتى صباح الغد".

لم ينتبه القاضى إلى أن أغلب النساء فى القاعة تمنين لو يستدعى لورانس دافنبورت دون أى إبطاء. نظر القاضى إلى ساعة يده، وبدا عليه التردد، ثم قال: "لعله من الأفضل أن نستدعى السيد دافنبورت ما أن نبدأ فى الصباح التالى".

قال بريسون: "كما تشاء سيدى القاضى". وكان منشرحًا من تأثير توقع وانتظار ظهور شاهده التالى على النساء

الخمس الموجودات بين هيئة المحلفين، وكان يتمنى أن يكون الشاب ردماين من الحماقة بحيث يهاجم دافنبورت كما هاجم جيرالد بين.

٥

فى الصباح التالى كان الترقب والانتظار يعصفان بقاعة المحكمة حتى قبل أن يدخل إليها لورانس دافنبورت. وعندما نادى الحاجب اسمه ناداه بصوت هادئ خفيض.

دخل لورانس دافنبورت إلى قاعة المحكمة مباشرة، وتبع الحاجب حتى منصة الشهود. كان طوله حوالى ست أقدام، ولكن نحافته جعلته يبدو أطول قامة. كان يرتدى سترة بلون أزرق داكن وقميصًا "كريمى" وبدا نضرًا وبراقًا كما لو أنه هدية فض غلافها للتو، وقد ظل وقتًا طويلاً يفكر إن كان عليه أن يرتدى رابطة عنق أم لا، وفى نهاية الأمر عمل بنصيحة سبنسر بأنه سيعطى انطباعًا غير لطيف إن بدت ملابسه غير رسمية فى المحكمة. فقد قال له سبسنر: "دعهم يظنوا أنك طبيب وليس ممثلاً". اختار دافنبورت رابطة عنق مقلمة ما كان له أن يفكر فى وضعها إلا إن كان يصور مشهدًا بها، ولكن الحق أن ما يدير رءوس النساء ليس مظهره الخارجى ولكن أشياء أخرى، من قبيل عينيه الزرقاوين الحادتين، وشعره الثقيل المموج الناعم وتلك النظرة البريئة التى جعلت كثيرات منهن يرغبن فى أن يكن أمهات له. حسن، العجائز منهن على الأقل. أما الشابات فيرغبن فى نوع مختلف من العلاقة به.

بنى لورانس دافنبورت سمعته فى مجال التمثيل بلعبه دور طبيب جراح قلب فى مسلسل الوصفة الطبية، ولمدة نصف ساعة مساء كل أحد كان يخلب لب جمهور يقدر بنحو تسعة ملايين مشاهدة، ولم تكن معجباته مهتمات بمسألة أنه يقضى على الشاشة فى مغازلة الممرضات وقتًا أكثر مما يقضى فى القيام بعمليات تطعيم الشريان التاجى.

بعد أن وقف دافنبورت فى منصة الشهود قدم له الحاجب نسخة من الكتاب المقدس وناوله بطاقة بها القسم، بحيث يمكنه أن يتلو السطور الأولى من نصه المكتوب فى السيناريو. بعد أن تلا دافنبورت القسم، تحولت قاعة المحكمة الرابعة إلى مسرح خاص له، لاستعراض مواهبه. لم يستطع آليكس ردماين ان يمنع نفسه من ملاحظة أن جميع السيدات الخمس فى هيئة المحلفين كن يبتسمن ناظرات نحو الشاهد. رد دافنبورت لهن الابتسامات بمثلها، كما لو أن الستارة قد ارتفعت عنه للتو.

نهض السيد بريسون ببطء من مكانه. كان قد انتوى أن يبقى على السيد دافنبورت فى منصة الشهود لأطول وقت ممكن، ليشبع منه جمهوره المكون من اثنى عشر محلفًا.

اضطجع آليكس ردماين للخلف فى انتظار بداية المسرحية، وراح يتذكر نصيحة اخرى كان والده قد أوصاه بها.

أما دانى فقد شعر بقدر أعلى من العزلة والوحشة بينما يحدق إلى الرجل الذى يتذكر رؤيته له بكل وضوح فى تلك الليلة.

قال بريسون، وهو يشرق بالسرور فى وجه الشاهد: "أنت السيد لورانس آندرو دافنبورت؟".

"نعم يا سيدى".

التفت السيد بريسون نحو القاضى، قائلاً: "إننى أتساءل يا سيادة القاضى إن كان من الممكن أن أتجنب سؤال الشاهد عن محل إقامته، لأسباب لا تخفى على أحد؟".

أجاب القاضى السيد ساكفيل: "لا مشكلة لدى فى هذا، ولكنى سوف أطلب من الشاهد أن يؤكد أنه مازال يحتفظ بمحل الإقامة الذى أقام فيه الأعوام الخمسة الماضية".

قال دافنبورت، موليًا انتباهه إلى توجيهات مخرج العرضْ ومنحنيًا انحناءة صغيرة: "هكذا هو الأمر سيدى القاضى".

فسأله بريسون: "هل يمكنك أيضًا أن تؤكد أنك كنت فى مقهى دانلوب آرمز فى مساء الثامن عشر من سبتمبر عام ١٩٩٩؟".

أجاب دافنبورت:" نعم، هذا صحيح، لقد انضممت إلى مجموعة من الأصدقاء للاحتفال بيوم الميلاد الثلاثين لجيرالد بين. لقد كنا جميعًا زملاء فى جامعة كامبريدج". هكذا أضاف فى صوت واهن استخدمه آخر مرة بينما كان يلعب شخصية هيثكليف فى جولة مسرحية.

سأله بريسون وهو يشير نحو قفص الاتهام: "وهل رأيت المتهم تلك الليلة، ذلك الذى يجلس فى الناحية الأخرى من الغرفة؟".

قال دافنبورت، مواجهًا هيئة المحلفين وكأنهم جمهور حفلته الصباحية: "كلا، يا سيدى لم أنتبه لوجوده فى ذلك الحين".

"وفى وقت تالٍ من تلك الليلة هل ركض صديقك سبنسر كريج خارجًا من الباب الخلفى لذلك المكان العام؟".

"نعم، لقد فعل".

"وهل كان هذا بعد صرخة الفتاة؟".

"وذلك أيضا صحيح يا سيدى".

تردد بريسون قليلاً، متوقعًا أن يثب ردماين محتجًا على هذا الإرشاد الواضح فى سؤاله للشاهد، لكنه بقى بلا حراك. واصل بريسون متجرئًا أكثر: "وهل عاد السيد كريج للمقهى بعدها بدقائق ؟".

أجاب دافنبورت: "لقد فعل".

قال بريسون، مستمرا فى إرشاد الشاهد: "وهل نصحك أنت ورفيقيكما الآخرين أن تعودوا لمنازلكم؟"، ولكن آليكس ظل ساكنًا دون أن يرف له جفن.

قال دافنبورت: "ذلك صحيح".

"هل شرح لكم السيد كريج لماذا يرى أن عليكم أن تغادروا المكان؟".

"نعم، لقد أخبرنا بأن هناك رجلين يقتتلان بالزقاق، وأن أحدهما معه سكين".

" وماذا كان رد فعلك عندما سمعت ما قاله السيد كريج؟".

تردد دافنبورت، كأنه غير متأكد تمامًا من الإجابة التى عليه أن يقدمها عن سؤال كهذا، وكأنه لم يكن مكتوبًا فى السيناريو الذى درسه وحفظه.

قال بريسون مقترحًا الجواب، وكأنه يهب لنجدته من كواليس المسرح: "لعلك شعرت بأن عليك أن تذهب لترى ما إن كانت السيدة الشابة تتعرض لأى خطر؟".

أجاب دافنبورت، الذى أشرق وجهه شاعرًا بأنه لم يكن يستطيع التوصل لهذا الحل النموذجى للمأزق دون أن يتلقى هذا العون الكريم: "نعم، نعم".

"ولكن على الرغم من هذا فلقد اتبعت نصح السيد كريج، وغادرت المكان؟".

قال دافنبورت: "نعم، نعم، هذا صحيح، لقد عملت بنصيحة كريج، ولكن مع الاعتبار بأنه – توقف قليلاً لتأكيد التأثير الدرامى – دارس للقانون. أعتقد أن هذا هو المصطلح الصحيح".

يحفظ دوره عن ظهر قلب، هكذا فكر آليكس، مدركًا أن دافنبورت ممثل قدير، سواء هنا أو هناك.

"لم تتجه صوب الزقاق أنت بنفسك أبدًا؟".

"كلا يا سيدى، ليس بعد أن نصحنا سبنسر بأنه ما ينبغى علينا أن نقترب من هذا الرجل الممسك بالسكين تحت أية ظروف".

ظل آليكس فى موضعه ساكنًا.

قال بريسون وهو يقلب صفحات ملفه محدقًا فى صفحة ورق بيضاء: "عظيم جدًا"، لقد فرغ من أسئلته أسرع بكثير مما توقعه. لا يستطيع أن يفهم لماذا لم يحاول خصمه أن يقاطعه بينما كان يرشد شاهده للأجوبة بمنتهى الوضوح. أغلق الملف على مضض، وقال: "أرجو أن تظل بمنصة الشهود يا سيد دافنبورت، فأنا على ثقة من أن صديقى المحامى يرغب فى استجوابك".

أما آليكس ردماين فلم ينظر حتى باتجاه لورانس دافنبورت بينما راح الممثل يمرر يده بين خصلات شعره الطويلة الشقراء ويواصل الابتسام نحو المحلفات.

سأل القاضى، وكأنه يتطلع لهذه المواجهة: "هل تود أن تستجوب هذا الشاهد يا سيد ردماين؟".

أجاب ردماين وهو لا يكاد يتحرك من مكانه: "كلا يا سيدى، شكرًا لك".

قليلون ممن كانوا حاضرين بالمحكمة استطاعوا أن يخفوا خيبة أملهم من هذا.

لم يتحرك آليكس من مكانه، متذكرًا نصيحة والده له بألا يستجوب أبدًا شاهدًا يحبه المحلفون، وخصوصًا إن كان المحلفون يرغبون فى تصديق أى شىء قد يقوله لهم. وأخرجهم من منصة الشهود فى أسرع وقت ممكن، على أمل أنه حين يجىء الوقت لاتخاذ القرار النهائى من قبل المحلفين، تكون ذكرى حضورهم - والذى كان فى حالة دافنبورت أداءً مسرحيًا قد تبدد من الذاكرة.

قال السيد القاضى ساكفيل بقدر من التردد: "تستطيع

مغادرة منصة الشهود يا سيد دافنبورت".

هبط دافنبورت، وأخذ وقته الكافى محاولاً تحقيق الاستفادة القصوى من خروجه القصير من قاعة المحكمة، كما لو أنه يغادر خشبة المسرح إلى الكواليس. ما إن عاد للردهة المزدحمة بالناس توجه مسرعًا نحو السلالم المؤدية إلى الطابق الأرضى، بسرعة لا تمسح لأى معجبة مشدوهة أن تكتشف أنه هو حقًا د. بيريزفورد وتطلب منه توقيعه.

كان دافنبورت سعيدًا بخروجه من هذا المبنى. لم يتمتع بالتجربة، وكان ممتنًا لأن كل شىء انتهى فى وقت أقل مما توقع؛ وكأنه أقرب إلى جلسة اختبار إمكانيات ممثل أكثر منها دورًا كاملاً فى عمل فنى. لم يسترخ ولو لدقيقة واحدة، وتساءل بينه وبين نفسه ترى هل بدا عليه أنه لم ينم الليلة الماضية. بينما كان دافنبورت يتواثب على السلالم ويخرج من المبنى إلى الطريق، تفقد ساعة يده؛ مازال الوقت مبكرًا على موعده مع سبنسر كريج على الغداء فى الساعة الثانية عشرة. استدار نحو اليمين وبدأ يسير فى اتجاه الانر تمبل، لابد وأن سبنسر سيكون سعيدًا حين يعرف أن ردماين لم يهتم باستجوابه. لقد كان يخشى أن يتعرض المحامى الشاب لمسألة ميوله الحميمة، والتى إن صرح فيها بالحقيقة، لن يكون هناك عنوان آخر سواها فى الصحف الصفراء غدًا — إلا إذا صرح لهم بحقيقة هذه القضية أيضًا، فسيكون هناك أكثر من عنوان، بالصحف الصفراء، وكل الصحف الأخرى.

٦

لم يلق توبى مورتيمر التحية على لورانس دافنبورت بينما كان يسير وراءه. كان سبنسر كريج قد حذرهما من أنهما ينبغى ألا يراهما الناس فى أماكن عامة معًا حتى تنتهى المحاكمة. كان قد اتصل بثلاثتهم لحظة عودته إلى منزله تلك الليلة ليخبرهم بأن المحقق الرقيب فولر سيتصل بهم فى اليوم التالى من أجل إيضاح بعض النقاط، وما بدأ على أنه احتفال بعيد ميلاد جيرالد انتهى إلى كابوس يطارد هؤلاء الأربعة.

حنى مورتيمر رأسه عندما مر به دافنبورت. كان يقاسى فزعه من المثول فى منصة الشهود على مدى أسابيع مرت، على الرغم من تأكيد سبنسر له أنه حتى ولو اكتشف ردماين، محامى الخصم، بمشكلته مع المخدرات فلن يشير إليها.

بقى أعضاء جماعة الماسكتيرز على إخلاصهم لبعضهم البعض، ولكن ما كان يتوقع أحدهم أن تظل علاقتهم كما كانت عليه فيما سبق، وما حدث فى تلك الليلة جعل شهية مورتيمر للتعاطى تصير أكثر قوة. فقبل احتفال عيد الميلاد، كان معروفًا وسط تجار المخدرات بأنه مدمن نهاية الأسبوع، ولكن كلما اقترب موعد المحاكمة، صار بحاجة لجرعتين فى اليوم.

كان سبنسر قد حذره قائلاً: "لا تفكر حتى فى أن تتعاطى

شيئًا قبل ذهابك للمثول أمام المحكمة"، ولكن كيف يمكن لسبنسر أن يفهم ما يقاسيه صاحبه، فى حين أنه لم يسبق له أن عانى من مشكلة تعاطى: ساعات قليلة من النعيم التام إلى أن يزول أثر المخدر، ثم يتبع ذلك تعرق الجسد، ثم الارتعاش، وأخيرًا هناك الاستعداد للجرعة المخدرة التالية، بحيث يمكنه مرة أخرى أن ينفصل عن العالم تماما – إدخال الإبرة فى وريد لم يستخدم بعد، اندفاع المخدر بينما يشق السائل طريقه نحو مجرى الدم، تأثيره السريع على العقل، وأخيرًا البهجة والراحة – إلى أن تبدأ الحلقة من جديد. مورتيمر كان يتعرق بالفعل. كم من الوقت سيمضى قبل أن يبدأ الارتعاش؟ مادام هو الشاهد التالى الذى سيتم استدعاؤه، فإن دفقة من الأدرينالين سوف تسرى فى عروقه.

انفتح باب قاعة المحكمة وظهر الحاجب. فز موتيمر فى توقع وتحفز. غرس أظافره فى راحتى يديه، مصممًا على ألا يخذل أصدقاءه.

تجاهل الحاجب الرجل النحيف الطويل الذى انتفض من موضعه لحظة ظهوره، وأعلن قائلاً: "رجينالد جاكسون!". إنه المسئول عن مقهى دانلوب آرمز وشخض آخر لم يتحدث إليه مورتيمر منذ ستة أسابيع.

قال سبنسر: "دعوه لى"، ولكن حتى فى جامعة كامبريدج، كان سبنسر دائمًا وأبدًا يعتنى بمشكلات مورتيمر الصغيرة.

ارتمى مورتيمر على المقعد الطويل فى الردهة وتشبث بحافة المقعد إذ شعر بأن الارتعاشات على وشك أن تبدأ. لم يكن يعرف تمامًا كم من الوقت يمكن للارتعاش أن يستمر – سرعان ما تغلب احتياجه لتغذية إدمانه على خشيته من سبنسر كريج، وعندما خرج عامل المقهى مرة أخرى من داخل قاعة المحكمة، كان قميص مورتيمر وسرواله وجورباه تقطر بالعرق، على الرغم من أنه كان صباحا باردا من شهر مارس،

ويمكنه أن يسمع صوت سبنسر يقول: استجمع نفسك، حتى على الرغم من أن صديقه على مبعدة ميل، يجلس بملابس النوم، وعلى الأرجح يتحدث بالهاتف مع لورانس حول كيف سارت أمور المحاكمة حتى الآن. سوف يكونون فى انتظاره للانضمام إليهم، فهو القطعة الأخيرة فى اللغز الذى يتكون من قطع مختلفة متفرقة.

نهض مورتيمر وراح يقطع الردهة جيئة وذهابًا فى انتظار أن يعاود الحاجب الظهور. تفقد ساعة يده، وتمنى أن يكون هناك وقت كاف لاستدعاء شاهد آخر، لكى يستدعوه هو بعد استراحة الغداء. ابتسم آملاً إلى الحاجب بينما خطا إلى الردهة.

صاح الحاجب: "المحقق الرقيب فولر!" وارتمى مورتيمر من جديد على المقعد الطويل للانتظار بالردهة.

إنه الآن يرتعش دون أى قدرة على التحكم بجسده. إنه بحاجة لجرعته التالية تمامًا مثل طفل رضيع يحتاج لحليب أمه . نهض من مكانه وسار غير ثابت الخطوات نحو غرفة الاغتسال، وكم استراح عندما وجد أن الغرفة ذات البلاط الأبيض خالية تمامًا. اختار المرحاض البعيد تمامًا ليغلق على نفسه بداخله. الفجوة الموجودة بأعلى الباب والأخرى بأسفله أصابتاه بالتوتر: أى شخص مسئول فى المكان يمكنه بكل سهولة أن يكتشف أنه يخرق القانون — فى المحكمة الجنائية المركزية نفسها. لكن تعطشه للجرعة كان قد بلغ حدًا لا وجود فيه للتفكير السليم ولا للحكم السديد، بعد أن سيطرت الضرورة فحسب، مهما كانت المخاطرة .

فك مورتيمر أزرار سترته واستخرج من جيبه الداخلى كيسًا قماشيًا صغيرًا: عدة العمل. فض الكيس ووضع محتوياته أعلى مقعد المرحاض. كان يوجد فى هذا الاستعداد نفسه جزء من المتعة والإثارة. التقط قارورة صغيرة لسائل بحجم ملليجرام

واحد، ثمنها ٢٥٠ يورو. كان نوعًا شديد الجودة ونقيًا. تساءل ترى حتى متى يمكنه أن يؤمن ثمن هذه الأشياء قبل أن ينتهى الميراث القليل الذى تركه له والده. غرس سن الحقنة فى قارورة السائل وراح يسحب حتى امتلأت الأنبوبة البلاستيكية الصغيرة. لم يتأكد حتى من أن يعرف إن كان السائل يتحرك بسهولة بداخلها أم لا لأنه لن يتحمل ثمن إهدار ولو قطرة واحدة منه.

توقف للحظات، والعرق يتصبب من جبينه، وحينها سمع الباب فى نهاية دورة المياه يفتح. لم يحرك ساكنًا، وانتظر حتى ينتهى الشخص الغريب من حاجته التى خصص لها هذا المكان فى الأصل.

ما إن انغلق الباب مرة أخرى، حتى خلع رابطة العنق المدرسية القديمة، ورفع إحدى ساقى السروال وراح يفتش عن وريد: وهى مهمة تصير أكثر صعوبة كل يوم. عقد رابطة العنق حول قدمه اليسرى وشدها لتصير أحكم وأضيق حتى برز أخيرًا وريد أزرق. أمسك برابطة العنق بشدة بإحدى يديه، وبالأخرى أمسك الحقنة. ثم أدخل الحقنة فى الوريد قبل أن يضغط ببطء ليبدأ تدفق السائل حتى القطرة الأخيرة منه ليجرى فى مجرى الدم. تنهد تنهيدة عميقة من الارتياح وقد انتقل إلى عالم آخر – عالم لا يسكنه سبنسر كريج.

⤚o⤙

قال والد بيث فى وقت مبكر من ذلك اليوم بينما يتخذ مقعده إلى المائدة بينما تضع زوجته أمامه طبقًا من البيض واللحم: "لست مستعدًا لمناقشة هذا الأمر أكثر من هذا"، إنه نفس الإفطار الذى أعدته له كل صباح منذ يوم زواجهما.

"ولكن يا أبى، إنك لا تصدق حقًا أن دانى من الممكن أن يقتل بيرنى. لقد كانا أقرب صديقين منذ يومهما الأول بمدرسة

كليمنت آتلى".

"لقد رأيت دانى يفقد أعصابه من قبل".

سألت بيث: "متى؟".

"فى حلبة الملاكمة، وهو يلاكم بيرنى".

"ولذلك كان بيرنى يهزمه على الدوام".

"ربما فاز دانى بهذه الجولة لأنه كان يمسك بسكين فى يده". كانت بيث مصعوقة من اتهام والدها حتى أنها لم تحر جوابا. واصل قائلا: "وهل نسيت ما حدث فى الملعب قبل أعوام عديدة؟".

قالت بيث: "كلا، لم أنس، ولكن دانى كان هو من أنقذ بيرنى فى ذلك الوقت".

"عندما ظهرت مديرة المدرسة وجدت سكينا فى يده".

قالت والدة بيث: "ولكن هل نسيت أنت أن بيرنى أكد رواية دانى عندما سألته الشرطة فيما بعد؟".

"وعندما نجد سكينًا مرة أخرى فى يد دانى. فهل هذه مجرد مصادفة؟".

"ولكننى أخبرتك مائة مرة..".

"إن ذلك الشخص الغريب تمامًا طعن أخاك حتى الموت".

قالت بيث: "نعم، لقد فعل".

"وأن دانى لم يفعل أى شىء لاستفزازه، أو ليحرضه على فقد أعصابه".

قالت بيث محاولة أن تبقى هادئة: "كلا، لم يفعل".

قالت السيدة ويلسون وهى تصب لابنتها قدحًا آخر من القهوة: "وأنا أصدقها".

"أنت تصدقينها دائمًا".

أجابت السيدة ويلسون: "وهذا لسبب وجيه، فأنا أعرف أن بيث لا تعرف الكذب".

لبث السيد ويلسون صامتًا، وبردت وجبته التى لم يقربها.

قال فى نهاية الأمر: "وهل تتوقعين منى أن أعتقد أن جميع هؤلاء الآخرين يكذبون؟".

قالت بيث: "نعم، أتوقع منك هذا. فيبدو كأنك تنسى أننى كنت هناك، بحيث أعرف بكل تأكيد أن دانى برىء".

قال السيد ويلسون: "إنهم أربعة مقابل واحد فقط".

"أبى، نحن لا نناقش سباق خيول أو لعبة حظ هاهنا. إنها حياة دانى".

قال السيد ويلسون، وقد ارتفع صوته مع كل كلمة يقولها: "كلا، بل هى حياة ابنى هى ما نناقشه هنا".

قالت والدة بيث: "لقد كان ابنى أنا أيضًا، إذا كنت نسيت".

قالت بيث: "وهل نسيت أيضًا أن دانى هو الرجل الذى كنت تتمنى زواجى به، وأنه الرجل الذى طلبت منه أن يتولى شئون الورشة بعد تقاعدك؟ فما الذى إذن جعلك تتوقف فجأة عن تصديقه؟".

قال والد بيث: "هناك شىء لم أخبركما به". حنت السيدة ويلسون رأسها. وأردف السيد ويلسون قائلاً: عندما أتى دانى ليقابلنى ذلك الصباح، ليخبرنى بأنه سوف يطلب يدك للزواج رأيت أنه من الأمانة أن يعرف أننى قد غيرت رأيى".

سألته بيث: "غيرت رأيك بخصوص أى شىء؟".

"بخصوص من سوف يتولى شئون الورشة بعد تقاعدى".

٧

قال آليكس ردماين، "لا مزيد من الأسئلة لدى يا سيادة القاضى".

شكر القاضى المحقق الرقيب فولر، وأخبره بأن بوسعه مغادرة القاعة.

لم يكن يومًا طيبًا بالنسبة لآليكس. لقد سحر لورانس دافنبورت المحلفين بجاذبيته وطلعته البهية، وقد ظهر المحقق الرقيب فولر بمظهر الضابط الدمث النزيه والذى أقر تمامًا بما رآه فى تلك الليلة، وبالتفسير الوحيد الذى يمكن الخروج به مما رآه، وعندما ضغط آليكس عليه بخصوص مسألة علاقته بكريج، كرر ببساطة كلمة "العلاقة المهنية ". فيما بعد، عندما سأله بريسون عن المدة الزمنية التى مرت ما بين اتصال كريج بخط الطوارئ ووصول فولر إلى المقهى، فإن فولر قال إنه غير متأكد من هذا تمامًا، لكنه يعتقد أنها حوالى ربع الساعة.

بالنسبة لعامل المقهى، ريج جاكسون، كرر كما يكرر أى ببغاء أنه لم يكن يعتنى ولا يهتم إلا بعمله، وعلى هذا فإنه لم ير أو يسمع أى شىء.

تقبل ردماين حقيقة أنه إن كان له أن يكتشف ثغرة فى الستار الحديدى للأعضاء الأربعة السابقين بجماعة الماسكتيرز، فإن أمله الوحيد الآن هو توبى مورتيمر. كان ردماين يعرف تمامًا

المعرفة مسألة إدمان الرجل، على الرغم من أنه لم يكن ينوى الإشارة إليها فى قاعة المحكمة. كان يعرف أنه لن يكون فى عقل مورتيمر أى شىء آخر بينما يتم استجوابه. استشعر ردماين أن مورتيمر أحد شهود النيابة الذى قد يستسلم بالضغط عليه، لذا فكم سره أن يبقى منتظرًا فى الردهة طوال اليوم.

قال القاضى ساكفيل، وهو يرمى نظرة سريعة إلى ساعة يده: "أظن أن لدينا ما يكفى من الوقت لشاهد آخر".

لم يبد السيد بريسون حماسة كبيرة عند استدعاء شاهد النيابة الأخير. فبعد قراءة التقرير المفصل للشرطة، كان قد فكر فى عدم استدعاء توبى مورتيمر على الإطلاق، لكنه أدرك أنه إذا لم يفعل، فإن ردماين سوف يصير أكثر ريبة، بل وربما يستصدر أمرًا قضائيًا لاستدعائه للشهادة. نهض بريسون ببطء من مكانه.

قال: "أستدعى السيد توبى مورتيمر".

خرج الحاجب إلى الردهة، وصاح: "توبى مورتيمر!" واندهش عندما وجد أن الرجل لم يكن جالسًا فى مقعده كما كان. كان فيما سبق متلهفًا للغاية على أن يتم استدعاؤه. راح الحاجب يتفقد المقاعد الطويلة بالردهة هنا وهناك بكل حرص وعناية، ولكن لم يكن يبدو هناك أى أثر له، وصاح بالاسم بصوت أعلى للمرة الثانية، ولكنه لم يتلق جوابًا بعد.

تطلعت امرأة حبلى بنظرها من الصف الأمامى، غير متأكدة إن كان مسموحًا لها بمخاطبة الحاجب. استقرت عينا الحاجب عليها. سألها بصوت أقل ارتفاعًا: "هل رأيت السيد مورتيمر يا سيدتى؟".

أجابت: "نعم، لقد ذهب إلى دورة المياه قبل قليل، لكنه لم يرجع".

"شكرا لك يا سيدتى" واختفى الحاجب من جديد بداخل قاعة المحكمة. وسار بهمة حتى وصل إلى موظف الجلسة، الذى

استمع بانتباه قبل أن يبلغ القاضى بالأمر.

قال القاضى ساكفيل: "سوف نمهله بضع دقائق أخرى".

ظل ردماين ينظر نحو ساعة يده، ويزداد توتره كلما مضت دقيقة بعد أخرى. لا يقتضى الأمر كل هذا الوقت ليقضى حاجته فى الحمام - إلا إذا ... انحنى بريسون وابتسم فى أمل، قائلاً: "ربما نترك هذا الشاهد كأول شاهد فى جلسة صباح الغد؟".

أجاب ردماين: "كلا، شكرًا لاقتراحك، يسعدنى أنا شخصيًا أن أنتظره". راح يراجع أسئلته مرة أخرى، واضعًا خطوط تحت كلمات ذات أهمية بحيث لا يضطر كل لحظة أن يلقى نظرة على أوراقه. وتطلع بنظره فى اللحظة نفسها التى عاد فيها الحاجب إلى قاعة المحكمة.

أسرع الحاجب إلى الداخل وهمس بشىء ما فى أذن ممثل الادعاء، والذى مرر المعلومة إلى القاضى. أومأ القاضى ساكفيل برأسه، قائلاً: "سيد بريسون" فنهض ممثل الادعاء واقفًا على قدميه. وواصل القاضى: "من الواضح أن شاهدك الأخير قد أصابه توعك وهو الآن فى طريقه إلى المستشفى". لم يضف أنه عثر عليه بإبرة مغروزة فى وريد ساقه اليسرى. "وأضاف مستطردًا: "وبالتالى أنوى أن أغلق الجلسة لهذا اليوم. أود أن أرى كلا المحاميين فى غرفتى على الفور".

لم يكن آليكس ردماين بحاجة لحضور هذه الجلسة المغلقة ليدرك أن ورقته الرابحة قد سحبت قبل أن ينزل بها على الطاولة. وبينما يغلق ملف شهود الإثبات، تقبل حقيقة أن مصير دانى كارترايت الآن بين يدى خطيبته، بيث ويلسون.

وهو مازال حتى الآن غير متأكد من أنها كانت تقول الحقيقة.

٨

انقضى الأسبوع الأول من المحاكمة وراح الأبطال الأربعة الأساسيون يقضى كل منهم نهاية الأسبوع بطريقة مختلفة كل الاختلاف.

بالنسبة لآليكس ردماين فقاد سيارته إلى سومرست ليقضى يومين بصحبة والديه فى باث، وقد بدأ والده يستجوبه حول قضيته حتى قبل أن يغلق من خلفه الباب الأمامى، بينما أمه كانت أكثر اهتمامًا بأن تكتشف إن كانت هناك خطيبة مرشحة.

وقد أجاب عن أسئلة كلا والديه: "هناك أمل ما".

وعندما غادر آليكس متجهًا نحو لندن مساء يوم الأحد، كان قد تدرب على الأسئلة التى ينوى طرحها على بيث ويلسون فى اليوم التالى، وكان والده يؤدى دور القاضى، وهى ليست مهمة صعبة على رجل عجوز مثله. وعلى كل حال، فهذا هو ما كان يقوم به خلال العشرين عامًا السابقة لتقاعده.

قال له والده: "يخبرنى ساكفيل بأنك ملم تمامًا بقضيتك، لكنه يشعر بأنك تخاطر أحيانًا مخاطرات غير ضرورية".

"قد تكون تلك هى الطريقة الوحيدة لكى أكشف براءة كارترايت".

أجاب والده: "هذه ليست مهمتك، هذا قرار هيئة

المحلفين".

قال آليكس وهو يضحك: "أنت الآن تبدو شبيها بالقاضى ساكفيل".

تجاهل والده تعليقه، وواصل يقول: "مهمتك هى أن تقدم أفضل دفاع ممكن لموكلك، سواء كان مذنبًا أو بريئًا".

كان من الواضح أن والده قد نسى أن تلك كانت أول نصيحة قدمها له عندما كان عمر آليكس سبعة أعوام، وكررها عليه مرات عديدة منذ ذلك الحين. عندما التحق آليكس كطالب فى المراحل الجامعية الأولى، كان مستعدًا بالفعل للحصول على درجة الإجازة فى القانون.

سأله والده: "وماذا عن بيث ويلسون، ماذا تتخيل عنها كشاهدة؟".

أجاب آليكس وهو ممسك طيات سترته فى مباهاة: "لقد أخبرنى محام قدير ذات يوم بأنه لا يمكن للمرء أن يتنبأ بسلوك شاهد أو شاهدة قبل دخول الشاهد إلى منصة الشهود".

ضحكت والدة آليكس ضحكة مجلجلة وقالت : "هذه واحدة". هكذا قالت وهى ترفع الأطباق وتختفى بداخل المطبخ.

تجاهل والده مقاطعة زوجته، وقال: "لا تستهين ببريسون، فإنه يكون فى أفضل حالاته عندما يستجوب شهود الدفاع".

سأل آليكس مبتسمًا: "هل من الممكن أن نستهين بالسيد آرنولد بريسون ممثل الادعاء؟".

"نعم، لقد فعلت هذا ودفعت الثمن فى مناسبتين".

سأل آليكس: "وهل تحمل اثنان بريئان جريرة جرائم لم يرتكباها؟".

فأجاب والده: "بالطبع لا، كان كل منهما مذنبًا بكل وضوح، ولكن كان علىَّ مع ذلك أن ألعب دورى فى الدفاع عنهما. فقط تذكر أن بريسون إذا ما وضع يده على نقطة ضعف فى دفاعك

فسوف يعود إليها المرة بعد الأخرى، إلى أن يصير متأكدًا من أنها النقطة الوحيدة التى يتذكرها المحلفون عندما يتقاعدون".

سألت والدته وهى تصب لآليكس بعض القهوة: "أيمكننى أن أقاطع السيد المحامى المؤهل، فأساله عن أحوال سوزان؟".

قال آليكس: "سوزان؟"وقد عاد فجأة إلى أرض الواقع.

"تلك الفتاة الساحرة التى أحضرتها معك لنلتقى بها قبل شهرين".

"سوزان رينيك؟ لا علم لدى. أخشى أننا لم نعد نتصل ببعضنا البعض. لا أظن أن العمل بالمحاماة يترك فراغًا لأى شىء إلى جانبه على مستوى الحياة الشخصية. يعلم الله وحده كيف تدبرتما أمركما أنتما الاثنين طوال كل تلك السنين".

"كانت أمك تقوم بإطعامى بنفسها كل ليلة خلال محاكمة كاربارش. لو لم أتزوجها لمت جوعًا".

قال آليكس، مبتسمًا لأمه: "بتلك البساطة؟".

فأجابت: "ليس بتلك البساطة تمامًا، فعلى كل حال امتدت تلك المحاكمة لمدة عامين – وخسرها فى النهاية ".

قال والده، واضعًا ذراعه حول خصر زوجته: "كلا، لم أخسرها، ولكن فلتحذر يا بنى، فإن بريسون غير متزوج، لذلك فسوف يقضى إجازة نهاية الأسبوع بأكملها وهو يعد الأسئلة الجهنمية من أجل بيث ويسلون".

⊸○⊷

لم يصرحوا له بإطلاق سراح مؤقت، فى مقابل كفالة.

أمضى دانى الشهور الستة الأخيرة فى زنزانة مغلقة فى سجن بلمارش مشدد الحراسة بجنوب شرق لندن. كان يتكاسل وعلى مدى اثنتين وعشرين ساعة كل يوم فى زنزانة مساحتها ثمانية فى ست أقدام، قطع الأثاث الوحيدة التى فيها

هى فراش لشخص واحد، ومنضدة من اللدائن الفورمايكا ومقعد من البلاستيك، وحوض اغتسال حديدى ومرحاض حديدى. وكان المنظر الوحيد المطل على العالم الخارجى هو نافذة شديدة الصغر محاطة بالقضبان تعلو رأسه بقليل. فى كل أصيل كانوا يسمحون له بالخروج من الزنزانة لمدة خمس وأربعين دقيقة، وحينها كان يمارس رياضة العدو الخفيف حول المحيط الخارجى للفناء الأجدب - وهو مساحة فدان تقريبًا من الأسمنت يحيط بها سور يبلغ ارتفاعه ست عشرة قدمًا، تعلوه الأسلاك الشائكة.

كان دانى يجيب كلما سأله أى شخص عن سبب دخوله السجن: "إننى برىء"، وكان زملاؤه فى السجن يجيبون على الفور: "ذلك ما يزعمه الجميع".

فى ذلك الصباح وبينما كان دانى يعدو حول الفناء، حاول ألا يفكر فى سير الأمور خلال الأسبوع الأول من المحاكمة، ولكن بدا أن محاولته تلك محكوم عليها بالفشل، وعلى الرغم من أنه راح ينظر بكل اهتمام وحرص نحو كل عضو من أعضاء هيئة المحلفين، ولكنه لم يملك سبيلاً أبدًا ليعرف ما الذى يفكرون فيه. قد لا يكون أسبوعًا أولاً جيدًا بالنسبة للمحاكمة، ولكن على الأقل سوف يكون بمقدور بيث أن تروى جانبها من القصة. فهل سيصدقها المحلفون، أم سيصدقون نسخة سبنسر كريج لما حدث فى تلك الليلة؟ لم يتوان والد دانى عن تذكير ابنه بأن القضاء البريطانى هو أفضل قضاء من حيث العدالة فى العالم أجمع – فالأبرياء لا يسجنون أبدًا. إذا كان ذلك حقيقيًا فإنه سيطلق سراحه فى غضون أسبوع، وحاول ألا يفكر فى بديل هذا.

-o-

ممثل الادعاء آرنولد بريسون قضى إجازة نهاية الأسبوع

فى الريف هو أيضًا، فى منزله الريفى الذى يقع فى كوتسولدز بحديقته التى تبلغ مساحتها أربعة أفدنة والنصف تقريبًا والتى يعتبرها مصدر فخره وسعادته. بعد الاعتناء بزهوره حاول أن يقرأ رواية امتدحتها الدوائر الأدبية مؤخرًا، والتى قرر فى النهاية أن ينحيها جانبًا قبل أن يخرج للتمشية قليلاً. وبينما يتمشى فى القرية حاول جاهدًا أن يصفى عقله من كل شىء جرى فى لندن ذلك الأسبوع، على الرغم من أن القضية فى حقيقة الأمر نادرًا ما غابت عن باله وأفكاره.

شعر بأن الأسبوع الأول من المحاكمة قد مضى على خير ما يرام، على الرغم من حقيقة أن آليكس ردماين قد أثبت أنه خصم أكثر بسالة مما توقع له أن يكون. عبارات بعينها مشابهة، وخصال موروثة بكل وضوح وموهبة نادرة فى مسألة التوقيت تعيد إلى ذاكرته ذكرى الأب ردماين، والذى كان فى رأى آرنولد من أفضل المحامين الذين واجههم على الإطلاق.

ولكن الصبى مازال أخضر ولين العود. فقد كان عليه أن يشتغل أكثر من ذلك على مسألة الوقت عندما كان كريج يقف بمنصة الشهود. لو أن آرنولد كان مكانه لكان ذهب وأحصى عدد حجارة الرصيف ما بين مقهى دانلوب آرمز والباب الأمامى لمنزل كريج، دون أن يكون معه إلا ساعة مضبوطة لقياس الزمن. وبعدها كان سيعود إلى بيته، ويخلع ملابسه، ويستحم ويرتدى طاقمًا نظيفًا من الملابس، بينما يقوم بقياس الزمن اللازم لهذا كله. كان آرنولد يتشكك أن الوقت كله لن يتجاوز أكثر من عشرين دقيقة – ليس أكثر من ثلاثين دقيقة بلا أى شك.

بعد أن قام بشراء قليل من البقالة واللوازم، واشترى الصحيفة المحلية من متجر القرية، شرع بريسون فى العودة إلى منزله. توقف عند ملعب الجولف لدقيقة، وابتسم متذكرًا الخمس والسبعين رمية صائبة التى أحرزها ضد بروكلهيرست

منذ حوالى عشرين عامًا، أم أنها صارت ثلاثين عامًا؟ كل ما يحبه فى إنجلترا مجسد فى هذه القرية. نظر إلى ساعة يده، وتنهد معترفًا بأن الوقت قد حان ليعود للمنزل ويستعد للغد.

بعد أن تناول الشاى، دخل غرفة مكتبه، وجلس إلى المكتب وراح يمر بعينيه على الأسئلة التى أعدها ليطرحها على بيث ويلسون. سيكون لديه ميزة أن يستمع إلى استجواب ردماين لها قبل أن يقوم هو بطرح أسئلته عليها، ومثل قطة متأهبة للقفز فى أية لحظة، سوف يجلس هادئًا فى الطرف الخاص به من المقعد الطويل ينتظر متحليًا بالصبر لأن ترتكب الشاهدة أى خطأ فالمذنب دائمًا يرتكب أخطاءً.

ابتسم آرنولد وهو يعيد انتباهه من جديد إلى عدد قديم من صحيفة بيثنال جرين وبو جازيت، واثقًا من أن ردماين لم يعثر على هذا الموضوع الصحفى الذى ظهر بالصفحات الأولى قبل نحو خمسة عشر عامًا. قد يفتقد آرنولد بريسون ذكاء ولباقة وأسلوب القاضى ردماين الأب، لكنه يعوض ذلك بساعات من البحث الدءوب، مما نتج عنه بالفعل دليلان آخران لن يتركا لدى المحلفين أى شك فى أن كارترايت مذنب، لكنه سوف يدخر كلاً منهما من أجل المتهم نفسه، والذى كان المحامى الكبير متلهفًا على استجوابه فى وقت تالٍ من هذا الأسبوع.

-٥-

فى اليوم الذى كان آليكس يمازح والديه فيه أثناء تناول الغداء فى باث، وكان دانى يعدو متريضًا حول محيط فناء سجن بيلمارش، وبينما كان آرنولد بريسون يزور متجر القرية، كانت بيث ويلسون لديها موعد مع الطبيب الممارس العام الذى اعتادت زيارته، فى المنطقة.

طمأنها الطبيب مبتسمًا: "مجرد فحص روتينى". غير أن ابتسامته تحولت إلى تكشيرة وقطب جبينه. سألها: "هل

تعرضت لأية ضغوط غير معتادة منذ أن رأيتك آخر مرة؟".

لم تثقل بيث عليه بسرد وقائع ما قاسته خلال الأسبوع الماضى. إن اقتناع والدها بأن دانى هو المذنب لم يقدم لها عونًا كبيرًا، ولم يعد يسمح حتى بذكر اسمه فى البيت، وعلى الرغم من ذلك كانت أمها تصدق على الدوام روايتها لما حدث فى تلك الليلة. ولكن هل هيئة المحلفين مكونة من أشخاص على شاكلة أمها، أم أبيها؟

على مدى الشهور الستة الأخيرة، وفى مساء كل يوم أحد، كانت بيث تزور دانى فى سجن بيلمارش، لكنها لم تزره يوم الأحد هذا. أخبرها السيد ردماين بأنه غير مسموح لها بأن تعقد أى تواصل آخر معه حتى انتهاء المحاكمة، ولكن كان لديها الكثير لتقوله لدانى، والكثير لتسأله عنه.

ستلد طفلها بعد ستة أسابيع من الآن، وكانت ترى أنها مدة طويلة سيطلق سراح دانى قبلها، وستنتهى هذه المحنة القاسية.

فما إن يتوصل المحلفون إلى قرارهم الأخير، فلا شك أن والدها سيتقبل براءة دانى.

صباح يوم الاثنين، اصطحب السيد ويلسون ابنته إلى محكمة أولد بيلى وأنزلها قبالة المدخل الرئيسى للمحكمة. لم ينطق إلا بكلمتين عندما كانت تنزل من السيارة: "قولى الحقيقة".

٩

شعر دانى بالاشمئزاز عندما التقت عيناهما، حدق إليه سبنسر كريج، من أعلى، حيث كان يجلس فى مقصورة الحضور من العامة. رد له دانى تحديقه كما لو أنه يقف فى وسط حلبة الملاكمة منتظرًا أن يقرع جرس الجولة الأولى.

عندما دخلت بيث إلى قاعة المحكمة، كانت تلك المرة الأولى التى يراها فيها منذ أسبوعين، وكم استراح لأنها ستولى ظهرها لكريج بينما ستكون ماثلة فى منصة الشهود. ابتسمت بيث لدانى ابتسامة دافئة قبل أن تتلو القسم.

سألها آليكس ردماين: "هل اسمك هو إليزابيث ويلسون؟".

أجابت، وهى تريح يديها على بطنها: "نعم، ولكننى أنادى وأعرف باسم بيث".

"وتعيشين فى رقم سبعة وعشرين بطريق بيكون فى منطقة بو، شرق لندن".

"نعم، أعيش هناك".

"والسيد بيرنى ويلسون، الضحية، كان شقيقك".

قالت بيث: "نعم، شقيقى".

"وهل أنت حاليا المساعدة الشخصية لرئيس شركة دراكس مارين للتأمينات والتى تقع فى مدينة لندن؟"

" نعم، صحيح".

سأل ردماين: "متى يحين موعد ولادة الطفل؟" قطب بريسون جبينه، ولكنه أدرك أنه لا يمكنه التدخل فى هذه اللحظة.

قالت بيث وهى تحنى رأسها: "فى غضون ستة أسابيع".

تقدم القاضى ساكفيل نحو الأمام، وابتسم نحو بيث، وقال: "هل تسمحين برفع صوتك قليلاً يا آنسة بيث، فسوف يحتاج المحلفون لسماع كل كلمة عليك أن تقوليها". رفعت رأسها وأومأت "ولعلك تفضلين أن تجلسى". فأضاف القاضى محاولاً مساعدتها: إن وجود المرء فى مكان غريب كهذا قد يكون مربكًا ومقلقًا نوعًا ما".

قالت بيث: "شكرًا" واستراحت فى المقعد الخشبى بمنصة الشهود، وكادت تختفى تمامًا عن الناظرين.

غمغم آليكس ردماين هامسًا لنفسه: "سحقًا". لا تكاد هيئة المحلفين ترى الآن كتفيها، ولن يكون هناك طريقة يتذكرون بها على الدوام أنها حبلى فى شهرها السابع، وكان يريد لهذه الصورة أن تنطبع فى أذهان الاثنى عشر شخصًا المعنيين. كان عليه أن يتوقع أن القاضى الشهم والنبيل ساكفيل سوف ينصح بيث بأن تقبل الجلوس على المقعد. فإن كانت قد سقطت منهارة فإن الصورة سوف تدوم لأجل طويل فى عقول المحلفين.

واصل ردماين قائلاً: "آنسة ويلسون، هلا أخبرتِ المحكمة بطبيعة علاقتك بالمتهم".

أجابت: "كنت أنا ودانى سنتزوج الأسبوع القادم". أمكن سماع شهقة مفاجأة فى قاعة المحكمة.

كرر ردماين فى محاولة لأن يبدو مندهشًا: "الأسبوع القادم؟".

"نعم، كانت ستتم قراءة الإعلان الأول للزواج أمس على يد رجل الدين مايكل، والذى يخدم فى دار العبادة التابعين لها".

" ولكن إن حكم على خطيبك بال...".

أجابت بيث فى حدة: "لا يمكنكم إدانة شخص فى جريمة لم يقترفها".

ابتسم آليكس ردماين. توقيت مثالى للكلمات المطلوبة، بل وإنها التفتت بوجهها نحو هيئة المحلفين.

"منذ متى وأنت تعرفين المتهم؟".

أجابت بيث: "منذ زمن طويل، فقد كانت أسرته تسكن فى الجهة المقابلة لنا، وكنا نذهب إلى المدرسة نفسها".

قال ردماين، وهو ينظر نحو ملفه المفتوح: "مدرسة كليمنت آتلى الشاملة؟".

أكدت بيث: "ذلك صحيح".

"إذن فقد كنتما حبيبين منذ الطفولة؟".

قالت بيث: "إن كنا كذلك، فهو أمر لم يكن دانى منتبهًا له، لأنه نادرًا ما تحدث إلىّ خلال المرحلة المدرسية".

ابتسم دانى لأول مرة فى ذلك اليوم، متذكرًا البنت الصغيرة بجدائلها والتى كانت متعلقة بأخيها على الدوام".

"ولكن هل حاولت أنت التحدث إليه؟".

"كلا لم أجرؤ على ذلك. لكنى كنت دائمًا أقف عند خط الملعب الخارجى وأرقبه بينما كان يلعب كرة القدم".

"وهل كان أخوك ودانى يلعبان بالفريق نفسه؟".

أجابت بيث: "طوال المرحلة المدرسية، دانى كان كابتن الفريق وأخى كان حارس المرمى".

"هل كان دانى هو الكابتن على الدوام؟".

"نعم. كان زملاؤه ينادونه كابتن كارترايت. فقد كان يقود كل الفرق الرياضية المدرسية - كرة القدم، والكريكيت، بل وحتى الملاكمة".

لاحظ آليكس أن واحدًا أو اثنين من المحلفين يبتسمان.

فأضاف سائلاً: "وهل كانت علاقة أخيك طيبة بدانى؟".

قالت بيث: "كان دانى هو أقرب أصدقائه".

سأل ردماين، وهو يختلس النظر نحو ممثل الادعاء: "هل كانا يتشاجران من وقت إلى آخر، كما أوحى بذلك ممثل الادعاء؟".

"لم يتشاجرا إلا بشأن فريق ويستهام، أو أحدث صاحبات بيرنى الكثيرات". ضحك أحد أعضاء المحلفين ضحكة صغيرة مكتومة.

"ولكن ألم يهزم أخوك دانى شر هزيمة فى الجولة الأولى خلال بطولة ملاكمة نادى أبناء منطقة بو فى العام الماضى؟".

"بلى. لقد هزم. ولكن بيرنى كان على الدوام هو الملاكم الأفضل، ودانى كان يعلم هذا. قال لى دانى ذات مرة إنه سيكون محظوظًا إذا واصل حتى الجولة الثانية إذا واجه كل منهما الآخر فى نهائيات تلك البطولة".

"وهكذا فلم تكن هناك أية ضغائن أو مشاعر سيئة بينهما، كما أوحى بذلك خصمى السيد بريسون".

سألت بيث: "كيف له هو أن يعرف؟ إنه لم يلتق قط بأى منهما". ابتسم دانى مرة أخرى.

قال القاضى ليس بالقدر السابق نفسه من الرقة: "آنسة ويلسون، حاولى من فضلك التركيز على إجابة الأسئلة فقط".

تساءلت بيث وقد بدت مرتبكة: "ماذا كان السؤال؟".

ألقى القاضى نظرة على ملاحظاته، وقال: "كان السؤال ألم تكن هناك أية ضغائن أو مشاعر سيئة بين أخيك والمتهم؟".

قالت بيث: "كلا، لقد أخبرتكم بالفعل، كانا صديقين حميمين".

قال ردماين، محاولاً أن يقودها من جديد إلى حوارها السابق: "كما أنك أخبرت المحكمة يا آنسة ويلسون بأن دانى

لم يتحدث إليك أبدًا خلال فترة دراستكما معًا، ولكنه مع ذلك خطبك فى نهاية الأمر".

قالت بيث وهى ترفع بصرها نحو دانى: "ذلك صحيح".

"وما الذى أدى لتحول القلوب هذا؟".

"عندما غادر كل من دانى وأخى مدرسة كليمنت آتلى، اتجه كلاهما للعمل فى ورشة أبى، وقد بقيت أنا بالمدرسة لعام آخر قبل أن ألتحق بمعهد تأهيل للحاصلين على الشهادة الثانوية ومن بعده التحقت بجامعة اكستير".

" ومنها تخرجت بدرجة الإجازة مع مرتبة الشرف فى اللغة الإنجليزية؟".

أجابت بيث: "نعم، صحيح".

" وما كان أول عمل لك بعد أن غادرت الجامعة؟".

"عملت سكرتيرة فى شركة دراكس مارين للتأمينات".

"لا شك أنه كان بوسعك الحصول على عمل أفضل من ذلك كثيرًا فى المكانة، مع وضع مؤهلاتك فى الاعتبار".

أقرت بيث قائلة: "لعل الأمر كذلك، ولكن مقر شركة دراكس الرئيسى يقع بالمدينة ولم أكن مضطرة للإقامة فى مكان بعيد عن البيت".

"أفهم هذا، وكم من السنوات عملت فى هذه الشركة؟".

أجابت بيث: "خمس سنوات".

"وخلال تلك الفترة تمت ترقيتك من سكرتيرة إلى مساعدة شخصية للمدير العام".

"نعم".

سأل ردماين: "وكم عدد السكرتيرات اللاتى يعملن فى شركة دراكس للتأمينات؟"

أجابت بيث: "لست واثقة من عددهن بكل دقة، لكن لابد أنهن أكثر من مائة".

"ولكن هل أنت فقط من نلت أرقى مكانة بينهن؟" لم تجب

بيث. فواصل ردماين أسئلته: " بعد أن رجعت من الجامعة لتعيشين فى لندن من جديد، متى رأيت دانى من جديد؟".

قالت بيث: "بعد أن بدأت العمل فى المدينة بفترة قصيرة، طلبت منى أمى أن آخذ صندوق الغداء إلى الورشة لأبى صباح ذات أحد أيام الأحد، وكان دانى هناك، ورأسه مختفيًا تحت غطاء محرك إحدى السيارات. للوهلة الأولى ظننت أنه لم يلحظ وجودى، لأنه لا يستطيع من موضعه أن يرى منى إلا ساقى، ولكنه عندئذٍ رفع رأسه فجأة فارتطمت بغطاء محرك السيارة".

" وهل طلب منك الخروج معه حينها لأول مرة؟".

وثب بريسون واقفًا من مكانه وقال: "سيدى القاضى، هل يجب توجيه هذه الشاهدة، وتلقينها الكلمات كلمة بعد أخرى، كما لو أنها ممثلة فى بروفة نهائية لمسرحية اجتماعية للهواة؟".

تعبيره عن الاعتراض ليس سيئًا، هكذا فكر آليكس. كان من الممكن أن يتفق معه القاضى ساكفيل فى هذا لولا أنه سمع بريسون يردد التعبير نفسه مرات عديدة خلال السنوات العشر الماضية ولكنه انحنى للأمام مؤنبًا ردماين بقوله: "سيد ردماين، بعد ذلك، أرجو أن تلتزم بطرح الأسئلة على الشاهدة وألا تلجأ إلى أن تقدم لها الأجوبة التى تتمنى، أو تتوقع من الآنسة ويلسون أن تتفق معها".

قال ردماين: "إننى أعتذر، سيدى القاضى. سأعمل على عدم إثارة استيائك مرة أخرى".

قطب القاضى ساكفيل جبينه، متذكرًا أن ردماين الأب كان ينطق هذه العبارة نفسها بالقدر نفسه من عدم الصدق.

سأل ردماين بيث: "ومتى رأيت المتهم بعد ذلك؟".

قالت بيث: "مساء اليوم نفسه. دعانى للذهاب معه إلى هامرسميث باليه. كان هو وأخى معتادين على الذهاب إلى

الباليه مساء كل سبت – لأن أخى كان يجد فيه من الطيور التى يبحث عنها أكثر مما يمكن له أن يجد فى غابة، حسب ما اعتاد أن يقوله".

"وكم من المرات رأيتما بعضكما البعض منذ هذا اللقاء الأول؟".

" كل يوم تقريبًا". توقفت قليلاً وأضافت: "حتى سجنوه".

قال ردماين: "والآن سوف أعود معك إلى مساء الثامن عشر من سبتمبر العام الماضى"، أومأت بيث. "أريد منك أن تخبرى هيئة المحلفين بلسانك وبكلماتك الخاصة ما جرى ليلتها".

بدأت بيث تتطلع نحو المتهم وتبتسم وهى تقول: "كانت فكرة دانى، أنه يجب علينا أن نتناول العشاء فى ويست إند بما أنها مناسبة خاصة".

تساءل ردماين بسرعة: "أهى مناسبة خاصة؟".

"نعم، لقد طلب دانى الزواج منى".

"وهل كنت متأكدة من أن هذا سيحدث؟".

"لقد سمعت أخى يخبر أمى بأن دانى قد ادخر أجر شهرين لكى يشترى لى خاتم خطبة". ورفعت يدها اليسرى بحيث يمكن للمحلفين أن يتأملوا بإعجاب الخاتم بفصه الماسى الوحيد وحلقته الذهبية.

انتظر آليكس حتى هدأت الهمهمات قبل أن يسألها: "وهل طلب الزواج منه؟".

أجابت بيث: "نعم، فعل. بل إنه حتى ركع على إحدى ركبتيه".

"وهل وافقت؟".

قالت بيث: "بالطبع وافقت، كنت أعلم أننا سوف نتزوج من اليوم الأول الذى التقيت به فيه".

سجل بريسون خطأها الأول.

"وما الذى حدث بعد ذلك؟".

"قبل أن نغادر المطعم اتصل دانى ببيرنى ليخبره بالنبأ. ووافق بيرنى على أن ينضم إلينا بحيث نحتفل جميعًا معًا".

"وأين اتفقتم على اللقاء؟".

"فى دانلوب آرمز فى هامبلدون تيراس فى تشيلسى".

"ولماذا اخترتم هذا الشارع تحديدا؟".

"كان دانى قد ذهب إليه مرة واحدة قبل هذا، بعد مشاهدة مباراة ويستهام مع فريق تشيلسى بملعب ستامفورد بريدج. وقال لى إنه كان مكانا راقيًا للغاية وظن أنه سيروقنى".

"ومتى وصلتم إلى هناك؟".

"لست متأكدة تماما، ولكن بالتأكيد ليس قبل العاشرة مساء".

"وهل كان شقيقك يجلس هناك بالفعل فى انتظاركما؟".

اعترض بريسون: "إنه يوجهها من جديد، سيدى القاضى".

قال ردماين: "إننى أعتذر، سيدى القاضى" والتفت نحو بيث مواصلًا أسئلته: "متى وصل أخوك إلى هناك؟".

قالت بيث: "لقد كان موجودا هناك بالفعل".

"هل لاحظت وجود أى أشخاص آخرين بالمكان؟".

قالت بيث: "نعم، رأيت الممثل، لورانس دافنبورت - من يلعب شخصية د. بيريزفورد- يقف إلى نضد المقهى مع ثلاثة رجال آخرين".

"هل تعرفين السيد دافنبورت؟".

قالت بيث: "بالطبع لا، لم أره قط إلا على شاشة التليفزيون".

"إذن فلابد أنك سررت للغاية بسبب رؤيتك هذا النجم التليفزيونى فى الليلة التى ارتبطت فيها؟".

" كلا، لم أشعر بالانبهار. بل إننى أتذكر أننى قلت إنه ليس وسيمًا بقدر وسامة دانى". أعضاء عديدون من لجنة المحلفين نظروا نظرة أكثر تفحصًا إلى ذلك المتهم غير الحليق بشعره القصير الأشعث والذى يرتدى قميصًا صيفيًا مكتوبًا عليه شعار فريق ويستهام لم يتم كيه مؤخرًا فيما يبدو. خشى آليكس من أن كثيرين من المحلفين لن يتفقوا مع رأى بيث.

"وما الذى حدث بعد ذلك؟".

"شربنا زجاجة من شراب ثمين، ثم فكرت أن علينا العودة للمنزل".

"وهل عدتم إلى المنزل؟".

"كلا، فقد طلب بيرنى زجاجة أخرى وعندما أخذ عامل المقهى الزجاجة الفارغة بعيدًا، سمعت شخصًا ما يقول: "لا يستحقون هذا النوع الفاخر".

"وماذا كان رد فعل دانى وبيرنى على ذلك؟".

"لم يسمعوا ما قاله، ولكننى رأيت واحدًا من الرجال الواقفين إلى المقهى يحدق إلى ويغمز بعينه ويأتى بحركات فاحشة بفمه ولسانه".

"أى الرجال الأربعة فعل هذا؟".

"السيد كريج".

تطلع دانى بنظره نحو رواق الحضور ليرى كريج يطلق نظرة عابسة ومتجهمة نحو بيث، ولكنها لحسن الحظ لم تكن تراه.

"وهل أخبرت دانى؟".

"كلا، كان من الواضح أن الرجل ثمل. إلى جانب، أن المرء حين ينشأ فى حى ويست إند لابد وأن يرى ما هو أسوأ من هذا. وقد كنت أعلم تمام العلم كيف يمكن أن يستجيب دانى إذا أخبرته". لم يتوقف بريسون عن الكتابة.

"وهكذا تجاهلته؟".

قالت بيث: "نعم، ولكن عندئذ التفت الرجل نفسه إلى أصدقائه وقال: "الساقطة التى معهما لا بأس بها بالمرة، لكنها لا تصبح كذلك عندما تفتح فمها لتتكلم، وقد سمع بيرنى هذا. ثم قال أحد الرجال الآخرين: "لا أعرف، ولكن هناك أوقاتًا من المفضل عندى أن تفتح فيها الساقطة فمها"، وبدأوا يضحكون جميعًا". توقفت قبل أن تقول: "فيما عدا السيد دانفبورت، والذى بدا عليه الحرج".

"وهل ضحك بيرنى ودانى كذلك؟".

"كلا فقد قبض بيرنى على عنق زجاجة الشراب ونهض ليواجهه". راح بريسون يسجل كلماتها بمنتهى الدقة، بينما أضافت هى: "ولكن دانى جذبه ليعود مكانه وأخبره بأن يتجاهلهم".

"وهل أذعن؟".

"نعم، ولكن فقط لأننى أخبرته بأننى أريد العودة للمنزل. وبينما كنا إلىَ طريقنا للخارج لاحظت أن أحد الرجال مازال يحدق إلىَ. وقال: "هل سترحلون؟ بعد أن تفرغوا منها أعيروها لنا، فأنا وأصدقائى نود أن نقيم حفلاً خاصًا معها" .

كرر القاضى ساكفيل قائلاً فى ارتباك وحيرة: حفل خاص معها؟ ما معنى هذا القول؟".

فقال ردماين: "نعم يا سيدى، إنه تعبير سوقى عندما يتقاسم جماعة من الرجال المرأة نفسها. وأحيانًا مقابل المال". توقف حيثما يدون القاضى تلك الكلمات. نظر آليكس نحو المحلفين، لم يبد على أى منهم أنه بحاجة لمزيد من الشرح والتفسير.

سأل ردماين: "هل أنت واثقة من أنها كانت تلك العبارات على وجه التحديد؟".

أجابت بيث بحدة: "إنه ليس شيئًا يسهل على نسيانه".

"وهل كان من قال ذلك هو الرجل نفسه؟".

قالت بيث: "نعم، السيد كريج".

"وكيف استجاب دانى هذه المرة؟".

"استمر فى تجاهلهم - فعلى كل حال، كان الرجل ثملاً - لكن أخى كان هو المشكلة، وما زاد الأمر سوءًا أن كريج أضاف قائلاً: "لماذا لا نحل المشكلة فى الخارج كالرجال؟".

كرر ردمايـن: "لماذا لا نحل المشكلة فى الخارج كالرجال؟!".

قالت بيث: "نعم" دون أن تعرف لماذا يصر على تكرار كلماتها.

"وهل لحق بكم السيد كريج إلى الخارج؟".

"كلا، ولكن هذا ما لسبب إلا لأن دانى دفع أخى نحو الزقاق قبل أن يشرع فى الانتقام، وسرعان ما أغلقت الباب وراءنا".

التقط بريسون قلمًا أحمر ووضع خطًا تحت عبارة دفع أخى نحو الزقاق.

"وهكذا فإن دانى تمكن من إخراج أخيك من المقهى دون أية مشاكل أخرى؟".

قالت بيث: "نعم، ولكن بيرنى كان مازال راغبًا فى العودة والتعامل معه؟".

"والتعامل معه؟".

قالت بيث: "نعم".

"ولكن سرت فى الزقاق؟".

"نعم، سرت، ولكن قبيل أن أبلغ الطريق الرئيسى الذى يؤدى إليه وجدت أحد الرجال الذين كانوا فى المقهى يقف معترضًا طريقى".

"أيهم؟".

"السيد كريج".

"وماذا فعلت؟".

"ركضت عائدة لأنضم لدانى وأخى. وتوسلت لهما أن نعود

مرة أخرى إلى المقهى. وذلك حين رأيت الرجلين الآخرين - كان أحدهما السيد دافنبورت - يقفان أمام الباب الخلفى للمقهى. التفت فوجدت الرجل الأول قد انضم إليه صديقه عند مخرج الزقاق، وكانا يسيران نحونا".

سأل ردماين: "وماذا حدث بعد ذلك؟".

"قال بيرنى: "تول أنت الوغد اللعين وسأتولى أنا أمر الثلاثة الباقين". ولكن قبل أن يتمكن دانى من الرد عليه، جاء الرجل الذى دعاه أخى باللعين يجرى نحوه ولكمه لكمة أصابت ذقن دانى. وبعد ذلك وقع عراك شرس".

" هل انضم للعراك الرجال الأربعة جميعهم؟".

قالت بيث: "كلا، بقى السيد دافنبورت عند الباب الخلفى هو وواحد آخر، رجل طويل ونحيف للغاية، ظلا واقفين هناك، وعندما أوشك أخى أن ينتهى من ضرب الرجل الآخر الوحيد الذى كان مستعدا للعراك، طلب منى بيرنى أن أذهب وأستدعى سيارة أجرة حيث إنه كان واثقًا أن الأمر كله سوف ينتهى سريعًا للغاية".

"وهل فعلت هذا؟".

"نعم، ولكن فقط بعد أن تأكدت بنفسى من أن دانى مهيمن على كريج".

"وهل كان مهيمنا عليه؟".

قالت بيث: "لا مجال للمنافسة بينهما".

"كم مر من وقت حتى وجدت سيارة أجرة؟".

قالت بيث: "دقائق معدودة، ولكن عندما نظر السائق خلفى وجدته يقول لى" :"لا تحتاجين لسيارة أجرة يا سيدتى، لو كانا هذان صديقين لى أنا لاستدعيت الإسعاف هاتفيًا على الفور"، وانطلق ذاهبًا دون كلمة واحدة أخرى".

سأل القاضى: "هل جرت أية محاولة لتحديد موقع السائق المقصود؟".

أجاب ردماين: "نعم يا سيدى، ولكن حتى الآن لم يتقدم أحد للشهادة".

سأل ردماين ملتفتًا من جديد نحو بيث: "وكيف كان رد فعلك عندما سمعت كلام سائق السيارة الأجرة؟".

"التفت لأرى أخى راقدًا على الأرض. بدا أنه فاقد الوعى. كان دانى يمسك برأس بيرنى بين ذراعيه. وركضت فى الزقاق لأنضم إليهما".

سجل بريسون ملاحظة أخرى.

"وهل فسر لك دانى ما جرى؟".

"نعم. قال إن كريج فاجأهم بسكين فى يده. وأنه حاول أن يأخذها منه عندما كان يطعن بها بيرنى".

"وهل أكد بيرنى ما قاله؟".

"نعم، أكده".

"وما الذى قمت به بعدها إذن؟".

"اتصلت بالإسعاف على الفور".

"أرجو أن تأخذى وقتك الكافى يا آنسة ويلسون قبل أن تجيبى عن سؤالى التالى. من الذى وصل للمكان أولاً؟ الشرطة أم سيارة الإسعاف؟".

قالت بيث بلا تردد: "الاثنان من المسعفين".

"وكم مضى من الوقت قبل وصولهما؟".

"سبع أو ربما ثمانى دقائق".

"كيف لك أن تكونى واثقة للغاية؟".

"لأننى لم أتوقف عن النظر نحو ساعة يدى".

"وكم مرت من دقائق قبل أن تصل الشرطة؟".

قالت بيث: "لست متأكدة، ولكن لابد أنها على الأقل خمس دقائق أخرى".

"وكم لبث الرقيب المحقق فولر معكم فى الزقاق قبل أن يدخل إلى المقهى ليقابل السيد كريج؟".

قالت بيث: "على الأقل عشر دقائق، ولكن قد يكون وقتًا أطول".

"ولكنه على أى حال وقت كاف للسيد سبنسر كريج كى يعود لمنزله، والذى لا يبعد أكثر من مائة ياردة، وأن يبدل ملابسه، وأن يعود فى الوقت المناسب لتقديم روايته الخاصة لما حدث قبل أن يصل الرقيب المحقق إلى المقهى؟".

"قال بريسون واثبًا من فوق مقعده: سيدى القاضى، هذا افتراء فظيع على رجل لم يفعل شيئًا أكثر من أدائه لواجبه العام كمواطن صالح".

قال القاضى: "أتفق معك، السادة المحلفون، سوف تتجاهلون التعليقات الأخيرة للسيد ردماين. ولا تنسوا أبدًا أن المتهم فى هذه القضية ليس هو السيد كريج". ثم نظر نحو ردماين، والذى لم يجفل أو يحبط، مدركًا كل الإدراك بأن المحلفين لن ينسوا ما قيل، وقد يزرع هذا الشك فى عقولهم، قال ردماين بصوت يشوبه ندم: "إننى أعتذر سيدى القاضى، لن يحدث هذا مجددًا".

فقال القاضى بحدة: "احرص على ألا يتكرر".

" آنسة ويلسون، بينما كنت تنتظرين وصول الشرطة، هل قام المسعفان بوضع أخيك على النقالة وأخذاه إلى أقرب مستشفى؟".

قالت بيث: "نعم، لقد فعلا كل شىء بوسعه أن يقدم العون، لكنى كنت أعرف أن الأوان قد فات؛ لأن أخى كان قد نزف دمًا كثيرًا للغاية".

"هل ذهبت أنت ودانى مع أخيك إلى المستشفى؟".

"لا، ذهبت بمفردى لأن الرقيب المحقق فولر أراد أن يطرح على دانى بعض الأسئلة الأخرى".

"وهل أقلقك هذا الأمر؟".

"نعم؛ لأن دانى أيضا كان جريحا. فقد كان...".

قال ردماين بسرعة، لأنه لم يكن يرغب لها أن تنهى جملتها: "ليس هذا ما قصدته. هل كان قلقك نابعًا من أن الشرطة قد تعتبر دانى مشتبهًا به؟".

قالت بيث: "كلا، لم يخطر لى هذا أبدًا. فقد كنت قد أخبرت الشرطة من قبل بما حدث. وعلى أى حال، فأنا موجودة معه دائمًا لأدعم روايته".

إذا كان آليكس قد التفت نحو بريسون، لرأى طيف ابتسامة نادرة تظهر على وجه المحامى الكبير.

"من المؤسف أن أخاك قد توفى وهو فى الطريق إلى مستشفى تشيلسى آند ويستمينستر؟".

شرعت بيث فى البكاء. "نعم، اتصلت بوالدى، وجاءا على الفور، ولكن بعد أن فات الأوان". لم يحاول آليكس أن يطرح سؤاله التالى إلا بعد أن استعادت رباطة جأشها.

"هل لحق بك دانى فى المستشفى فيما بعد؟".

"كلا، لم يفعل".

"ولمَ لا؟".

"لأَن الشرطة كانت مازالت تستجوبه".

"ومتى رأيته بعد ذلك؟".

"الصباح التالى فى قسم شرطة تشيلسى".

كرر ردماين مصطنعًا الدهشة: "قسم شرطة تشيلسى؟".

" نعم. فقد جاء رجال الشرطة لمنزلى فى وقت مبكر من الصباح. وأخبرونى بأنهم قبضوا على دانى واتهموه بقتل بيرنى".

وقال: "لابد أن ذلك كان صدمة كبيرة لك". هب السيد بريسون واقفًا، فسألها ردماين بسرعة: "ماذا كان رد فعلك على هذا الخبر؟".

"إنكار تام. لقد كررت عليهم ما حدث تمامًا، ولكن أمكننى أن أرى أنهم لم يصدقونى".

"شكرًا لك يا آنسة ويلسون. لا مزيد من الأسئلة يا سيدى القاضى".

تنفس دانى بارتياح بينما كانت بيث تنزل عن منصة الشهود. يا لها من جوهرة فريدة. ابتسمت له ابتسامة متوترة وهى تمر بقفص الاتهام.

قال القاضى قبل أن تصل إلى الباب: "آنسة ويلسون". فالتفتت لتواجه من جديد. ليقول لها: "هل تتكرمين بالعودة إلى منصة الشهود؟ لدى إحساس بأن السيد بريسون لديه سؤال أو اثنان ليطرحهما عليك".

١٠

سارت بيث ببطء عائدة إلى منصة الشهود. تطلعت بنظرها نحو والديها فى رواق الحاضرين من العموم - ثم رأته ينظر نحوها محدقًا بنظرة مزدرية. أرادت أن ترفع صوتها بالاحتجاج، لكنها أدركت أن هذا لن يكون له أى جدوى، ولن يكون هناك شىء يسعد سبنسر كريج أكثر من أن يعرف التأثير السلبى لحضوره عليها.

صعدت إلى مقصورة الشهود من جديد، أكثر إصرارًا على هزيمته من قبل. بقيت واقفة، وحدقت بتحد إلى السيد بريسون، الذى كان لايزال جالسًا فى مكانه. ربما لن يطرح عليها أية أسئلة على كل حال.

نهض ممثل الادعاء العجوز ببطء عن مقعده. ومن غير أن ينظر إلى بيث، راح يعيد ترتيب أوراقه. ثم احتسى شربة ماء قبل أن ينظر نحوها أخيرًا.

" آنسة ويلسون، ماذا تناولت على الإفطار هذا الصباح؟".

ترددت بيث للحظة، بينما يحدق إليها كل الموجودين بالقاعة. أطلق آليكس ردماين لعنة بينه وبين نفسه. كان عليه أن يدرك أن بريسون سوف يضعف من ثقتها بنفسها بسؤاله الأول المفاجئ. والقاضى ساكفيل وحده لم تبد عليه الدهشة.

تمكنت بيث أخيرًا من الجواب: "أخذت قدحًا من الشاى

وبيضة مسلوقة".

"أهذا كل شيء يا آنسة ويلسون؟".

"آه، نعم، وبعض الخبز".

"كم قدحًا من الشاى ؟".

قالت بيث: "واحد، كلا، بل اثنان".

"أم كانت ثلاثة أقداح؟".

"كلا، كلا، بل اثنان".

"وكم عدد شرائح الخبز؟".

ترددت من جديد وأجابت: "لا يمكننى أن أتذكر".

"لا تستطيعين أن تتذكرى ما تناولته على الإفطار هذا الصباح نفسه، ومع ذلك يمكنك أن تتذكرى بأدق التفاصيل كل جملة سمعتها قبل ستة شهور". حنت بيث رأسها من جديد. فواصل بريسون: "ليس فقط بوسعك أن تتذكرى كل كلمة تفوه بها السيد كريج فى تلك الليلة، بل يمكنك أن تتذكرى حتى تفاصيل من قبيل أنه غمز لك بعينه وتلاعب بلسانه على شفتيه".

أصرت بيث قائلة: "نعم، أتذكر هذا، لأنه قام به".

"إذن دعينا نختبر ذاكرته إلى حد أبعد يا آنسة ويلسون. عندما التقط عامل المقهى الزجاجة الفارغة من شرابكم، قال السيد كريج: "لا يستحقون هذا النوع الفاخر".

"نعم، ذلك صحيح".

انحنى بريسون للأمام ليراجع ملاحظاته: "ولكن من الذى قال: توجد أوقات أفضل فيها أن تفتح الساقطة فمها"؟

"لست متأكدة إن كان من قال هذا هو السيد كريج أم واحد من الآخرين".

"أنت "لست متأكدة"، وتقولين: "واحد من الآخرين" فهل تقصدين بهذا المتهم، كارترايت؟".

"كلا، أقصد أحد الرجال الذين كانوا يقفون معًا إلى نضد

المقهى".

"لقد قلت لخصمى إنك لم تتخذى رد فعل لأنك رأيت ما هو أسوأ بما أنك نشأت فى ويست إند؟".

"نعم، قلت هذا".

قال بريسون: "بل الحقيقة أنه المكان الذى سمعت فيه هذه الجملة أصلاً يا آنسة ويلسون". جاذبًا طيات عباءته السوداء.

"ما الذى ترمى إليه؟".

"ببساطة أنك لم تسمعى أبدا السيد كريج يتفوه بتلك الكلمات فى مقهى فى تشيلسى، يا آنسة ويلسون، بل إنك سمعت كارترايت يقولها هناك فى ويست إند مرات عديدة، لأن هذه هى اللغة التى اعتاد استخدامها".

"كلا، كان السيد كريج هو من قال تلك الكلمات".

"كما أنك أخبرت المحكمة بأنكم غادرتم المقهى من الباب الخلفى".

" نعم".

"ولماذا لم تخرجوا من الباب الأمامى يا آنسة ويلسون؟".

"أردت أن نتسلل خارجين فى هدوء دون أن نقع فى المزيد من المشكلات؟".

"مما يعنى أنكم تسببتم بالفعل فى بعض مشكلات؟".

"كلا، لم نتسبب فى أية مشكلات".

"إذن فلماذا لم تخرجوا من البابى الأمامى يا آنسة ويلسون؟ لو أنكم فعلتم هذا لوجدتم أنفسكم وسط شارع مزدحم بالناس، ولتسللتم خارجين بهدوء، على حد تعبيرك، دون التسبب فى أية مشكلات أخرى".

بقيت بيث صامتة.

قال بريسون وهو يتفقد ملاحظاته: "إذن يمكنك أن تفسرى لى أيضا ما الذى كان يعنيه أخوك عندما قال لكارترايت: "إن كنت تظن أننى سأناديك بلقب "سيدى" بعد أن تحل محل أبى

فأنت مخطئ".

قالت بيث: "كان يمزح".

حدق بريسون إلى ملفه لبعض الوقت قبل أن يقول: "اغفرى لى يا آنستى ولكننى لا أرى ما يشبه المزاح فى تلك الملاحظة".

قالت بيث: "هذا لأنك لم تنشأ فى منطقة ويست إند".

أجاب بريسون: "ولا السيد كريج نشأ هناك". ثم أضاف بسرعة: "وبعد ذلك قام السيد كارترايت بدفع السيد ويلسون نحو الباب الخلفى. أكان ذلك حينما سمع السيد كريج شقيقك يقول: "لماذا لا نحل هذه المشكلة فى الخارج كالرجال؟".

"كان السيد كريج من قال: "لماذا لا نحل المشكلة فى الخارج كالرجال" لأن تلك هى اللغة التى يستخدمونها فى ويست إند".

قال آليكس فى نفسه: "امرأة نيرة العقل، سعيدًا بأنها كشفت لعبته وردتها إلى نحره".

فقال السيد بريسون بسرعة: "وحينما كنت بالخارج، وجدت السيد كريج بانتظاركم فى الطرف الآخر من الزقاق؟".

"نعم، صحيح".

"كم مر من الوقت قبل أن ترينه واقفًا هناك؟".

أجابت بيث: "لا أتذكر".

"إنك لا تتذكرين هذه المرة".

قالت بيث: "لم يكن بالوقت الطويل".

كرر بريسون: "لم يكن بالوقت الطويل، أقل من دقيقة؟".

"لست متأكدة، ولكنه كان واقفًا هناك".

"آنسة ويلسون، إن كان على المرء أن يغادر مقهى دانلوب آرمز، ويشق سبيله فى شارع مزدحم بالناس، ثم يقطع حارة طويلة، ثم يصل أخيرًا إلى نهاية الزقاق، فسوف يجد أنها مسافة حوالى مائتى و إحدى عشرة ياردة. فهل تقترحين بأن

السيد كريج قد قطع هذه المسافة فى أقل من دقيقة".

"لابد أنه فعلها".

قال بريسون: "وانضم إليه صديقه بعدها بلحظات".

قالت بيث: "نعم، فعلا هذا".

"وعندما التفت للوراء، كان الرجلان الآخران هناك، السيد دافنبورت والسيد مورتيمر، يتخذان موقعهما بالفعل عند الباب الخلفى؟".

"نعم، هذا ما حدث".

"وهل حدث هذا كله فى أقل من دقيقة يا آنسة ويلسون؟". توقف قليلاً، ثم قال: "كيف تظنين أن الرجال الأربعة قد وجدوا وقتًا للتخطيط لعملية دقيقة التفاصيل كتلك".

قالت بيث وهى تقبض على قواطع الخشب لمقصورة الشهود: "لا أفهم ماذا تقصد".

"أظن أنك تفهمينه تمام الفهم يا آنسة ويلسون، ولكن من أجل صالح المحلفين سأقوله، يغادر رجلان المقهى من الباب الأمامى، ويدوران حوله حتى خلفية المبنى بينما يتمركز الاثنان الآخران عند الباب الخلفى، كل هذا فى أقل من دقيقة".

" قد تكون أكثر من دقيقة".

ذكرها بريسون قائلاً: "ولكنك كنت متلهفة على المغادرة والفرار، لذا فإن كانت أكثر من دقيقة لكنت وجدت ما يكفى من الوقت لتبلغى الطريق الرئيسى قبل أن يصلوا هم إلى هناك بوقت طويل ".

قالت بيث: "الآن أتذكر، كان دانى يحاول أن يهدئ بيرنى، ولكن أخى كان يريد أن يعود إلى المقهى ليتعامل مع كريج، لذا لابد أن الوقت تجاوز الدقيقة".

سأل بريسون: "أم كان السيد بيرنى هو الذى أراد أن يتعامل مع الموقف، بحيث يتأكد من أنه سيصير هو الرئيس فى العمل ما إن يتقاعد أبوه".

قالت بيث: "لو أراد بيرنى أن يفعل هذا لأمكنه أن يسقطه جانبًا بلكمة واحدة".

أجاب بريسون: "مالم يكن السيد كارترايت معه سكين".

"كان كريج هو من معه سكين، وكان كريج هو من طعن بيرنى".

"كيف يمكنك أن تكونى متأكدة لهذه الدرجة يا آنسة ويلسون، بينما لم تكونى شاهدة على هذا الطعن؟".

"لأن بيرنى أخبرنى بما حدث".

"هل أنت واثقة من أن بيرنى هو من أخبرك بما حدث، وليس دانى؟".

" نعم، أنا واثقة".

"اغفرى لى قولى يا آنسة ويلسون، ولكنك تصرين على قصتك ومتمسكة بها تمامًا".

قالت بيث: "نعم، أصر؛ لأنها الحقيقة".

"والحقيقة أيضًا أنك كنت تخشين من أن أخاك يحتضر يا آنسة ويلسون".

"نعم، كان ينزف الكثير من الدماء ولم أعتقد أنه سينجو". هكذا أجابت بيث وقد بدأت تبكى.

"فلماذا إذن لم تطلبى سيارة إسعاف يا آنسة ويلسون؟" هذا السؤال حير آليكس أيضًا، تساءل كيف ستجيب عنه. لكنها لم تجب، مما أتاح لبريسون أن يضيف: "فعلى كل حال، كان أخوك قد طعن مرة بعد أخرى، حسب أقوالك".

نطقت بسرعة: "لم يكن معى هاتف!".

فذكرها بريسون: "ولكن خطيبك لديه هاتف؛ لأنه اتصل بأخيك فى وقت سابق لينضم إليكما معًا فى المقهى".

أجابت بيث: "ولكن سيارة الإسعاف وصلت بعدها بدقائق معدودة".

قال بريسون، ناظرًا فى وجوه المحلفين: "وجميعنا يعرف

من الذى اتصل بخدمات الطوارئ، أليس كذلك يا آنسة ويلسون؟".

حنت بيث رأسها.

"آنسة ويلسون دعينى أذكرك بنصف حقيقة أخرى قلتها لخصمى المحامى". عضت بيث شفتيها. "واصل بريسون قائلاً: "لقد قلت: "كنت أعلم أننا سوف نتزوج من اليوم الأول الذى التقيت به فيه".

قالت بيث بجرأة: "نعم، هذا ما قلته وهذا ما قصدته".

نظر بريسون إلى ملاحظاته وقال: "كما أنك قلت إن السيد دافنبورت لا يبلغ وسامة السيد كارترايت".

قالت بيث: "وهذا صحيح فى ظنى".

" وقلت أيضًا: "وعلى أى حال، فأنا موجودة معه دائمًا لأدعم روايته"".

"نعم، هذا صحيح".

"أيًا كانت روايته؟".

احتجت بيث: "أنا لم أقل هذا".

فقال بريسون: "كلا، بل هو قولى أنا، لأننى أفترض أنك سوف تقولين أى شىء لحماية زوجك".

"لكنه ليس زوجى".

"ولكنه سيكون زوجك، إذا بُرئ من التهمة".

"نعم سيكون زوجى إذا حدث هذا".

"كم مر من الوقت منذ الليلة التى قتل فيها أخوك".

"أكثر من ستة أشهر بقليل".

"وكم عدد المرات التى رأيت فيها السيد كارترايت خلال تلك الفترة؟".

قالت بيث بتفاخر: "كنت أزوره مساء كل أحد".

"وكم كانت مدة تلك الزيارات؟".

"حوالى ساعتين".

نظر بريسون نحو سقف القاعة. راح يحسب قائلاً: "مما يعنى أنكما قضيتما على وجه التقريب خمسين ساعة معًا خلال الشهور الستة الماضية".

قالت بيث: "لم أفكر فى الأمر أبدًا على هذا النحو".

"ولكنك عليك أن تفكرى فيه الآن، ألا ترين معى أنه سيكون وقتًا كافيًا للغاية لكى تتمكنا من مراجعة روايتكما مرارًا وتكرارًا، بحيث تتأكدان من أنها متقنة كلمة بكلمة عندما تدليان بها هنا فى المحكمة".

"كلا، ذلك غير صحيح".

"آنسة ويلسون، عندما كنت تزورين السيد كارترايت فى السجن" – توقف قليلاً – وواصل قائلاً: "على مدى خمسين ساعة، ألم تناقشا على الإطلاق هذه القضية؟".

ترددت بيث وقالت: "أفترض أننا ناقشناها بالتأكيد".

قال بريسون: "لا شك أنكما ناقشتماها؛ لأنكما لو لم تفعلا فيمكنك أن تفسرى لى كيف - إذن تتذكرين أدق تفاصيل ما حدث تلك الليلة، وكل جملة قالها أى شخص كان حاضرًا، فى حين أنك لا تستطيعين أن تتذكرى ماذا تناولت على الإفطار هذا الصباح".

" بالطبع أنا أتذكر ما حدث ليلة مقتل أخى يا سيد بريسون، وكيف لى أن أنسى؟ وعلى أى حال، فإن كريج وأصدقاءه كان لديهم فرصة أفضل لإحكام روايتهم؛ لأنهم لا يجدون مشقة ساعات الزيارة أو أية قيود أخرى حول أماكن ومواعيد لقاءاتهم".

قال آليكس: "أحسنت" قالها بصوت عالٍ بما يكفى ليسمعها بريسون.

قال بريسون، وهو يغير الموضوع على الفور: "لنعد إلى الزقاق، ونختبر ذاكرتك مرة أخرى يا آنسة ويلسون، لقد بلغ كل من السيد كريج والسيد بين الزقاق فى أقل من دقيقة، وبدأ

يسيران باتجاه شقيقك، وبدأ العراك دون أية استفزازات".

قالت بيث: "نعم، صحيح".

"مع رجلين آخرين لم يسبق رؤيتهما قبل تلك الليلة".

"نعم".

"وعندما ساءت الأمور، أخرج السيد كريج سكينًا هكذا من الهواء وطعن بها شقيقك فى الصدر".

"كلا، لم يخرجها هكذا من الهواء. لابد أنه التقطها من المقهى".

"إذن فلم يكن دانى هو من التقطها من المقهى؟".

"كلا، وإلا لرأيته لو كان هو من التقطها".

"لكنك لم ترى السيد كريج وهو يلتقط السكين من المقهى؟".

"كلا، لم أره".

"ولكنك رأيته بعدها بدقيقة يقف عند الجانب الآخر من الزقاق".

"نعم، رأيته".

"وهل كانت السكين فى يده فى ذلك الحين؟" انحنى بريسون للخلف فى انتظار جواب بيث.

"لا أتذكر".

"إذن فلعلك تذكرين من كان يمسك بالسكين فى يده عندما عدت لتنضمى إلى شقيقك؟".

"نعم، كان دانى هو من يمسك بالسكين، لكنه فسر لى أنه حاول أن يستخلصها من كريج بينما كان يطعن بها أخى".

"لكنك لم تشهدى أيًا من هذا".

"لا، لم أشهده".

"وكان خطيبك مغطى بالدم؟".

قالت بيث: "بالطبع كان مغطى بالدماء، كان دانى يمسك بشقيقى بين ذراعيه".

"وإذن فإن كان السيد كريج هو من طعن أخاك، فلابد أنه أيضًا كان مغطى بالدماء".

"كيف لى أن أعرف؟ كان قد اختفى فى ذلك الحين".

قال بريسون: "هل تبخر فى الهواء، كأنه لم يكن؟ كيف تفسرين إذن أنه عند وصول الشرطة بعد دقائق معدودة، كان السيد كريج جالسًا إلى النضد المخصص للشراب، بانتظار المحقق، دون وجود أى أثر لدماء فى أى موضع على ملابسه".

فى هذه المرة لم تجد بيث جوابًا. واصل بريسون قائلا: "واسمحى لى بأن أذكرك بمن اتصل بالشرطة فى المقام الأول؟ ليس أنت من فعل هذا يا آنسة ويلسون، ولكن السيد كريج. وإنه لأمر غريب أن يقوم به المرء بعد أن يطعن شخصًا ما بدقائق قليلة، وبينما ملابسه مغطاة بالدماء". توقف قليلاً ليسمح بهذه الصورة أن تستقر فى عقول المحلفين، وانتظر لبعض الوقت قبل أن يطرح سؤاله التالى.

فسألها: "آنسة ويلسون، هل كانت هذه هى المرة الأولى التى يتورط فيها خطيبك فى معركة بالسكين، ثم تهبين أنت لإنقاذه؟".

قالت بيث: "لا أفهم ما ترمى إليه؟".

حدق ردماين إلى بيث، متسائلاً إن كان هناك شىء ما لم تخبره به.

قال بريسون: "لعل الوقت قد حان لاختبار ذاكرتك المدهشة مرة أخرى".

كان القاضى والمحلفون وردماين جميعهم الآن يحدقون إلى بريسون، والذى لم يبد متعجلاً بالمرة فى كشف ورقته الرابحة.

"آنسة ويلسون، هل تتذكرين على أى نحو ما جرى فى ملعب مدرسة كليمنت آتلى الشاملة بتاريخ الثانى عشر من فبراير عام ١٩٨٦؟".

احتجت بيث قائلة: "لكن هذا كان منذ خمسة عشر عامًا".

"هذا صحيح بالفعل، ولكنه من غير المرجح أن تنسى اليوم الذى ظهر فيه على الصفحة الأولى من صحيفتكم المحلية هذا الرجل نفسه والذى كنت تعرفين أنك سوف تتزوجينه فى نهاية الأمر". انحنى بريسون للأمام وقام مساعده بمناولته نسخة ضوئية من صحيفة بيثنال جرين آند بو جازيت، عدد ١٣ فبراير ١٩٨٦. وطلب من الحاجب أن يعطى نسخة للشاهدة.

نظر القاضى ساكفيل من فوق نظارته ذات العدسات الصغيرة، وسأل قائلاً: "هل لديك أيضا نسخ من أجل المحلفين؟".

أجاب بريسون: "لدى بالفعل يا سيدى" ومرر مساعده كومة كبيرة من النسخ لحاجب المحكمة، والذى قام بدوره بإعطاء القاضى نسخة أولاً ثم وزع النسخ المتبقية على لجنة المحلفين وأعطى النسخة الأخيرة لدانى، الذى هز رأسه رافضًا النسخة. بدا بريسون مندهشا، بل إنه حتى تساءل فى نفسه إن كان كارترايت لا يعرف القراءة. وهو أمر عليه أن يتتبعه ما أن يقف دانى فى مقصورة الشهود.

"كما ترين يا آنسة ويلسون، هذه نسخة من صحيفة بينثال جرين آند بو جازيت، وفيها يوجد تقرير حول عراك بالسكين جرى فى ملعب مدرسة كليمنت آتلى الشاملة بتاريخ ١٢ فبراير سنة ١٩٨٦، وبناء عليه استجوبت الشرطة دانيال كارترايت".

قالت بيث: "كان يحاول المساعدة وحسب".

قال بريسون مقترحًا: "لقد صارت هذه عادته، أليس كذلك؟".

سألت بيث بحدة: "ماذا تقصد؟".

"إن السيد كارترايت تورط فى عراك بالسكين، ثم تقولين الآن إنه "كان يحاول المساعدة وحسب".

" لكن الصبى الآخر هو الذى سجن فى بورستال".

"لا شك أنك تتمنين أنه فى هذه القضية أيضًا ينتهى الأمر بسجن الرجل الآخر، وليس الشخص الذى تتمنين الزواج منه؟".

"نعم، أتمنى هذا".

قال بريسون: "إننى سعيد أننا على الأقل أوضحنا هذه النقطة، لعلك تتفضلين على المحكمة بقراءة الفقرة الثالثة من الصفحة الأولى للصحيفة، والتى تبدأ بعبارة: "أخبرت بيث ويلسون الشرطة فيما بعد..".

نظرت بيث نحو الصحيفة وكان مكتوبا: "أخبرت بيث ويلسون الشرطة فيما بعد أن دانى كارترايت لم يكن متورطا فى المشاجرة، ولكنه أتى لمساعدة زميل له فى الفصل وهو الذى أنقذ حياته على الأرجح".

"ألا تتفقين معى أن هذا يبدو مألوفًا قليلاً يا آنسة ويلسون؟".

"ولكنّ دانى لم يكن متورطًا فى تلك المشاجرة".

"ولماذا إذن فصلته المدرسة؟".

"لم يتم فصله من المدرسة. لقد أرسلوه ليلزم البيت حتى تنتهى التحقيقات".

"وفى هذه الأثناء قدمت شهادتك التى برأت ساحته واسمه، ونتج عنها إرسال صبى آخر إلى سجن بورستال". حنت بيث رأسها مرة أخرى. فواصل بريسون لنَعُد إلى آخر مشاجرة بالسكين، حيث تهبين لإنقاذ فتاك من جديد. فهل من الصحيح". واصل بريسون قبل أن تتمكن بيث من الإجابة: "أن كارترايت كان يتمنى أن يصير مدير ورشة ميكانيكا ويلسون بعد تقاعد والدك؟".

"نعم، لقد أخبر والدى دانى بالفعل بأنه سيكون الأصلح للوظيفة".

"ولكن هل اكتشفت فيما بعد أن والدك قد غير رأيه وأخبر

كارترايت بأنه انتوى أن يحمل أخاك مسئولية الورشة؟".

قالت بيث: "نعم، عرفت هذا. ولكن بيرنى لم يتطلع قط إلى تلك الوظيفة من الأساس. فقد تقبل دائمًا أن دانى كان هو القائد بالفطرة".

" هذا محتمل، ولكن بما أن الورشة مشروع عائلى، أليس من المقبول أن يشعر أخوك بالاستياء من تجاهله فى هذه الوظيفة؟".

"كلا، فإن بيرنى لم يرغب أبدًا أن يكون مسئولا عن أى شىء".

"فلماذا إذن قال أخوك تلك الليلة: "إن كنت تظن أننى سأناديك بلقب "سيدى" إذا حللت محل أبى فأنت مخطئ"؟".

"إنه لم يقل" إذا حللت محل أبى" يا سيد بريسون، بل قال: "بعد أن تحل محل أبى، وبينهما اختلاف هائل".

بقى آليكس مبتسمًا.

"بكل أسف إنك الوحيدة التى تشهد بهذا، فى حين هناك ثلاثة أشخاص آخرين يشهدون برواية مختلفة اختلافا تاما".

قالت بيث بصوت عال: "إنهم يكذبون جميعًا".

فأجاب بريسون: "وأنت الشخص الوحيد الذى يقول الحقيقة؟".

"نعم، صحيح".

غير بريسون من مشيته فجأة وسألها: "ومن الذى يعتقد والدك أنه يقول الحقيقة؟".

وثب آليكس ردماين واقفًا على قدميه، وصاح: "سيدى القاضى، دليل كهذا قد يكون مجرد شائعة، ليس هذا وحسب بل لا دخل له بالقضية".

فأسرع بريسون بالجواب قبل حتى أن يتسنى للقاضى أن

يجيب: "إننى أتفق مع خصمى، ولكن بما أن الآنسة ويلسون ووالدها يعيشان فى المنزل نفسه، شعرت بأن الشاهدة قد أدركت على نحو ما مشاعر ورأى أبيها حول القضية".

قال القاضى ساكفيل: "قد يكون هذا صحيحًا، ولكنه يبقى لا صلة له بالموضوع وبالتالى يفضل تنحيته جانبًا". ثم التفت نحو بيث وقال: "آنسة ويلسون، ليس عليك أن تجيبى عن هذا السؤال".

تطلعت بيث نحو القاضى. وقالت من بين بكائها: "إن والدى لا يصدقنى، ومازال مقتنعًا أن دانى قتل أخى".

وفجأة بدا أن جميع من بالقاعة يهمهمون بالكلام، وكان على القاضى أن يدعو إلى الهدوء والنظام مرات عدة قبل أن يستأنف بريسون استجوابه.

سأل بريسون آملا: " هل لديك أى شىء تضيفينه قد يساعد لجنة المحلفين يا آنسة بريسون؟".

أجابت بيث: "نعم، إن والدى لم يكن حاضرا وقت وقوع الجريمة، ولكننى كنت هناك".

قاطعها بريسون، قائلا: "وكذلك كان خطيبك حاضرًا هناك، أقترح أن ما بدأ على أنه حلقة أخرى فى سلسلة طويلة من المشاجرات انتهى إلى مأساة حين طعن كارترايت أخاك حتى قتله".

"كريج هو من طعن أخى".

"بينما كنت أنت فى الطرف الآخر من الزقاق، تحاولين إيقاف تاكسى".

قالت بيث: "نعم، هذا صحيح".

"وعندما وصلت الشرطة وجدوا ملابس كارترايت مغطاة بالدماء، وبصمات الأصابع الوحيدة التى أمكن لهم أن يجدوها على السكين هى بصمات أصابع خطيبك".

قالت بيث: "لقد شرحت من قبل كيف حدث هذا".

" إذن يمكنك أيضًا أن تفسرى لنا أنه عندما التقى ضباط الشرطة بالسيد كريج بعدها بدقائق معدودة لم تكن هناك نقطة دم واحدة على حُلته النظيفة تمامًا ولا على قميصه أو رابطة عنقه".

قالت بيث: "كان لديه على أقل تقدير عشرون دقيقة ليركض إلى منزله ويبدل ثيابه".

أضاف ردماين: "وربما، ثلاثون دقيقة".

قال بريسون: "إذن فأنت توافقين على نظرية السوبرمان، وأنه ذو قدرات خارقة، أليس كذلك؟".

أجابت بيث متجاهلة التعليق: "وقد اعترف بنفسه أنه كان بالزقاق".

"نعم، لقد اعترف بذلك يا آنسة ويلسون، ولكن فقط بعد أن سمع صرختك؛ عندما ترك أصدقاءه فى المقهى لكى يتبين إذا كنت تتعرضين لأى خطر".

" كلا، لقد كان بالفعل فى الزقاق عندما طعن بيرنى".

سأل بريسون: "ولكن من الذى طعنه؟".

صرخت بيث: "كريج، كريج، كريج!، كم من المرات على أن أقولها لك؟".

" والذى تدبر أمره لكى يصل إلى الزقاق فى أقل من دقيقة؟ ووجد الوقت الكافى بعدها ليتصل بالشرطة، ويعود للمقهى، وأن يطلب من رفاقه أن يغادروا، ثم يذهب إلى بيته ويغير ثيابه المغطاة بالدم، ويغتسل، ويعود للمقهى ويبقى فى مكانه جالسًا هناك منتظرًا وصول الشرطة؟ ثم كان بمقدوره بعدها أن يقدم وصفًا متماسكًا ومقنعا لما جرى بكل تحديد، وصفا صدق عليه كل من كانوا موجودين بالمقهى تلك الليلة؟".

قالت بيث: "لكنهم لم يقولوا الحقيقة".

قال بريسون: "تقصدين إذن أن كل الشهود الآخرين مستعدون للحنث باليمين وشهادة الزور".

"نعم، إنهم جميعًا يحمونه".

"وأنت لا تحمين خطيبك؟".

"كلا، أنا أقول الحقيقة".

قال بريسون: "الحقيقة كما ترينها أنت، لأنك لم تكونى شاهدة فعليًا على ما جرى".

قالت بيث: "لست مضطرة لذلك، لأن بيرنى أخبرنى بكل تحديد ما حدث".

" هل أنت واثقة أن من أخبرك هو بيرنى وليس دانى".

كررت: "لا، ليس دانى، بل بيرنى كان من أخبرنى".

" قبيل أن يموت بلحظات؟".

صاحت بيث: "نعم!".

قال بريسون: "كم هذا ملائم تمامًا".

" وما إن يمثل دانى فى مقصورة الشهود فسوف يؤكد كلامى".

"ليس لدى شك فى أنه سيفعل ذلك يا آنسة ويلسون بعد مقابلتكما كل يوم أحد على مدى الشهور الستة الماضية". ثم أضاف بريسون: "لا مزيد من الأسئلة للشاهدة يا سيادة القاضى".

١١

قال آليكس: "ما الذى تناولته على الإفطار هذا الصباح؟"، سائلاً والده.

فقال والده بضحكة مجلجلة عبر الهاتف: "ليست هذه الخدعة القديمة".

"ما الأمر المضحك؟".

"كان علىّ أن أحذرك. فليس لدى بريسون إلا افتتاحيتان اثنتان عندما يتعلق الأمر باستجواب شهود الدفاع؛ وبصفتك محاميًا شابًا لابد وأنك تبينت أن القاضى هو الشخص الوحيد الذى سمع هذا السؤال من قبل، أما بالنسبة للشاهد الساذج، ناهيك عن المحلفين، فإن الأمر بالنسبة له مفاجأة تامة".

قال آليكس: "وما الافتتاحية الثانية؟".

" ما اسم الشارع الثانى على يسارك عندما تخرج من باب منزلك لتتجه إلى عملك كل صباح؟ قليل جدًا من الشهود هم من تمكنوا من الإجابة عن هذا السؤال إجابة صحيحة، بقدر معرفتى بالأمر، وأنا أظن أن بريسون يجوس فى أنحاء الشوارع التى تقع حول منزل المتهم فى الليلة السابقة لاستجوابه. أراهن أنك ستجده يتمشى فى منطقة ويست إند فى هذه اللحظة".

غاص آليكس فى مقعده وقال: "حسنًا، لقد حذرتنى من الاستهانة بشأن الرجل".

لم يجد السير ماثيو جوابًا على الفور. وعندما عاد للتحدث فى نهاية الأمر، أثار موضوعًا لم يكن آليكس قد فكر فيه حتى تلك اللحظة حيث سأله قائلاً: "هل سوف تستدعى كارترايت للمثول فى مقصورة الشهود؟".

قال آليكس: "بالطبع، ولمَ لا أفعل؟".

"لأنه عنصر المفاجأة الوحيد المتبقى لديك. فإن بريسون سوف يتوقع مثول كارترايت فى مقصورة الشهود خلال ما تبقى من الأسبوع، أما لو أنك كنت على وشك أن تغلق قضيتك صباح الغد دون أى إنذار مسبق، فسوف تكون متقدمًا عليه. فهو يتوقع أنه سوف يستجوب كارترايت فى وقت ما بالقرب من نهاية الأسبوع، وربما حتى الأسبوع المقبل، ولهذا لن يتوقع استدعاء الادعاء أول شىء صباحًا".

"ولكن إن لم يقدم كارترايت دليلاً فلا شك أن المحلفين سوف يفترضون أسوأ الافتراضات".

أجاب والد آليكس: "القانون واضح للغاية فى هذه النقطة. سوف يقدم القاضى للمتهم حق الاختيار بين أن يمثل فى مقصورة الشهود أو لا، ولابد لهيئة المحلفين أن يستنتجوا بعض الاستنتاجات بناء على قراره فى هذا الصدد".

"ولكنهم سوف يفعلون ذلك لا محالة كما سبق لك أن حذرتنى من هذا مرات عديدة".

"ربما، ولكنَّ واحدًا أو اثنين من هيئة المحلفين سيلاحظان أنه رفض قراءة الصحيفة ويفترضان أنك نصحته بألا يواجه بريسون بعد الاستجواب القاسى الذى تعرضت له خطيبته".

قال آليكس: "إن كارترايت فى ذكاء بريسون تمامًا، المشكلة أنه غير متعلم بما فيه الكفاية".

"لكنك ذكرت أنه سريع الغضب والانفعال".

"فقط عندما يهاجم أحدهم بيت".

"فلابد أن تكون واثقًا إذن أنه ما أن يمثل كارترايت فى

مقصورة الشهود فإن بريسون سيهاجم بيث إلى أن يشعل غضبه".

"ولكن كارترايت ليس لديه سجل إجرامى من أى نوع، وقد ظل يعمل من اليوم الذى غادر فيه المدرسة، وكان على وشك أن يتزوج من محبوبته من زمان قديم والتى صادف أنها حبلى بابنه".

"نحن الآن نعرف إذن أن هناك أربعة موضوعات لن يأت بريسون على ذكرها فى الاستجواب. ولكنك لابد أن تكون واثقًا من أنه سوف يسأل كارترايت عن حادثة الملعب فى شبابه، وسوف يذكر المحلفين باستمرار بمسألة السكين، وأن فتاته المحبوبة هى من أنقذته بشهادتها".

قال آليكس: "حسن، إن كانت تلك هى مشكلتى الوحيدة..".

أجاب والده: "لن تكون الوحيدة، أعدك بهذا، ولكن الآن وبعد أن أثار بريسون عراك السكين فى ملعب المدرسة مع بيث ويلسون، فلابد أن تكون واثقًا تمامًا من أن بحوزته مفاجأة أو اثنتين مخبأتين من أجل دانى كارترايت".

"مثل ماذا؟".

قال سير ماثيو: "ليس لدى أدنى فكرة، ولكن إن وضعته فى مقصورة الشهود فسوف تكتشف ما هى بلا خلاف". قطب آليكس جبينه وهو يتفكر فى كلمات والده. "وعندما لم يجد آليكس جوابا قال والده القاضى السابق: "أهناك ما يسوء؟".

"إن بريسون يعرف بأن والد بيث قد أخبر كارترايت بأنه قد غير رأيه حول من سيتولى شئون الورشة من بعده".

"وأنه ينوى عرض الوظيفة على ابنه بدلاً منه؟".

قال آليكس: "نعم".

"ليس شيئًا مفيدًا جدًا لو كنا نبحث عن دافع للجريمة".

قال آليكس: "صحيح، ولكن ربما لدى أنا أيضًا مفاجأة أو

اثنتان من أجل بريسون لإقلاقه".

"مثل ماذا؟".

"لقد قام كريج بطعن دانى فى ساقه، ولديه ندبه بساقه لتثبت هذا".

"سوف يزعم بريسون أنها ناتجة عن جرح قديم".

"ولكن لدينا تقرير الطبيب ليثبت أنه ليس قديمًا".

"سوف يلقى بريسون بمسئولية الجرح على عاتق القتيل بيرنى ويلسون".

"إذن فأنت تنصحنى بعدم استدعاء كارترايت للمثول فى مقصورة الشهود؟".

" هذا ليس سؤالاً تسهل الإجابة عنه يا بنى؛ لأننى لم أكن هناك فى قاعة المحكمة، فأنا لا أعرف كيف استجابت لجنة المحلفين لشهادة بيث".

لبث آليكس صامتًا لبضع دقائق ثم قال: "بدا واحد أو اثنان منهما متعاطفين، ولاشك أنهم أحسوا أنها إنسانة صريحة وأمينة، وقد يتوصلون إلى أنها حتى ولو كانت تقول الحقيقة فإنها لم تر ما حدث ويقبلون مزاعم بريسون كلها".

" حسن، لست محتاجًا لأكثر من ثلاثة محلفين مقتنعين بأنها كانت تقول الحقيقة، ويمكنك أن تتوصل إلى هيئة محلفين لا يمكنهم التوصل إلى قرار بالإجماع وفى أسوأ الأحوال ستنتهى إلى إعادة المحاكمة. وإذا كانت هذه هى النتيجة، فإن النيابة الملكية قد ترى حتى أن محاكمة أخرى ليست شأنًا له أهمية عامة".

قال آليكس، على أمل أن يخالفه والده فى الرأى: "كان ينبغى على أن أقضى مزيدًا من الوقت فى الضغط على كريج حول مسألة فارق التوقيت؟".

أجاب والده: "فات أوان القلق بهذا الشأن، قرارك الأهم فى هذه اللحظة هو إذا ما كنت سوف تستدعى كارترايت إلى

مقصورة الشهود أم لا".

" ولكنى إذا اتخذت القرار الخطأ سوف يقضى دانى فى السجن الأعوام العشرين المقبلة".

١٢

وصل آليكس محكمة أولد بيلى بعد دقائق معدودة من فتح البواب الليلى للبوابة الأمامية، وبعد أن أمضى جلسة استشارة طويلة مع دانى بالزنازين الموجودة أسفل المبنى، ذهب إلى غرفة المحامين، وارتدى ثيابه الرسمية، قبل أن يتجه نحو قاعة المحكمة رقم أربعة. دخل إلى القاعة الفارغة، واتخذ مقعده على طرفه ووضع على الطاولة أمامه ثلاثة ملفات كتب عليها كارترايت. فتح الملف الأول وراح يراجع الأسئلة السبعة التى نسقها ليلة أمس خير تنسيق. ألقى بنظرة سريعة على ساعة الحائط. كانت التاسعة وخمسًا وثلاثين دقيقة صباحًا.

قبل تمام العاشرة بعشر دقائق دخل إلى القاعة آرنولد بريسون ومساعده واتخذا مجلسيهما على الطرف الآخر من المقعد الطويل. ولم يقاطعا آليكس بما أنه ظهر عليه الانشغال.

كان دانى كارترايت هو من ظهر تاليًا، مصحوبًا باثنين من رجال الشرطة. جلس على مقعد خشبى فى منتصف قفص الاتهام وانتظر دخول القاضى.

عندما دقت الساعة العاشرة تمامًا، فتح باب فى خلفية القاعة ودخل القاضى ساكفيل إلى مملكته. ونهض جميع من بالقاعة وانحنوا. رد القاضى التحية، قبل أن يتخذ مكانه فى

منتصف المقعد. قال: "استدع المحلفين".. وبينما هو فى انتظار ظهورهم، ارتدى نظارته ذات العدستين الصغيرتين، وفتح غلاف دفتر ملاحظات جديد ورفع غطاء قلمه الحبر. وكتب الكلمات: استجواب دانيال كارترايت من قبل السيد ردماين.

ما إن استقر أعضاء لجنة المحلفين فى أماكنهم، أولى القاضى انتباهه نحو محامى الدفاع. وسأله: "هل أنت مستعد لاستدعاء شاهدك التالى يا سيد ردماين؟".

نهض آليكس من مكانه، صب لنفسه قدح ماء واحتسى منه حسوة. نظر نحو دانى وابتسم. ثم نظر نحو أسئلته أمامه قبل أن يقلب الصفحات ليكشف صفحة خالية لم يكتب فيها شىء، وابتسم من جديد للقاضى، وقال: "ليس لدى أى شهود آخرين سيدى القاضى".

طافت بوجه بريسون نظرة متوترة. والتفت بسرعة ليستشير مساعده، والذى بدت عليه حيرة مماثلة. استمتع آليكس بهذه اللحظة، بينما ينتظر تبدد الهمسات والهمهمات. ابتسم القاضى نحو السيد ردماين، والذى اعتقد للحظة أنه قد غمز له بعينه.

وبعد أن استغل آليكس كل لحظة أمكنه أن يفلت بها، قال: "سيدى القاضى، ذلك ينهى القضية بالنسبة للدفاع".

نظر القاضى ساكفيل نحو بريسون، والذى بدا الآن يشبه أرنبًا مندهشًا ومرتبكًا وجد نفسه على الطريق السريع والسيارات تأتى وتذهب من الاتجاهين.

قال القاضى كما لو أن شيئًا لم يحدث: "سيد بيرسون"، وواصل متوجهًا لى بالحديث:" لعلك تبدأ خطاب إغلاق القضية ممثلاً للادعاء".

نهض بريسون ببطء من مكانه. خرجت منه الكلمات مرتبكة ليقول: "إننى أتساءل يا سيادة القاضى، فى ظل هذه الظروف غير المعتادة، إن كنت تسمح لى سيادتك بوقت قليل

لأعد ملاحظاتى الختامية. فقد أقترح بأن نؤجل مباشرة القضية حتى أصيل هذا اليوم بحيث ..".

قاطعه القاضى قائلا: "كلا يا سيد بريسون، لن أؤجل مباشرة القضية. أنت خير العارفين بهذا أنه من حق المتهم أن يختار ألا يقدم دليلاً. المحلفون ومسئولو المحكمة كلهم حاضرون ومستعدون، ولا حاجة بى لأن أذكرك بمقدار ازدحام جدول هيئة المحكمة بالمشاغل والقضايا. لذا أرجو أن تلقى ملاحظاتك الختامية".

استخرج مساعد بريسون ملفًا من أسفل كومة من الملفات وناوله لرئيسه. فتحه بريسون، مدركًا أنه لم يلق نظرة على محتوياته خلال الأيام القليلة الماضية.

راح يحدق إلى الصفحة الأولى وقال: "أعضاء لجنة المحلفين...". وبدأ ببطء يتلو ملاحظاته. سرعان ما اتضح أن بريسون كان من النوع الذى يعتمد على الاستعداد الجيد لكل شىء، وأن هذا التفكير السريع وهو فى خضم اللحظة ليس من مواطن قوته. راح يضطرب ويتعثر من فقرة إلى أخرى بينما يتلو نصه، حتى بدا الحنق يظهر على وجه مساعده الأمين نفسه.

جلس آليكس فى هدوء، مركزًا انتباهه نحو هيئة المحلفين، وحتى الأشخاص الذين بدوا دائمًا فى غاية الانتباه واليقظة ظهر عليهم الضجر، وواحد أو اثنين اختلسا تثاؤبًا وهما يطرفان بأعينهما ذات النظرة الجامدة. وعندما بلغ بريسون صفحته الأخيرة، بعد مرور ساعتين كان آليكس نفسه قد شعر بالنعاس والخمول.

عندما عاد بريسون أخيرًا إلى مكانه، اقترح القاضى ساكفيل أنه قد يكون الوقت مناسبًا لأخذ راحة الغداء، وما إن غادر القاضى القاعة، حتى ألقى آليكس بنظرة نحو بريسون، الذى لم يتمكن من إخفاء غضبه. فقد أدرك تمام الإدراك

أنه قدم الفقرة الصباحية المملة لجمهور ويست إند الذى جاء ليشهد فقرة مسائية أكثر تشويقًا وإثارة.

أمسك آليكس بأحد ملفاته السميكة وأسرع خارجًا من القاعة. ركض على طول الردهة وصعد الدرجات الحجرية حتى غرفة صغيرة فى الطابق الثانى كان قد حجزها فى وقت مبكر من هذا الصباح. ولم يكن بداخلها إلا مقعد ومنضدة، دون حتى صورة واحدة على الجدران. فتح آليكس ملفه وبدأ يراجع ملاحظاته الختامية واستنتاجاته. تدرب على الجمل الأساسية والمهمة مرارًا وتكرارًا، حتى صار واثقًا من أن النقاط البارزة سوف تستقر فى عقول المحلفين.

وبما أن آليكس قد أمضى أغلب الليل، إلى جانب الساعات المبكرة من الصباح، ينقح ويصقل كل عبارة وفقرة، فقد شعر بأنه مستعد تمام الاستعداد حين حان الوقت للعودة إلى القاعة رقم أربعة بعد ذلك بساعة ونصف ساعة. اتخذ مكانه من جديد قبل ظهور القاضى بدقائق معدودة. وما أن استقرت هيئة المحكمة، سأله القاضى ساكفيل إن كان مستعدًا لإلقاء دفاعه الختامى.

أجاب آليكس: "إننى مستعد بالفعل سيدى القاضى". ثم صب لنفسه قدحًا آخر من الماء. فتح ملفه، وتطلع ببصره واحتسى شربة ماء.

بدأ بقوله : "أعضاء لجنة المحلفين، لقد سمعتم حتى الآن...".

لم يأخذ آليكس وقتًا طويلاً كما فعل السيد بريسون لتقديم مداخلته الختامية، ولكن مداخلته لم تكن بالنسبة له بروفة بملابس المسرحية. فلم يترك سبيلاً من السبل ليتأكد من أن نقاطه الأكثر أهمية قد وصلت إلى المحلفين، ولكن على الأقل لم يكن أى منهم يتثاءب ويشرد ببصره، بل كان كثيرون منهم يسجلون الملاحظات، وعندما جلس آليكس فى مكانه بعد

ساعة والنصف، شعر بأنه إذا سأله والده إن كان بذل أقصى ما فى وسعه ليخدم موكله، فسوف يجيب عنه بنعم دون أدنى شك.

قال القاضى: "شكرا لك يا سيد ردماين". ثم التفت نحو هيئة المحلفين ، وقال: "أعتقد أن هذا سيكون كافيًا لهذا اليوم".تفقد بريسون ساعة يده. كانت الساعة الثالثة والنصف فحسب. لقد افترض أن القاضى سوف يقضى على الأقل ساعة فى مخاطبة المحلفين قبل أن يفض الجلسة، لكن كان من الواضح أنه هو أيضًا – القاضى – أخذ على حين غرة من كمين ردماين المفاجئ هذا الصباح.

نهض القاضى من مجلسه وانحنى وغادر القاعة دون كلمة أخرى. التفت آليكس ليتجاذب أطراف الحديث مع خصمه حين أسلم الحاجب ورقة صغيرة لبريسون. بعد أن قرأها بريسون، قفز من مكانه وخرج من قاعة المحكمة، مسرعًا يتبعه مساعده عن كثب. التفت آليكس مبتسمًا للمتهم فى قفص الاتهام، غير أن دانى كان قد اقتيد بالفعل إلى أسفل مبنى المحكمة، ليحبس فى الزنازين هناك. لم يستطع آليكس إلا أن يتساءل ترى أى باب سوف يخرج منه موكله صباح الغد، ولكنه لم يكن لديه أدنى فكرة عن سبب خروج بريسون من قاعة المحكمة بهذه العجلة.

١٣

اتصل سكرتير مكتب السيد بريسون بسكرتير مكتب القاضى ساكفيل فى الساعة التاسعة ودقيقة واحدة من صباح اليوم التالى. قال سكرتير مكتب القاضى ساكفيل إنه سوف ينقل مطلب السيد بريسون، سيعاود إلى القاضى الاتصال على الفور. بعدها بدقائق معدودة، اتصل سكرتير مكتب القاضى ساكفيل من جديد ليعلم سكرتير مكتب السيد بريسون بأن القاضى سيسعده أن يرى السيد بريسون فى مكتبه بالمحكمة فى التاسعة والنصف صباحًا. كما افترض أنه بالنظر إلى الظروف، فينبغى حضور السيد ردماين كذلك.

أجاب سكرتير السيد ردماين، قبل أن يضع سماعة الهاتف: "سأتصل به على الفور يا بيل".

ثم اتصل سكرتير السيد بريسون بسكرتير السيد ردماين وسأله إن كان السيد ردماين سيكون مستعدًا للقاء القاضى فى التاسعة والنصف صباحًا بمكتبه، لسبب طارئ لا يحتمل التأجيل.

سأل سكرتير السيد ردماين: "إذن ماذا وراء هذا كله يا جيم؟".

"لا علم لى يا تيد. بريسون لا يثق فىّ أبدًا".

اتصل سكرتير السيد ردماين بالسيد ردماين على هاتفه

الجوال واستطاع أن يلحق به قبل أن يهبط به المترو تحت الأرض بمحطة مترو بيمليكو .

سأل آليكس: "هل قدم بريسون أى سبب لرغبته فى لقائنا مع القاضى؟".

أجاب تيد: "إنه لا يقدم أسبابًا أبدًا يا سيد ردماين".

⊸○⊷

طرق آليكس بهدوء على الباب قبل أن يدخل إلى مكتب القاضى ساكفيل. وجد بريسون مسترخيًا فى مقعد مريح ويتجاذب أطراف الحديث مع القاضى حول زهوره. القاضى ساكفيل لا يتطرق إلى الموضوع المقصود باللقاء أبدًا قبل حضور كلا الطرفين.

قال القاضى، ملوحًا له نحو مقعد جلدى بذراعين إلى جوار بريسون: "صباح الخير يا آليكس" .

أجاب آليكس: "صباح الخير سيادة القاضى".

قال القاضى: "بما أننا من المفترض أن نعقد الجلسة بعد أقل من نصف ساعة، فلعلك توجز لنا يا آرنولد سبب طلبك لعقد هذا اللقاء".

قال بريسون: "بكل تأكيد يا سيدى القاضى. بناء على طلب النيابة العامة، ذهبت للقائهم بمقرهم مساء أمس". حبس آليكس أنفاسه بينما واصل بريسون: "وبعد نقاش طويل مع السادة هناك، يمكننى أن أنقل لكما أنهم مستعدون للتفكير فى تغيير المتهم لموقفه فى هذه القضية".

حاول آليكس ألا يظهر أى رد فعل، على الرغم من أنه أراد أن يقفز ويلكم الهواء، لكنه كان جالسًا فى مكتب القاضى وليس على أحد مقاعد حديقة أبتون العامة.

سأل القاضى: "ما الذى يفكرون فيه؟"

" شعروا بأنه إذا ما كان كارترايت قادرًا على الاعتراف

بالقتل....".

سأل القاضى، ملتفتًا نحو ردماين: "ترى كيف سيستجيب موكلك لعرض كهذا فى ظنك؟".

أقر آليكس: "لا فكرة لدى، إنه رجل ذكى، ولكنه أيضاً عنيد عناد بغل، وقد تمسك بكل قوة بالقصة نفسها على مدة الشهور الستة الماضية ولم يتوقف لحظة واحدة عن الاحتجاج ببراءته".

سأله بريسون: "على الرغم من هذا، ألا يمكنك أن تنصحه بقبول عرض النيابة العامة؟".

لبث آليكس صامتًا لبرهة قبل أن يجيب: "نعم، ولكن كيف اقترحت النيابة أن نزين له الأمر؟".

قطب بريسون حاجبيه من اختيار ردماين السيئ للكلمات "إن كان موكلك مستعدًا للاعتراف بأنه خرج مع ويلسون إلى الزقاق بغرض تصفية خلافاتهما...".

تساءل القاضى، محاولاً ألا يبدو متهكمًا أكثر من اللازم: "وانتهى الأمر بسكين فى صدر ويلسون هكذا بالمصادفة".

" دفاع عن النفس، تخفيف للحكم لظروف خاصة — وسوف أترك الأمر لردماين حتى يكمل بقية التفاصيل. فهو شأن بعيد عن مسئوليتى".

أومأ القاضى موافقًا وقال: "سوف أخبر سكرتيرى أن ينقل لمسئولى قاعة المحكمة والمحلفين بأننا لا ننوى أن نعقد الجلسة...". ثم ألقى بنظرة على ساعة يده — فأضاف: "قبل الحادية عشرة صباحًا، هل يمنحك هذا وقتًا كافيًا يا آليكس لكى ترجع إلى موكلك ثم تعود لمكتبى ومعك قراره الأخير؟".

أجاب آليكس: "نعم، أنا واثق أنه سيكون وقتًا كافيًا تمامًا".

قال بريسون: "لو أقر الرجل بذنبه، فلن يستغرق الأمر أكثر من دقيقتين".

١٤

حين غادر آليكس مكتب القاضى بعدها بدقائق قليلة راح يتوجه ببطء نحو الجانب الآخر من المبنى، محاولاً أن ينظم أفكاره. وفى غضون مائتى خطوة كان قد استبدل بحالة السكينة والهدوء فى مكاتب القضاة الجو البارد والموحش للزنازين التى لا يشغلها غير السجناء.

توقف أمام باب أسود ضخم يعترض الطريق نحو الزنازين بأسفل. طرقه طرقتين قبل أن يفتحه رجل شرطة صامت اصطحبه خلال سلم ضيق من درجات حجرية حتى بلغا ردهة صفراء، يعرفها السجناء القدامى بالطريق الحجرى الأصفر. وعندما بلغ الزنزانة رقم ١٧، شعر آليكس بأنه فى أتم الاستعداد، على الرغم من أنه مازال لا يدرى كيف سيكون رد فعل دانى على العرض المقدم له. التقط الشرطى مفتاحًا من حلقة كبيرة وفتح به باب الزنزانة.

سأل الشرطى بتهذيب: "هل تطلب ضابطًا حاضرًا خلال المقابلة؟".

أجاب آليكس: "لا داعى لهذا".

دفع الشرطى الباب الحديدى بسمك بوصتين وسأل رد ماين: "هل أترك الباب مفتوحًا أم أغلقه يا سيدى؟".

أجاب آليكس: "أغلقه"، وهو يدخل الزانزانة صغيرة

الحجم المؤثثة بمقعدين من البلاستيك ومنضدة من لدائن الفورمايكا فى منتصفها، ولا توجد زينة على الجدران إلا كتابات ورسوم المساجين السابقين.

نهض دانى ما أن دخل آليكس إلى الغرفة وقال: "صباح الخير يا سيد ردماين".

أجاب آليكس: "صباح الخير يا دانى"، وهو يتخذ مجلسه فى المقعد المواجه له. كان يعلم أنه لا فائدة ترجى من أن يحاول إقناع موكله من جديد بأن يدعوه باسمه الأول بدون ألقاب. فتح آليكس ملفًا لا يحتوى إلا على ورقة واحدة، وأعلن له قائلاً: "لدى بعض الأنباء السارة لك، أو على الأقل أرجو أنك سوف تراها أنباء سارة". لم يظهر دانى أى انفعال. كان نادرًا ما يتحدث ما دام لا شىء لديه يستحق أن يقوله، فواصل ردماين: "إذا كنت تشعر بأنك قادر على تغيير أقوالك إلى اعتراف بالذنب على أنه قتل خطأ. أعتقد أن القاضى سيحكم عليك بخمسة أعوام فقط، وبما أنك قضيت منها بالفعل ستة أشهر، فمع حسن السير والسلوك يمكنك أن تخرج من السجن فى غضون عامين".

من على الطرف الآخر للمنضدة، حدق دانى إلى وجه آليكس، ناظرًا نظرة مباشرة نحو عينيه، وقال: "قل لهم أن يذهبوا للجحيم".

صدم آليكس باللغة النابية لدانى، بقدر ما صدم من قراره الفورى. لم يسبق له أبدًا أن سمع موكله يفحش بالقول خلال الشهور الستة الماضية.

رجاه أليكس قائلاً: "ولكن يا دانى أرجو أن تمنح العرض بعض التفكير، فإن قررت لجنة المحلفين أنك مذنب بجريمة قتل عمد فقد ينتهى بك الأمر أن تقضى حكمًا بالسجن المؤبد، أى السجن لعشرين عامًا، وربما أكثر. وهذا معناه أنك لن ترى النور قبل أن تصل لسن الخمسين تقريبًا. ولكن إذا قبلت هذا

العرض يمكنك أن تبدأ حياتك مع بيث فى غضون عامين.

سأله دانى ببرودة: "أى نوع من الحياة؟ حياة يظن فيها الجميع أننى قتلت أعز أصدقائى وأفلت بذلك؟ كلا يا سيد ردماين، إننى لم أقتل بيرنى، ولو لزمنى عشرون عامًا من أجل أن أثبت هذا..".

"ولكن لماذا تجازف بحياتك يا دانى، وتعتمد على أهواء لجنة المحلفين بينما يمكنك أن تقبل بالتسوية بسهولة؟".

"لا أعلم معنى كلمة التسوية تلك قانونيًا يا سيد ردماين، ولكننى أعلم أننى برىء و لو عرف المحلفون بأمر هذا العرض..".

" لن يعرفوا به أبدًا يا دانى. فإذا ما رفضت هذا العرض لن يخبرهم أحد بسبب تأخر عقد الجلسة هذا الصباح، وسوف تستمر المحاكمة كما لو أن شيئًا لم يحدث".

قال دانى: "فليكن هذا".

قال آليكس، رافضا أن يستسلم: "لعلك تحتاج إلى قليل من الوقت لتفكر بالأمر، يمكنك أن تتحدث إلى بيث. أو إلى والديك، أنا واثق أننى أستطيع إقناع القاضى بتأجيل الجلسة حتى صباح الغد، مما يمنحك على الأقل وقتا للتفكير فى وضعك الحرج".

قال دانى: "هل فكرت فى معنى ما تطلب منى القيام به؟".

قال آليكس: "لست متأكدًا من فهمى لسؤالك".

"لو أننى اعترفت بجريمة القتل الخطأ فإن معنى هذا أن كل شىء قالته بيث وهى فى مقصورة الشهود كان كذبًا، مجرد كذب. لكنها لم تكذب يا سيد ردماين. لقد أخبرت المحلفين بما حدث تماما فى تلك الليلة".

"دانى قد تقضى العشرين سنة القادمة وأنت تندم على قرارك هذا".

"ويمكننى أن أعيش العشرين سنة القادمة فى حياة من الكذب، ولو لزمنى كل هذا الوقت لإثبات براءتى فسيكون هذا أفضل من العيش فى عالم يعتقد الناس فيه أننى قتلت أعز أصدقائى".

" لكن العالم سريع النسيان".

فقال دانى: "وليكن، فأنا لن أنسى، لا أنا ولا رفاقى فى حى ويست إند".

أراد آليكس أن يحاول معه محاولة وحيدة أخيرة، ولكنه أدرك أنه من غير المجدى أن يحاول أن يغير من رأى هذا الرجل الأبىّ. نهض من موضعه وقد بدا عليه الإنهاك، وقال قبل أن يدق بقبضته على باب الزنزانة: "سوف أبغلهم بقرارك".

ما هى إلا لحظات ودار المفتاح فى قفل الباب، وتحرك الباب الثقيل مفتوحًا.

قال دانى بصوت هادئ: "سيد ردماين". فالتفت آليكس نحوه على الفور ليواصل دانى: "أنت جوهرة نادرة، وأنا فخور أنك كنت أنت من يمثلنى قانونيًا، أنت وليس واحدًا على شاكلة السيد بريسون".

صفق الباب منغلقًا.

١٥

إياك أن تتورط عاطفيًا فى قضية تعمل بها، هكذا كان كثيرًا ما يحذره والده. على الرغم من أن آليكس لم يغمض له جفن فى الليلة السابقة، فمازال يولى انتباهًا يقظًا لكل كلمة ينطق بها القاضى فى كلمته الختامية، وعرضه للقضية الذى استمر لأربع ساعات.

كان الموجز الذى قدمه القاضى ساكفيل بارعًا ومحكمًا. أوضح فى البداية كل نقطة قانونية يمكن أن تتعلق بالقضية. ثم مضى ليعاون المحلفين فى تمحيص الأدلة، نقطة بعد أخرى، محاولاً أن يجعل القضية متماسكة ومنطقية وميسرة من أجل أن يتمكنوا من متابعته. لم يمل للمبالغة أو يبدى أى انحياز، فقط عمل على تقديم رؤية متوازنة أمام أعين الرجال السبعة والنساء الخمس المعنيين.

اقترح عليهم أن يأخذوا بعين الاعتبار شهادة الشهود الثلاثة الذين أكدوا بصورة قاطعة أن السيد كريج وحده هو من غادر المقهى، وأنه لم يفعل ذلك إلا حين سمع صرخة امرأة. وأن كريج قد أقر تحت القسم بأنه رأى المتهم يطعن ويلسون عدة مرات، وأنه عاد بعدها إلى المقهى على الفور واتصل بالشرطة.

على الجانب الآخر، فإن الآنسة ويلسون أخبرتنا بقصة مختلفة، زاعمة أن السيد كريج هو من جر رفيقيها إلى العراك،

وأنه هو ولابد من طعن ويلسون، رغم أنها لم تشهد الجريمة بعينيها، ولكنها فسرت ذلك بأن أخاها أخبرها بما جرى قبل أن يتوفى. إذا ما تقبلتم هذه الرواية للأحداث فعليكم إذن أن تسألوا أنفسكم لماذا اتصل السيد كريج بالشرطة، وربما ما هو أهم من ذلك، عندما التقى به الرقيب فولر فى المقهى، بعد ذلك بنحو عشرين دقيقة، لماذا لم يكن هناك أية دماء تلطخ ثيابه.

أطلق آليكس لعنة فى سره.

واصل القاضى ساكفيل يقول: "أعضاء لجنة المحلفين، ليس هناك أى شىء فى ماضى الآنسة ويلسون يطعن فى أنها مواطنة نزيهة وشريفة، ومع ذلك، قد تشعرون بأن شهادتها تأثرت بإخلاصها وبولائها القديم لكارترايت، الرجل الذى تنوى الزواج منه كى يظهر غير مذنب، ولكن هذا لا يجب أن يؤثر على قراركم. عليكم أن تضعوا جانبًا أى تعاطف طبيعى قد تشعرون به بسبب حمل الآنسة بيث. مسئوليتكم هى أن تزنوا بأدق ميزان الشهادات والأدلة فى هذه القضية وأن تتجاهلوا أى مسائل جانبية غير ذات صلة.

مضى القاضى فى حديثه ليؤكد أن كارترايت ليس لديه أية سوابق جنائية، وأنه على مدى الأحد عشر عامًا الماضية كان موظفًا بالمكان نفسه، كما حذر المحلفين بألا يفرطوا فى تأويل أن السيد كارترايت لم يقدم شهادته. فقد كان هذا حقًا مكتسبًا له، على الرغم من أن لجنة المحلفين قد تتحير من اتخاذه لهذا القرار، إن لم يكن لديه شىء ليخفيه.

ومن جديد، لعن آليكس قلة خبرته. ما كان دليلاً لصالحه عندما باغت بريسون، وتسبب حتى فى أن تتوصل النيابة العامة إلى التقدم بعرض من أجل تخفيف الحكم بناء على الاعتراف بالذنب، يبدو أنه الآن دليل ضدهم.

أنهى القاضى عرضه الموجز للقضية بأن نصح هيئة المحلفين

بأن يأخذوا وقتهم الكافى، فعلى كل اعتبار هناك مستقبل إنسان على المحك، ومع ذلك، كما أكد لهم أيضًا، عليهم ألا ينسوا أن رجلاً آخر قد فقد حياته، وأنه لو لم يكن دانى كارترايت هو من قتل بيرنى ويلسون فينبغى أن يتساءلوا ويطرحوا السؤال: مَنْ غيره ارتكب هذه الجريمة؟

تجاوزت الساعة الثانية باثنتى عشرة دقيقة، وغادرت هيئة المحلفين قاعة المحكمة للتشاور والمداولات. على مدى الساعتين التاليتين، حاول آليكس ألا ينقم على نفسه لأنه أخفق فى أن يجعل دانى يقف فى مقصورة الشهود. فهل كان بحوزة بريسون، كما اقترح والده، أدلة لعينة أخرى ليفاجئهم بها؟ ألم يكن بمقدور دانى أن يقنع المحلفين بأنه لم يقتل أعز أصدقائه؟ أسئلة لا جدوى منها ومع ذلك استمر آليكس فى إعادتها والتفكير بها بينما ينتظر عودة هيئة المحلفين.

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة بقليل عندما عاد الرجال السبعة والنساء الخمس إلى قاعة المحكمة واتخذوا أماكنهم فى مقصورة المحلفين.

لم يتمكن آليكس من تفسير النظرات الخالية من أى تعبير على وجوههم. نظر القاضى ساكفيل نحوهم وسألهم: "أعضاء هيئة المحلفين، هل توصلتم إلى قرار؟".

نهض كبير المحلفين من موضعه الجديد على الطرف البعيد من الصف الأمامى. أجاب قائلاً: "كلا يا سيدى القاضى" كان يقرأ من نص مكتوب. وواصل: "مازلنا نحاول تمحيص الأدلة والشهادات، وسوف نكون بحاجة لمزيد من الوقت قبل أن نتمكن من التوصل لقرار" .

أومأ القاضى برأسه، وشكر المحلفين على دأبهم وكدهم: "سوف أنهى الجلسة الآن بحيث يمكنكم أن تستريحوا قبل أن تواصلوا مداولاتكم صباح الغد، ولكن انتبهوا جيدًا، فما إن تغادروا قاعة المحكمة ينبغى عليكم ألا تناقشوا القضية مع أى

شخص، بما فى ذلك أفراد عائلاتكم".

عاد آليكس إلى شقته الصغيرة فى حى بيمليكو وقضى ليلة ثانية من السهاد والسهر.

١٦

قبل العاشرة تمامًا بخمس دقائق من الصباح التالى، كان آليكس بقاعة المحكمة جالسًا فى المكان نفسه. قدم بريسون له التحية بابتسامة دافئة. هل سامحه العجوز الغريب الأطوار على الكمين الذى نصبه له أم أنه ببساطة واثق كل الثقة من النتيجة النهائية؟ وبينما ينتظر كلاهما عودة هيئة المحلفين، تجاذبا أطراف الحديث حول الورد، ولعبة الكريكيت، بل وحتى حول الشخص الأكثر احتمالاً أن ينال منصب أول عمدة لمدينة لندن، ولكنهما لم يشيرا ولو مرة واحدة إلى الإجراءات التى شغلت كل دقيقة من حياتيهما خلال الأسبوعين الماضيين.

مرت الدقائق وكأنها ساعات، وعندما بلغت الساعة الواحدة دون أى علامة على عودة المحلفين، صرف القاضى جميع الحاضرين من أجل راحة تستغرق ساعة للغداء، وفى حين توجه بريسون لتناول وجبته فى مطعم ميس بالطابق الأخير، أمضى آليكس هذه الساعة وهو يذرع الردهة المواجهة لقاعة المحكمة جيئة وذهابًا. نادرًا ما يحتاج المحلفون فى قضايا القتل إلى أقل من أربع ساعات للتوصل إلى قرار، كما أخبره والده على الهاتف هذا الصباح، خشية من أن يقال إنهم لا يأخذون مثل هذه المسئولية مأخذ الجد.

بعد أن تجاوزت الساعة الرابعة بثمانى دقائق، عاد المحلفون

إلى أماكنهم وفى هذه المرة لاحظ آليكس أن تعبيرات وجوههم تغيرت من الجمود إلى الحيرة والارتباك. ولم يكن القاضى ساكفيل أمامه خيار آخر غير السماح لهم بالرجوع إلى منازلهم لليلة أخرى.

-o-

فى الصباح التالى، كان آليكس يذرع الردهة الرخامية جيئة وذهابًا لمدة تزيد عن الساعة، عندما ظهر الحاجب من قاعة المحكمة وأعلن صائحًا: "المحلفون يعودون إلى القاعة رقم أربعة".

ومرة أخرى، راح كبير المحلفين يقرأ من نص مُعد. بدأ يقول: "سيدى القاضى". لم ترتفع عيناه عن صفحة الورق التى يمسك بها، وكانت يداه ترتجفان ارتجافًا هينًا وواصل: "على الرغم من ساعات المداولة الطوال فإننا غير قادرين على التوصل إلى قرار نهائى ونتمنى أن نطلب إرشادك لنا حول ما يجب علينا اتخاذه".

أجاب القاضى: "إننى أتعاطف مع مشكلتكم، ولكنى مضطر لأن أطلب منكم أن تحاولوا مرة واحدة أخرى للتوصل إلى قرار بالإجماع، فإننى أكره أن أدعو لإعادة المحاكمة لا لشىء إلا لكى نخوض فى الاجراءات والتفاصيل نفسها مرة ثانية".

أحنى آليكس رأسه. لو كان الخيار له لاختار إعادة المحاكمة. لو أنهم أعطوه فرصة ثانية، فلن يكون هناك أدنى شك من أن ... غادر المحلفون من جديد دون كلمة أخرى، ولكنهم لم يظهروا مجدداً ذلك الصباح.

-o-

جلس آليكس وحده فى ركن المطعم بالطابق الثالث. ترك حساءه حتى برد، وراح يتلاعب بقطع السلطة فى الطبق، قبل أن يعود إلى الردهة ويواصل سيره المنتظم المعتاد جيئة وذهابًا.

بعد تمام الثالثة باثنتى عشرة دقيقة، سمع إعلانًا يصدر عن مكبر الصوت: "كل المعنيين بقضية كارترايت، رجاء العودة إلى قاعة رقم أربعة لأن المحلفين قد عادوا".

انضم آليكس إلى تيار الأشخاص المهتمين بالقضية وسار بسرعة على طول الردهة ودخل من جديد إلى قاعة المحكمة. ما إن استقر بهم المجلس، ظهر القاضى من جديد وأمر الحاجب باستدعاء المحلفين، وحين دخلوا القاعة، لم يستطع آليكس من أن يمنع نفسه من ملاحظة ما ظهر على وجه واحد أو اثنين منهم.

انحنى القاضى نحو الأمام وسأل كبير المحلفين: "هل كان بوسعكم الوصول لقرار بالإجماع؟".

فجاء الرد الفورى: "كلا، يا سيدى القاضى".

" هل تعتقدون أنه بوسعكم الوصول لقرار بالإجماع إذا سمحت لكم بوقت إضافى للتفكير؟".

" كلا ياسيدى".

" هل أساعد فى حل المشكلة إذا ما أخذت بقرار الأغلبية منكم، وأقصد بالأغلبية أن يكون هناك عشرة على الأقل منكم متفقون على قرار ما؟".

أجاب كبير المحلفين: "قد يحل هذا المشكلة يا سيدى".

" إذن فسوف أطلب استدعاءكم مرة أخرى ولنر إن كان بوسعكم فى النهاية أن تتوصلوا إلى قرار". أومأ القاضى للحاجب، والذى قاد المحلفين من جديد لخارج قاعة المحكمة. كان آليكس على وشك النهوض ومتابعة مجيئه وذهابه، عندما انحنى بريسون بالقرب منه وقال: "ابق ساكنًا أيها الصبى العزيز. لدى شعور بأنهم لن يستغرقوا وقتًا طويلاً". ظل آليكس مستقرًا على طرفه من المقعد.

وكما توقع بريسون تمامًا، عاد المحلفون إلى أماكنهم بعد دقائق قليلة. التفت آليكس نحو بريسون، ولكن قبل أن يتمكن

حتى من التحدث، قال ممثل الادعاء العجوز: "لا تسأل عن أى شىء أيها الصبى الغالى. لم أتمكن من فهم أعماق حيل ومكائد المحلفين على الرغم من أننى قضيت ثلاثين عامًا فى مهنة المحاماة". كان آليكس يرتعش عندما وقف الحاجب وقال: "هلا تفضل كبير المحلفين بالوقوف".

فسأله القاضى: "هل توصلتم لقرار؟".

أجاب كبير المحلفين: "توصلنا يا سيدى القاضى".

"وهل هو قرار الأغلبية منكم؟".

"نعم، سيدى القاضى، الأغلبية بعشرة إلى اثنين".

أومأ القاضى باتجاه الحاجب، الذى انحنى. وقال: "أعضاء هيئة المحلفين، هل ترون السجين فى قفص الاتهام، دانيال آرثر كارترايت، مذنبًا بجريمة قتل أم غير مذنب؟ "مر وقت كأنه الدهر بالنسبة لآليكس قبل أن يجيب كبير المحلفين خلال بضع ثوانٍ فى حقيقة الأمر.

أعلن كبير المحلفين: "مذنب".

صعدت من قاعة المحكمة شهقة ولهاث من الحاضرين. كان أول رد فعل لآليكس أن التفت ناظرًا نحو دانى. لم يبد على دانى أى انفعال، ومن فوق، من المقصورة المخصصة للحضور من العامة، سمعت صيحة: "لا!"، وصوت بكاء.

ما إن استعادت قاعة المحكمة هدوءها، ألقى القاضى مقدمة مطولة قبل أن ينطق بالحكم. كانت الكلمات التى رسخت فى عقل آليكس، دون أى إمكانية لمحوها، هى: السجن اثنتين وعشرين سنة.

كان والده قد قال له ألا يسمح أبدًا لأى حكم بأن ينال من عزمه. على كل حال، فنسبة واحد من مائة من المتهمين هم الذين يتلقون حكمًا ظالمًا.

كان آليكس يشعر بأن دانى كارترايت من بين نسبة الواحد فى المائة.

الكتاب الثانى

السجن

١٧

"عود أحمد يا كارترايت". نظر دانى نحو الضابط الجالس وراء مكتب الاستقبال، لكنه لم يجد جوابًا. نظر الرجل إلى صحيفة الاتهام. قال السيد جينكينز وهو يتنهد: " اثنان وعشرون عامًا"، ثم واصل قائلاً: "إننى أعرف ما تشعر به الآن، لأنها تقريبًا هى المدة التى قضيتها فى الخدمة هنا". لطالما اعتبر دانى أن السيد جنكينز عجوز، فهل سيبدو على هذا النحو بعد اثنين وعشرين عامًا، هكذا تساءل. قال الضابط، بعاطفة لم يكن يعرب عنها غالبًا: "إننى آسف من أجلك يا بنى".

قال دانى بهدوء: "أشكرك يا سيد جينكينز".

فقال جينكينز: "لم تعد الآن على ذمة القضية، ولم يعد من حقك البقاء فى زنزانة منفردة". فتح ملفًا، وراح يتفحصه لبعض الوقت. لا شىء يحدث بسرعة فى السجن. أخذ يمرر إصبعه على عمود طويل من الأسماء، متوقفًا عند خانة فارغة وقال لدانى: "سوف أودعك فى العنبر رقم ثلاثة، الزنزانة رقم ١٢٩". تفقد الاسمين اللذين يشغلانها حاليًا وأضاف: "لابد أنهما سيكونان صحبة مشوقة لك". هكذا أضاف دونما تفسير، ثم أومأ برأسه نحو ضابط شاب يقف خلفه.

قال الضابط الذى لم يره دانى قبل هذا: "كارترايت، تحرك بهمة واتبعنى".

تبع دانى الضابط على طول ردهة حجرية طويلة طليت بلون قريب من البنفسجى الفاتح لن تشترى أى مؤسسة أخرى هذا اللون بكميات كبيرة. توقفا عند بوابة مزدوجة. التقط الضابط مفتاحًا ضخمًا من السلسلة المعلقة حول خصره، وفتح البوابة الأولى وقاد دانى ليعبرا منها، وانضم إليه قبل أن يغلقها من ورائهما، ثم فتح البوابة الثانية. دخلا الآن إلى ردهة أخرى طليت جدرانها باللون الأخضر - وهى علامة معناها أنهما وصلا إلى منطقة محكمة الحراسة. كل موضع فى السجن مميز بشفرة لونية ذات معنى خاص.

اصطحب الضابط دانى إلى أن بلغا بوابة مزدوجة أخرى. تكررت هذه العملية نفسها أربع مرات أخرى قبل أن يبلغ دانى العنبر رقم ثلاثة. كان من السهل عليه أن يدرك سبب عدم هروب أى سجين من سجن بيلمارش على الإطلاق. كان لون الجدران يتحول من البنفسجى الفاتح إلى الأخضر إلى الأزرق أخيرًا عندما قام الضابط الشاب بتسليم دانى إلى ضابط معاون والذى كان يرتدى الزى الموحد الأزرق نفسه، والقميص الأبيض، ورابطة العنق السوداء، ولديه رأس حليق، رغبة فى إثبات أنه بقسوة وصلابة أى من المساجين أنفسهم.

قال مرشده الجديد بنبرة اعتيادية: "حسنًا يا سيد كارترايت، سيكون هذا بيتك خلال الثمانى سنوات القادمة على الأقل، لذا فمن الأفضل لك أن تهدأ وتستقر وتعتاد عليه. فإذا لم تتسبب لنا فى أية مشكلات لن نتسبب نحن لك فى أية مشكلات. مفهوم؟".

كرر دانى: "مفهوم يا سيدى". مستخدمًا اللقب الذى يستخدمه كل سجين مع كل حارس فى السجن لا يعرف اسمه على التحديد.

صعد دانى السلالم الحديدية إلى الطابق الأول ولم يلتق فى طريقه بأى سجين آخر. كان الجميع فى زنازينهم المغلقة عليهم – كما كان الحال على الدوام تقريبًا، أحيانًا لمدة اثنتين وعشرين ساعة يوميًا. راجع الضابط الجديد اسم دانى فى قائمة تسجيل الحضور وضحك ضحكة مكتومة عندما رأى الزنزانة التى سيقيم فيها. قال وهما يقفان أمام الزنزانة رقم ١٢٩: "لابد أن السيد جينكينز يتحلى بروح الدعابة بكل وضوح".

وهكذا تم التقاط مفتاح آخر من حلقة أخرى، ولكنه هذه المرة كان مفتاحًا ثقيلاً بما يكفى ليفتح الباب الحديدى بسمك بوصتين. دخل دانى، وانغلق الباب الثقيل من خلفه بصفقة قوية. نظر بريبة نحو السجينين الآخرين المقيمين من قبل بالزنزانة.

كان هناك رجل متين البنية يرقد نصف نائم على سرير ضيق، ووجهه للحائط. ولم يهتم حتى بإلقاء نظرة على الوافد الجديد. الرجل الآخر كان جالسًا إلى منضدة صغيرة، منهمكًا فى الكتابة. وضع قلمه، ونهض واقفًا ومد يده وهو ما فاجأ دانى.

قال: "اسمى نيك مونكريف" وهو يتحدث بثقة الضباط وليس بقلق السجناء.وأضاف مبتسما: "أرحب بك فى محل إقامتك الجديد".

أجاب دانى مصافحًا الرجل: "اسمى دانى كارترايت". ونظر نحو السرير غير المشغول.

قال مونكريف: "بما أنك آخر من وفد إلى الزنزانة فسوف تحصل على السرير العلوى، لكنك سوف تحصل على السرير التحتى فى غضون عامين". ثم قال وهو يشير نحو العملاق الراقد على الفراش الآخر: "بالمناسبة هذا آل الضخم". بدا زميل الزنزانة الآخر أكبر سنًا من نيك ببضعة أعوام. أطلق آل

الضخم صوتًا، لكنه مع ذلك لم يتجشم عناء الالتفات ليكتشف من الذى انضم إليهما. قال مونكريف: "إن آل الضخم لا يتحدث كثيرًا، ولكن ما إن تعرفه جيدًا ستجده رائعًا، لقد اقتضى منى هذا حوالى ستة شهور، ولكن لعلك ستكون أكثر توفيقا منى".

سمع دانى المفتاح يدور فى قفل الباب، وأصبح الباب الثقيل مفتوحًا من جديد.

قال صوت ما: "كارترايت، اتبعنى". خرج دانى من الزنزنة مرة أخرى وتبع ضابطًا آخر لم يره قبل هذا أبدًا. تساءل فى نفسه هل قرروا أن يضعوه فى زنزانة مختلفة بالفعل، بينما كان الحارس يقوده نازلين السلالم الحديدية من جديد، ودخلا ردهة طويلة أخرى، وعبرا مجموعة أخرى من الأبواب المزدوجة، إلى أن توقفا أخيرًا أمام باب كتب عليه كلمة مخازن. طرق الضابط طرقة شديدة على البابين الصغيرين المزدوجين، وبعدها ببرهة انفتحا من الداخل.

قال الضابط، وهو يراجع دفتره: "السجين كارترايت سى كيه ٤٨٠٢ ".

قال مدير المخازن: "اخلع ملابسك كلها، فلن تلبس أيًا منها مرة أخرى، حتى عام ٢٠٢٢" هكذا قال بعد أن نظر بسرعة نحو صحيفة الاتهام وضحك على مزحته التى يطلقها حوالى خمس مرات كل يوم، دون أن يغير إلا عدد السنوات فقط.

بعد أن خلع دانى ملابسه، سلمه زوجًا من السراويل التحتية (بخطوط حمراء وبيضاء)، وقميصين (مخططين بالأزرق والأبيض)، وسروالاً من الجينز (أزرق)، وزوجًا من القمصان القطنية (بيضاء)، وكنزة صوفية واحدة (رمادية)، ومعطفًا قصيرًا واقيًا من المطر (أسود)، وزوجًا من الجوارب (رمادية)، وسروالاً قصيرًا (رياضى أزرق) وزوجًا من القمصان التحتانية (رياضية بيضاء) وملاءتين (خضراء من النايلون) وبطانية

واحدة (رمادية)، وكيس وسادة واحدة (أخضر) ووسادة واحدة (مستديرة وصلبة)؛ والقطعة الوحيدة التى سمحوا له بالاحتفاظ بها هى حذاؤه الرياضى - الفرصة الوحيدة المتاحة للسجين لكى يختلف بأناقته عن الآخرين.

جمع مدير المخازن كل ملابس دانى وأسقطها فى كيس بلاستيكى كبير، وكتب اسم كارترايت سى كيه ٤٨٠٢ على بطاقة صغيرة ولصقها على الكيس، أحكم إغلاقه. ثم سلم دانى كيسًا بلاستيكيًا أصغر حجمًا يحتوى على قطعة صابون، وفرشاة أسنان، وشفرة حلاقة بلاستيكية للاستعمال مرة واحدة، وقطعة قماش من الفانيلا للاستحمام بها (لونها أخضر)، ومنشفة يد (خضراء اللون)، وطبق بلاستيكى (أخضر)، وسكين وشوكة وملعقة بلاستيكية لتناول الطعام. وقام بوضع علامات صواب على العديد من الخانات الصغيرة على استمارة خضراء قبل أن يناولها لدانى، مشيرًا بسبابته نحو خط بها، ومقدماً له قلمًا معضعضًا ومربوطًا بسلسلة فى المكتب. كتب دانى اسمه بخربشة غير مقروءة.

قال مدير المخازن: "ستأتى للمخازن كل يوم خميس ما بين الثالثة والخامسة مساء، وعندها سوف يتم إعطاؤك غيارًا آخر من ملابسك. أى تلف يحدث لأشيائك سوف يتم خصم الثمن الضرورى من أجرك الأسبوعى. وأنا الذى سأقرر كم يكون هذا المبلغ". هكذا أضاف قبل أن يصفق الباب ليغلقه.

التقط دانى الكيسين البلاستيكيين وتبع الضابط خلال الردهة إلى زنزانته. ما هى إلا دقائق وأغلق الباب من ورائه من جديد، دون أن يتبادلا فيما بينهما كلمة واحدة. لم يبد أن آل الضخم تحرك أى حركة فى مكانه، وكان نيك مازال جالسًا إلى المائدة الصغيرة، منهمكًا فى الكتابة.

تسلق دانى الفراش إلى المرتبة العلوية ورقد مفرود الظهر على الحشية كثيرة الكتل. بينما كان مسجونًا على ذمة القضية

خلال الأشهر الستة الماضية، سمح له بأن يرتدى ملابسه، وأن يتجول فى أنحاء الطابق الأرضى متحدثًا مع زملائه المساجين، كما سمح له بمشاهدة التليفزيون، ولعب تنس الطاولة، بل وشراء كوكا وشطيرة من ماكينة البيع – لكن هذا كله انتهى. إنه الآن سجين مدى الحياة، ولأول مرة يعرف معنى أن يفقد الإنسان حريته.

قرر دانى أن يسوى فراشه. أخذ وقته الكافى بلا تعجل، فقد بدأ لتوه يكتشف كم من الساعات فى كل يوم، و كم من الدقائق توجد فى كل ساعة وكم من الثوانى فى كل دقيقة عندما تنغلق زنزانة على المرء لا تزيد مساحتها على اثنتى عشرة قدمًا فى ثمانى أقدام، مع شخصين غريبين يقاسمانه هذه المساحة – أحدهما ضخم الجثة.

بعد أن انتهى من إعداد وتسوية فراشه، تسلق دانى عائدًا إليه من جديد، استقر وراح يحدق إلى السقف الأبيض. واحدة من المحاسن القليلة لأن يكون المرء على الفراش العلوى هى أن رأس السجين تكون مواجهة للنافذة الصغيرة ذات القضبان: البرهان الوحيد على وجود العالم الخارجى. نظر دانى من خلال القضبان الحديدية نحو العنابر الثلاثة الأخرى التى تصدر عنها جلبة، ونظر نحو باحة التمرينات وجدران عديدة عالية يعلوها السلك الشائك، تمتد إلى أقصى نقطة يمكن للبصر الوصول إليها.عاد دانى ليحدق إلى السقف. عادت أفكاره إلى بيث من جديد. لم يسمحوا له حتى بتوديعها.

سيكون حبيس هذه الحفرة الجهنمية لأسبوع ولألف أسبوع بعده، وفرصته الوحيدة للحرية تتمثل فى الاستئناف. لفت السيد ردماين انتباهه إلى أن المحكمة لن تنظر فى طلب الاستئناف إلا بعد مرور سنة على الأقل، فقوائم المحكمة مكتظة بالقضايا وطلبات الاستئناف، وكلما كان الحكم طويلاً كان على السجين أن ينتظر فترة أطول قبل أن يسمح له برفع دعوى

لاستئناف الحكم. لابد أن عامًا كاملاً سيكون مدة كافية للغاية يستطيع خلالها ردماين أن يجمع الأدلة الضرورية من أجل إثبات أن دانى برىء؟

-o-

بعد دقائق قليلة من إعلان القاضى ساكفيل للحكم، غادر ردماين قاعة المحكمة ومشى فى الردهة المفروشة بالسجاد والمغطاة بورق الحائط وتتناثر على جدرانها صور القضاة السابقين. طرق باب غرفة أخرى من غرف القضاة، ودخلها مباشرة، وارتمى على مقعد مريح فى مواجهة مكتب والده وقال بكل بساطة: "مذنب".

نهض القاضى ردماين واتجه نحو خزانة المشروبات. نزع سدادة زجاجة اختارها هذا الصباح، لهذه اللحظة، سواء فاز ابنه أم انهزم، وقال: "لعلك ستعتاد على هذا الأمر مثلى لأننى أستطيع أن أؤكد لك أنه منذ أن ألغيت عقوبة الإعدام، يتم إثبات جريمة القتل على عدد أكبر من المتهمين، وينال منهم المحلفون جميعًا بدون استثناء". صب كأسين من شراب الكروم وناول أحدهما لابنه، ثم سأله قبل أن يحتسى شربة من كأسه: "هل تنوى الاستمرار فى تمثيل كارترايت عندما ترفع هذه القضية للاستئناف؟".

أجاب آليكس مندهشًا من سؤال والده: "بالطبع أنوى الاستمرار".

قطب الرجل العجوز جبينه. "إذن فكل ما يمكننى قوله هو حظ طيب، لأنه إن لم يكن كارترايت هو من فعلها، فمن فعلها؟".

أجابه آليكس بلا تردد: "سبنسر كريج".

١٨

فى الخامسة تمامًا انفتح الباب الحديدى الثقيل مرة أخرى، مصحوبا بنداء أجش الصوت يقول: "تجمعوا" من رجل لابد وأن منصبه السابق كان رقيبًا أول للحراس.

على مدى الخمس والأربعين دقيقة التالية تم إطلاق جميع السجناء من زنازينهم. كان أمام الجميع خياران لا ثالث لهما لقضاء هذا الوقت. يمكنهم أن يفعلوا كما يفعل آل الضخم على الدوام، أن ينزلوا إلى المساحة الواسعة بالطابق الأرضى. وقد ارتمى هناك قبالة التليفزيون على مقعد جلدى كبير لا يمكن لسجين آخر أن يفكر مجرد تفكير فى أن يحتله، بينما يلعب الآخرون الدومينو، دون أن يتمكنوا من المراهنة على أى شىء إلا السجائر. والخيار الآخر هو الخروج إلى باحة التمرينات، لمن يمكنه أن يتحدى قسوة ظروف المناخ.

تم تفتيش دانى تفتيشًا شاملاً قبل أن يخطو خارج العنبر إلى باحة السجن. كان سجن بيلمارش، شأن أى سجن آخر، يموج بالمخدرات وبتجار المخدرات الذين كانوا يسرعون فى إجراء صفقاتهم خلال الوقت الوحيد فى اليوم الذى يمكن للمساجين خلاله أن يتواصلوا مع بعضهم البعض. كان نظام الدفع بسيطًا ومقبولاً من جميع المدمنين، فإن أراد المدمن جرعة حشيش، أو كوكايين، أو كوكايين مذاب، أو هيروين، ما

عليه سوى إبلاغ تاجر الجناح الذى يقيم فيه بطلباته، وباسم شخص خارج السجن يكون مستعدًا للاتصال والدفع؛ ما إن يتم تسليم المال وتسلمه، ستظهر البضاعة فى غضون يوم أو اثنين. ولأن هناك المئات من المساجين المؤقتين على ذمة قضايا مختلفة، يدخلون السجن ويخرجون منه للذهاب إلى محاكماتهم كل صباح، فهناك مئات الفرص المختلفة لإدخال المخدرات إلى السجن. يتم القبض على بعضهم متلبسين بالاتجار، مما ينتهى إلى إضافة فترة جديدة إلى مدة عقوبتهم بالسجن، غير أن العوائد المادية كانت مرتفعة للغاية، إلى درجة جعلت على الدوام عددًا من الخراف يرون أن الأمر يستحق المجازفة.

لم يبد دانى أى اهتمام بالمخدرات على الإطلاق، حتى إنه لم يكن مدخنًا. وكم حذره مدرب الملاكمة من أنه لن يعود لحلبة الملاكمة ولن يسمحوا له بدخولها إذا ضبط ولو مرة واحدة متعاطيًا للمخدرات.

شرع يسير بهمة فى محيط الفناء، وهى رقعة من النجيل الأخضر تقارب مساحتها ملعب كرة القدم. واصل بوتيرة سريعة، بما أنه كان يعرف أن هذه هى فرصته الوحيدة للقيام بأى نوع من التدريبات الرياضية، وفيما عداها هناك زيارتان كل أسبوع لصالة الألعاب الرياضية التى تكون مكتظة بالمساجين خلال هذا اليوم. راح ينظر نحو السور المرتفع بارتفاع ثلاثين قدماً والمحيط بالفناء، وعلى الرغم من أنه كان مزودًا بالأسلاك الشائكة فإن هذا لم يمنعه من التفكير فى الهرب. وإلا، فما الطريقة الأخرى التى تتيح له أن ينتقم من الملاعين الأربعة الذين كانوا مسئولين عن حرمانه من حريته؟

مرّ بعدة مساجين آخرين كانوا يسيرون بوتيرة أكثر تريثًا. لم يلفت انتباهه أحد. رأى جسدًا منفردًا يتريض أمامه وكان تقريبًا يجرى بإيقاعه السريع نفسه. مر بعض الوقت قبل

أن يدرك أنه كان نيك مونكريف، زميله الجديد فى الزنزانة، والذى كان فى لياقته البدنية نفسها كما هو واضح. ما الذى يمكن أن يلقى برجل مثله وراء القضبان، هكذا تساءل دانى. وتذكر القاعدة القديمة فى السجون ألا وهى ألا تسأل مطلقًا سجينًا آخر عن سبب دخوله السجن؛ وانتظره حتى يتطوع من تلقاء نفسه ويخبرك.

نظر دانى إلى يمينه فرأى جماعة صغيرة من سجناء سود البشرة وعراة الصدور يفترشون العشب، ويتشمسون كما لو كانوا فى رحلة سياحية على أحد شواطئ أسبانيا. لقد أمضى فى الصيف الماضى هو وبيث أسبوعين فى وستون سوبر مير، وقد أتى إليهما بيرنى كذلك، وفى كل مساء كان يبدو أنه صادق فتاة جديدة، والتى كانت تختفى مع طلوع النهار. أما دانى فلم يرفع بصره إلى فتاة أخرى منذ أن وقع بصره على بيث فى ورشة السيارات.

وحين أخبرته بيث بأنها حبلى، فوجىء دانى بالخبر وأسعده كل السعادة. بل إنه فكر أن يقترح عليها الذهاب مباشرة إلى أقرب مكتب توثيق والحصول على وثيقة زواج، ولكنه أدرك أن بيث ما كانت لتوافق على هذا، لا هى ولا أمها. فعلى كل حال كانت أسرتاهما متدينتين، وبالتالى فلابد أن يتزوجا فى دار العبادة التابعين لها، تمامًا كما فعل والدا كل منهما. ورجل الدين، الذى يعرف الأسرتين، لن يتقبل أقل من هذا.

وللمرة الأولى، تساءل دانى هل يتوجب عليه أن يفسخ خطبتهما. فعلى كل حال، لا توجد فتاة ينتظر منها أن تنتظر لاثنين وعشرين عامًا. انتوى ألا يتخذ قرارًا بهذا الشأن قبل أن ترفع قضيته للاستئناف.

⊸○⊷

لم تتوقف بيث عن البكاء منذ أن نطق كبير المحلفين

بقرارهم النهائى. لم يسمحوا لها حتى أن تقبل دانى قبلة الوداع قبل أن يأخذه ضابطان إلى زنازين قاعة المحكمة. حاولت أمها أن تهدئها فى الطريق إلى البيت، ولم يقل أبوها شيئًا.

قالت أمها: "سوف ينزاح هذا الكابوس نهائيًا بعد الاستئناف مباشرة".

قال السيد ويلسون وهو ينعطف بالسيارة فى اتجاه بيكون رود: "لا تعتمدا على هذا".

أعلن صوت بوق انتهاء مدة الخمس والأربعين دقيقة للفسحة. وتقاطر المساجين بسرعة عائدين إلى زنازينهم، عنبرًا بعد عنبر.

عندما عاد دانى إلى الزنزانة كان آل الضخم مستلقيًا بالفعل على فراشه. تبعهما نيك فى الوصول بعد دقائق قليلة، وصفق الباب من ورائه. ولن ينفتح مجددًا إلا فى وقت تناول الشاى ووجبة المساء، أى بعد أربع ساعات أخرى.

صعد دانى من جديد إلى الفراش العلوى، بينما عاد نيك إلى المقعد البلاستيكى وراء منضدة الفورمايكا. كان على وشك أن يبدأ الكتابة مجددًا، عندما سأله دانى: "ما الذى تخربشه فى أوراقك؟".

أجاب نيك: "أكتب يومياتى بانتظام، أكتب كل شىء يجرى خلال مدة سجنى".

"ولماذا ترغب فى أن تتذكر مقلب النفايات هذا؟".

"هذا يقتل الوقت. كما أننى أرغب فى أن أعمل معلمًا عند إطلاق سراحى، ومن المهم لى بالتالى أن أحتفظ بعقلى يقظًا".

تساءل دانى: "هل يسمحون لك بأن تعمل معلمًا بعد أن قضيت عقوبة فى السجن؟".

فقال نيك مبتسمًا: "لابد أنك لم تقرأ عن النقص فى أعداد المدرسين".

اعترف دانى قائلاً: "نادرًا ما أقرأ".

فقال نيك، وهو يضع قلمه على المنضدة: "لعل هذا هو الوقت الأنسب لكى تبدأ القراءة".

قال دانى: "لا يمكننى أن أرى هدفًا من وراء هذا، وخصوصًا إن كان على أن أقضى الاثنين والعشرين عاما التالية فى هذه الحفرة".

"لكنك على الأقل ستكون قادرًا على قراءة رسائل محاميك، مما سيمنحك فرصة أفضل لإعداد القضية للاستئناف".

وهنا سأل آل الضخم، بلكنة سكان جلاسويجان التى استطاع دانى أن يفهمها بالكاد: "ألن تتوقفا عن الحديث هذه الليلة؟".

فأجابه نيك ضاحكًا: "وهل هناك ما نفعله غير هذا؟".

نهض آل الضخم جالسًا، وأخرج من جيب سرواله الجينز كيس طباق، وسأل قائلاً: "إذن، ما الذى جاء بك إلى هنا يا كارترايت؟". محطما إحدى القواعد الذهبية فى السجون.

قال دانى: "جريمة قتل". وأضاف بعد توقف قصير: "ولكنهم تلاعبوا بى لصالح آخرين".

أخرج آل الضخم دفترًا من أوراق البفرة من جيبه الآخر، وأخرج واحدة ووضع بداخلها بعض الطباق، ثم قال: "نعم، نعم، هذا ما يقوله الجميع هنا".

فقال دانى: "ربما، ولكنى لم أرتكب الجريمة مع هذا". لم يلحظ أن نيك كان يسجل كتابة كل كلمة يقولها. سأله: "وماذا عنك؟".

مرَّ آل الضخم بلسانه على حافة السيجارة الملفوفة ليحزمها بلعابه، وقال: "أنا؟ أنا متخصص السطو على البنوك اللعينة، أحيانًا أفلت بالغنيمة وأصير ثريًا، وأحيانًا أخرى أقع فى الفخ.

لكن القاضى حكم على بأربعة عشر عاما هذه المرة اللعينة".

سأله دانى: "كم من الوقت مر عليك فى بيلمارش؟".

"عامان. كانوا قد نقلونى إلى سجن مفتوح لفترة، لكننى حاولت الهرب هناك، فقرروا ألا يجازفوا هذه المجازفة بفقدانى مرة أخرى، أليس لدى أحدكما قداحة؟".

قال دانى: "أنا لا أدخن".

وأضاف نيك، مستمرًا فى كتابة يومياته: "ولا أنا، كما تعلم تمام العلم".

قال آل الضخم: "لا فائدة ترجى منكما، وهكذا لن يكون بمقدورى أن أدخن سيجارة إلا بعد تناول الشاى".

سأل دانى غير مصدق: "وهكذا لن يتم نقلك أبدًا خارج سجن بيلمارش؟".

فقال آل الضخم: "ليس قبل موعد إطلاق سراحى ولو بيوم واحد، فما أن يحاول السجين الهرب من سجن مفتوح فإنهم يعيدونه إلى سجن مشدد الحراسة حتى نهاية حكمه. لا يمكننى أن ألوم هؤلاء الملاعين. فإذا ما نقلونى مرة أخرى إلى سجن مفتوح فسوف أحاول الهرب مرة أخرى". وضع السيجارة مطفأة فى فمه. "ومع ذلك، فمازال أمامى ثلاثة أعوام أخرى لنقلى إلى سجن مفتوح". قال هذا ثم عاد للرقود من جديد، موليًا وجهه للجدار.

سأل دانى نيك: "وماذا عنك؟ كم تبقى لك من وقت هنا؟".

" عامان و أربعة أشهر وأحد عشر يومًا. وماذا عنك؟".

قال دانى: "اثنان وعشرين عامًا، إلا إذا كسبت الاستئناف".

قال آل الضخم: "لا أحد يكسب الاستئناف ، ما إن يغلقوا عليك زنزانة فلا سبيل لأن يفتحوها لك مرة أخرى، لذا من الأفضل لك أن تعتاد الحياة هنا". وأخرج السيجارة المطفأة من

بين شفتيه قبل أن يضيف: "أو اخبط رأسك فى الجدران".

-o-

كانت بيث هى الأخرى راقدة على فراشها تحدق إلى السقف. سوف تنتظر دانى مهما طال الزمن. لم يكن يساورها الشك فى أنه سوف يكسب الاستئناف، وسوف يقتنع والدها أخيرًا بأن كلاً منهما كان يقول الحقيقة.

لقد أكد لها السيد ردماين أنه سوف يواصل تمثيل دانى فى الاستئناف وأنه لا ينبغى لها أن تقلق بخصوص النفقات. كان دانى على حق عندما اعتبر السيد ردماين جوهرة نادرة. كانت بيث قد أتت على كل مدخراتها وأتت كذلك على أيام إجازاتها السنوية بحيث تتمكن من حضور كل يوم من أيام المحاكمة. ما جدوى الإجازة السنوية إن لم تتمكن من قضائها مع دانى؟ كان رئيسها فى العمل متفهمًا إلى أقصى حد وقال لها ألا تعود للعمل قبل أن تنتهى المحاكمة. إذا كانت براءة دانى قد ثبتت، فإن رئيسها السيد توماس أخبرها بأنها يمكنها أن تأخذ أسبوعين آخرين إجازة من أجل قضاء شهر العسل.

لكن بيث سوف تعود إلى مكتبها فى العمل صباح يوم الاثنين، وسوف يتم تأجيل شهر العسل لمدة عام على الأقل. فمع أنها أنفقت كل مدخرات عمرها على مهمة الدفاع عن دانى، فمازالت تنوى أن ترسل له بعض النقود أول كل شهر، لأن الراتب الذى يدفعونه فى السجن اثنا عشر جنيهًا فى الأسبوع لا أكثر.

نادت عليها أمها من المطبخ تسألها: "هل تريدين قدحًا من الشاى يا حبيبتى؟".

-o-

"وقت الشاى!" صاح صوت بينما ينفتح الباب، للمرة الثانية خلال اليوم نفسه. التقط دانى طبقه البلاستيكى وقدحه وتبع نهرًا متدفقًا من المساجين يشقون سبيلهم نزولاً للسلالم للالتحاق بطابور فى ركن المطبخ وإعداد الطعام.

كان هناك ضابط يقف فى صدارة الطابور، لا يسمح لأكثر من ستة مساجين بالتقدم إلى الموقد فى كل مرة.

شرح له نيك الأمر وهما يقفان فى الصف: "تثار مشاجرات حول الطعام أكثر من أى شىء آخر".

قال آل الضخم: "وإن لم يكن فى المطبخ ففى صالة الألعاب".

وأخيرًا أمر كل من دانى ونيك بالالتحاق بأربعة مساجين آخرين أمام الموقد لتناول طعامهم. وراء النضد كان يقف خمسة مساجين يرتدون زيًا موحدًا أبيض اللون وقبعات بيضاء، ويضعون قفازات مطاطية. سأل نيك وهو يقدم طبقه: "ما الخيارات المتاحة للعشاء الليلة؟".

قال أحد المساجين الذين يعملون وراء النضد: "يمكنك أن تأخذ السجق مع الفاصوليا، أو اللحم مع الفاصوليا، أو فطائر اللحم المحمر مع الفاصوليا أيضًا. قرر اختيارك يا زميل".

قال نيك: "سأتناول فطائر اللحم المحمر بدون الفاصوليا، شكرًا لك".

قال دانى: "وأنا سآخذ الشىء نفسه، ولكن مع الفاصوليا".

سأل السجين الطاهى: "ومَنْ سيادتك؟ أخوه التوأم؟".

ضحك كل من دانى ونيك، فرغم المزحة كان لهما الطول نفسه، ونفس العمر تقريبًا، وفى الملابس الموحدة لزى السجن ظهرا متماثلين تقريبًا. وعلى كل حال، كان نيك دائمًا حليقًا وشعره منسقًا ومصففًا، فى حين دانى لا يحلق إلا مرة كل أسبوع وكان شعره كما يقول آل الضخم: "يشبه فرشاة تنظيف

الحمام". كانا يشقان طريقهما ببطء من جديد على السلالم اللولبية فى الطابق الأول، سرعان ما اكتشف دانى أنه كلما خرج السجناء من زنازينهم تصبح خطواتهم بطيئة، عندما سأل دانى: "كيف يمكن للمرء أن يحصل على عمل بالمطبخ؟".

" لابد أن تكون موثوقًا بك".

"وكيف تكون موثوقا بك؟".

فقال نيك: "فقط تأكد من عدم رفع تقرير عنك أبدا".

"وكيف ينجح المرء فى هذا؟".

"لا تتفوه بكلام ناب فى وجه أى ضابط، كن فى العمل فى الموعد المحدد، ولا تتورط فى مشاجرات على الإطلاق. إذا نجحت فى القيام بهذا كله ستصير موثوقا بك فى غضون العام، ولكنك مع هذا لن تحصل على عمل فى المطبخ".

"ولمَ لا؟".

قالَ آل الضخم، من خلفهما: "لأن هناك ألف سجين لعين فى هذا السجن، وتسعمائة منهم يرغبون فى العمل بالمطبخ، لأن الذى يعمل بالمطبخ يكون خارج زنزانته أغلب اليوم، وينال أفضل طعام. لذا فلتنس هذا الطموح أيها الصبى، دانى".

فى الزنزانة، تناول دانى طعامه فى صمت، وفكر كيف يمكنه أن يصير موثوقًا بوتيرة أسرع. بعد أن وضع آل الضخم آخر قطعة من السجق فى فمه نهض وسار فى الزنزانة، واتجه صوب قاعدة المرحاض وأنزل سرواله الجينز وجلس إليها. توقف دانى عن الطعام، وأشاح نيك بنظره حتى ينتهى آل ويجذب الشطاف. قام آل الضخم واقفًا بعدها، وأغلق سحاب سرواله الجينز، واستلقى على طرف حافة فراشه وشرع يلف سيجارة أخرى.

نظر دانى نحو ساعة يده: السادسة إلا عشر دقائق. كان غالبًا ما يمر على محل عمل بيث فى الوقت نفسه تقريبًا. نظر نحو بقايا الطعام فى طبقه. كانت أم بيث تعد أفضل سجق وألذ

بطاطس مهروسة فى منطقة بو كلها.

سأل دانى: "ما الأعمال الأخرى المتوفرة؟".

اعترض آل الضخم متسائلاً: "أمازلت تتحدث فى هذا الموضوع؟".

ضحك نيك من جديد بينما أشعل آل الضخم سيجارته.

قال نيك: "يمكنك أن تحصل على عمل بالمخازن، أو تتعهد بنظافة أحد الأجنحة، وأغلب الظن أنك سوف تنتهى إلى خط تعبئة الطعام".

سأل دانى: "خط تعبئة الطعام، وما هذا؟".

قال نيك: "سرعان ما سوف تكتشف بنفسك".

سأل دانى: "وماذا عن صالة الألعاب؟".

فقال آل الضخم، وهو يأخذ نفسًا من السيجارة: "لابد أن تكون موثوقًا بك من أجل ذلك أيضًا".

سأل دانى: "وما العمل الذى حصلتما عليه إذن؟".

أجاب آل الضخم، وهو يطلق دخان سيجارته، معبئًا الزنزانة بالدخان: "أنت تسأل أسئلة أكثر من اللازم".

فقال نيك: "آل الضخم يعمل بالمستشفى".

قال دانى: "يبدو ذلك عملاً يسيرًا".

"أبدًا، يتوجب على أن أفرك الأرضيات حتى تلمع، وأن أفرغ القاذورات، وأن أعد للمهام الصباحية المعتادة، وأن أعد الشاى لكل حارس وضابط يأتى لمؤانسة رئيسة المرضات. إننى لا أتوقف أبدًا عن الحركة من هنا إلى هناك، مع أننى موثوق به، أليس كذلك؟".

قال نيك مبتسمًا: "وهذه وظيفة بها قدر عالٍ من المسئولية. لابد أن يكون سجلك نظيفًا تمامًا فيما يتعلق بالمخدرات، وقد أثبت آل الضخم أنه لا صلة له بالمخدرات".

قال آل الضخم: "هذا حقيقى تمامًا، فلا صلة لى بالمخدرات اللعينة، وسوف أحطم ضلوع أى شخص يحاول سرقة مخدرات

من المستشفى".

سأل دانى محبطًا: "أهناك أى وظيفة أخرى تستحق التفكير؟".

قال نيك: "التعليم، إذا ما قررت أن تنضم إلىَّ يمكنك أن تحسن من قدراتك فى القراءة والكتابة. وفى الوقت نفسه يدفعون لك راتبًا على هذا".

قاطعه آل الضخم قائلاً: "صحيح، ولكنه ثمانية جنيهات فقط فى الأسبوع، وتحصل على اثنى عشر جنيهًا لأى وظيفة أخرى. لا يوجد الكثيرون هنا يمكنهم الاستغناء عن أربعة جنيهات أخرى، مثل شريكنا هنا، من مصروف جيبهم".

أراح دانى رأسه على الوسادة المتخشبة وحدق إلى النافذة الصغيرة الخالية من الستائر. أمكنه أن يسمع دوى طرقات شديدة من زنزانة قريبة، وتساءل هل بوسعه أن ينام فى ليلته الأولى من مدة عقوبته الاثنين والعشرين عامًا.

١٩

دار مفتاح فى قفل الباب الحديدى الثقيل ثم انفتح بقوة.

"كارترايت، أنت فى خط تعبئة الطعام. فلتسجل حضورك أمام الضابط المسئول فى الحال".

بدأ دانى يقول: "ولكن..".

قال له نيك وقد اختفى الحارس: "لا جدوى من الجدال، ابق معى، وسوف أدلك على الإجراء المضبوط".

لحق نيك ودانى بتيار من السجناء الصامتين، ممن كانوا يتوجهون جميعًا للاتجاه نفسه. عندما بلغوا نهاية الردهة، قال نيك: "هذا هو المكان الذى يتوجب عليك أن تسجل فيه حضورك فى الثامنة من صباح كل يوم، وسجل نفسك من أجل أن تعرف تفاصيل عملك".

" ما هذا المكان بحق السماء؟" هكذا تساءل دانى محدقًا إلى قاعة زجاجية سداسية الأضلاع تهيمن على المكان.

قال نيك: "إنها الفقاعة، بحيث يتمكن الحراس طوال الوقت من مراقبتنا، ولكننا لا نستطيع أن نراهم".

قال دانى: "هل يوجد حراس بداخله هناك؟".

فأجاب نيك: "بالطبع، حوالى الأربعين، كما قد قيل لى. يرون كل شىء رؤية واضحة، كل شىء يحدث فى العنابر الأربعة كلها، بحيث إنه لو وقع أى شغب أو ثارت أى مشكلة،

يمكنهم التحرك والتدخل للتعامل مع الأمر فى غضون دقائق من وقوعه".

تساءل دانى: "هل شهدت من قبل حالة شغب؟"

أجاب نيك: "مرة واحدة فقط، ولم يكن مشهدًا يسر الناظرين. هنا نفترق. سأذهب لعملى فى التدريس، أما خط تعبئة الطعام ففى الاتجاه المقابل. إذا واصلت السير فى الممر الأخضر ستصل إلى المكان الصحيح".

أومأ دانى برأسه وتبع مجموعة من السجناء بدا عليهم أنهم يعرفون طريقهم تمام المعرفة، ومع هذا فإن النظرات الكئيبة على وجوههم والإيقاع الذى كانوا يسيرون به كانا يوحيان بأنهم يفكرون فى سبل أفضل من هذا بكثير لقضاء صباح يوم أحد.

عندما بلغ دانى نهاية الممر، وجد ضابطًا يحمل أوراقًا بمسند مقوى، ذلك الورق المعهود والذى لابد منه، وكان يرشد السجناء نحو غرفة مستطيلة الشكل، تبلغ مساحتها تقريبًا مساحة ملعب كرة السلة، وبالداخل كانت هناك ست مناضد طويلة من اللدائن، أمامها ما يقارب العشرين مقعدًا بلاستيكيًا مصفوفة حول كل جانب من جوانب المناضد. سرعان ما امتلأت المقاعد بالسجناء، إلى أن شغلت كل الأماكن تقريبًا.

تساءل دانى: "أين أجلس؟".

قال الضابط: "اجلس فى المكان الذى يعجبك، فليس هناك أى فارق فى ذلك".

وجد دانى مقعدًا خاليًا ولبث هناك ساكنًا بينما يراقب ما يحدث حوله.

قال الرجل الجالس إلى يساره: "أنت جديد".

"وكيف عرفت ذلك؟".

"لأننى كنت أعمل فى خط تعبئة الطعام على مدى الثمانية

أعوام الماضية".

ألقى دانى نظرة نحو الرجل ذى الجسد النحيل ولكن القوى، والميال للقصر، ببشرته التى تشبه فى شحوبها صفحة الورق البيضاء. كانت عيناه زرقاوين بلون المياه، وشعره مقصوص قصيرًا وناعمًا. قال الرجل معرفًا نفسه: "ليام".

"دانى".

تساءل ليام: "هل أنت أيرلندى؟".

" كلا، أنا من حى إيست إند، من الأحياء الفقيرة بلندن، ولدت على مبعدة أميال من هذا المكان، ولكن جدى كان أيرلنديًا".

ابتسم ليام ابتسامة كبيرة وقال: "هذا يسعدنى كثيراً".

فسأله دانى: "ماذا سيحدث بعد ذلك؟".

قال ليام: "أترى هؤلاء السجناء الواقفين عند نهاية كل منضدة؟ إنهم المزودون. يقومون جميعًا بوضع دلو أمامنا. هل ترى كومة الأكياس البلاستيكية على الطرف الآخر من المنضدة؟ سوف تمر كلها حتى المنتصف، وكل منا يقوم بوضع الشىء الذى فى دلوه أيًا كان فى كل واحد منها ثم يمرره لمن يليه".

بينما كان ليام يتحدث، صدر صوت بوق. ثم وضع السجناء ذوو العلامة الصفراء على أذرعهم الدلاء البلاستيكية البنية أمام كل سجين من السجناء الجالسين. كان دلو دانى ممتلئًا بأكياس الشاى الصغيرة، نظر نحو دلو ليام فوجده ممتلئا بقطع الزبد المغلفة. بدأت الأكياس البلاستيكية تتقدم ببطء على طول المنضدة من سجين إلى آخر، وداخل كل كيس تباعًا تم إسقاط عبوة حبوب أرز الإفطار، وقطعة الزبد المغلفة، وكيس الشاى، وأكياس صغيرة من الملح، والفلفل و قطعة مربى مغلفة، وعندما بلغت الأكياس نهاية المنضدة، كان سجين آخر ينسقها فى صينية ويحملها إلى غرفة الطعام.

شرح ليام الأمر قائلاً: "سيتم إرسالها إلى سجن آخر، وسوف ينتهى أمرها لتكون وجبة إفطار سجين آخر فى مثل هذا الوقت من الأسبوع القادم".

بلغ السأم بدانى منتهاه بعد مضى دقائق معدودة، وكان من الممكن له أن يقتل نفسه ضجرًا مع نهاية اليوم لولا وجود ليام، الذى راح يقدم تعليقات لا نهاية لها على كل ما يجرى بداية من كيف يمكن للسجين أن يصير موثوقًا به وانتهاء بكيف يمكن للسجين أن يجد نفسه فى الحبس الانفرادى، وكان حديثه يدفع جميع من حوله على المنضدة إلى نوبات من الضحك".

سأل: "هل أخبرتك عن المرة التى عثر فيها الحراس على زجاجة مشروب كروم قوى فى زنزانتى؟".

أجاب دانى على سبيل التشجيع فى الحديث: "كلا".

"بالطبع رفعوا عنى تقريرًا، ولكن فى نهاية الأمر لم يتمكنوا من إثبات أى تهمة علىّ".

تساءل دانى: "ولمَ لا؟"، وانتبه جميع من بالقاعة انتباهًا شديدًا نحو ليام، علَى الرغم من أنهم سمعوا تلك الحكاية مرات لا تحصى.

"قلت للمأمور أن أحد الحراس قد دس تلك الزجاجة فى زانزنتى لأنه ينقم علىَّ".

اقترح دانى: "ولماذا ينقم عليك؟ ألأنك أيرلندى؟"

"كلا، فقد جربت تلك الحيلة أكثر من اللازم، لذا كان على أن أبتكر شيئا أكثر براعة".

قال دانى: "مثل ماذا؟"

"قلت إن الحارس فعل ذلك نقمة علىَّ لأننى عرفت أنه يميل للرجال وأنه معجب بى، ولكننى كنت أرفضه وأرفض تحرشه بى باستمرار".

تساءل دانى: "وهل كان فعلاً ميالاً للرجال؟". انطلق العديد من السجناء فى الضحك.

قال ليام: "لم يكن بالطبع أيها المغفل، ولكن آخر شيء يرغب فيه المأمور هو إجراء تحقيق شامل حول الميول الحميمة لأحد حراسه. فإن هذا معناه أكوام من التقارير والأعمال المكتبية، وخلال إجرائها يتلقى الحارس إجازة براتب كامل. الأمر كله موضح بأدق التفاصيل فى قوانين السجن".

أسقط دانى كيس شاى آخر فى الكيس البلاستيكى، وسأله: "فما الذى حدث إذن؟".

"رقم واحد ألغى المأمور التهمة ورقم اثنان لم يظهر ذلك الحارس فى العنبر الذى أقيم به بعد ذلك مرة ثانية أبدًا".

وهنا ضحك دانى لأول مرة منذ أن دخل السجن.

بينما يوضع دلو جديد من أكياس الشاى أمام دانى، همس له ليام: "لا تتطلع ببصرك نحو أعلى". انتظر ليام حتى تناول الحارس الذى يضع شارة صفراء على ذراعه الدلاء الفارغة من أمامهم، قبل أن يقول: "إذا اعترضت ولو مرة على هذا اللعين فلتعتبر نفسك فى عداد الموتى".

تطلع دانى خلسة نحو الرجل نحيل الوجه حليق الرأس والذى غطى ذراعيه بالأوشام، رآه يغادر القاعة حاملاً مجموعة من الدلاء الفارغة، وتساءل: "ولماذا؟".

قال ليام: "اسمه كيفين ليتش. تحاشاه بأى ثمن، فهو مشكلة، مشكلة ضخمة".

بينما رجع ليتش إلى نهاية القاعة وبدأ يضع الدلاء من جديد، سأل دانى: "أى نوع من المشكلات؟".

"لقد عاد إلى منزله من العمل مبكرًا وضبط زوجته فى الفراش مع أعز أصدقائه. وبعد أن أشبعهما ضربًا، قيدهما إلى أعمدة الفراش وانتظر حتى استرد كل منهما وعيه وبدأ يطعنهما بسكين المطبخ - طعنة واحدة فقط كل عشر دقائق. بدأ طعناته من الكاحل، ثم انتقل ببطء شديد للأجزاء العليا من الجسد حتى وصل لقلبيهما. يظنون أن الأمر امتد إلى

ست أو سبع ساعات قبل أن يموتا. وأخبر القاضى أنه فقط كان يحاول أن يثبت لزوجته الساقطة كم كان يحبها. شعر دانى بالغثيان. حكم عليه القاضى بالسجن مدى الحياة، بتوصية بألا يتم إطلاق سراحه مطلقا. لن ير النور خارج هذا السجن إلا بعد ما يخرج منه إلى قبره". توقف ليام قليلاً، ثم تابع قائلاً: "يخجلنى أن أقول إنه أيرلندى. ولهذا فلتأخذ حذرك، فمهما ارتكب من جرائم لا يمكنهم أن يضيفوا ولو يومًا واحدًا إلى حكم بالسجن مدى الحياة، وعلى هذا فلا يهمه إذا قام بتمزيق أحدهم تمزيقًا".

لم يكن سبنسر كريج من الرجال الذين يعانون التشكك فى أنفسهم أو ممن يصابون بالذعر تحت وطأة الضغوط، غير أن الأمر نفسه لا ينطبق على لورانس دافنبورت أو توبى مورتيمر.

كان كريج مدركًا للشائعات التى تدور فى أرجاء دار القضاء، محكمة أولد بيلى، حول الدليل الذى قدمه خلال محاكمة كارترايت؛ كانت مجرد همسات فى الوقت الحالى، لكنه لا يمكنه أن يتحمل تبعة تحول تلك الهمسات إلى حكايات وأساطير.

كان متأكدًا من أن دافنبورت لن يسبب أية مشكلات لهم مادام يلعب دور الطبيب بيريزفور فى مسلسل الوصفة الطبية. فعلى كل حال فإنه يعشق أن يكون معشوقًا للملايين المعجبين والمعجبات ممن يشاهدونه مساء كل يوم فى التاسعة مساء، ناهيك عما يوفره له المسلسل من دخل يكفل له معيشة لم يعشها أى من والديه؛ فقد كان والده منادى سيارات وكانت والدته معاونة للأطفال فى عبورهم للطريق، والحقيقة أن بديل هذه الحياة كان تمضية فترة عقوبة طويلة فى السجن نتيجة للحنث باليمين والشهادة الزور، وهى حقيقة لابد أن

تهيمن على عقله بطريقة ما، وإلا فسيكون على كريج أن يذكره بما قد يواجهه وراء القضبان إن اكتشف السجناء الآخرين أنه يميل للرجال.

كان توبى مورتيمر يمثل مشكلة من نوع آخر. فكان قد بلغ مرحلة يمكنه فيها أن يقدم على أى شىء من أجل حقنته التالية. كان كريج ليس لديه أدنى شك فى أنه حين يتبدد ميراث توبى فإنه سيكون أول أفراد جماعة الفرسان فى الانقلاب عليه.

وحده جيرالد بين كان ثابت العزم. فعلى كل حال، كان مازال يطمح إلى منصب نائب فى البرلمان، لكن الحقيقة هى أنه سوف يمضى وقت طويل للغاية قبل أن يعود جماعة الفرسان إلى سابق عهدهم، وأن يتمتعوا بالعلاقة نفسها التى كانت لهم قبل عيد ميلاد جيرالد الثلاثين.

انتظرت بيث على الرصيف حتى تأكدت من خلو المبنى. نظرت هنا وهناك فى الشارع قبل أن تتسلل إلى داخل المتجر. اندهشت بيث من مقدار عتمة الغرفة الصغيرة، ولزمها بضع دقائق حتى تتعرف على الرجل المألوف لها والواقف وراء الشباك الحديدى.

اقتربت بيث من النضد، فقال السيد اسحاق: "يا لها من مفاجأة سارة، ما الذى يمكننى أن أقدمه لك؟".

"أحتاج لرهن شىء ما، ولكننى أريد أن أتأكد من قدرتى على استرداده مرة أخرى".

قال السيد إسحاق: " ليس مسموحًا لى أن أبيع أى شىء لمدة ستة شهور على الأقل، وإذا كنت ترغبين فى مدة أطول قليلاً من هذه لا بأس على الإطلاق".

ترددت بيث للحظات، قبل أن تخلع الخاتم من إصبعها وتناوله له من تحت الشباك المعدنى.

تساءل رجل الرهونات: "هل أنت واثقة من ذلك؟".

قالت بيث: "ليس أمامى خيار آخر، موعد استئناف قضية دانى يقترب وأنا بحاجة...".

" يمكننى على الدوام أن أقرضك..".

قالت بيث: "كلا، لن يكون هذا صائبًا".

تنهد السيد إسحاق. التقط عدسته المكبرة وراح يتفحص الخاتم لبعض الوقت قبل أن يدلى برأيه. قال: "إنها قطعة رائعة، لكن بكم من المال تتوقعين أن ترهنيها؟".

قالت بيث آملة: "خمسة آلاف جنيه".

واصل السيد إسحاق فحصه للجوهرة بكل اعتناء، على الرغم من أنه قد باع الخاتم بنفسه لدانى مقابل مبلغ أربعة آلاف جنيه منذ أقل من العام.

وبعد مزيد من التفكير قال إسحاق: "نعم، يبدو هذا بالنسبة لى ثمنًا مناسبًا". وضع الخاتم تحت النضد الزجاجى، وأخرج دفتر الشيكات.

"هل يمكننى أن أطلب منك خدمة يا سيد إسحاق، قبل أن توقع الشيك؟".

قال رجل الرهونات: "نعم، بالطبع".

"هل تسمح لى باقتراض الخاتم يوم الأحد الأول من كل شهر؟".

قال نيك: "أكان يومك سيئًا؟".

" أسوأ مما تتخيل. لولا ليام اللص، لكنت سقطت فى النعاس وانتهى بى الأمر إلى رفع تقرير عنى".

قال آل الضخم وهو يتقلب تقلبًا خفيفًا دون أن يتجشم عناء الالتفات نحوهما تمامًا: "قضيته مثيرة ليام هذا، كل عائلته من اللصوص. لديه ستة أشقاء وثلاث شقيقات، وذات مرة كان

خمسة من أشقائه واثنان من شقيقاته جمعيهم فى السجن فى الوقت نفسه. تلك الأسرة اللعينة لابد وأنها كلفت دافعى الضرائب من المواطنين المساكين أكثر من مليون جنيه".

ضحك دانى، ثم سأل آل ليتش: "ما الذى تعرفه عن كيفين ليتش؟".

نهض آل الضخم منتصبا فى جلسته على الفور. "إياك وأن تتلفظ بهذا الاسم خارج هذه الزنزانة. إنه معتوه تماما. يمكنه أن يقطع رقبتك من أجل قطعة شيكولاتة، وإذا ما ضايقته أهون مضايقة..". تردد قليلاً قبل أن يقول". كان عليهم أن ينقلوه خارج سجن جارسايد، لمجرد أن سجينًا آخر أشار له بإصبعيه بعلامة النصر".

قال نيك وهو يكتب كل كلمة قالها آل الضخم: "يبدو هذا مبالغاً فيه قليلا".

"لن تقول هذا إذا عرفت أن ليتش قطع له إصبعيه الذى أشار بهما بعلامة النصر".

قال نيك متطلعًا ببصره: "هذا ما فعله الفرنسيون مع رماة السهام الإنجليز فى معركة آجينكورت".

قال آل الضخم: "يا له من أمر مثير للتشويق".

صدر صوت البوق، وانفتح باب الزنزانة ليسمح لهم بالنزول لجلب وجبة عشائهم. أغلق نيك دفتر يومياته ودفع مقعده للوراء، لاحظ دانى للمرة الأولى أن نيك يضع سلسلة فضية حول عنقه.

٥

قال القاضى ردماين لابنه آليكس: "ثمة شائعة تدور فى ردهات محكمة أولد بيلى بأن سبنسر كريج لم يكن صريحًا وأمينًا فى الشهادة التى قدمها فى قضية كارترايت. أتمنى ألا تكون أنت مصدر هذه الشائعة بأى شكل".

أجاب آليكس: "ليس علىَّ أن أفعل هذا، فذلك الرجل لديه أعداء كثيرون مستعدون للترويج لمثل هذه الأقاويل".

"وعلى الرغم من هذا، بما أنك مازلت مشتركًا فى هذه القضية، فليس من الحكمة أن تسمح لآرائك الشخصية أن تظهر بين زملائك فى المحكمة".

"حتى ولو كان مذنبًا؟".

"حتى ولو كان الشيطان نفسه".

⊸o⊷

عند نهاية الأسبوع الأول من سجن دانى، كتبت بيث أول رسائلها إليه، آملة أنه سيتمكن من العثور على شخص ما يقرؤه له. وضعت بالمظروف عملة فئة العشرة جنيهات قبل أن تغلق المظروف. نوت أن تكتب له مرة كل أسبوع، جنبًا إلى جنب زيارته فى يوم الأحد الأول من كل شهر. شرح لها السيد ردماين أن السجناء المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة، لا يسمح لهم إلا بزيارة واحدة فقط كل شهر خلال السنوات العشر الأولى من فترة عقوبتهم.

وفى الصباح التالى وضعت المظروف فى صندوق البريد عند نهاية طريق بيكون قبل أن تلحق بحافلة رقم ٢٥ لتأخذها إلى وسط المدينة. لم يذكر اسم دانى على الإطلاق فى منزل آل ويلسون، لأن ذكره كان يجعل أباها يفقد صوابه. مست بيث بطنها، وتساءلت ترى أى مستقبل ينتظر طفلاً لا أمل أمامه فى رؤية والده إلا مرة كل شهر بينما هو فى السجن، وتمنت أن يكون الجنين بنتًا.

⊸o⊷

قال آل الضخم: "عليك أن تقص شعرك".

قال دانى: "ما الذى تتوقع منى القيام به؟ أن أطلب من

السيد باسكو أن آخذ إجازة صباح السبت القادم من السجن، بحيث أتمكن من المرور على صالون سامى للحلاقة فى شارع مايل إند ليحلق لى رأسى بالطريقة المعتادة".

قال آل الضخم: "لا داعى لذلك، ما عليك إلا أن تضع نفسك بين يدى لويس".

سأل دانى: "ومَنْ لويس هذا؟".

قال آل الضخم: "حلاق سجين، إنه يقص شعر خمسة مساجين فى العادة خلال فسحة الخمس والأربعين دقيقة اليومية، ولكن لأنه شديد الرواج والشعبية عليك أحيانًا أن تنتظر لمدة شهر قبل أن يحلق لك رأسك، وبما أن سيادتك غير مرتبط بأى شىء ملح خلال السنوات العشرين القادمة، فإن هذه الفترة لن تمثل مشكلة. ولكن إن أردت أن تقفز على الطابور وتسبق موعدك المحدد فإنه يأخذ ثلاث سجائر لرأس محلوق تمامًا، وخمس لتقصير مؤخرة الرأس والجانبين فقط. أما صاحبنا هذا"، هكذا قال وهو يشير نحو نيك الذى كان مستندًا على الوسادة وغارقا فى قراءة كتاب وقال مواصلاً: "عليه أن يسلمه عشر سجائر على أساس أنه مازال يتمنى الاحتفاظ بمظهر يشبه مظهر ضابط أو نبيل من النبلاء".

قال دانى: "بالنسبة لى سيكون مناسبًا تقصير مؤخرة الرأس والجانبين وكفى، ولكن ما الذى يستخدمه فى الحلاقة؟ لا أتخيل أنه يستخدم فى قص شعرى سكينًا من البلاستيك وشوكة من البلاستيك".

وضع نيك كتابه جانبًا وقال: "الدى لويس عدة الحلاقة المعتادة كلها – مقص، ومشابك، وحتى شفرة حلاقة".

تساءل دانى: "وكيف يفلت بهذا كله؟".

قال آل الضخم: "إنه لا يفلت بها أصلا، يسلمها له أحد الحراس عند بداية كل فسحة ثم يأخذها منه قبل عودة المساجين إلى عنابرهم. وقبل أن تسأل إن كان من الممكن فقد

أى قطعة من هذه القطع، أقول لك إن لويس سوف يفقد عمله عندها وأن كل زنزانة سوف تفتش حتى تظهر الأشياء المفقودة".

سأل دانى: "وهل هو بارع؟".

قال آل الضخم: "قبل أن يئول أمره إلى المكان هنا كان لويس يعمل فى منطقة ماى فير الراقية، ويأخذ على رأس مثل رءوسنا خمسين جنيهًا".

تساءل دانى: "وكيف يمكن لشخص مثل هذا أن ينتهى وراء القضبان؟".

قال نيك: "جريمة سرقة".

قال آل الضخم: "لا سرقة ولا شىء يشبهها، إنها الممارسات المثلية على الأغلب. تم القبض عليه وسرواله مخلوع فى منطقة هامبستيد هيث، وبالمناسبة لم يكن يتبول عند وصول الشرطة".

قال دانى: "ولكن إن كان السجناء يعرفون أنه مثلىّ كيف ينجو ويواصل حياته فى مكان كهذا؟".

قال آل الضخم: "سؤال وجيه، فى أغلب السجون الأخرى، عندما يدخل أحد هؤلاء المثليين ليأخذ حماما فإن السجناء يتناوبون عليه، ثم يمزقونه إربا".

تساءل دانى: "وما الذى يمنعهم عن فعل هذا هنا؟".

قال نيك: "من الصعب الحصول على حلاق بارع فى السجن".

قال آل الضخم: "صاحبنا على حق هذه المرة، فآخر حلاق مر بالسجن كان شخصًا بشعًا ومخيفًا، ولم يكن المساجين يشعرون بالاسترخاء وهم تحت يديه، وهو ممسك بشفرة الحلاقة، والحقيقة أن بعضهم كان يفضل البقاء بشعر طويل للغاية على أن يحلق له".

٢٠

قال السيد باسكو، ضابط الجناح: "رسالتان من أجلك يا كارترايت". وناول دانى مظروفين وأكمل قائلاً: "وبالمناسبة، وجدنا ورقة مالية فئة عشرة جنيهات مرفقة بإحدى الرسالتين. وضعت النقود فى حسابك بالمقصف، ولكن أخبر خطيبتك أن عليها فى المستقبل أن ترسل أمرًا بريديًا لمكتب المأمور وسوف يضعون المال فى حسابك مباشرة".

انغلق الباب الثقيل بقوة.

قال دانى ناظرًا نحو المظروفين الممزقين: "لقد فتحوا رسائلى".

قال آل الضخم: "هكذا يفعلون دائمًا، كما أنهم يتنصتون على المحادثات الهاتفية".

سأل دانى: "ولماذا؟".

" على أمل أن يمسكوا بأى شخص متورط فى الاتجار بالمخدرات، والأسبوع الماضى أمسكوا بلعين أحمق يخطط لعملية سطو فى اليوم التالى لموعد خروجه من السجن".

أخرج دانى الرسالة الموجودة فى أصغر المظروفين. كانت مكتوبة بخط اليد، وافترض أنها من بيث ولا شك. الرسالة الثانية كانت مكتوبة على الآلة الكاتبة، لكنه لم يكن يعلم هذه المرة من مرسلها. رقد على فراشه العلوى لبعض الوقت

متدبرًا المشكلة الواقع فيها إلى أن استسلم أخيرًا.

طلب بهدوء: "نيك، أيمكنك أن تقرأ لى".

أجاب نيك: "بالطبع يمكننى وسأقرؤهما من أجلك".

ناول دانى الرسالتين لنيك. وضع نيك القلم، وفض الرسالة المكتوبة بخط اليد أولاً، وتفقد التوقيع فى نهاية الصفحة. قال: "هذه الرسالة من بيث" أومأ دانى برأسه.

قرأ نيك: "عزيزى دانى، لم يمض إلا أسبوع لكننى أفتقدك بشدة بالفعل. كيف أمكن للمحلفين أن يقترفوا ذلك الخطأ الفظيع؟ لماذا لم يصدقونى؟ لقد ملأت الوثائق والاستمارات اللازمة وسوف آتى لزيارتك أصيل يوم الأحد المقبل، وستكون هذه هى فرصتى الوحيدة لآراك قبل موعد ولادة طفلنا. تحدثت أمس إلى ضابطة وكانت فى غاية العون والدعم لى. أمك وأبوك كلاهما بخير ويرسلان لك حبهما، وهكذا أمى أيضًا. أنا واثقة أن أبى سوف يلين ويغير موقفه بمرور الوقت، وخاصة بعد أن تكسب الاستئناف. أفتقدك بشدة، أحبك كل الحب، أحبك، أحبك. أراك يوم الأحد، بيث، قبلاتى".

رفع نيك نظره نحو دانى الذى كان محدقًا إلى السقف وسأله: "هل تود منى أن أقرأه لك مجددًا؟".

"كلا".

"فض نيك الرسالة الثانية، وقال: "هذه من آليكس ردماين. أمر غريب جدا".

تساءل دانى وهو ينهض: "ماذا تقصد؟".

"لا يكتب المحامون عادة رسائل مباشرة إلى موكليهم. فهم يتركون هذا لوكيل المكتب. إنها رسالة خاصة وسرية. هل أنت واثق من أنك ترغب فى إطلاعى على مضمون هذه الرسالة؟".

قال دانى: "اقرأها".

"العزيز دانى، سوف أعمل على أن أطلعك أولاً بأول على

مستجدات دعوى الاستئناف الخاصة بك. لقد أنهيت جميع الإجـراءات الضرورية وسوف أتلقى اليوم رسالة من مكتب رئيس مجلس اللوردات للتأكيد على أن اسمك قد تم إدراجه على القائمة. ومع ذلك فلا أحد يعرف الفترة التى سوف تستغرقها هذه العملية، وعلى أن أحذرك أن المدة قد تصل إلى عامين كحد أقصى. مازلت أتتبع كل الأدلة والخيوط على أمل أنها قد تسفر عن أى دليل جديد، وسوف أكتب لك مجددًا عندما يكون لدى شىء ملموس ومؤكد بدرجة أكبر لأطلعك عليه. المخلص لك، آليكس ردماين".

أعاد نيك الرسالتين من جديد إلى مظروفيهما وأعادهما إلى دانى. تناول قلمه وقال: "هل تود أن أكتب لك ردًا على أى منهما؟"

أجـاب دانـى بـحـزم: "كلا، أريـدك أن تـعلمنـى القراءة والكتابة".

بدأ سبنسر كريج يفكر بأنه من غير الحكمة اختيار مقهى دانلوب آرمز مكانًا لاجتماع الفرسان الشهرى. أقنع رفاقه الأعضاء فى الجماعة بأن ذلك سوف يظهر بأنه ما من شىء لديهم ليخفوه. ثم ندم بالفعل على قراره هذا.

اختلق لورانس دافنبورت عذرًا واهيًا لكى لا يحضر الاجتماع، مدعيًا أن عليه حضور حفل توزيع جوائز فنية لأنه مرشح لجائزة أفضل ممثل للمسلسلات الاجتماعية.

ولم يندهش كريج لعدم ظهور توبى مورتيمر – إنه على الأرجح ملقى فى أحد الأوكار القذرة وقد غرزت حقنة فى ذراعه.

أتى جيرالد بين على الأقل، ولو أنه أتى متأخرًا. إذا كان هناك جدول أعمال لهذا الاجتماع، فلا شك أن الموضوع رقم

واحد على قائمة الأولويات سيكون هو حل جماعة فرسان الماسكتيرز.

صب كريج ما تبقى فى زجاجة الشراب فى كأس بين وطلب زجاجة أخرى. قال، وهو يرفع كأسه: "نخبك" . أومأ بين برأسه، بدرجة أقل حماسة. لم يتكلم أحدهما لبعض الوقت.

قال بين فى نهاية الأمر: "ألديك أى فكرة عن موعد رفع دعوى الاستئناف الخاصة بكارترايت؟".

أجاب كريج: "كلا، إننى أراجع القوائم باستمرار، ولكننى لا يمكننى المجازفة بالاتصال بمكتب الاستئناف الجنائى، وذلك بالطبع لأسباب واضحة. بمجرد أن أعرف أى شىء ستكون أول من أبلغه به".

سأل بين: "هل أنت قلق من ناحية توبى؟".

"كلا، إنه أقل مشكلاتنا. فحين تبدأ جلسات الاستئناف تأكد من أنه لن يكون بحالة تسمح له بتقديم أية أدلة. مشكلتنا الوحيدة هو لارى. إنه يصير أقل ثقة وأضعف جانبًا كل يوم. ولكن مجرد توقع أن يقضى فترة فى السجن كفيلة بإبقائه تحت السيطرة".

سأل بين: "ولكن ماذا عن شقيقته؟".

قال كريج: "سارة؟ وما علاقتها بالأمر؟".

" لا شىء، ولكن إن هى اكتشفت ما حدث حقًا فى تلك الليلة المشئومة، فقد تحاول إقناع لارى أن من واجبه بأن يقدم شهادته فى الاستئناف قائلاً للمحكمة ما حدث بالفعل. إنها محامية على كل حال". احتسى بين رشفة من شرابه، واصل سائلاً: "ألم تترتبط بها بعلاقة قصيرة بجامعة كامبرديج؟".

قال كريج: "لا يمكن أن تسميها علاقة، فهى ليست من النوع المفضل لدى – متزمتة أكثر من اللازم".

قال بين، محاولاً استغلال الأمر للمزاح: "اليس هذا ما سمعته".

سأله كريج بلهجة دفاعية: "وما الذى سمعته؟".

" أنها هجرتك لأن لديك عادات غريبة فى الفراش".

لم يعلق كريج بينما يصب ما تبقى من زجاجة الشراب الثانية. قال: "زجاجة أخرى أيها النادل".

سأل النادل: "من نفس النوع يا سيد كريج؟".

قال كريج: "بالطبع، ليس أقل من أفخر الأنواع من أجل أعز صديق لدى".

قال بين: "لست مضطرًا لأن تهدر مالك علىّ يا صديقى القديم".

لم يهتم كريج بأن يخبره بأن نوع الشراب لا أهمية له على الإطلاق، ذلك لأن عامل المقهى قد قرر مسبقًا الثمن الذى سيتلقاه ليحافظ على "إغلاق فمه" بحسب تعبيره.

كان آل الضخم يطلق غطيطه، بصوت وصفه نيك ذات مرة فى دفتر يومياته بأنه يترواح ما بين صوت فيل يشرب الماء بزلومته وصوت سفينة تطلق صفيرها عندما يحل الضباب. تمكن نيك من النوم بطريقة أو بأخرى، على الرغم من ضجيج موسيقى الراب المنبعث من الزنازين القريبة، لكنه لم يتمكن مع ذلك من التآلف مع شخير آل الضخم.

ظل راقدًا مستيقظًا، وراح يفكر فى قرار دانى بأن يترك خط تعبئة الطعام وأن يلتحق به فى الصفوف التعليمية. لم يستغرق وقتاً طويلاً قبل أن يدرك أن دانى كان أكثر ذكاء من أى شخص آخر علمه خلال العامين المنصرمين، على الرغم من عدم تلقيه أى تعليم نظامى.

كان دانى متلهفًا وضاريًا أمام التحدى الجديد للتعلم، ولعله لا يعلم أى شىء عن مفهوم اللهفة لتلقى العلم. لم يكن يهدر أى دقيقة، يطرح الأسئلة دائمًا وأبدًا، ونادرًا ما يرضى

عن الجواب. قرأ نيك عن معلمين اكتشفوا أن تلاميذهم أبرع منهم وأمهر، غير أنه لم يتوقع أن يواجه هذه المشكلة بينما هو فى السجن. ولم يكن دانى يتركه حتى ليستريح عند نهاية اليوم، فما أن ينغلق باب الزنزانة خلال فترة الليل حتى كان دانى يجثم على طرف فراش نيك، طارحًا عليه المزيد والمزيد من الأسئلة التى تنتظر الإجابات. وسرعان ما تبين نيك أن دانى يعرف أكثر منه بكثير فى موضوعين اثنين على وجه الخصوص، هما الحساب والرياضات البدنية. كان يتمتع بذاكرة موسوعية جعلت نيك فى غير حاجة للبحث عن أى مفردة أو مصطلح فى موسوعة ويسدون، أو قاموس إف إيه للجيب، أما عند الحديث عن منطقة وستهام أو إيسكس، فإن دانى كان قاموسًا حيًا بكل معانى الكلمة. وعلى الرغم من جهل دانى بالقراءة والكتابة، فقد كان بارعًا كل البراعة فى الحساب والأرقام، ويتمتع بقدرة استيعاب للأرقام أدرك نيك أنه لا يمكنه منافسته فيها.

قاطع دانى أفكار نيك وسأله: "أمازلت مستيقظًا؟".

قال نيك: "لعل صوت آل الضخم يمنع سكان الزنازين الثلاث المجاورة من النوم، ناهيك عنا نحن".

"كنت أفكر فى ، أننى منذ أن انضممت لفصول الدراسة أخبرتك بالكثير عن نفسى، ومازلت لا أعرف أى شى عنك".

"كنت أفكر، وليس كنت بأفكر، ومازلت لا أعرف أى شىء، وليس أى شى، حاول أن تتحدث كما نكتب".

قال دانى: "كنت أفكر، أى شىء".

سأله نيك: "ما الذى تريد أن تعرفه؟".

"بداية، كيف انتهى الحال بشخص مثلك إلى السجن؟" لم يجب نيك فى الحال، فأضاف دانى: "إن كنت لا ترغب فى الكلام فلا بأس".

"لقد تمت محاكمتى محاكمة عسكرية أثناء خدمتى فى

فوجى العسكرى مع قوات الناتو فى كوسوفو".

"هل قتلت أحدًا؟".

"كلا، ولكن توفى جندى ألبانى وجرح آخر بسبب إساءة تقدير من جانبى". كان هذا دور دانى لأن يتحلى بالصمت ليواصل نيك: "صدر الأمر للفصيلة الخاصة بى أن تحرس مجموعة من الصربيين من المتهمين بجرائم التطهير العرقى. وخلال نوبة حراستى، قامت زمرة من جنود حرب العصابات الألبانيين بالمرور بسيارتهم أمام أرض المعسكر وهم يطلقون الطلقات فى الهواء من أسلحة الكلاشينكوف الخاصة بهم، احتفالاً بالقبض على الصربيين. وعندما اقتربت سيارة ممتلئة بهم من أرض المعسكر على نحو مهدد، حذرت قائدهم وطلبت منه التوقف عن إطلاق النار فى الهواء. لكنه تجاهلنى، وهكذا أطلق الرقيب الخاص بفرقتنا بضع طلقات تحذيرية فى الهواء، مما أسفر عن جرح اثنين منهما. وتوفى أحدهما فيما بعد بالمستشفى".

قال دانى: "إذن، فأنت لم تقتل أحدًا؟".

" كلا، ولكننى كنت الضابط المسئول".

" وحكموا عليك بثمانية أعوام لهذا السبب؟" لم يعلق نيك.

قال دانى: "لقد فكرت ذات مرة فى التطوع بالجيش".

" لو تطوعت لأصبحت من أفضل الجنود".

قال دانى مبتسمًا: "لكن بيث اعترضت على هذا، لم ترق لها فكرة أن أكون خلال نصف الوقت خارج البلاد بينما هى تموت قلقًا بشأن سلامتى. يالها من مفارقة حقًا".

قال نيك: "استخدام جيد لكلمة المفارقة".

"ولماذا لا تستلقى ولا رسائل؟".

"أية رسائل. لا أتلقى أية رسائل".

كرر دانى: "لماذا لا تتلقى أية رسائل؟".

"كيف تتهجى كلمة تتلقى؟".

"تاء لام قاف ياء".

قال نيك: "كلا، حاول أن تتذكر جيدًا، إنهما حرفين تاء فى بداية الكلمة، وألف لينة فى نهايتها وليس ياء، أما عن الفرق بين الياء والألف اللينة فلن أزعجك بهما هذه الليلة". سادت فترة صمت أخرى طويلة، قبل أن يجيب نيك فى النهاية عن سؤال دانى. "لم أحاول بالمرة أن أتواصل مع أسرتى منذ وقت المحاكمة العسكرية، ومن جانبهم لم يحاولوا الاتصال بى".

قال دانى: "حتى أمك وأبوك؟".

"لقد توفيت أمى وهى تلدنى".

"رحمها الله. وهل مازال والدك حيًا يرزق".

"نعم، مازال حيًا فى حدود ما أعرفه. لكنه كان عقيدا فى الفصيلة نفسها العسكرية التى كنت أخدم بها. ولم يتحدث إلى من وقت المحاكمة العسكرية".

"هذا شيء قاس قليلاً".

"ليس تمامًا. كانت الحياة العسكرية هى الحياة الوحيدة التى يفهمها ويعرفها على الدوام. كان من المفترض لى أن أتبع خطواته وأن أصل إلى رتبة قائد وحدة، وليس أن أحاكم محاكمة عسكرية".

"أليس لديك إخوة أو أخوات؟".

"كلا".

"أعمام أو عمات؟"

"عم واحد، وعمتان. الأخ الأصغر لأبى وزوجته، يعيشان فى اسكتلندا، وعمة فى كندا، ولكنى لم ألتق بها قط".

"ليس هناك أقرباء آخرون؟".

"أقارب هى الكلمة الأنسب هنا. فإن أقرباء لها معانٍ أخرى".

"أقارب".

"كلا. الشخص الوحيد الذى كنت أهتم لأمره حقًا هو

جدى، لكنه توفى قبل بضعة أعوام".

"وهل كان جدك ضابطا فى الجيش هو أيضًا؟".

قال نيك ضاحكا: "كلا، بل كان قرصانًا فى البحر".

لم يضحك دانى: "أى نوع من القراصنة؟"

"كان يبيع الأسلحة للأمريكيين أثناء الحرب العالمية الثانية؛ وحقق بهذا ثروة - ما يكفى ليعيش منه حتى نهاية عمره، فاشترى أرضًا شاسعة ومنزلاً باسكتلندا واتخذ لقب لورد اسكتلندا".

"لورد اسكتلندا؟".

"إنه لقب زعيم العشيرة الكبيرة باسكتلندا، سيد لجميع الأراضى المحيطة".

"هل هذا معناه أنك ثرى؟".

أجاب نيك: "كلا لست ثريًا للأسف، فقد تمكن أبى بطريقة ما من تبديد معظم ميراثه بينما كان عقيدًا للفصيلة - كان يقول دوما: "لابد من الحفاظ على المظاهر بأى ثمن أيها الفتى العجوز. وكل ما يتبقى من مصاريفه الكثيرة كان بالكاد يكفى لصيانة الممتلكات الهائلة والحفاظ عليها".

"إذن فأنت مفلس تمامًا؟ حالك مثل حالى؟".

قال نيك: "كلا، لست مثلك. فأنت أقرب شبها إلى جدى ولن ترتكب الخطأ الذى ارتكبته".

"لكننى انتهيت هنا فى السجن، بحكم مدته اتنتان وعشرون سنة".

"اثنتان وعشرون سنة، بالثاء وليس بالتاء".

كرر دانى: "اثنتان وعشرون".

قال نيك بهدوء: "لكنك لست مثلى؛ لأنك لا يجب أن تكون هنا".

قال دانى، غير قادر على إخفاء دهشته: "هل تعتقد هذا؟".

"لم أكن أعتقد هذا حتى قرأت رسالة بيث، ومن الواضح أيضًا أن السيد ردماين هو أيضًا يعتقد أن المحلفين قد اتخذوا القرار الخطأ".

سأله دانى: "ما هذا الشىء المعلق بسلسلة رقبتك؟".

وهنا استيقظ آل الضخم محدقًا، وقفز عن فراشه ناخرًا، جذب سرواله الداخلى لأسفل وألقى بثقله على مقعد المرحاض. وما أن جذب الشطاف، حاول كل من دانى ونيك أن يناما قبل أن يعلو صوت غطيطه من جديد.

كانت بيث بالأتوبيس عندما شعرت بالألم لأول وهلة. لم يكن من المنتظر وصول الطفل قبل ثلاثة أسابيع أخرى، لكنها أدركت فى الحال أن عليها الوصول لأقرب مستشفى إذا لم تكن ترغب فى ولادة طفلها بأتوبيس رقم ٢٥.

صاحت عندما اجتاحتها الموجة الثانية من الألم: "النجدة". حاولت أن تقوم واقفة عندما توقف الأتوبيس فى الإشارة التالية. امرأتان أكبر سنًا تجلسان أمامها استدارتا نحوها. قالت الأولى منهما: "هل هذا هو ما أظنه؟".

قال الثانية: "لا شك فى ذلك، أخبرى الجميع (اقرعى جرس التنبيه) وسوف أنزلها من الأتوبيس".

أعطى نيك للحلاق لويس عشر سجائر بعد أن نفض عن كتفيه الشعر المتساقط.

قال نيك، وكأنه يخاطب حلاقه المعتاد فى صالون ترامبرز بشارع كارزون: "شكرًا لك يا لويس".

قال لويس وهو يلقى الملاءة الصغيرة حول زبونه التالى: "من دواعى سرورى يا زميل، والآن ما الذى يسعدك أيها الشاب

القوى؟" هكذا سأل دانى وهو يمر بأصابعه بين خصلات شعره القصيرة الكثيفة، بحركة مريبة.

دفع دانى يديه بعيدًا، وقال له: "أبعد يديك أولاً، لا أريد غير تقصير الخلف والجانبين".

التقط لويس ماكينة جز الشعر وراح يدرس شعر دانى عن كثب، وقال: "كما تشاء".

بعدها بثمانى دقائق وضع لويس مقصه وناول دانى مرآة ليتمكن من رؤية مؤخرة رأسه.

قال دانى: "ليس سيئًا". وعندها صاح صوت غليظ: "انتهت الفسحة، كل يرجع إلى زنزانته".

أسلم دانى لويس خمس سجائر بينما أسرع أحد الضباط باللحاق بهما.

سأل دانى وهو ينظر نحو الضابط السيد هيجان برأسه الأصلع تمامًا: "ما الذى ترغب به يا رئيس؟ تقصير الخلف والجانبين مثلى؟".

قال السيد هيجان: "لا تتحاذق معى، يا كارترايت. عد إلى زنزانتك، وكن ولدًا ذكيًا لكيلا تجد نفسك مرفوعًا عنك تقرير محترم". والتقط السيد هيجان المقص، والشفرة والماكينة، والفرشاة ومجموعة متنوعة من الأمشاط فى علبة، ثم أغلقها وأخذها بعيدًا.

قال لويس بينما يهرع دانى لزنزانته: "أراك بعد شهر".

٢١

تردد فى جنبات السجن من عنبر إلى آخر صوت يصيح مناديًا المساجين لحضور الصلاة الأسبوعية بدار العبادة.

وقف كل من دانى ونيك منتظرين بجوار الباب، فى حين انطلق آل الضخم فى غطيطه بكل سعادة، ثابتًا على اعتقاده القديم القائل بأنه حينما يكون المرء نائمًا فهو ليس سجينًا. دار المفتاح الثقيل فى القفل وانفتح باب الزنزانة. انضم دانى ونيك إلى تيار من السجناء يشقون طريقهم نحو دار العبادة الصغيرة الخاصة بالسجن.

بينما ينزلان على السلالم اللولبية نحو الطابق الأرضى قال تيك: "الصلاة الأسبوعية عذر جيد للخروج من الزنزانة لمدة ساعة صباح كل يوم أحد، وعلى أى حال إننى أستمتع بالترانيم. ناهيك عن أن رجل الدين بالسجن نادرًا ما يقدم خطبة مفيدة - حتى عندما يستهلك مقدارًا هائلاً من الوقت فى الاستتابة والحديث عن التكفير عن الخطايا".

"ما معنى هائلاً؟".

"كبيرًا جدًا. ماذا عنك أنت هل تحضر الصلاة الأسبوعية؟".

"كنت كذلك، قبل أن يحدث هذا كله".

قال نيك: "قبل أن يحدث هذا؟!".

فكرر دانى : "قبل أن يحدث هذا كله. أنا وبيث مؤمنين ومتدينين، ونتردد على دار العبادة بانتظام".

" أنا وبيث مؤمنان ومتدينان، صحح النحو كما يجدر بشخص متعلم".

" أنا وبيث مؤمنان ومتدينان، وهكذا فإننا نحفظ ما ورد فى الكتاب عن ظهر قلب، حتى على الرغم من عجزى عن القراءة".

" وهل ستأتى بيث ظهيرة اليوم؟".

قال دانى وقد تهلل وجهه بابتسامة عريضة: "بالطبع، لا أطيق انتظارا حتى أرى هى".

فقال نيك: "حتى أراها".

فكرر دانى عن طيب خاطر: "حتى أراها".

" ألم تتضايق أبدًا من تصحيحى المتواصل لك نطق والنحو؟".

أقر دانى قائلاً: "الحقيقة أننى أتضايق، ولكننى أعلم أن هذا سوف يسر بيث؛ لأنها دائمًا ما أرادت منى أن أحسن من نفسى، ومع ذلك فأنا أستطلع لليوم الذى سوف أصحح لك فيه النحو واللغة".

" أتطلع لليوم".

كرر دانى من بعده: "أتطلع لليوم". وكانا قد بلغا مدخل دار العبادة، حيث انتظروا فى صف حيث يتم تفتيش كل سجين تفتيشًا جسديًا بالغ الدقة قبل أن يسمح له بالدخول.

سأل دانى: "لماذا يحرصون على تفتيشنا قبل الدخول؟".

"لأن الصلاة الأسبوعية واحدة من المناسبات القليلة التى يجتمع فيها السجناء من جميع العنابر الأربعة ويختلطون فى مكان واحد، وتتاح لهم الفرصة لتبادل المخدرات أو المعلومات".

"يختلطون؟".

"أى يجتمعون معًا، فى دار العبادة فرصة للالتقاء والاختلاط".

طلب منه دانى: "تهجى حروفها".

وصلا إلى مقدمة الطابور، حيث كان اثنان من الضباط يقومون بعملية التفتيش – أحدهما كانت امرأة قصيرة القامة تجاوزت الأربعين من عمرها ولابد أنها تعيش على حمية صارمة من غذاء السجن، ومعها رجل شاب يبدو وكأنه يقضى وقتًا طويلاً فى رفع الأثقال والتمارين الرياضية. بدا وكأن أغلب السجناء يودون أن تقوم الضابطة المرأة بتفتيشهم.

دخل دانى ونيك إلى دار العبادة، وهى قاعة أخرى كبيرة ومستطيلة امتلأت بالمقاعد الخشبية الطويلة. على الجدار الحجرى كانت هناك لوحة جدارية ضخمة قال نيك لدانى إن من رسمها كان سجينًا قاتلاً، وأنه استعان بنماذج من السجناء أنفسهم ليرسمها.

قال دانى: "ليس رسمًا سيئًا".

فقال نيك: "لا يحرم السجناء من أية مواهب لمجرد أنهم سجناء".

أقر دانى بجهله قائلاً: "لا أذكر أننى التقيت به من قبل".

أعلن رجل الدين: "افتحوا الكتاب على صفحة ١٢٧ وسوف ننشد جميعًا معًا ترنيمة "من سيكون جسورًا"".

بدأ جهاز الأورغن الصغير يعزف النغمة الافتتاحية، بينما وعد نيك دانى قائلاً: "سوف أعرفك على كارافاجيو ما أن نعود من جديد إلى الزنزانة".

وبينما كانوا ينشدون لم يكن نيك متأكدًا من إن كان دانى يقرأ من كتاب الترانيم أم أنه كان يحفظ الكلمات من قبل عن ظهر قلب بعد سنوات من الحرص على الصلاة فى دار العبادة المحلية بجيرتهم.

نظر نيك فى أرجاء دار العبادة. لم يندهش من أن المقاعد

كلها كانت مكتظة وكأنها مدرجات ملعب كرة القدم بعد ظهر يوم الإجازة. تجمع فريق من السجناء معًا فى الصف الأخير واستغرقوا فى الحديث، دون أن يهتموا حتى بفتح كتب الترانيم الخاصة بهم، إذ راحوا يتبادلون التفاصيل بشأن أى من الوافدين الجدد بحاجة إلى مخدرات، وكانوا قد استبعدوا دانى من قبل باعتباره خارج نطاق تجارتهم. وحتى عندما ركع هؤلاء على ركبهم لم يبذلوا أى جهد للتظاهر بأنهم يحركون شفاههم لتلاوة الصلاة؛ لم يكن التكفير عن الذنوب يشغل حيزًا من اهتماماتهم.

الوقت الوحيد الذى لزموا فيه الصمت كان عندما بدأ رجل الدين يلقى موعظته. رجل الدين اسمه ديف، وكان اسمه مكتوبًا بالحروف الكبيرة على بطاقة صغيرة وضعت فوق زيه الدينى، واتضح أنه من طراز قديم من رجال الدين ممن يميلون لإشعال النفوس بمواعظهم، وقد اختار خطيئة القتل لموعظته فى ذلك اليوم، مما أسفر عن صيحات الشكر لله، صدرت عن الصفوف الثلاثة الأولى، وبشكل أساسى صدرت عن الكاريبيين من ذوى الأصول الأفريقية المتحمسين، وقد بدا عليهم أنهم يعرفون أمرًا أو اثنين حول هذا الموضوع، القتل.

دعا ديف جمهوره السجين للإمساك بالكتب ثم أبلغهم أن قابيل كان هو أول من ارتكب جريمة قتل فى البشرية. أوضح قائلا: "لقد كان قابيل يحسد أخاه هابيل على نجاحه، لذا قرر أن يتخلص منه".

واصل ديف قائلا: "والآن أريد منكم جميعًا أن تفتحوا الكتب على الفصل الثانى".

تعالت صيحات الصفوف الثلاثة الأولى، وإن لم يكن فى اللحظة نفسها أو بصوت موحد.

وصاحت الصفوف الثلاثة الأولى من جديد: "الشكر لله!".

ختم ديف الصلاة الأسبوعية بأدعية ختامية تكررت فيها كلمات "التفهم "و "الغفران" مرارًا وتكرارًا. وأخيرا ودع جمع المساجين ودعا لهم، ولعله كان من أكبر تجمعات الصلاة فى لندن هذا الصباح.

بينما يغادرون دار العبادة، قال دانى: "كم كانت هذه الصلاة مختلفة كل الاختلاف عن الصلاة الأسبوعية التى اعتدت عليها عند ذهابى إلى دار عبادة سانت مارى". رفع نيك أحد حاجبيه تعجبًا. ليواصل دانى: "كما أنهم لا يهتمون بدفع صدقات أو تبرعات هنا".

تم تفتيشهم جميعًا من جديد عند خروجهم، وفى هذه المرة تم جر ثلاثة من السجناء إلى أحد الجوانب قبل أن يسيروا بهم عبر الردهة قرمزية اللون.

تساءل دانى: "ما الأمر؟".

شرح له نيك قائلاً: "سيذهبون بهم إلى الحبس الانفرادى، نظرًا للعثور معهم على مخدرات. سوف ينالون جميعًا سبعة أيام على الأقل فى الحبس الانفرادى".

قال دانى: "لا يمكن أن يستحق الأمر هذه العقوبة الفظيعة".

فقال نيك: "بل هم يعتقدون أنه يستحق، لأننى أؤكد لك أنهم سيعودون لجلب المخدرات والاتجار بها لحظة خروجهم من الحبس الانفرادى نفسها".

◄○►

مع كل دقيقة تمر كان دانى يصير أكثر توترًا وفرحًا لفكرة رؤيته لبيث لأول مرة منذ أسابيع.

عند الساعة الثانية، أى قبل الموعد المحدد للزيارة بساعة واحدة، كان دانى يذرع الزنزانة جيئة وذهابًا. اغتسل وكوى قميصه، وفرد سرواله الجينز، وقضى وقتًا طويلاً فى المغتسل

يغسل شعره. وتساءل ترى ما الذى سترتديه بيث. بدا الأمر وكأنه الموعد الأول لهما.

تساءل: "كيف أبدو؟" فقطب نيك جبينه.

"هل أبدو بهذا السوء؟".

"الأمر فقط..".

ألح دانى سائلاً: "الأمر فقط ماذا؟".

""أعتقد أن بيث كانت تتوقع منك أن تحلق ذقنك".

تطلع دانى إلى وجهه فى مرآة حديدية صغيرة معلقة فوق حوض الاغتسال. وتفقد ساعة يده بسرعة.

٢٢

طابور آخر من المساجين كان يسير فى ممر آخر، ولكنهم هذه المرة كانوا يسيرون بإيقاع أسرع. فلا أحد منهم يرغب فى إهدار ثانية واحدة من وقت الزيارة. فى نهاية الممر كانت هناك قاعة انتظار كبيرة ثبتت فى جدرانها مقاعد خشبية مستطيلة، ومرت فترة انتظار أخرى طويلة قبل أن ينادى على أسماء السجناء. أمضى دانى الوقت محاولاً أن يقرأ الملاحظات المعلقة على الجدران؛ كانت هناك ملاحظات عديدة خاصة بحيازة المخدرات وعواقب هذا - مما ينطبق على السجناء وعلى الزوار سواء بسواء - إذا ما حاولوا تمرير أى شىء خلال وقت الزيارة. وملاحظة أخرى حول سياسة السجن بشأن التنمر وأعمال الشغب، وثالثة حول التمييز العنصرى - وهى كلمة تعثرت على لسان دانى، ولم يدر أى شىء عن معناها. سيكون عليه أن يسأل نيك حين يعود للزنزانة بعد انتهاء الزيارة.

مضت حوالى الساعة قبل أن ينادى اسم "كارترايت" عبر مكبر صوت. وثب دانى ناهضًا وتبع حارسًا إلى غرفة مربعة صغيرة الحجم، حيث قيل له أن يقف على منصة خشبية صغيرة، منفرج الساقين. جاء حارس آخر - برتبة ضابط - لم يسبق لدانى أن رآه، وفتشه تفتيشًا جسديًا دقيقًا، كان أكثر صرامة بكثير من أى تفتيش آخر تعرض له منذ أن دخل

السجن. وكان آل الضخم قد حذره بأن التفتيش سيكون أكثر دقة وشمولاً من المعتاد لأن الزوار كثيرا ما يحاولون أثناء وقت الزيارة أن ينقلوا للسجناء مخدرات، ومالاً، وشفرات، وسكاكين، بل وحتى مسدسات.

ما إن انتهى التفتيش حتى وضع الضابط وشاحًا أصفر حول كتف دانى لتمييزه بوصفه سجينًا، لا يختلف كثيرًا عن الوشاح المضىء الذى وضعته أمه على رأسه عندما كان يتعلم ركوب الدراجة للمرة الأولى. ثم تم اقتياده إلى أكبر قاعة رآها منذ أن دخل سجن بيلمارش. أجلسوه إلى منضدة صغيرة ترتفع فوق منصة عن الأرض بنحو ثلاث أقدام. تفقد ضابط آخر لائحة أخرى وقال: "زائرتك تنتظر فى هـ٩".

انتظمت فى صفوف طويلة سبع مجموعات من المناضد والمقاعد، بعلامات من الحروف من الحرف أ وحتى الحرف ز. كان على السجناء أن يجلسوا إلى المقاعد الخضراء المثبتة فى الأرضية، مما يسهل على فريق الأمن عملية المراقبة، تعينهم فى ذلك كاميرات من النوع المثبت فى الأركان، لكنها تغير زواياها بانتظام والتى راحت تطن فوق رءوسهم، وبينما سار دانى على طول الصفوف لاحظ ضابطين يراقبان بعين يقظة كلاً من السجناء والزوار من شرفة فى أعلى. توقف عن السير عندما بلغ الصف هـ وراح يبحث عن بيث. أخيرًا رآها، تجلس على واحد من المقاعد الخضراء، وعلى الرغم من أنه قد لصق صورتها الفوتوغرافية بشريط لاصق على جدار الزنزانة، فقد كان أوشك أن ينسى كم هى جميلة. كانت تحمل لفافة بين ذراعيها، وهو الأمر الذى فاجأه لأنه ليس مسموحًا للزوار بإحضار أى هدايا للسجناء.

نهضت واقفة لحظة رؤيتها له. أسرع دانى من وقع سيره، على الرغم من أنه تم تحذيره ألا يركض أو يسرع هكذا مرات عديدة. ألقى بذراعيه حولها، وبدأت اللفافة التى معها فى

البكاء على الفور. تراجع دانى خطوة للخلف ليرى ابنته للمرة الأولى.

تناول كريستى بين ذراعيه وقال: "ما أجملها" تطلع ببصره نحو بيث وقال لها: "سوف أخرج من هنا قبل أن تتبين حتى أن أباها قد دخل السجن".

بدأ كل منهما يتحدث فى اللحظة نفسها:

"كيف حالك؟".

"ومتى ..".

قال دانى: "آسف، تكلمى أنت أولاً".

بدت بيث مندهشة: "لماذا تتحدث بهذا الإيقاع البطىء؟".

جلس دانى إلى المقعد الأحمر وبدأ يحكى لبيث عن شريكيه فى الزنزانة بينما راح يلتهم قطعة من الشيكولاتة ويشرب علبة من كوكا الحمية اشترتهما بيث له من المقصف - إنها رفاهيات لم يتذوقها منذ أن سجن فى بيلمارش.

قال لها: "يعلمنى نيك القراءة والكتابة، ويعلمنى آل الضخم كيف يمكننى أن أستمر فى الحياة بالسجن". انتظر ليرى رد فعل بيث.

" كم أنت محظوظ، حيث انتهى بك الحال فى تلك الزنزانة".

لم يخطر لدانى هذا الخاطر قبل هذا، وأدرك فجأة أنه مدين بالشكر للسيد جينكينز. سألها وهو يمس كتفها بيده: "وكيف الأحوال لديكم فى منطقة بيكون؟".

"يقوم بعض أهالى المنطقة بحملة لجمع التوقيعات لتقديم التماس من أجل إطلاق سراحك، وقد انتشر ملصق عليه عبارة دانى كارترايت برىء حتى بلغ الجدران الخارجية لمحطة مترو بو رود. ولم يحاول أحد نزعه ولا حتى البلدية".

أصغى دانى لكل الأخبار التى روتها له بيث بينما يمضغ قطعة الشكولاتة الثالثة ويتجرع علبة الكوكا الثانية، مدركًا أنه

ممنوع عليه أن يأخذ معه للزنزانة أى شىء ما أن تنتهى الزيارة.

أراد أن يحتضن كريستى ويحملها، لكنها كانت نائمة بين ذراعى بيث. كانت رؤية طفلته دافعًا لكى يعقد عزمه ليتعلم القراءة والكتابة بجد. أراد أن يكون لديه المقدرة كى يجيب عن كل أسئلة محاميه، السيد ردماين، بحيث يكون متأهبًا لجلسات الاستئناف، كما أراد أن يفاجئ بيث بالرد بنفسه على رسائلها.

أعلن أحدهم من مكبر الصوت: "على جميع الزوار المغادرة الآن".

تساءل دانى كيف تبددت أقصر ساعة خلال عمره كله بينما رفع بصره نحو الساعة المعلقة على الحائط. نهض ببطء من مقعده وأخذ بيث بين ذراعيه، وقبلها برقة. لم يستطع أن يمنع نفسه من تذكر أن القبلة كانت هى الوسيلة الأكثر شيوعًا لتبادل المخدرات بين الزوار وشركائهم من المساجين، ولهذا فإن فريق الأمن سيراقبهم بكل انتباه وحرص. بل إن بعض السجناء أحيانًا ما يبتلعون المخدرات بحيث لا يتم اكتشافهم عندما يتم تفتيشهم قبل عودتهم إلى زنازينهم.

قالت بيث عندما ابتعد عنها فى النهاية: "إلى لقاء يا عزيزى".

قال دانى والحسرة بادية عليه: "إلى لقاء". ثم أضاف على الفور: "آه، كدت أنسى". ثم أخرج من جيب سرواله قطعة من الورق. وما أن سلمها الرسالة حتى ظهر إلى جانبه ضابط وجذبها.

"غير مسموح بتبادل أى شىء خلال وقت الزيارة يا كارترايت".

شرع دانى يقول: "ولكنها مجرد..".

" لا اعتراض. قد حان وقت مغادرتك يا آنستى".

وقف دانى يراقب بيث وهى تبتعد، حاملة بين ذراعيها ابنته. ولم يرفع عينيه عنهما حتى غابتا عن نظره تمامًا.

قال بصوت مسموع: "لابد أن أخرج من هنا".

فتح الضابط الورقة وقرأ الكلمات الأولى التى كتبها دانى كارترايت إلى بيث. "لن يمض وقت طويل حتى نصير معًا من جديد". ظهر القلق على الضابط.

عندما جلس الزبون التالى على مقعد الحلاقة، أمام لويس حلاق السجن، سأله: "تقصير الجانبين ومؤخرة الرأس أيضا؟".

هنا همس دانى: "كلا، أود أن تجعل شعرى يبدو فى نفس مظهر آخر زبائنك".

قال لويس: "سيكون هذا مكلفا؟".

"كم؟"

"تمامًا كما يدفع نيك، عشرة سجائر شهريا".

أخرج دانى علبة لم تفتح من سجائر المارلبورو من جيب سرواله. قال دانى: "حساب اليوم وحساب شهر مقدم، إذا ما أحسنت القيام بعملك".

أعاد دانى السجائر من جديد لجيبه فابتسم الحلاق.

سار لويس ببطء حول المقعد، متوقفًا بين الحين والآخر ليلقى بنظرة أكثر قربًا قبل أن يدلى برأيه. قال: "أول شىء عليك القيام به هو أن تترك شعرك ينمو وأن تغسله مرتين أو ثلاثًا أسبوعيًا". ثم أضاف قائلاً وهو يتوقف وراءه: "إن شعر نيك مصفف دومًا بمهارة، وخصلاته تتموج قليلاً نحو مؤخرة رأسه. كما أنك ستحتاج لأن تحلق ذقنك كل يوم. وقص سالفيك أعلى قليلاً أيضًا إن أردت أن تبدو مثل رجل كريم النشأة ومهذب الخلق". ثم أضاف بعد خطوة أخرى : "يفرق نيك شعره نحو جهة اليسار، وليس اليمين، وهكذا سيكون هذا هو أول تغيير يتوجب على إجراؤه. كما أن شعره له ظل أفتح لونًا من لون شعرك شيئًا ما، ولكنه شىء يسير، يكفى القليل من عصير الليمون للتغلب عليه".

تساءل دانى: "كم من الوقت سوف يستغرق للتوصل إلى هذا؟".

أضاف لويس: "ستة شهور، لا أكثر من هذا. وسيكون على أن أراك لمرة واحدة على الأقل كل شهر".

فقال دانى: "لن أغادر إلى أى مكان آخر، لذا احجز لى خلال الاثنين الأول من كل شهر، فلابد من الانتهاء من هذه المهمة بحلول وقت جلسات الاستئناف الخاص بى. يرى المحامى الخاص بى أنه من المهم المظهر الذى يبدو به المتهم فى القفص، وأريد أن أبدو مثل أحد الضباط وليس واحدًا من المجرمين ".

ألقى لويس بمنشفة خضراء حول دانى قبل أن يلتقط ماكينة الحلاقة، وهو يقول: "محاميك هذا رجل داهية" . بعد ذلك بثلث الساعة بدأ تغير يكاد لا يدرك يدب إلى رأس دانى. أمسك لويس المرآة لزبونه الثمين وراح ينظف كتفيه بفرشاة من بضع شعيرات وقال له: "لا تنس، لابد أن تحلق ذقنك كل صباح، وأن تغسل شعرك بالشامبو مرتين أسبوعيًا على الأقل إن كنت ترغب أن تظهر بمظهر مقبول، على حسب تعبير صاحبك نيك".

صاح السيد هاجين: "ارجعوا إلى زنازينكم". اندهش الضابط عندما رأى علبة سجائر لم تفتح، بعشرين سيجارة كاملة، يتم تبادلها بين السجينين. فتساءل بابتسامة واسعة: "هل وجدت زبونًا آخر للخدمات الإضافية التى تقدمها يا لويس؟".

بقى دانى ولويس صامتين.

قال هاجين: "أمر غريب يا كارترايت، لم أعتقد أبدًا أنك واحد من هؤلاء الأنجاس".

٢٣

صارت الدقائق ساعات، وامتدت الساعات لتصبح أيامًا، وتراكمت الأيام لتصير أسابيع فى أطول عام مرَّ بحياة دانى، وعلى الرغم من ذلك، لم يكن هذا وقتًا مهدرًا تمامًا، كما دأبت بيث على تذكيره بذلك، ففى غضون شهرين سيدخل ستة امتحانات للشهادة الثانوية، حسب تعبير معلمه نيك، كما أن نيك على ثقة تامة من أن دانى سوف يجتاز جميع الاختبارات بنجاح تام، مع شكر خاص كذلك. سألته بيث عن المستويات الخاصة التى يرغب فى دراستها.

وعدها قائلاً: "سوف يطلق سراحى من هنا قبل هذا الامتحان بوقت طويل".

لكنها أصرت قائلة: "ومع هذا مازلت أرغب فى أن تدخل الامتحانات".

كانت بيث وكريستى تزوران دانى فى الأحد الأول من كل شهر، ومؤخرًا لم تعد تتحدث عن أمر آخر غير الاستئناف الوشيك، على الرغم من أن الموعد لم يدرج بعد فى جداول المحكمة. مازال السيد ردماين يبحث عن دليل جديد، لأنه بدون هذا الدليل، كما أقر بنفسه، فليس لديهم فرصة كبيرة فى الفوز. مؤخرًا قرأ دانى تقرير وزارة الداخلية والذى جاء فيه أن نسبة ٩٧ بالمائة من حالات الاستئناف فى القضايا المحكوم

فيها بالأشغال الشاقة المؤبدة يتم رفض الاستئناف فيها، ونسبة الثلاثة بالمائة المتبقية لا تحصل إلا على تخفيف طفيف لفترة العقوبة، وحاول جاهدًا ألا يفكر فى العواقب المترتبة على رفض استئنافه. ما الذى سوف يحدث لبيث وكريستى إن كان عليه أن يسجن لمدة واحد وعشرين عامًا أخرى؟ لم تثر بيث هذا الموضوع بالمرة، لكن دانى كان قد تقبل بالفعل أنه لن يسمح بالحكم عليهم هم الثلاثة بالأشغال الشاقة المؤبدة.

من تجربة دانى فى السجن يعرف أن المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ينقسمون إلى فئتين أساسيتين: هؤلاء الذين ينقطعون تمامًا عن العالم الخارجى – لا رسائل، ولا اتصالات هاتفية، ولا زيارات – والآخرون، ممن يشبهون العاجز طريح الفراش، والذين يبقون عبئًا على ذويهم لما تبقى من حياتهم. وقد قرر دانى بالفعل إلى أى الفئتين سوف ينتمى إذا ما أخفق الاستئناف الخاص به.

⊸○⊷

الطبيب بيريزفورد يلقى مصرعه فى حادث سيارة هكذا كان العنوان الرئيسى لصفحة الغلاف من صحيفة ميل أون صانداى. مضى الموضوع الصحفى ليخبر القراء بأن الممثل لورانس دافنبورت قد بدا يأفل نجمه، وقد قرر منتجو مسلسل الوصفة الطبية أن يستبعدوا شخصيته من الأحداث. وقد تقرر أن يلقى دافنبورت مصرعه فى حادث سيارة مأساوى نتيجة لسكر قائد السيارة. سوف يهرعون به إلى المستشفى الذى يعمل به حيث تحاول الممرضة بيتال إنقاذ حياته، الممرضة بيتال نفسها التى تخلص منها بعد أن علم أنها حامل، غير أنها لن تنجح فى إنقاذ حياته.... دق جرس الهاتف فى غرفة مكتب سبنسر كريج. لم يندهش عندما تناهى إليه صوت جيرالد بين على الطرف الآخر من الخط.

تساءل بين: "هل قرأت الصحف؟".

قال كريج: "نعم، وبصراحة لست مندهشًا. إن معدلات المشاهدة والشعبية الخاصة بالمسلسل كانت تنحدر خلال العام الماضى، وعلى هذا فإنهم يبحثون بكل وضوح عن حيلة بارعة لتمنحهم دفعة".

قال بين: "ولكن إذا تخلصوا من لارى، لن يكون من السهل عليه أن يجد دورًا آخر. لا خلاف على أننا لا نرغب فى أن يعود صاحبنا إلى صحبة الكأس والزجاجة".

" لا أعتقد أنه بوسعنا مناقشة هذا الأمر عبر الهاتف يا جيرالد، دعنا نلتق قريبًا".

فتح كريج دفتر مواعيده، ليجد أيامًا عديدة خالية. لا يبدو أن لديه الكثير من القضايا كما كان عليه الأمر فيما مضى.

وضع ضابط الاعتقال متعلقات السجين القليلة على النضد، بينما أخذ رقيب المكتب يدونها بدفتر التسجيل الخاص به: حقنة، عبوة صغيرة تحتوى على مادة بيضاء، علبة ثقاب، ملعقة، رابطة عنق وورقة نقدية فئة الخمسة جنيهات.

سأل الرقيب: "ألدينا اسمه أو أى أوراق هوية له؟".

أجاب الشرطى الشاب، ناظرًا نحو الجسد الهامد والملقى على مقعد مستطيل قبالته: "كلا، إنه زنيم مسكين، ما الجدوى حتى من إرساله إلى السجن؟".

" القانون هو القانون أيها الشاب، ومهمتنا هى تنفيذ القانون، وليس أن نتساءل عن جدواه".

كرر الشرطى الشاب: "زنيم مسكين".

خلال ليالى الأرق الطويلة التى تسبق دعوى الاستئناف، كانت نصيحة السيد ردماين التى منحها لدانى أثناء المحاكمة

الأولى تـتردد وتلح على أفكاره مـرارًا وتـكـرارًا: إذا اعـتـرفت بالقتل الخطأ لن تسجن إلا عامين أو نحو ذلك. لو أنه كان عمل بنصيحته تلك لكان طليق السراح فى غضون اثنى عشر شهرًا من الآن.

حـاول دانـى أن يركز على المقال الطويل الذى كان يكتبه حول روايـة كونـت مونـت كريستو - إنهـا جـزء من اختبارات اجتياز الشهادة الثانوية. لعله يتمكن من الهرب، كما تمكن من هذا بطل الرواية إدموند دانتى، ولكن من المستحيل على المرء أن يحفر نفقًا عندما تكون زنزانته فى الطابق الأول بعد الأرضى من مبنى السجن، كما أنه لا يمكنه أن يلقى بنفسه فى عباب البحر لأن سجن بيلمارش ليس مبنيًا على جزيرة، وهكذا فإنه على خلاف دانتى، ليس لديه أمل كبير فى الانتقام من أعدائه الأربعة، مالم ينجح فى دعوى الاستئناف. بعد أن قرأ نيك مقالته الأخيرة، أعطى دانى درجة ٧٣ بالمائة، مع تعليق : "على خلاف إدموند دانتى، لن تكون مضطرًا للهرب، لأنهم سوف يطلقون سراحك".

تعرف كل منهم على صاحبه خير معرفة خلال العام الأخير. والحق أنهما أمضيا من الوقت معًا أكثر مما أمضى دانى مع صاحبه المتوفى بيرنى. وبعض السجناء الجدد افترضوا أنهما أخوان، إلى أن كان دانى يفتح فمه بالحديث. فكانت كلمة مثل هناك تطول على لسانه أكثر بكثير من لسان نيك.

ما فتئ نيك يقول له: "أنت فى مستوى ذكائى نفسه، وحين يتعلق الأمر بالرياضيات فأنت المعلم بلا خلاف".

رفع دانى بصره عن مقالته عندما سمع صوت المفتاح يدور فى قفل الباب. جذب السيد باسكو الباب بقوة ليسمح بدخول آل الضخم، فى الموعد نفسه بانتظام الساعة – لابد أن تتوقف عن استخدام التعبيرات المستهلكة، من قبيل بانتظام الساعة، حتى فى أفكارك، هكذا أخبره نيك – وارتمى آل الضخم على

الفراش دون أن يتفوه بكلمة. واصل دانى الكتابة.

عندما صفق الباب منغلقًا من ورائه، قال آل الضخم: "لدى بعض الأخبار من أجلك أيها الفتى دانى".

وضع دانى القلم؛ كان شيئًا نادرًا بالنسبة لآل أن يبدأ حديثًا، إلا إن كان يسألهم عن ثقاب.

"هل تذكر شخصًا لعينًا يدعى مورتيمر؟".

تسارعت دقات قلب دانى. ثم أفلح فى أن يتكلم أخيرًا وقال: "نعم، لقد كان موجودًا فى المقهى ليلة مقتل بيرنى، لكنه لم يظهر فى المحكمة أبدًا".

قال آل الضخم: "لقد ظهر هنا فى السجن".

" ماذا تقصد؟".

" أقصد ما أقوله بالضبط أيها الفتى دانى. لقد أودع بالمستشفى مساء هذا اليوم، لحاجته لبعض الرعاية الطبية". تعلم دانى ألا يقاطع آل الضخم أبدًا عندما يكون متدفقًا بالحديث، وإلا فإنه قد يمتنع عن الحديث تمامًا لمدة أسبوع فواصل آل: "بالرجوع لملفه عرفت أنه مدمن مخدرات من الدرجة الأولى، ومنذ عامين. لذلك لدى إحساس بأنه سيكون زبونًا مستديمًا عندنا فى المستشفى". لبث دانى صامتًا بلا مقاطعة. تسارعت دقات قلبه أكثر فأكثر ليكمل آل: "والآن أنا أعرف أننى لست فى درجة ذكائك أنت أو نيك، لكننى أعرف أنه من المحتمل أن قد يكون قادرًا على تزويدك بذلك الدليل الجديد الذى تبحث عنه أنت ومحاميك".

قال دانى: "أنت جوهرة نادرة".

قال آل الضخم: "لست جوهرة، ولكن ربما حجر أصلب منها، ولكن أيقظنى عندما يعود صاحبك للزنزانة، لأننى لدى إحساس بأننى سوف أعلمكما شيئًا ما على سبيل التغيير".

جلس سبنسر كريج وحده يحتسى زجاجة من الشراب بينما يشاهد الحلقة الأخيرة للورانس دافنبورت فى مسلسل الوصفة الطبية، وكان هناك ثمانية ملايين مشاهد آخرين يتابعونها معه، بينما كان دافنبورت ينطق بسطوره الأخيرة فى المسلسل، والممرضة بيتال تمسك بيده: "كنت جديرة برجل أفضل". فازت الحلقة بأعلى نسبة مشاهدة للمسلسل منذ عشر سنوات. وانتهت بتابوت الطبيب بيريزفورد وهو ينزل إلى باطن الأرض، بينما تذرف الممرضة بيتال الدموع إلى جانب شاهد القبر. لم يترك المنتجون أية فرصة لمعجزة ما تعيده للحياة، بصرف النظر عن إلحاح ومطالب المعجبات العاشقات لدافنبورت.

كان أسبوعًا سيئًا بالنسبة لكريج: أودع توبى السجن نفسه الذى يوجد به كارترايت، لم يعد لدى لارى أى عمل بعد انتهاء حلقته الأخيرة بالمسلسل، وقد أدرجت هذا الصباح نفسه دعوى الاستئناف الخاصة بكارترايت على جدول جلسات المحكمة. مازال الموعد أمامه شهور عديدة، ولكن كيف ستكون الحالة العقلية للارى فى ذلك الحين؟ وخصوصًا إذا ما انهار توبى سيكون مستعدًا لأن يروى لأى شخص لديه استعداد لأن يسمعه تفاصيل ما جرى فى تلك الليلة مقابل حقنة واحدة.

نهض كريج عن مكتبه، وسار نحو خزانة الملفات القديمة، والتى نادرًا ما يفتحها، راح يمر بأصبعه على ملفات القضايا القديمة. استخرج ملفات سبعة زبائن سابقين ممن انتهوا إلى سجن بيلمارش. درس تاريخ قضاياهم لأكثر من ساعة، ولكنه لم يجد إلا مرشحًا واحدًا فقط مناسبًا تمامًا للمهمة التى فكر بها.

قال آل الضخم: "لقد بدأ صاحبنا يثرثر".

سأله دانى: "هل أتى على ذكر تلك الليلة فى دانلوب آرمز؟".

" ليس بعد، لكننا مازلنا فى الأيام الأولى، وسوف يذكرها، بمرور الوقت".

سأله نيك: "ما الذى يجعلك متأكدًا إلى هذا الحد؟".

" لأن لدى شيئًا هو فى أمس الحاجة إليه، والمقايضة العادلة لا تعد سرقة".

سأله دانى: "وما الذى لديك ويحتاج إليه وهو فى أمس الحاجة إليه؟".

قال نيك مقاطعًا الحديث بسرعة: "لا تسأل عن أمور لن تسرك معرفتها".

قال آل الضخم: "صاحبك نيك رجل حكيم، اسمع كلامه".

⊸○⊷

"ما الذى يمكننى أن أقدمه لك يا سيد كريج؟".

"أعتقد أنك ستكتشف أن الأمر يتعلق بما يمكننى أن أقدمه أنا لك".

"لا أعتقد هذا يا سيد كريج. لقد سجنت فى هذا المكان اللعين لمدة ثمانية أعوام مضت، وطوال ذلك الوقت لم أسمع منك كلمة واحدة، لذلك فلا تتخابث معى. إنك تعلم أنى لا أستطيع تحمل نفقة ساعة واحدة من أتعابك فى المحاماة. فلمَ لا تدخل فى الموضوع مباشرة وتقول لى ما الذى تفعله هنا؟"

كان كريج قد تفقد قاعة المقابلة بحرص وعناية بحثًا عن أية أجهزة تنصت خفية، قبل أن يسمحوا للمجرم كيفين ليتش بالانضمام إليه من أجل زيارة قانونية. السرية التامة مع العميل أمر مقدس فى القانون الإنجليزى، وحتى لو خالفت

السلطات تلك السرية وكسروا القانون فسوف ترفض المحكمة تلقائيًا أى دليل يتأتى عن هذه المخالفة للقانون، وعلى الرغم من هذه الحقيقة الواضحة، فمازال كريج يعلم أنه يجازف - غير أن احتمال قضاء عقوبة طويلة الأجل فى سجن واحد مع أمثال ليتش هذا كان عرضًا أقل جاذبية بكثير.

كان كريج قد تدرب على كل جملة سوف ينطق بها مسبقًا، كما لو أنه بصدد استجواب شاهد أساسى فى قضية مهمة، سأله قائلاً: "هل تحصل على كل ما تحتاج إليه هنا؟".

قال ليتش: "أعرف كيف أدبر أمورى، ولا أحتاج للكثير".

"لا تحصل إلا على اثنى عشر جنيها من عملك فى خطوط تجميع الطعام، أليس كذلك؟".

"كما قلت لك، أدبر أمورى".

قال كريج: "لكن لا أحد يرسل لك أية نقود إضافية، ولم تتلق زيارة منذ أكثر من أربعة أعوام".

"أرى أنك مطلع على كل شىء كما هى العادة دائمًا يا سيد كريج".

"الحقيقة هى أنك حتى لم تجر اتصالاً هاتفيًا خلال العامين الماضيين - منذ توفيت عمتك ميزى".

"إلى أين يؤدى هذا الحوار كله يا سيد كريج؟".

"هناك فقط احتمال بأن العمة ميزى قد تكون تركت لك فى وصيتها شيئا ما".

"والآن لماذا تكلف نفسها هذا العناء؟".

"لأن لديها صديقًا تستطيع أنت أن تقدم له يد العون".

"أى نوع من العون؟".

"يعانى صديقها من مشكلة - مشكلة رغبة ملحة، وهى رغبة سيئة جدًا، وتلك الرغبة الملحة ليست نحو الشيكولاتة بكل تأكيد".

" دعنى أخمن. رغبة ملحة فى الهيروين، أو الحقن أو

الكوكايين؟".

قال كريج: "إجابتك صحيحة لأول مرة، وهو يحتاج لتموين منتظم".

"ماذا تقصد بمنتظم؟".

"يوميًا".

"وكم تركت لى العمة ميزى لكى أغطى نفقاته المعتبرة، ناهيك عن خطورة القبض علىَّ متلبسًا بهذا؟".

قال كريج: "خمسة آلاف جنيه، ولكنها قبل أن تموت مباشرة أضافت تعديلاً شرطيًا لوصيتها".

"دعنى أخمن. ليس من المفترض أن يدفع المبلغ كله دفعة واحدة".

"هذا لكيلا تنفقه كله دفعة واحدة".

"هات ما لديك".

"إنها ترجو أن يكون مبلغ خمسين جنيها أسبوعيًا كافية للتأكد من أن صديقها لن يضطر للجوء إلى شخص أو مكان آخر".

"قل لها إن هى جعلتها مائة فقد أفكر فى الموضوع".

" أعتقد أن بوسعى أن أخبرك نيابة عنها بأنها ستوافق على هذا العرض".

"إذن ما اسم الصديق الكريم للعمة ميزى؟".

"توبى مورتيمر".

قال نيك: "دائمًا حركة أدوات المائدة فى الطبق تكون من الخارج للداخل، إنها قاعدة يسهل اتباعها".

التقط دانى الملعقة البلاستيكية وبدأ يغرف بها الماء الذى صبه نيك فى سلطانية الإفطار الخاصة به.

قال نيك: "كلا، احرص دائمًا على أن تميل أى سلطانية

حساء بعيدًا عنك، وادفع بالملعقة فى الاتجاه نفسه". وعرض عليه الحركة. "وإياك أن تصدر صوتًا وأنت تشربها مطلقًا. لا أريد أن أسمع صوتًا بينما تحتسى حساءك".

قال دانى: "كانت بيث دائمًا تتذمر من هذا".

قال آل الضخم دون أن يتقلب من فراشه: "وأنا أيضًا".

قال نيك: "وبيث على حق، فى بعض البلاد يعد إصدار صوت عند الأكل نوعًا من المجاملة، ولكن هذا ليس فى إنجلترا". رفع السلطانية ووضع مكانها طبقًا بلاستيكيًا عليه شريحة سميكة من الخبز وقدر يسير من الفاصوليا المطهوة. "والآن أريد منك أن تتصرف على أن هذا الخبز هو شريحة من لحم صغار الخراف، وأن الفول المطبوخ هو حبات البازلاء".

تساءل آل الضخم دون أن يتقلب فى فراشه أيضًا: "وما الذى سوف تستخدمونه ليكون صلصة اللحم؟".

قال نيك: "مرقة اللحم البارد" التقط دانى سكينه وشوكته البلاستيكيتين، وأمسكهما بشدة، بحيث كانت الشفرة وأسنان الشوكة موجهة نحو السقف. قال نيك: "حاول أن تتذكر أن الشوكة والسكين شىء آخر غير القذائف والصواريخ على قاعدة إطلاق بانتظار إشارة الانطلاق، وبعكس القذايف، فإنها ستكون بحاجة لأن تتزود بالوقود عند وصولها للأرض". التقط نيك الشوكة والملعقة الموضوعتين على جانبه من المنضدة وعرض على دانى كيف يجب عليه أن يمسك بهما.

كانت استجابة دانى الفورية: "هذا أمر غير طبيعى".

قال نيك: "سرعان ما سوف تعتاد على هذا، ولا تنس أن سبابتك لابد وأن توضع عند أعلى نقطة. لا تجعل يد الشوكة أو السكين تنحشر ما بين سبابتك وإبهامك - إنك تمسك بسكين وليس بقلم رصاص". عدل دانى من قبضه على سكينه وشوكته فى محاكاة لما يفعله نيك، لكنه مازال يجد حرجًا وصعوبة فى المسألة برمتها.

" والآن أريد منك أن تأكل شريحة الخبز وكأنها قطعة من لحم صغار الخراف".

نخر آل الضخم بصوت ساخر ثم تساءل: "كيف يروق لك اللحم يا سيدى، مطهى جيدًا أم وسط أم شبه نيء؟".

فقال نيك: "لن يطرحوا عليك هذا السؤال إلا إذا طلبت شريحة لحم بقرى، ولن يطرحوه بالمرة إذا طلبت قطعة من لحم صغار الخراف".

راح دانى ينقب فى شريحة خبزه. قال نيك: "كلا، اقطع لحمك ولكن لا تمزقه وتفتته، ولا تقطع أكثر من قطعة واحدة صغيرة كل مرة". قام دانى بتنفيذ توجيهاته من جديد، ولكنه عندئذ بدأ بقطع قطعة ثانية من الخبز بينما مازال يمضغ القطعةَ الأولى. فقال نيك بحزم: "كلا، بينما تأكل ضع السكين والشوكة على الطبق، ولا تلتقطهما من جديد حتى تنتهى مما فى فمك". ما أن انتهى دانى من ابتلاع قطعة الخبز، غرف بنهاية الشوكة بضع حبات من الفاصوليا، فقال نيك: "كلا، كلا، كلا، الشوكة ليست جاروفًا. اغرس طرفها فقط فى حبات قليلة من البازلاء كل مرة".

قال دانى: "ولكن إذا ما تناولت الطعام على هذا النحو سوف أقضى أيامًا وليالى من أجل إنهاء وجبة واحدة".

فأجابه نيك: "ولا تتحدث وفمك مملوء بالطعام".

أطلق آل الضخم نخرة أخرى، غير أن دانى تجاهله وقطع لنفسه قطعة أخرى من الخبز، ووضعها فى فمه، ثم أعاد الشوكة والسكين إلى طبقه من جديد.

قال نيك: "هذا جيد، ولكن امضغ لحمك لوقت أطول قبل أن تبلعه، حاول أن تتذكر أنك إنسان ولست حيوانًا". ـ استثار هذا التعليق تجشؤًا عالى الصوت من جانب آل. ما أن أنهى دانى قطعة أخرى من الخبز حاول أن يغرس سن شوكته فى حبتين من حبوب الفول ولكنها ظلت تراوغ وتهرب منه فاستسلم". كل

ما قاله نيك عندئذ: "لا تلعق السكين".

فقال آل الضخم: "ولكن إن أردت أن تلعق جدار الزنزانة فلا بأس".

مرَّ قليل من الوقت حتى تمكن دانى من الانتهاء من وجبته الهزيلة ووضع أخيرًا سكينه وشوكته على طبقه الخالى.

قال نيك: "ما أن تنتهى من وجبتك تضع الشوكة والسكين معًا".

سأل دانى: "ولماذا؟".

"لأنك حينما تأكل فى مطعم سوف يحتاج النادل لأن يعرف أنك انتهيت من تناول وجبتك".

اعترف دانى قائلاً: "لا آكل كثيرًا فى المطاعم".

"إذن فلابد أن أكون أول شخص يدعوك أنت وبيث لتناول وجبة فى مطعم ما أن تخرج من السجن".

تساءل آل: "وماذا عنى؟ هل أنا مدعو معهما؟".

تجاهله نيك: "والآن حان وقت الانتقال إلى طبق الحلوى".

تساءل دانى: "بودنج؟".

فكرر نيك: "كلا، ليس البودنج، ولكن طبق الحلوى عمومًا، إذا كنت فى مطعم فلا تطلب إلا صنف البداية والطبق الرئيسى، وعندما تنتهى منهما فقط تطلب أن ترى قائمة الأطباق الحلوة".

قال دانى: "قائمتان مختلفتان للمطعم نفسه؟".

ابتسم نيك وهو يضع شريحة أقل سمكًا على طبق دانى "قال: "هذه هى تورتة المشمش".

فقال آل الضخم: "وأنا أقضى شهر العسل مع الممثلة كاميرون دياز".

هذه المرة ضحك كل من دانى ونيك.

قال نيك: "للحلوى تستخدم الشوكة الصغيرة. ومع ذلك

فإن طلبت كريمة بروليه أو آيس كريم فإنك تلتقط الملعقة الصغيرة".

نهض آل الضخم قائمًا على فراشه، وتساءل: "ما الغرض من هذا كله؟ هذا ليس مطعمًا، إنه سجن لعين. والشىء الوحيد الذى سوف يأكله دانى الفتى على مدى الأعوام العشرين التالية هو اللحم البارد المجمد".

قال نيك متجاهلاً إياه: "وغدًا سوف أريك كيف تتذوق الشراب بعد أن يصب لك النادل قليلاً منه فى كأسك...".

قال آل الضخم مصاحبًا حديثه ومطلقًا ريحًا طويلة: "وبعد الغد سوف أريك كيف تشرب عينة من بولى، شراب معتق سوف يذكرك أنك فى سجن ولست فى فندق سبع نجوم".

٢٤

انفتح الباب الثقيل لزنزانة ليتش المنفردة. وقال له الحارس: "لقد وصلك طرد يا ليتش، فاتبعنى بهمة".

نزل ليتش ببطء عن فراشه، وخرج إلى منبسط الدرج ولحق بالضابط المنتظر. قال له بينما يسيران على طول الردهة: "شكرًا لك على إتاحة زنزانة منفردة لى".

فقال هاجين: "خدمة مقابل خدمة، هذا هو القانون". ولم يتحدث من جديد حتى بلغا المخازن، فقرع بشدة الباب مزدوج القضبان. فتح لهما أمين المخازن وقال: "الاسم؟".

"براد بيت".

"لا تتحامق يا ليتش، وإلا رفعت عنك تقريرًا محترمًا".

"اسمى ليتش، رقم ٦٢٤١".

"وصلك طرد". استدار أمين المخازن، وتناول صندوقًا من فوق الرف الذى خلفه ووضعه على النضد.

" أرى أنك فتحته من قبل يا سيد وبستر".

" أنت تعلم القوانين يا ليتش".

فقال ليتش: "نعم، أعرفها. عليك أن تفتح طردى ولكن فى حضورى، بحيث أتأكد من أنه لا شىء نقص منها أو وضع بداخلها".

قال وبستر: "دعنا نتابع ما نقوم به".

رفع ليتش غطاء الصندوق ليكشف عن حُلة رياضية ماركة أديداس من أحدث صيحة. قال وبستر: "قطعة ثياب فاخرة، لابد ومن المؤكد كلفت أحدهم بالخارج مبلغًا محترمًا". لم يعقب ليتش بينما بدأ وبستر يفتح سوست الجيوب واحدة بعد الأخرى ليتفقد إن كانت بها أية ممنوعات أو نقود. ولم يجد شيئًا، ولو حتى الورقة النقدية المعهودة فئة الخمسة جنيهات. فقال فى تردد: "يمكنك أن تأخذها يا ليتش".

التقط ليتش الحُلة الرياضية وبدأ يسير مغادرًا. لم يخط إلا خطوتين أو ثلاثًا قبل أن يتردد اسمه بقوة وبصوت عالٍ "ليتش". فاستدار ملتفتًا.

أضاف وبستر: "والصندوق أيها المغفل".

عاد ليتش إلى النضد، ووضع الحُلة الرياضية فى مكانها بالصندوق ووضعه تحت إبطه.

بينما يعود معه هاجين إلى الزنزانة، قال له: "سيكون هذا تحسينًا كبيرًا لمظهرك الحالى، ربما يتوجب على أن أتابعك بحرص لأننى لم يسبق لى أن رأيتك فى صالة الألعاب الرياضية، ولكن من ناحية أخرى، ربما يتوجب علىَّ أن أغمض عينى قليلاً عنك".

ابتسم ليتش. قال قبل أن ينغلق باب الزنزانة: "سوف أترك لك حصتك فى المكان المعتاد".

-<o>-

قال دافنبورت بنبرة مسرحية: "لا يمكننى أن أعيش حياة تقوم على كذبة. ألا تدركان أننا كنا مسئولين عن إرسال شخص برىء إلى السجن لبقية حياته؟".

ما إن تم استبعاد دافنبورت من المسلسل التليفزيونى الاجتماعى حتى افترض كريج أنه لن يطول الوقت قبل أن يشعر دافنبورت بالحاجة إلى أى وضعية درامية يتخذها فى

حياته. فعلى كل حال، ليس هناك ما يشغل باله طالما كان فى "استراحة" من العمل.

سأل بين بينما يشعل سيجارة، محاولاً ألا يبدو شديد الاكتراث: "إذن فما الذى تنوى القيام به فى هذا الشأن؟".

قال دافنبورت، بنبرة ممثل بالغ فى أداء البروفات قبل العرض: "أن أقول الحقيقة. أنوى أن أقدم الدليل أثناء استئناف كارترايت وأن أخبرهم بما جرى حقًا فى تلك الليلة. ربما لن يصدقونى، ولكننى على الأقل سأكون مرتاح الضمير".

قال كريج: "إذا فعلت هذا، فربما انتهى بنا الأمر نحن الثلاثة فى السجن". توقف قليلاً، ثم تابع: "لبقية حياتنا. هل أنت واثق من أن هذا هو ما تريده".

" كلا، ولكنه أهون الضررين".

قال كريج: "ولا تكترث لأن ينتهى بك الحال فى مغتسل السجن محاصرًا بين اثنين من سائقى الشاحنات العمالقة حيث يتناوبان الاعتداء عليك؟" لم يجد دافنبورت جوابًا.

أضاف بين: "ناهيك عن العار الذى ستجلبه على عائلتك، قد تكون بلا عمل حاليًا، ولكن دعنى أؤكد لك يا لارى، أنك إذا قررت أن تلعب هذا الدور أمام المحكمة سيكون هو آخر أدوارك على الإطلاق".

أجاب دافنبورت بشموخ وزهو: "كان لدى وقت طويل للتفكير بشأن عواقب هذا الأمر، ولقد عزمت أمرى واتخذت قرارى".

سأله كريج: "هل فكرت بشأن سارة، وما سيخلفه هذا من أثر على مستقبلها العملى كمحامية؟".

" نعم، فكرت، وعندما سأراها فى المرة القادمة أنتوى أن أخبرها بما حدث بالضبط فى تلك الليلة، وأنا على ثقة من أنها سوف تدعم قرارى".

سأله كريج: "هل لك أن تؤدى لى صنيعا واحدا، بحق الأيام

الخوالى يا لارى؟".

تساءل دافنبورت بارتياب: "وما ذلك؟".

"أمهلنا أسبوعا قبل أن تخبر أختك".

تردد دافنبورت. "لا بأس، أسبوع واحد، ولكن ليس أكثر من أسبوع ولو بيوم واحد".

لم يغادر ليتش فراشه حتى أطفئت الأنوار فى الساعة العاشرة. والتقط شوكته البلاستيكية من على المنضدة وانتقل إلى المرحاض فى زاوية الزنزانة، وهو المكان الوحيد الذى لا يمكن الحراس من مشاهدته عبر ثقب التجسس عندما يقومون بدورياتهم كل ساعة لتفقد المساجين والتأكد من نومهم.

وخلع عنه سروال الحُلة الرياضية وجلس على المرحاض. أحكم قبضته على الشوكة البلاستيكية فى يده اليمنى وبدأ فى إزالة الخيط من الشريط الأوسط من الأشرطة البيضاء بطول ساق السروال، وهى عملية شاقة استغرقت أكثر من أربعين دقيقة. وفى النهاية تمكن من استخلاص شريط طويل رفيع جدًا من السيلوفان. كان بداخله كمية من المخدر النقى تكفى مدمنًا لمدة شهر. وابتسم ليتش. وهو أمر نادر الحدوث. لأن مازال أمامه خمسة أشرطة أخرى ليستخلصها؛ مما سيضمن له ربحًا وفيرًا، علاوة على توفير جرعة هاجين.

قال آل الضخم: "لا شك أن مورتيمر يحصل على المخدرات من مصدر غير محدد".

سأله دانى: "وما الذى يجعلك تقول هذا؟".

"كان يظهر كل صباح فى المستشفى دون انقطاع. بل إن

الأطباء شرعوا فى إخضاعه لبرنامج إزالة السموم من الجسد. وذات يوم لم يعد يراه أحد بالمستشفى".

استنتج نيك: "مما يعنى أنه عثر على مصدر آخر".

فقال آل الضخم: "يمكننى أن أؤكد لكما أنه ليس واحدًا من الموردين المعتادين، لقد سألت هنا وهناك، ولم أتوصل إلى شىء". ارتمى دانى على فراشه، مستسلمًا للحالة النفسية الجديرة بمسجون مدى الحياة. فأضاف آل: "ولكن لا تيأس أيها الفتى دانى، ثق بكلامى، سوف يعود، فهم يعودون دائمًا وأبدًا".

صاح الصوت المألوف: "زيارات!" ، وانفتح الباب بعدها بدقيقة حتى يسمحوا لدانى بالانضمام إلى هؤلاء السجناء الذين تطلعوا لموعد الزيارة طوال النهار.

كان يأمل أن يخبر بيث بأنه قد توصل إلى الدليل الجديد الذى يحتاج إليه السيد ردماين أشد الحاجة ليكسب الاستئناف، والآن كل ما يطمع فيه هو أن يعود مورتيمر إلى مستشفى السجن من جديد كما يعتقد آل الضخم، قبل أن يفوت أوان ذلك.

فى السجن، يتشبث سجناء المؤبد بأى أمل كما يتعلق الغريق بأصغر قشة. ضم دانى قبضته بقوة وشق طريقه نحو موضع الزيارات، عاقدًا العزم على ألا تتشكك بيث ولو للحظة بأن ثمة ما يسوء. كلما التقى بها كان عليه دائمًا أن يجعلها تظن أنه مازال هناك أمل، رغم كل شىء.

اندهش كل الاندهاش عندما وجد المفتاح يدور فى القفل، لأنه لم يتلق زيارة بالمرة. اقتحم الزنزانة ثلاثة من الحراس. أمسك به اثنان منهم من كتفيه وجراه خارج فراشه. وبينما يسقط تشبث برابطة عنق أحدهما، فسحبها فى يده؛ كان

قد نسى أن الحراس يضعون رابطات عنق مثبتة بمشبك ويسهل فكها، بحيث يستحيل أن يخنقهم بها أحد السجناء. لوى أحدهم ذراعيه وراء ظهره بينما ركله الآخر بشدة خلف ركبتيه، مما أتاح للثالث أن يضع فى يديه الكلبشات. عندما انهار ساقطًا على الأرضية الحجرية جذبه أول الحراس من شعره وشد رأسه للخلف. وفى أقل من ثلاثين ثانية كان مكبلاً وموثقًا قبل أن يجروه جرًا خارج زنزانته نحو منبسط الدرج.

سألهم ما إن استعاد أنفاسه: "ما الذى ستفعلونه بى أيها الملاعين؟".

قال الضابط الأول: "أنت فى طريقك إلى الحبس الانفرادى يا ليتش. لن ترى نور النهار لثلاثين يوما". هكذا أضاف وهو يجره نزولاً على السلالم اللولبية، كانت ركبتاه ترتطمان على كل درجة.

"وما الذى ارتكبته؟".

قال الضابط الثانى وهم يجذبونه ليمشى مهرولاً ومتقافزًا فى الممر أرجوانى الذى لا يتمنى أحد السجناء أن يراه أبدًا: "التمويل بالمخدرات".

اعترض ليتش قائلاً: "تعرفون جيدا أننى لا أتعاطاها".

فقال ثالثهم ما إن بلغوا القبو الأرضى: "ليس هذا معنى التمويل بالمخدرات، وأنت أيضًا تعرف هذا".

توقف الأربعة أمام زنزانة ليس عليها أية أرقام. انتقى واحد من الضباط مفتاحًا نادرًا ما يستخدم بينما أمسك الآخران بذراعى ليتش بحزم وشدة، وما إن انفتح الباب حتى قذفوا به إلى داخل زنزانة جعلته يشعر بأن زنزانته الأخرى ما هى إلا غرفة فى أحد الفنادق. وقد ثبت فى الجدار حوض اغتسال حديدى، ومرحاض من الحديد بلا نقطة ماء، ملاءة واحدة، وبطانية واحدة، ولا أثر لوسادة أو مرآة.

"عندما تخرج من هنا ستكتشف أن دخلك الشهرى الثابت

قد انقطع عنك. لا أحد بالطابق الأخير يظن حقًا أنك ورثت العمة ميزى".

صفق الباب منغلقًا.

كانت أول كلمة نطقت بها بيث عندما ضمها دانى بين ذراعيه هى: "مبارك علينا". بدا متحيرًا للتهنئة. أضافت قائلة: "امتحاناتك للمرحلة الثانوية أيها الأحمق، لقد اجتزتها كلها، وبكل جدارة كما توقع لك نيك تمامًا". ابتسم دانى. يبدو هذا كله وكأنه كان منذ زمن طويل للغاية، رغم أنه لم يستغرق الشهر، يمضى الزمن مثل الأبدية فى السجن. وعلى أى حال فقد وفى بوعده لبيث وتقدم للمستوى الرفيع. وهنا سألته هى وكأنها تقرأ أفكاره: "ما المواد التى اخترتها؟".

أجاب دانى: "اللغة الإنجليزية، والرياضيات، ودراسات إدارة الأعمال، ولكن أعاقتنى مشكلة واحدة". بدا القلق على بيث، فواصل: "لقد أحرزت تقدمًا فى الرياضيات حتى فقت نيك نفسه، لذا كان عليهم أن يرسلوا لى معلمة من خارج السجن، ولكنها لا تستطيع المجىء إلا مرة واحدة كل أسبوع".

تساءلت بيث فى ارتياب: "معلمة؟".

ضحك دانى: "الآنسة لوفيت جاوزت الستين من العمر ومتقاعدة، لكنها ماهرة فى مادتها. تقول إننى إذا ثابرت فى الدراسة فإنها ستوصى بأن يتيحوا لى فرصة الالتحاق بالجامعة المفتوحة. أتفهميننى، إذا كسبت الاستئناف لن يكون لدى أى وقت للدراسة و...".

قالت بيث: "عندما تكسب الاستئناف عليك أن تواصل دراسة مواد المستوى الرفيع، وإلا فسيكون كل من نيك والآنسة لوفيت يهدران وقتهما لا أكثر".

"لكن سيكون على إدارة الورشة طوال اليوم، لقد توصلت

بالفعل إلى بعض الأفكار لتدر ربحًا أكبر". وهنا صمتت بيث فسألها: "ما الأمر؟".

ترددت بيث. حذرها أبوها من مناقشة هذا الأمر مع دانى. لكنها أقرت أخيرًا قائلة: "الورشة ليست فى أفضل أحوالها هذه الأيام، والحقيقة أنها بالكاد تكسب نفقاتها الأساسية بلا أى أرباح".

سألها دانى: "ولكن لماذا؟".

"بعد غيابك أنت وبيرنى بدأنا نفقد الزبائن الذين ذهبوا لورشة مونتى هيوز على الناحية الأخرى من الطريق".

قال دانى: "لا تنشغلى بهذا، كل ذلك سوف يتغير ما إن أخرج من هنا. الحقيقة أن لدى خططًا لشراء ورشة مونتى هيوز نفسها".

ابتسمت بيث أمام تفاؤل دانى: "هل يعنى هذا أنك توصلت للدليل الجديد الذى يبحث عنه السيد ردماين؟".

قال دانى وهو يرمى بنظرة نحو الكاميرات الذكية فوق رءوسهم: "على الأرجح، على الرغم من عدم قدرتى على قول الكثير لك فى الوقت الحالى، لكن أحد أصدقاء كريج ممن كانوا معه فى المقهى تلك الليلة انتهى به الحال هنا فى السجن". تطلع نحو الضباط المرابطين بشرفة عالية، وتذكر أن آل الضخم حذره من قدرتهم على قراءة الشفاه وواصل. "لن أذكر لك اسمه".

سألت بيث: "وما الذى قاده إلى السجن؟".

"لا يمكننى قول هذا. ليس عليك إلا أن تثقى بى".

"هل أخبرت السيد ردماين؟".

"كتبت إليه الأسبوع الماضى. وقد كنت حريصًا لأن الحراس يفتحون الرسائل ويقرؤون كل كلمة فيهم، أقصد فيها".

قالت بيث: "تصحح لغتك؟".

"هكذا علمنى نيك؟ لأنه يقول إن على ألا أستخدم لغة

العامة والمجرمين بعد أن أخرج من السجن".

"من الواضح إذن أن نيك مؤمن ببراءتك".

"إنه لكذلك، وهكذا آل الضخم، بل وحتى بعض الضباط. لم نعد وحدنا تمامًا يا بيث،" هكذا قال ثم تناول يديها.

سألته بيث: "متى يتم إطلاق سراح نيك؟".

"فى غضون خمسة أو ستة شهور".

"هل ستبقى على اتصال به؟".

"سأحاول أن أفعل، ولكنه سوف يسافر إلى اسكتلندا لكى يعمل هناك بالتدريس".

وضعت بيث يدها على وجنة دانى وهى تقول: "كم أود أن أراه، لقد أثبت أنه شريك حقيقى".

فقال دانى: "بل صديق، صديق حقيقى، ولقد دعانا بالفعل لتناول العشاء معه".

ارتطمت كريستى بالأرض وهى تحاول أن تخطو نحو والدها. وبدأت تبكى، فرفعها دانى بين ذراعيه وقال : "لقد تجاهلنا وجودك قليلاً، أليس كذلك؟"، لكنها لم تتوقف عن البكاء.

قالت بيث: "أعطها لى، يبدو أن علينا أن نعلمك أمورًا فى تربية الأطفال لن يكون بمقدور صديقك نيك أن يعلمك إياها".

٥

كان آل الضخم سعيدًا بتبادله كلمة على انفراد مع الكابتن نيك، بينما دانى يأخذ حمامًا: "لا أعتبر هذا مجرد مصادفة".

توقف نيك عن الكتابة: "مجرد مصادفة؟".

"يدخل ليتش إلى الحبس الانفرادى وفى الصباح التالى يعود مورتيمر إلى المستشفى، يريد أن يرى طبيبًا بأى شكل".

"أتظن أن ليتش كان هو المورد الخاص به؟".

"كما قلت لك لا أعتبر هذه مجرد مصادفة". وضع نيك قلمه. واصل آل الضخم قائلاً: "تملك الارتجاف من جسده، ولكن هذا ما يحدث دائمًا عندما يبدأ المرء برنامج تطهير الجسد من السموم. يبدو أن الطبيب يرى أن الوقت مناسب ليقلع تمامًا عن المخدرات. وعلى أى حال، سوف نكتشف حقيقة الأمر إذا كان ليتش متورطًا".

سأله نيك: "وكيف؟".

"سوف يخرج من الحبس الانفرادى فى غضون أسبوعين. إذا ما توقف مورتيمر عن الظهور بالمستشفى لتلقى العلاج فى اللحظة التى يعود فيها ليتش إلى العنبر فسوف نعرف من هو المورد".

قال نيك "وهكذا فليس لدينا إلا أسبوعان لنحصل على الدليل الذى نحتاج إليه".

"إلا إن كانت مجرد مصادفة".

قال نيك : "هذه مجازفة نتحملها، استعر مسجل دانى وجهز لمقابلته فى أسرع وقت ممكن".

قال آل الضخم وهو يأخذ وضع الانتباه إلى جوار فراشه: "علم وينفذ يا سيدى، هل أخبر دانى بهذا الشأن، أم أكتمه عليه؟".

" أخبره بكل شىء حتى يتسنى له أن يرسل المعلومات إلى محاميه، فعلى أى حال ثلاثة عقول خير من اثنين".

سأل آل الضخم وهو يعود للجلوس إلى فراشه: "ولكن ما مدى براعته؟".

فأقر نيك قائلاً: "إنه أكثر ذكاء منى، ولكن لا تخبره بأننى قلت ذلك؛ لأنه مع قليل من الحظ سأخرج من هنا قبل أن ينجح هو فى النجاة بنفسه".

"لعل الأوان قد حان لنطلعه على حقيقتنا".

أجاب نيك فى حزم: "كلا، ليس بعد".

قال الضابط: "رسائل، اثنان من أجل كارترايت وواحدة من أجل مونكريفت". أعطى دانى الرسالة المنفردة، فتفقد دانى الاسم المكتوب على المظروف.

قال دانى: "كلا، أنا كارترايت وهذه رسالة مونكريف".

قطب الضابط جبينه، وأسلم الرسالة المنفردة إلى نيك والرسالتين الأخريين إلى دانى.

قال آل الضخم: "وأنا آل الضخم".

فقال الضابط: "اذهب إلى الجحيم"، وصفق الباب وراءه.

بدأ دانى يضحك، ثم نظر نحو نيك فوجده شاحب اللون. لا يذكر دانى متى كانت المرة الأخيرة التى تلقى فيها نيك رسالة. سأله: "هل ترغب منى فى قراءتها أولاً؟".

هزَّ نيك رأسه نفيًا، وفض الرسالة وبدأ يقرؤها. جلس آل الضخم، دون أن يتحدث. مثل تلك المواقف غير المعتادة لا تتكرر كثيرًا فى السجن. بينما نيك يقرأ بدأت الدموع تترقرق فى عينيه. مسح وجهه بكم قميصه، ثم ناول الرسالة لدانى.

عزيزى السيد نيكولاس:

يؤسفنى أن أبلغك أن والدك قد وافته المنية. بعد أن أصيب بنوبة قلبية صباح أمس، لكن الطبيب أكد أنه لم يعان إلا أقل القليل، إن كان قد عانى على الإطلاق. أستأذنك فى أن أتقدم بإجراءات تخول لك مغادرة السجن لأسباب إنسانية، بحيث تتمكن من حضور الجنازة.

المخلص لك،

المحامى الخاص، فريزر مونرو

تطلع دانى فرأى آل الضخم يحتضن نيك بين ذراعيه ويربت عليه، كان كل ما قاله آل الضخم هو: "لقد مات أبوه، أليس كذلك؟".

٢٥

قام نيك بخلع سلسلته الفضية من حول رقبته وناولها لدانى، وهو يقول: "أيمكنك أن تعتنى بهذه أثناء غيابى؟".

قال دانى: "بالطبع" وراح يتفحص الشىء المعلق بالسلسلة والذى بدا أشبه بمفتاح وسأله "ولكن لماذا لا تأخذه معك؟".

"لنقل وحسب إننى أثق فيك أكثر مما أثق فى أغلب الناس الذين سوف ألتقى بهم فى وقت تالٍ من هذا اليوم".

وضع دانى السلسلة حول عنقه، وقال: "هذا إطراء".

فقال نيك مبتسما: "لا حاجة للإطراء بيننا".

نظر نيك إلى صورته المنعكسة على المرآة الحديدية الصغيرة والمعلقة على الجدار فوق حوض الاغتسال. لقد أعادوا إليه متعلقاته الشخصية فى الخامسة صباحًا من هذا اليوم، كانت موضوعة فى كيس بلاستيكى محكم الغلق ولم يفتح منذ أربع سنوات. كان من المفترض أن يغادر السجن فى الساعة السادسة حتى يتمكن من الوصول إلى اسكتلندا فى الموعد المحدد للجنازة.

قال دانى وهو يحدق إليه: "لا أطيق صبرًا".

فسأله نيك وهو يضبط رابطة عنقه: "علام؟".

"على أن يتاح لى أن أرتدى ملابسى مرة ثانية".

"سوف يتاح لك القيام بهذا عند حضور الاستئناف، وما إن يسقطوا عنك الحكم فلن ترتدى ثياب السجن مرة أخرى، وفى الحقيقة ستكون قادرًا على أن تخرج من قاعة المحكمة بوصفك رجلاً حرًا".

غمغم آل الضخم بابتسامة عريضة: "وخصوصًا بعد أن يستمعوا إلى الشريط الذى سوف أسجله، أظن أن اليوم هو اليوم المناسب". كان على وشك أن يشرح مقصده عندما سمعوا مفتاحًا يدور فى القفل. كانت تلك المرة الأولى التى يرون فيها الضابطين باسكو وجينكينز فى ثيابهما المدنية.

قال باسكو: "اتبعنى يا مونكريف، يرغب مأمور السجن فى محادثتك قليلاً قبل أن تتوجه إلى إدينبيرج".

قال دانى: "أبلغ المأمور أطيب تحياتى، واسأله إن كان يمكن له الانضمام إلى وجبة المساء معنا فى أحد الأيام".

ضحك نيك من محاكاة دانى للكنته: "إن كنت تظن أنك تستطيع لعب دورى فلمَ لا تحاول أن تأخذ مكانى فى الفصول التعليمية هذا الصباح؟".

سأل آل الضخم: "هل تكلمنى أنا؟".

دق جرس هاتف دافنبورت، لكن مر بعض الوقت قبل أن يخرج من تحت الملاءات ليجيبه. غمغم قائلاً: "من المتصل اللعين؟".

أعلن الصوت المألوف لوكيله الفنى: "جيبسون".

انتبه دافنبورت فجأة. لا يتصل جيبسون جراهام إلا إن كان هناك عمل ما. دعا دافنبورت ربه أن يكون الأمر يتعلق بدور فى فيلم، أو مسلسل تليفزيونى آخر، أو حتى إعلان تجارى – لأنهم يدفعون جيدا حتى وإن اقتصر الأمر على تسجيل بصوته وحسب. بالتأكيد سوف يتعرف معجبوه على النبرات العذبة للطبيب بيريزفورد.

قال جيبسون، محاولاً أن يبدو الأمر وكأنه حدث اعتيادى: "وردنى استفسار عن إمكانية توافرك لعمل ما" نهض دافنبورت جالسًا وحبس أنفاسه ليواصل وكيله: "إنه إعادة إنتاج لمسرحية، ويريدونك لتلعب دور جاك. وقد وقعت الممثلة إيف بيست معهم للعب دور جويندولين. أربعة أسابيع للعرض فى مدن وأماكن مختلفة قبل افتتاح العرض فى ويست إند. المقابل المالى ليس عظيمًا، ولكن العرض سوف يذكر جميع هؤلاء المنتجين أنك مازلت حيًا ترزق"، على الرغم من أسلوب العرض إلا أن دافنبورت لم يتحمس للفكرة. إنه يتذكر تمام التذكر كيف تبدو الأمور عند العرض لأسابيع فى أماكن مختلفة ويتبع ذلك الوقوف على خشبة المسرح ليلة بعد أخرى فى الويست إند، ناهيك عن حفلات أول المساء بمقاعدها نصف الخالية، وعلى الرغم من ذلك كله فعليه أن يعترف بأنه أول عرض جاد يتلقاه للعمل منذ أربعة أشهر تقريبًا.

قال: "سأفكر بالأمر".

فقال جيبسون: "ولكن لا تستغرق وقتًا طويلاً، فأنا أعرف أنهم اتصلوا أيضا بوكيل نايجل هيفرز ليعرفوا إن كان متاحًا".

كرَّر دافنبورت: "سأفكر بالأمر". وأغلق الهاتف. تفقد الساعة الموضوعة بجوار الفراش، كانت العاشرة وعشر دقائق. تأوه وتثاءب وانزلق لينام بين الملاءات من جديد.

طرق باسكو طرقات هادئة على الباب، قبل أن يقود جينكينز نيك إلى داخل مكتب المأمور.

تطلع المأمور ناظرًا من خلف مكتبه، وقال: "يومك طاب يا مونكريف".

أجاب نيك: "طاب يومك يا سيد بارتون".

قال بارتون: "أنت تدرك أنه على الرغم من السماح لك

بالخروج لدواعى الرأفة، من أجل حضور جنازة والدك، فإنك مازلت سجينًا من الفئة أ، مما يعنى أنه لابد وأن يصحبك ضابطان حتى تعود الليلة. كما تنص القوانين على أن يديك لابد وأن تبقى مقيدتين طوال الوقت. ومع ذلك، ومع وضع الظروف الحالية فى الاعتبار، ومع مراعاة حقيقة أنك كنت طوال العامين الماضيين سجينًا مأمونًا ولا غبار على سلوكه، وأنه لم يبق إلا بضعة شهور قبل موعد إطلاق سراحك، فإننى سوف أمنحك امتيازًا خاصًا وسوف أسمح لك بأن تكون بلا قيود اليدين ما إن تعبر الحدود. هذا إلا إذا ارتأى السيدان باسكو وجينكينز سببًا وجيهًا ليعتقدا أنك قد تحاول الهرب أو ترتكب أى مخالفة. أنا واثق من أنك لا تحتاج لتذكير يا سيد مونكريف، أنه فى حالة كتلك لا يكون أمامى خيار آخر غير أن أوصى لجنة تحديد فترات العقوبة والنظر فى إطلاق السراح المبكر بألا يمنحوك إطلاق سراح مبكر - ثم تفقد ملف نيك - والمحدد موعده بالسابع عشر من يوليو، ولكن سوف أوصى بأن تقضى فترة عقوبتك كاملة، أى أربعة أعوام أخرى. هل كلامى مفهوم تمامًا يا مونكريف؟".

قال نيك: "نعم، وأشكرك يا سيادة المأمور".

"ليس هناك ما أقوله لك بعد ذلك إلا أن أقدم لك أحر التعازى فى فقدك لوالدك، وأتمنى لك يومًا طيبًا". نهض مايكل بارتون من وراء مقعده وأضاف: "واسمح لى أن أقول إننى آسف جدًا لأن هذا وقع قبل موعد إطلاق سراحك".

"أشكرك حقًا يا سيادة المأمور".

أومأ بارتون، وقاد باسكو وجينكينز مسجونهما للخارج.

قطب المأمور جبينه عندما رأى اسم المسجون التالى الذى من المفترض أن يمثل بين يديه. لم يكن يتطلع لهذه المقابلة.

-٥-

خلال استراحة الصباح اضطلع دانى بمهام نيك كأمين لمكتبة السجن، أعاد وضع الكتب التى كانت معارة إلى أماكنها على الأرفف، وختم تلك التى يريد السجناء استعارتها. بعد الانتهاء من تلك المهام التقط نسخة من صحيفة التايمز من رف الصحف وجلس يقرؤها. كانت الصحف ترسل إلى السجن كل صباح ولكن ليس من الممكن قراءتها إلا فى مكتبة السجن: ست نسخ من ذا صن، وأربع نسخ من ذا ميرور، ونسختان من الدايلى ميل، ونسخة واحدة من التايمز - وهو ما شعر دانى تجاهه بأنه انعكاس أمين لأمزجة السجناء فى قراءة الصحف.

واظب دانى على قراءة التايمز كل يوم على مدار العام الماضى، وقد صار الآن معتادًا على تصميمها وتنسيقها الداخلى، وعلى عكس نيك، مازال غير قادر على إكمال الكلمات المتقاطعة، ومع ذلك فقد كان يمضى أغلب الوقت فى قراءة صفحات إدارة الأعمال إلى جانب الصفحات الرياضية. ولكن اليوم سيكون مختلفًا. قلب الصفحات إلى أن وصل إلى صفحة ما كانت تشغله قراءتها فيما مضى.

احتل نعى السير آنجوس مونكريف نصف صفحة، حتى ولو كان النصف الأدنى من الصفحة، وجاء بعد اسمه اختصارات الأوسمة والألقاب التى حصل عليها: والقلادة العسكرية، وضابط فى نظام الامبراطورية البريطانية. راح دانى يقرأ تفاصيل حياة السير آنجوس منذ أن كان طالبًا فى مدرسة لورتو الثانوية بأسكتلندا، وتبعتها أكاديمية ساندهيرست العسكرية الملكية، والتى تخرج فيها وتقلد رتبة ملازم ثانٍ وذهب فى مهمة إلى ماليزيا. وبعد أن حصل على لقب القلادة العسكرية فى كوريا، واصل تقدمه ليصبح عقيد منطقة فى عام ١٩٩٤، وحينها فاز بلقب ضابط فى نظام الإمبراطورية البريطانية. جاء فى الفقرة الأخيرة من التقرير أن زوجته

قد توفيت فى عام ١٩٧٠، وأن لقبه الآن قد انتقل بالوراثة إلى ابنهما الوحيد، نيكولاس آلكسندر مونكريف. تناول دانى قاموسًا صغيرًا ميسرًا، والذى لم يكن يبتعد عنه أبدًا وقلب صفحاته ليعرف معانى اختصارات الألقاب، وابتسم عندما فكر أنه سيخبر آل الضخم بأن شريكهما فى الزنزانة حائز على لقب فارس بالوراثة، وأنه السير نيكولاس مونكريف، غير أن آل الضخم كان يعرف ذلك مسبقًا.

قال أحدهم: "أراك فيما بعد يا نيك"، وغادر السجين المكتبة قبل أن يتسنى لدانى أن يصحح الخطأ.

تلاعب دانى بالمفتاح المعلق فى نهاية السلسلة الفضية، وراح يتمنى، شأنه شأن مالفوليو، فى مسرحية شكسبير الليلة الثانية عشرة، لو كان بوسعه أن يصير شخصًا آخر. مما ذكره بأن عليه تسليم مقاله عن مسرحية الليلة الثانية عشرة مع نهاية هذا الأسبوع. فكر بشأن الخطأ الذى وقع فيه زميله السجين، وتساءل هل بوسعه أن يقنع الدارسين فى فصل نيك بأنه هو نيك إذا واجههم وجهًا لوجه. طوى صحيفة التايمز وأعادها للرف، ثم عبر الردهة إلى الفصل الدراسى.

كانت المجموعة التى تدرس فى فصل نيك قد اتخذت أماكنها بالفعل وراء المقاعد، فى انتظار ظهوره، وكان من الواضح أنه لا أحد منهم يعلم بأن معلمهم المنتظم كان فى طريقه الآن إلى اسكتلندا لحضور جنازة والده. دخل دانى بجسارة إلى الغرفة وابتسم فى وجوه عشرة من التلاميذ المساجين المتوقعين حضور أستاذهم. فك زرا من أزرار قميصه المخطط بالأبيض والأزرق، ليتأكد من أنهم سيرون سلسلته الفضية بمزيد من الوضوح.

قال دانى، فى محاولة لأن يبدو صوته مثل صوت نيك: "افتحوا كتبكم على صفحة رقم ثمانية، سوف ترون مجموعة من صور الحيوانات، وقبالتها قائمة بالأسماء. كل ما عليكم

القيام به هو التوفيق بين الصور وأسمائها. لديكم دقيقتان".

قال أحد المساجين: "لا يمكننى أن أجد الصفحة رقم ثمانية". سار نيك تجاهه لمساعدته وفى نفس اللحظة دخل الغرفة أحد الضباط، وظهر على وجهه تعبير حيرة وتعجب.

"مونكريف؟".

تطلع دانى نحوه.

قال الضابط متفقدًا أوراقه: "اعتقدت أنك غادرت السجن اليوم لدواع إنسانية".

فقال دانى: "أنت على صواب تمامًا يا سيد روبرتس، إن نيك ذهب لحضور جنازة والده فى اسكتلندا، وقد طلب منى أن أهتم بفصل تعليم القراءة الذى يدرسه للمساجين هذا الصباح فقط".

بدا روبرتس أشد تحيرًا وارتباكًا وقال: "هل تتحامق معى يا كارترايت؟".

"أبدا يا سيد روبرتس".

"فعد إذن إلى المكتبة قبل أن أرفع عنك تقريرًا".

غادر دانى الغرفة بسرعة وعاد إلى مكتبه بالمكتبة. حاول أن يمنع نفسه من الضحك، ولكن مضى بعض الوقت قبل أن يتسنى له التركيز على مواصلة كتابة مقاله حول المسرحية الكوميدية المفضلة لديه من أعمال شكسبير.

◄○►

دخل القطار الذى يستقله نيك إلى محطة ويفرلى بعد الثانية عشرة بدقائق قليلة. كانت بانتظارهم سيارة شرطة لتقودهم مسافة الخمسين ميلاً من إدينبيرج وحتى دانبروث. حين انطلقت السيارة تفقد نيك ساعة يده وقال: "مازال لدينا وقت وفير لن تبدأ مراسم الجنازة قبل الثانية بعد الظهر".

تطلع نيك ببصره خارج نافذة السيارة بينما تختفى المدينة

ويدخلون فى الريف. شعر بحرية لم يشعر بها منذ سنوات. كان قد نسى كم هى جميلة اسكتلندا، بخضرتها الزاهية ومراعيها البنية وسماواتها أرجوانية اللون تقريبًا. قضى ما يقرب من السنوات الأربع فى سجن بيلمارش دون أن يرى إلا الجدران الحجرية العالية والمغطاة بالسلك الشائك، ذلك المنظر الذى يغيم على ذاكرته.

حاول أن يستجمع أفكاره قبل أن يصلوا إلى دار العبادة التى كان يرتادها وسوف يُدفن أبوه فى مقابرها. وافق باسكو على أنه بعد انتهاء مراسم الجنازة بوسع نيك أن يقضى ساعة مع محامى العائلة السيد فريزر مونرو، الذى قدم الطلب الخاص بمغادرة نيك للسجن لدواع إنسانية، والذى يعتقد نيك أيضًا أنه قدم طلبًا لتتم المراسمُ تحت الحد الأدنى من الحراسة الأمنية، وبدون أية كلبشات بلا شك، ما أن يعبروا الحدود.

قبل الموعد المحدد لبدء المراسم بنحو ربع ساعة توقفت السيارة أمام دار العبادة. وسار تجاه السيارة رجل نبيل متقدم فى العمر، مازال نيك يتذكره منذ شبابه، كان يرتدى حُلة سوداء بذيل طويل وقميص أبيض بياقتين طويلتين مثنيتين ورابطة عنق حريرية سوداء. بدا فى هذه الثياب أقرب إلى متعهد جنازات منه إلى محام خاص. رفع قبعته وانحنى انحناءة هينة. صافحه نيك وابتسم، وقال: "طاب يومك يا سيد مونرو، من الجميل أن أراك مجددًا".

أجاب الرجل: "طاب يومك يا سير نيكولاس، عود أحمد لموطنك".

قال المأمور: "ليتش، على الرغم من خروجك من السجن الانفرادى مؤقتًا، دعنى أذكرك أن هذا وضع مؤقت لا أكثر ولا أقل. إذا تسببت فى أهون الإزعاج ستعود إليه حاليًا على

الفور، ولا أريدك أن تشك لحظة بأنك ستقع تحت وطأة ظروف مشددة وقاسية، حتى بدون الرجوع إلىّ".

قال ليتش بلهجة وقحة: "بدون الرجوع إليك؟"، كان يقف قبالة مكتب المأمور، يحيط به ضابطان كل واحد من جهة.

تساءل المأمور: "هل تعترض على سلطاتى؟ لأنك إن كنت تعترض..".

قاطعه ليتش قائلاً بسخرية: "كلا، لا أعترض عليها يا سيدى، ولكنك مطلع طبعًا على قانون السجون لسنة ١٩٩٩. لقد ألقيتم بى فى السجن الانفرادى قبل رفع أى تقرير".

"للمأمور مطلق الحرية فى اتخاذ إجراء كهذا دون اللجوء لرفع أى تقارير إن كان لديه سبب وجيه للاعتقاد أن المسألة واضحة كل الوضوح..".

قال ليتش بدم بارد: "أريد أن أقدم طلبًا فوريًا لرؤية محامىّ".

أجابه بارتون، محاولاً أن يحافظ على أعصابه: "سوف أرفع مطلبك. ما اسم محاميك؟".

أجاب ليتش: "السيد سبنسر كريج". دوّن بارتون الاسم على دفتر أوراق صغير أمامه ليواصل ليتش: "وسوف أطلب منه أن يقدم شكوى رسمية ضدك أنت وثلاثة من فريق عملك".

"هل تهددنى يا ليتش؟".

"كلا ياسيدى. إننى أؤكد وحسب على الملأ أننى سأرفع شكوى رسمية".

لم يعد بارتون يستطيع أن يخفى غضبه وحنقه أكثر من هذا، أومأ برأسه إيماءة، وكانت هذا إشارته المعتادة للضابطين لكى يأخذا السجين بعيدًا عن عينيه.

٥

أراد دانى أن يبلغ نيك بما لديه من أنباء طيبة، لكنه كان

يعلم أنه لن يعود من اسكتلندا إلا بعد منتصف الليل.

كتب إليه آليكس ردماين ليبلغه بأن موعد جلسة الاستئناف الخاصة به قد تحدد فى يوم ٣١ من مايو، أى بعد أسبوعين وحسب. وأراد السيد ردماين أن يعلم إن كان دانى يرغب فى حضور الجلسة، متذكرًا أنه لم يقدم شهادته فى المحاكمة الأصلية. وقد كتب له ردًا على الفور يبلغه فيه بأنه يود الحضور.

كما كتب أيضًا رسالة إلى بيث. أراد أن تكون هى أول من تعلم بأن مورتيمر قد أدلى باعتراف كامل، وأن آل الضخم قد سجل له كل كلمة على مسجل دانى الصغير. والشريط الآن يختفى فى حشية فراشه، وسوف يسلمه بنفسه للسيد ردماين فى زيارته القانونية التالية له. أراد دانى أن تعرف بيث أنهم الآن لديهم الدليل الذى كانوا يحتاجون إليه، ولكنه لم يستطع أن يدون أى شىء كتابة.

لم يحاول آل الضخم أن يخفى حقيقة أنه مسرور وراض عن نفسه تمامًا، بل حتى إنه عرض أن يمثل أمام المحكمة كشاهد. بدا الأمر وكأن نيك كان على حق، فلعل دانى سيغادر السجن قبله.

٢٦

كان القيم على دار العبادة فى انتظار السير نيكولاس بغرفة الجنائز. انحنى انحناءة هينة قبل أن يصحب رأس العائلة الجديد نحو الممر الذى يتوسط المقاعد الخشبية الطويلة نحو مقعد خشبى طويل فى الصدارة على الجانب الأيمن. اتخذ كل من باسكو وجينكينز مكانيهما فى أحد الصفوف الخلفية.

التفت نيك نحو جهة اليسار حيث كانت بقية أفراد العائلة يجلسون فى الصفوف الثلاثة الأولى على الجانب الآخر من الممر المتوسط. ولم يهتم أحد منهم بالنظر حتى باتجاهه؛ كان من الواضح أنهم جميعًا يطيعون أوامر عمه هوجو بأن يتجاهلوه تمام التجاهل، غير أن هذا لم يمنع السيد مونرو من الانضمام إلى نيك فى الصف الأمامى. بدأ عزف الأورغن، وبدأت الترانيم.

بعد بداية الترانيم بدقائق قليلة دخل النعش إلى قاعة دار العبادة محمولاً على أكتاف ستة جنود من ماليزيا، ثم وضع بلطف فوق منصة مخصصة له أمام المكان المقدس، وأضفى نيك رأسه للرجل الذى كان يؤمن بحق بالله والوطن.

عندما قدم رجل الدين تأبينه للراحل تذكر نيك واحدًا من تعبيرات والده، والتى كان لابد أن يكررها كلما شهد جنازة فيما

مضى - "كان تأبين المتوفى على أفضل ما يكون".

ما إن قدم رجل الدين صلواته الختامية، خرج الحشد المكون من أفراد العائلة، والأصدقاء، ومندوبين عن لواء الجيش، وأشخاص من السكان المحليين إلى باحة دار العبادة فى انتظار الدفن.

وللمرة الأولى رأى نيك البنية الهائلة لرجل لابد أن وزنه يزيد على ١٥٦ كيلوجرامًا، والذى لا يبدو اسكتلنديًا. بادله نيك الابتسام وحاول أن يتذكر متى كانت المرة الأخيرة التى رآه فيها. ثم تذكر: واشنطون العاصمة؛ افتتاح معرض فنى فى قاعة سميثسونيان للاحتفال بعيد ميلاد جده الثمانين، عندما عرضت مجموعته الخاصة الخرافية من طوابع البريد لكى تعرض على الجمهور العام. غير أن نيك ظل مع هذا غير قادر على تذكر اسم الرجل.

بعد أن تم إنزال النعش إلى القبر وأجريت الطقوس الأخيرة، تفرقت عائلة مونكريف، دون أن يقدم واحد منهم أى تعازى لابن الرجل الراحل ووريثه الوحيد. واحد أو اثنان من السكان المحليين ممن لا يعتمد مورد رزقهم على العم هوجو توجها نحو نيك وصافحاه، فيما كان الضابط رفيع المستوى المندوب عن اللواء يقف فى وضع انتباه ويقدم تحيته العسكرية. رفع نيك قبعته فى تقدير وامتنان.

حينما استدار ليبتعد عن موضع القبر، رأى نيك السيد فريزر مونرو يتحدث إلى جينكينز وباسكو. سار مورنو نحوه، وقال له: "لقد وافقوا أن بوسعك أن تمضى ساعة معى لمناقشة شئون العائلة، لكنهم لن يسمحوا لك بمرافقتى إلى المكتب بسيارتى".

قدم نيك الشكر لرجل الدين: "أتفهم هذا"، واتجه ليستقل السيارة. وما هى إلا لحظات حتى اتخذ كل من باسكو وجينكينز مكانيهما على جانبيه.

بينما تتحرك السيارة، نظر نيك من خارج النافذة فرأى رجلاً ضخمًا يشعل سيجاره.

قال نيك بصوت عالٍ: "إنه هانساكر، جين هانساكر".

***

سأل كريج: "لماذا طلبت مقابلتى؟".

قال ليتش: "نفدت البضاعة".

"لكننى زودتك بما يكفى لمدة ستة شهور".

"ولكن هذا قبل أن يأخذ الحارس المرتشى نصيبه".

"إذن فعليك أن تزور مكتبة السجن قريبًا".

"ولماذا أذهب للمكتبة يا سيد كريج؟".

"استعر آخر نسخة من دورية ذا لو ريفيو، (الدورية القانونية)، النسخة ذات الغلاف الجلدى، وسوف تجد كل ما تحتاج إليه بداخل عقب الكتاب". أغلق كريج حقيبة أوراقه، ونهض واقفًا واتجه نحو الباب.

قال ليتش دون أن يتحرك من مقعده: "لن ينتهى اللقاء بهذه السرعة".

فقال كريج وهو يمس مقبض الباب: "ماذا تقصد؟".

"لقد التحق صديق العمة ديزى ببرنامج طبى لتطهير جسمه من السموم".

"إذن فعليك أنت أن تجعله ينتهى عن هذا البرنامج، أليس كذلك؟".

قال ليتش بهدوء: "قد لا يحل هذا مشكلتك".

عاد كريج ببطء إلى المنضدة، لكنه لم يجلس.

"إلام ترمى؟".

"قالت لى العصفورة أن صديق العمة ميزى قد بدأ يثرثر ويزقزق مثل طير كنارى".

قال كريج بحدة: "إذن فأخرسه".

"قد يكون فات أوان هذا".

"توقف عن التلاعب يا ليتش، وهات ما عندك مباشرة".

"قيل لى إن هناك شريطًا تم تسجيله".

ارتمى كريج على المقعد وحملق فى ليتش. وسأل فى هدوء: "وما الذى يوجد على هذا الشريط؟".

"اعتراف كامل....بالأسماء، والتواريخ، والأماكن". توقف ليتش قليلاً مدركًا أنه استحوذ على كامل انتباه كريج وواصل: "وعندما سمعت بتلك الأسماء شعرت بأنه لزام علىَّ أن أستشير المحامى الخاص بى".

لم ينبس كريج ببنت شفة لبعض الوقت. ثم سأله أخيرًا: "أتظن أن بمقدورك أن تضع يدك على هذا الشريط؟".

"لكن هذا له ثمنه".

"كم؟".

"عشرة آلاف جنيه".

"هذا ثمن باهظ".

قال ليتش: "وهكذا ثمن ضمائر الحراس أيضًا. على كل حال، أراهن أن العمة ميزى ليس لديها أى خطة بديلة، وبالتالى لا تملك خيارات أخرى".

أومأ كريج برأسه. "حسنًا، ولكنَّ هناك حدًا زمنيًا للقيام بهذا. إن لم يكن هذا الشريط بحوزتى قبل يوم ٣١ من مايو، لن تتلقى منى أية أموال".

فقال ليتش بابتسامة مصطنعة: "ليس من الصعب على أى شخص أن يخمن من ستنعقد له جلسة استئنافه فى هذا التاريخ نفسه".

قال السيد مونرو وهو ينقر بأصابعه على سطح مكتبه: "لقد ترك والدك وصيةحررها مكتبى للمحاماة. ولقد شهد

على الوصية قاضى الصلح (الموثق العام)، ويتوجب علىَّ أن أنصحك بأنك وبصرف النظر عن مشاعرك تجاه مضمون الوصية، فمن غير الحكمة أن تهاجمها وتحاول اختصامها قانونيًا".

قال نيك: "لم يخطر ببالى مطلقًا أن أعارض رغبات والدى".

"أعتقد أن هذا قرار فطن يا سير نيكولاس، إن كان لى الحق فى قول هذا، ومع هذا، فمن حقك أن تطلع على تفاصيل الوصية. فبما أن الوقت ليس فى صالحنا فاسمح لى أن أوجزها لك". سعل، ثم أكمل: "إن أغلب ممتلكات والدك قد ذهبت لشقيقه، السيد هوجو مونكريف، مع منح صغيرة وإيرادات سنوية بحيث توزع بين أعضاء آخرين من الأسرة، واللواء الذى كان يقوده، وبعض الأعمال الخيرية المحلية. ولم يترك لك شيئًا فيما عدا اللقب، وهو شيء لا يستطيع أن يحرمك منه بطبيعة الحال".

"كن واثقًا يا سيد مونرو أن هذا لا يدهشنى أى دهشة".

"يريحنى أن أسمع هذا منك يا سير نيكولاس، وعلى الرغم من هذا، فإن جدك، وقد كان رجلاً عمليًا وثاقب النظر، وقد صادف أن أبى كان ممثلا لمصالحه القانونية، وضع شروطًا محددة فى وصيته تعتبر أنك المنتفع الوحيد بها. وقد قدم والدك طلبات لإبطال تلك الوصية الخاصة بجدك، غير أن المحكمة رفضت طلبه".

ابتسم مونرو بينما ينقب وسط الأوراق على مكتبه إلى أن عثر على مراده. تناوله بإيماءة انتصار وأعلن: "هذه هى وصية جدك، وسوف أطلعك فقط على البنود ذات الصلة بك". قلب عدة صفحات،" آه، هنا، هنا ما أبحث عنه". وضع نظارته صغيرة العدسات على طرف أنفه وراح يقرأ ببطء". إننى أترك ممتلكاتى العقارية فى اسكتلندا والمعروفة باسم دانبروثى

هول، وكذلك مسكنى فى لندن الذى يقع فى بولتونز، لحفيدى نيكولاس آلكسندر مونكريف، والذى يخدم الآن فى كتيبته فى كوسوفو، وسوف يكون لابنى أنجوس مطلق الحرية أن ينتفع بكلتا الملكيتين حتى وفاته، فتعود بالتالى إلى حفيدى الذى سلف ذكره". أعاد مونرو الوصية من جديد إلى مكتبه، وقال: "فى الأحوال العادية، يضمن لك هذا ميراثًا ضخمًا، ولكن بكل أسف ينبغى على أن أبلغك أن والدك قد استفاد بكلمات الوصية "له مطلق الحرية أن ينتفع....." ، واقترض مبالغ طائلة برهن الممتلكات حتى شهور قليلة قبيل وفاته.

"وفى حالة عقارات دانبروثى، فقد أبقى على مبلغ ...". ومرة أخرى وضع السيد مونرو نظارته صغيرة العدسات بحيث يتمكن من الرجوع للأرقام - وواصل: "مليون جنيه، وبالنسبة لمسكنه فى بولتونز مبلغ يفوق المليون بقليل. ووفقًا لوصية والدك، فما إن يتم إثبات صحة الوصية والتصديق عليها، سوف يئول المال مباشرة إلى عمك هوجو".

قال نيك: "وهكذا وعلى الرغم من النوايا الحسنة لجدى، انتهى بى الحال خاوى الوفاض تمامًا".

قال مونرو: "ليس بالضرورة، لأننى أعتقد أن لك حقًا شرعيًا وقانونيًا ضد عمك هوجو، ومن حقك أن تستعيد المال الذى اكتسبه عن طريق هذه الحيلة الصغيرة".

قال نيك: "وعلى الرغم من هذا، إن كانت هذه هى رغبات والدى فلن أعارضها".

قال مونرو، وقد عاد ينقر من جديد على سطح مكتبه: "أعتقد أن عليك أن تتأمل جيدًا فى وضعك يا سير نيكولاس، فعلى كل حال، هناك مبلغ هائل من المال على المحك، وأنا واثق من..".

" قد تكون محقًا تمامًا يا سيد مونرو، ولكننى لن أعرض رغبات والدى المرحوم وإرادته للمساءلة القانونية".

رفع مونرو نظارته وقال مترددًا: "ليكن هذا، ولكننى على أن أبلغك أيضًا أننى تبادلت المراسلات مع عمك، هوجو مونكريف، وهو يدرك تمام الإدراك ظروفك الحالية، ولقد عرض أن يستولى منك على كلتا الملكيتين، مع ما يترتب عليهما من مسئوليات الرهون والديون، كما وافق على أن يغطى أية نفقات ضرورية، بما فى ذلك النفقات القانونية، المتعلقة بعملية نقل الملكية".

سأله نيك: "هل تمثل عمى هوجو قانونيًا الآن؟".

قال السيد مونرو بكل حزم: "كلا، أنا لا أمثله، ولقد نصحت والدك بألا يقترض راهنًا الملكيتين. قلت له إننى أعتبر هذا مخالفًا لروح القانون، إن لم يكن بشكل حرفى ومباشر، أن يجرى تلك الانتقالات فى الملكية دون معرفتك المسبقة أو موافقتك". سعل السيد مونرو من جديد: "ولم يأخذ بنصحى، وبالفعل قرر أن ينحو بإرادته منحى آخر".

"فى تلك الحالة، يا سيد مونرو، هل لى أن أتساءل إن كان ممكنًا لك أن تمثلنى قانونيًا؟".

"إن طلبك هذا يعد إطراء لى يا سير نيكولاس، ودعنى أؤكد لك أن يشرفه أن يواصل تعاونه طويل العهد مع آل مونكريف".

"مع الوضع فى الاعتبار جميع ظروفى الحالية يا سيد مونكريف، فما الذى تنصحنى بعمله؟".

انحنى مونرو انحناءة هينة وقال: "لقد توقعت أنك قد تطلب منى استشارتى القانونية، ولقد قمت نيابة عنك بسلسلة من الاستفسارات والتقصيات". ابتسم نيك بينما عادت النظارة لمكانها على طرف أنف المحامى المتقدم فى العمر الذى واصل: "لقد علمت بأن ثمن منزل بولتونز حاليًا يقارب الثلاثة ملايين، وأخى، عضو المجلس المحلى، أخبرنى بأن عمك هوجو قد أجرى بعض الاستفسارات مؤخرًا فى مجلس البلدية

ليعرف إن كان من المسموح به إجراء تطويرات على ملكيات دانبروثى، على الرغم من حقيقة أن جدك كان يتمنى أنك فى نهاية الأمر سوف تسلم هذه الملكية للمسئولين عن الحفاظ على التراث القومى لاسكتلندا".

قال نيك: "لقد قال لى كلامًا يحمل هذا القدر من المسئولية، ولقد دونت هذه المحادثة فى يومياتى فى حينه".

" لن يمنع هذا عمك من المضى قدمًا فى خططه، ومع وضع هذا فى الاعتبار، قمت باستشارة أحد أبناء عمومتى والذى يشارك فى إدارة إحدى وكالات العقارات حول ماذا سيكون موقف المجلس من طلب كطلب عمك، فقال لى إنه وفقًا لأحدث شروط التخطيط فى قانون الحكومة المحلى لعام ١٩٩٧، فإن أى جزء من ملكيات كبرى عليها مبان حاليًا، بما فى ذلك المنازل، وأى حظائر أو مخازن أو مبانٍ إضافية ملحقة، أو اسطبلات، يمكنها أن تحظى بموافقة علي تصريح بإعادة تطويرها وتخطيطها. وقال لى إن هذا قد يمتد إلى مساحة اثنى عشر فدانًا. كما أعلمنى أن المجلس يبحث عن أراضٍ ليبنى عليها مبانى سكنية مخفضة التكاليف أو منازل للمتقاعدين، بل ولعلهم يفكرون فى طلب لبناء فندق". رفع مونرو نظارته ليواصل: "يمكنك أن تطلع على جميع المعلومات المتعلقة بهذا إذا قرأت محاضر الجلسات الخاصة بلجنة التخطيط العمرانى للمجلس، والتى ستجدها متوفرة فى المكتبة المحلية فى اليوم الأخير من كل شهر".

سأل نيك: "هل يستطيع ابن عمك أن يقدر قيمة الملكية العقارية؟".

"ليس بصورة رسمية، لكنه قال إن أراضى مماثلة تباع بما يقارب من مائتى وخمسين ألفًا من الجنيهات للفدان".

قال نيك مقترحًا: "مما يجعل الملكية العقارية تقارب الثلاثة ملايين".

"أشعر بأن المبلغ أقرب إلى أربعة ملايين والنصف إن حسبت الاثنى عشر فدانًا من الأراضى الزراعية. ولكن، وهناك دائمًا لكن تلك، عندما يتدخل عمك هوجو فى الموضوع، يجب ألا تنسى أن الملكية العقارية وأن مسكن لندن هما الآن مثقلان بمبلغ رهن ضخم ولابد من تسديده عن كل يوم". توقع نيك أن يفتح المحامى ملفًا آخر، وهذا ما جرى تمامًا. إن نفقات منزل بولتونز، بما فى ذلك الفوائد ونفقات الخدمة والرهن، ما يقارب الأربعمائة وثلاثة آلاف جنيه كل شهر، وهناك مائتا ألف أخرى شهريًا لملكية دانبروثى، مما يجعل الإجمالى لهذا كله مبلغا تقديريًا خمسة وسبعين ألف جنيهًا لكل عام. ومن واجبى أن أحذرك يا سير نيكولاس، أنه يجب عليك سداد كل هذه المستحقات فى فترة لا تجاوز الثلاثة شهور، إن شركات الرهن مهتمة للغاية بوضع الملكيات فى السوق لبيعها بيعًا مباشرًا، وإذا ما حدث هذا أنا على ثقة من أنهم سيجدون فى عمك مشتريًا مستعدًا".

" وعلى أن أخبرك بدورى يا سيد مونرو إن دخلى الحالى كأمين مكتبة فى السجن هو اثنا عشر جنيها فى الأسبوع".

قال السيد مونرو وهو يدوّن ملحوظة: " أهكذا الأمر؟ إن مبلغًا كهذا لن يمثل أى عون فى توفير مبلغ خمسة وسبعين ألفًا من الجنيهات". هكذا قال المحامى الذى أبدى قدرًا نادرًا من الدعابة.

فاقترح نيك عاجزًا عن مواراة ابتسامته: "لعلنا فى هذه الحالة علينا أن نستعين بواحد آخر من أبناء عمومتك".

أجاب مونرو: "لا يوجد أحدهم للأسف، ومع ذلك فإن شقيقتى متزوجة من مدير الفرع المحلى للرويال بنك باسكتلندا، ولقد أكد لى أنه لا يجد أى مشكلة فى دفع البنك لتلك المستحقات، إن كنت مستعدًا لأن تودع وديعة أخرى على ذمة كل من الملكيتين مع البنك".

قال نيك : "لقد كنت شديد الاهتمام بجميع التفاصيل نيابة عنى، وأنا أشعر بمنتهى الامتنان تجاهك".

قال مونرو: "على أن أقر بشىء وسوف تتفهم أن ما أنا بصدد قوله ليس شيئًا رسميًا وهو سرى للغاية، على الرغم من أننى كنت شديد الإعجاب والتقدير بجدك، وكنت سعيدًا بتمثيل والدك قانونيًا، إلا أننى لم أشعر أبدًا بالثقة نفسها تجاه عمك هوجو، وهو بالمناسبة..."، سمعا طرقة على الباب. قال مونرو: "ادخل".

برزت رأس باسكو من فتحة الباب. "أعتذر على مقاطعتكما يا سيد مونرو، ولكن علينا أن نغادر خلال دقائق قليلة إن كان علينا أن نلحق بقطار العودة إلى لندن".

قال مونرو: "شكرًا لك، سأسرع قدر الإمكان". لم يتحدث مجددًا حتى انصرف باسكو مغلقا الباب من خلفه. قال مونرو: "أخشى أنه على الرغم من مناقشتنا المقتضبة يا سير نيكولاس، فإن عليك أن تضع ثقتك بى"، وضع أمامه عدة وثائق على المنضدة. "أطلب منك توقيع تلك الموافقات، على الرغم من أنك لن تجد الوقت الكافى لدراستها بالتفصيل، ومع ذلك، إذا تابعت أنا الإجراءات بينما تؤدى أنت...". وسعل من جديد.

قال نيك: "فترة عقوبتى".

قال المحامى الخاص بينما يخرج قلم حبر من جيبه ويناوله لموكله: "هذا ما أقصده تمامًا يا سير نيكولاس".

قال نيك: "أنا أيضًا لدى وثيقة تخصنى أرجو أن تكون شاهدًا عليها"، وأخرج من جيبه الداخلى عدة وريقات مسطرة من دفاتر السجن، وناولها إلى محاميه.

٢٧

بعد العرض الأول لمسرحية أهمية أن تكون إرنست، فى ليلة افتتاحها على مسرح الرويال ثيتر فى برايتون، نال لورانس دافنبورت استحسانًا وهتافًا جعله يعود لتحية الجمهور ثلاث مرات، أثناء تقديم التحية الأخيرة للممثلين. لم يبد عليه أنه يلاحظ أن بقية الممثلين كانوا معه على خشبة المسرح.

أثناء البروفات اتصل بشقيقته هاتفيًا ودعاها للانضمام إليه على العشاء التالى للعرض.

سألته سارة: "وكيف يمضى العرض؟".

أجابها: "على ما يرام، ولكن هذا ليس السبب الحقيقى الذى أريدك أن تأتى من أجله. فأنا بحاجة لمناقشة أمر مهم معك، فقد اتخذت قرارًا أرى أنه سوف يؤثر عليك، والحق أنه سوف يؤثر على العائلة بأكملها".

وعندما أنهى اتصاله معها كان أكثر تصميما على قراره. سوف يواجه سبنسر كريج للمرة الأولى فى حياته، مهمًا كانت العواقب. كان يعرف أنه لن يستطيع خوض غمار هذا دون دعم أخته سارة، ولاسيما أنها كانت على علاقة سابقة مع كريج.

كانت البروفات مرهقة غاية الإرهاق. فى المسرح لا يوجد إعادة من أجل التقاط المشهد مرة ثانية أو ثالثة، كما فى السينما أو التليفزيون، إذا ما نسى الممثل جملة أو اتخذ

حركة على الخشبة فى الاتجاه غير الصحيح. بل إن دافنبورت شرع يتساءل كيف له أن يتألق وسط هؤلاء الممثلين المحنكين والمعتادين على الظهور على مسرح الويست إند. ولكن منذ لحظة رفع الستار فى الليلة الأولى كان من الواضح أن المسرح مكتظ بمعجبات د. بيريزفورد، ممن تنهبوا لكل كلمة ينطق بها لورانس، وضحكوا على أبسط سطوره المرحة، وصفقوا لكل مشهد فى العمل كان موجودًا به.

عندما دخلت سارة إلى غرفة تغيير الملابس الخاصة به، لتتمنى له حظًا طيبًا قبل رفع الستار، ذكرها بأن لديه شيئًا فى غاية من الأهمية ليناقشه معها على العشاء. بدا لها شاحبًا ومرهقًا قليلاً، ولكنها أرجعت هذا لتوتر الليلة الأولى للعرض المسرحى.

قالت له: "أراك بعد العرض، حظًا طيبًا".

وعند نزول الستار وانتهاء العرض، أدرك دافنبورت أنه غير قادر على أن يمضى فى هذا حتى النهاية. شعر بأنه قد عاد إلى حيث ينتمى. حاول أن يقنع نفسه بأن من واجبه أن يضع الآخرين فى الاعتبار، على الأقل شقيقته. فعلى كل حال، لماذا يتأذى مسارها المهنى بسبب سبنسر كريج؟

عاد دافنبورت إلى غرفة تغيير الملابس ليجدها ممتلئة عن آخرها بالأصدقاء والمعجبين، يحتفلون بنجاحه - إنها العلامة الأولى دائمًا على نجاح فنى ساحق. نعم المديح وطاب له الثناء الذى تدفق عليه وحاول أن ينسى كل ما يتعلق بالسجين البرىء، دانى كارترايت، وقد كان على كل حال لا يزيد على كونه شاب شوارع من منطقة إيست إند، والأرجح أنه كان سينتهى به الحال فى السجن فى أى قضية.

جلست سارة فى ركن الغرفة، سعيدة بنجاح أخيها، ولكنها راحت تتساءل ترى ما الذى يحتاج لمناقشته معها الليلة، وينطوى على كل هذه الأهمية.

كان من المفاجئ لنيك أن يجد دانى مازال مستيقظًا عندما فتح باسكو باب الزنزانة بعد منتصف تلك الليلة، وعلى الرغم من أنه كان منهك القوى بعد أحداث ذلك اليوم وبعد رحلته الطويلة من لندن ثم إليها، سره أن يجد شخصًا ليروى له أخباره.

أنصت دانى بشغف لكل ما جرى فى اسكتلندا. كان آل الضخم راقدًا فى مواجهة الحائط، ولم يقل شيئًا.

قال نيك: "لو أنك مكانى لتعاملت مع المحامى مونرو أفضل منى بكثير، أما أنا فأتساءل إن كنت قد سمحت لعمى بأن يسرق كل هذا المال ويفلت بهذا". كان على وشك أن يمضى ليسرد عليه المزيد من التفاصيل بشأن اللقاء مع محاميه عندما توقف فجأة وسأل دانى: "ما سبب تلك السعادة البادية عليك؟".

نزل دانى عن فراشه، ودس يده تحت وسادته وأخرج شريط تسجيل صغيرًا، وضعه بداخل مسجله وأداره.

تساءل صوت آل الصادر عن المسجلة: "ما اسمك؟".

فأجابه صوت رقيق على عكس الصوت الأول الخشن والغليظ: "اسمى توبى، توبى مورتيمر".

"وكيف دخلت السجن؟".

"حيازة المخدرات".

"من العقاقير المهلوسة؟".

"بل أسوأ، هيروين. لقد كنت معتادا على التعاطى مرتين يوميًا".

"إذن فلابد أن تكون سعيدًا لأنك تخضع لبرنامج طبى لإزالة السموم من جسدك".

قال توبى: "لا يبدو أن الأمر فى غاية السهولة".

"وماذا عن ذلك الهراء الذى أخبرتنى به أمس، هل تتوقع منا أن نصدق ذلك؟".

"كل ما قلته حقيقى، كل كلمة. كل ما أريده منك أن تفهم لماذا خرجت من برنامج العلاج. لقد رأيت صديقى يطعن رجلاً حتى الموت، وكان علىّ أن أبلغ الشرطة".

"ولماذا لم تفعل؟".

"لأن سبنسر أخبرنى بأن أغلق فمى تمامًا؟".

"ومن سبنسر؟".

"صديقى سبنسر كريج، إنه محام".

"أتتوقع منى أن أصدق أن محاميًا مهذبًا يطعن شخصًا لم يسبق له أن رآه؟".

"ليس الأمر بهذه البساطة".

"أراهن أن الشرطة اعتبرته بهذه البساطة".

"نعم، هكذا فعلوا. كل ما كان عليهم القيام به هو الاختيار ما بين شاب من منطقة الإيست إند وبين محام لديه ثلاثة شهود يشهدون بأنه لم يكن حاضرًا الواقعة حتىً". لم ينبعث صوت من الشريط لبضع ثوانٍ قبل أن يعود الصوت نفسه يقول: "ولكننى كنت هناك وشهدت بنفسى".

"إذن فما الذى حدث حقًا؟".

"كان عيد ميلاد صديقنا جيرالد الثلاثين وقد أفرطنا جميعًا فى الشراب. وعندئذ دخل هؤلاء الثلاثة إلى المقهى".

"ومن هؤلاء الثلاثة؟".

"رجلان وفتاة. لقد كانت المشكلة هى الفتاة".

"هل كانت الفتاة هى من بدأ الشجار؟".

"كلا، كلا. لقد أعجب كريج بالفتاة منذ أن رآها، ولكنها لم تعره أى اهتمام، مما أثار غضبه العارم".

"إذن فإن صديق الفتاة هو من بدأ الشجار؟".

"كلا، أوضحت الفتاة أنها تريد أن تغادر المكان، فانسلوا خارجين من الباب الخلفى".

"المؤدى إلى الزقاق؟".

سأل الصوت المنعم بنبرة دهشة: "كيف عرفت هذا كله؟".

فأجاب آل الضخم، مصححا خطأه على الفور: "لقد أخبرتنى بهذا كله أمس".

"آه، نعم". ساد صمت طويل آخر. "ركض كل من سبنسر وجيرالد ملتفين حول المقهى حتى الناحية الخلفية لحظة مغادرة الفتاة والشابين للمكان، لهذا خرجت أنا ولارى للاطمئنان على الأمور، ولكن عندئذٍ كان الأمر قد خرج على نطاق السيطرة".

"ومن الملوم فى ذلك؟".

"سبنسر وجيرالد. أرادا أن يفتعلا مشاجرة مع الشابين وافترضا أنهما سيتغلبان عليهما، ولكنى كنت أبعد ما يكون عن الاشتراك بأى شكل فى الشجار، ولارى لا يصلح لمثل هذا النوع من المواقف".

"لارى؟".

"لارى دافنبورت".

قال آل الضخم، فى محاولة لافتعال الدهشة: "نجم التليفزيون؟".

"نعم. لكننى أنا وهو وقفنا هنالك واكتفينا بالمشاهدة حتى انتهت المشاجرة".

"إذن فقد كان صديقك كريج هو من يسعى للشجار؟".

"نعم. إنه يتخيل نفسه على الدوام بطل ملاكمة، وحصل على جائزة من كامبريدج، لكن هذين الشابين كانا من فئة مختلفة تماما. وعندما تبين سبنسر ذلك سحب سكينا".

"هل كان مع سبنسر سكين؟".

"نعم، لقد التقطها من فوق النضد المخصص للشراب قبل أن يخرج إلى الزقاق. أتذكر أنه قال: "على سبيل الاحتياط".

"وهو لم يسبق له رؤية هذين الرجلين أو الفتاة من قبل؟".

"كلا، لكنه كان مازال يتمنى أن يفوز بالفتاة، حتى أشبعه كارترايت ضربا. وهنا فقد سبنسر صبره وطعنه بالسكين فى ساقه".

"لكنه لم يقتله؟".

"كلا، لقد طعنه فى ساقه فقط، وبينما كارترايت يطمئن على جرحه، طعن سبنسر الرجل الآخر فى صدره". مر بعض الوقت قبل أن يعود الصوت قائلا من جديد: "وقتله".

"هل اتصلت بالشرطة؟".

"كلا، لابد أن سبنسر قام بهذا فيما بعد، بعد أن أمرنا بالعودة إلى بيوتنا. وقال إنه إذا طرحت علينا أى أسئلة فما علينا إلا أن نقول إننا لم نغادر المقهى بالمرة، ولم نر أى شىء".

"وهل طرحت عليك أى أسئلة؟".

"فى اليوم التالى جاء رجال الشرطة إلى منزلى. لم أكن قد نمت، لكننى لم أفش السر. أعتقد اننى كنت خائفًا من كريج أكثر من خوفى من الشرطة، ولكن لم يهم ذلك على أى حال، لأن المحقق الذى كان مسئولاً عن التحقيقات كان مقتنعًا بأنه قد ألقى القبض على الفاعل الحقيقى".

راح الشريط يدور لبضع ثوانٍ أخرى قبل أن يضيف صوت مورتيمر: "مرَّ على هذا أكثر من عامين، ولم يمض يوم واحد منذ ذلك الحين لم أفكر فيه بشأن ذلك الرجل. لقد سبق وأن حذرت سبنسر بأننى بمجرد أن أكون قادرًا على تقديم الدليل..." توقف المسجل.

صاح نيك قائلاً: "أحسنت عملاً يا آل" غير أن آل الضخم لم يرد إلا بالغطيط والنخير. كان عليه أن يلتزم بمسار الحوار الذى كتبه له دانى، والذى يغطى كل النقاط التى يحتاج إليها السيد ردماين من أجل الاستئناف.

قال دانى بينما يخرج الشريط من المسجلة ويدسه تحت الوسادة: "مازال علىَّ أن أعطى الشريط للسيد ردماين

بطريقة ما".

قال نيك: "لن يكون هذا فى غاية الصعوبة، أرسله فى مظروف محكم الغلق ومكتوب عليه "قانونى". فلن يجرؤ أى ضابط أو حارس على أن يفتحه إلا إذا كانوا متأكدين أن المحامى متورط فى تعاملات مادية أو تجارة مخدرات مباشرة مع أحد المساجين، وهو الأمر الذى لن يفعله أى محامٍ مهما كان غبيًا ليجازف بمساره المهنى كله من أجله".

وهنا قال آل الضخم: "إلا إذا كان السجين لديه ضابط يتعاون معه من الداخل، والذى تصادف أنه اكتشف أمر الشريط".

قال دانى: "ولكن هذا غير ممكن، فلم يعرف أحد بأمر الشريط إلا نحن الثلاثة".

قال آل الضخم، وقد قرر أخيرًا أن الوقت حان لينهض قاعدًا: "لا تنس مورتيمر نفسه، وهو غير قادر على الاحتفاظ بفمه مغلقًا، وخصوصًا إن احتاج إلى جرعة".

قال دانى:" إذن فما الذى أفعله بالشريط؟ لأنه لا فرصة أمامى بدونه كسب الاستئناف".

قال آل الضخم: "لا تخاطر بإرساله عبر البريد، حدد موعدًا لمقابلة ردماين، وسلمه له فى يده فى السجن. فلتخمن من الشخص الذى صادف أن يكون لديه موعد مع محاميه أمس؟".

لم ينطق دانى ونيك بشىء فى انتظار أن يجيب آل الضخم على سؤاله بنفسه.

وقال أخيرًا: "إنه الملعون ليتش".

قال نيك: "قد تكون هذه مجرد مصادفة؟".

"ليس عندما يكون محاميه هو سبنسر كريج".

تساءل دانى قابضًا على أعمدة الفراش الصغيرة: "كيف يمكنك أن تكون متأكدًا أن محاميه هو سبنسر كريج؟".

"حارس يتردد على المستشفى بانتظام للقاء ممرضة، ويثرثر معها وأنا واسطة الخير بينهما".

قال نيك: "إذا اكتشف ضابط مرتش أمر الشريط فالموضع الذى سينتهى إليه هذا الشريط لا يحتاج لأى تخمينات".

قال دانى محبطًا خائبًا: "إذن فما عساى أن أفعل بهذا الشأن؟".

قال نيك: "تأكد من ألا ينتهى الشريط إلى مكتب سبنسر كريج".

"هل طلبت مقابلتى من أجل استشارة؟".

"ليس بالضبط".

"هل تسعى لتلقى نصيحة قانونية؟".

"ليس بالضبط".

سأل سبنسر كريج: "فما سبب وجودك هنا بالضبط؟"

"أطلب العون، ولكنه ليس عونًا قانونيًا".

سأل كريج: "وما نوع العون الذى تفكر فيه؟".

"لقد وقعت على فرصة نادرة للحصول على شحنة كبيرة من الشراب الجيد، ولكن هناك مشكلة".

كرر كريج: "مشكلة؟".

"يطلبون عربونًا مقدمًا".

"كم؟".

"عشرة آلاف جنيه".

"سأحتاج إلى بضعة أيام للتفكير بهذا الشأن".

"أنا واثق من أنك ستفعل يا سيد كريج، ولكن لا تستغرق طويلاً فى التفكير، لأن لدى طرفًا آخر، يأمل أن أكون قادرًا على إجابة بعض الأسئلة أمام المحكمة فى وقت قريب". توقف عامل مقهى دانلوب آرمز عن الحديث لبرهة وجيزة، قبل أن

يضيف: "وقد وعدته أن أطلعه على قرارى قبل يوم ٣١ مايو".

-٥-

سمعوا جميعًا المفتاح يدور فى قفل باب الزنزانة مما أدهشهم، فمازالت هناك ساعة أخرى قبل موعد الفسحة.

عندما انفتح الباب كان الحارس هاجين واقفًا أمامه وقال: "تفتيش مفاجئ للزنزانة، اخرجوا أنتم الثلاثة إلى الردهة".

شق كل من نيك ودانى وآل الضخم طريقهم نحو منبسط الدرج وكانوا أكثر دهشة عندما خطا هاجين إلى داخل الزنزانة وأغلق بابها على نفسه. لم تكن المفاجأة أن أحد الحراس يجرى تفتيشًا دقيقًا فى ثنايا الفراش والحشايا، فقد كانوا معتادين على ذلك بما فيه الكفاية - دائمًا ما يسعى الحراس والضباط وراء المخدرات والمشروبات الروحية والسكاكين وحتى المسدسات، ولكن عندما كان يجرى أى تفتيش للزنزانة فيما مضى كان هناك على الدوام ثلاثة ضباط موجودين، ويُترك باب الزنزانة مفتوحًا بحيث يتأكد السجناء من أنه لن يتم دس أى شىء لهم.

ما هى إلا لحظات وجيزة وانفتح باب الزنزانة من جديد وظهر هاجين مرة أخرى، غير قادر على إخفاء الابتسامة المرتسمة على وجهه، قال لهم: "حسنًا يا شباب، لا غبارعليكم".

-٥-

اندهش دانى لرؤيته ليتش فى المكتبة، لأنه لم يسبق له أن استعار كتابًا من قبل. لعله يرغب فى قراءة صحيفة. راح يبحث فى الأرفف هنا وهناك، وبدا تائهًا.

غامر دانى بالقول: "هل يمكننى مساعدتك؟".

"أريد آخر نسخة من اللو ريفيو (الدورية القانونية).

قال دانى: "أنت محظوظ، لأننا لم نكن نمتلك أى نسخ حديثة منها حتى بضعة أيام سابقة حين تبرع شخص ما ببضعة كتب للمكتبة، بما فى ذلك أحدث نسخة من اللو ريفيو".

طالبه ليتش: "إذن أعطها لى".

سار دانى حتى قسم الكتب والدوريات القانونية، وتناول كتابًا سميكًا مغلفًا بغلاف جلدى من على أحد الأرفف ووضعه على النضد، وقال: "الاسم والرقم؟".

"ليس على أن أخبرك بأى شيء".

"ستكون مضطرا لذلك إن أردت أن تستعير كتابا، فبدون ذلك لن أستطيع أن أستخرج لك بطاقة استعارة من المكتبة".

قال بانزعاج: "ليتش، ٦٢٤١".

أعد دانى بطاقة استعارة جديدة. تمنى ألا يلحظ ليتش أن يديه ترتعشان وقال له: "وقع على آخر خط".

وضع ليتش علامة غامضة فى الموضع الذى أشار إليه دانى.

شرح دانى قائلاً: "سيكون عليك أن تعيد الكتاب خلال ثلاثة أيام".

" من تظن نفسك؟ واحد من الضباط الملاعين؟ سوف أعيده متى يروق لى هذا".

راقب دانى ليتش وهو يتناول الكتاب ويخطو خارج المكتبة دون أن يتفوه بكلمة. كان متحيرًا تمامًا، فإن كان ليتش فإنه لا يمكنه أن يوقع باسمه...

٢٨

تـرك كريج سيارته الـبورش فـى ساحة انتظار السيارات، قبل الموعد المحدد لزيارتهم لتوبى بساعة كاملة. كان قد حذر جيرالد من قبل أن صعوبة الدخول إلى سجن بيلمارش هى فى مثل صعوبة الخروج منه تقريبا: سلسلة لا تنتهى من المداخل الفرعية المتتالية والبوابات المزدوجة، والتفقد المتكرر لأوراق إثبات الهوية والتفتيش الجسدى الشامل، وكل هذا قبل أن يبلغوا حتى منطقة الاستقبال.

ما إن قدما اسميهما عند مكتب الاستقبال، تسلم كل من بين وكريـج مفتاحًا مرقمًا ليضعا فـى خزانة صغيرة كل ما معهما من متعلقات ثمينة، بما فى ذلك ساعات اليد، الخواتم، والسلاسل، أى أوراق نقدية أو عملات معدنية صغيرة. وإذا أرادا أن يبتاعا أى شىء من المقصف من أجل السجين فعليهما أن يقدما مقدار المال المضبوط ويأخذان بالمقابل عملات بلاستيكية صغيرة مرقمة بفئات من جنيه إلى خمسين بنسًا أو عشرين بنسًا أو عشرة بنسات، بحيث لا يمكن أن تصل أية نقود إلى أيدى السجناء. يتم النداء على أسماء الزوار واحدًا بعد آخر، وقبل أن يسمح لهم بالدخول إلى منطقة الأمن، يتعرضون للمزيد من التفتيش، والذى يتم هذه المرة من قبل حارس معه كلب بوليسى.

نادى صوت من مكبر الصوت: "الأرقام واحد واثنان".

جلس كل من كريج وبين فى أحد الأركان بغرفة الانتظار لا يوجد بها أى شيء لمساعدتهما على تمرير الوقت إلى أن يتم النداء عليهما إلا نسخ من بريزون نيوز ولوك آند كى.

بعد حوالى الأربعين دقيقة نادى الصوت من جديد: "الرقمان سبعة عشر وثمانية عشر".

نهض كل من كريج وبين من مكانيهما واتخذا سبيلهما عبر مجموعة أخرى من البوابات مزدوجة، لمواجهة تفتيش أمنى أكثر صرامة بكثير من كل ما سبقه، قبل أن يسمح لهما بالدخول إلى منطقة الزيارة، حيث قيل لهما أن يتخذا مقعديهما فى الصف ز، رقمى ١١ و١٢.

جلس كريج على مقعد أخضر مثبت فى الأرضية، بينما ذهب بين إلى المقصف ليشترى ثلاثة أقداح من الشاى وبعضًا من الشيكولاتة مقابل عملات السجن البلاستيكية. عندما عاد إلى كريج، وضع الصينية على منضدة مثبتة فى الأرضية وجلس على مقعد آخر لا يمكن تحريكه.

سأل: "كم من الوقت يتوجب علينا أن ننتظر؟".

أجاب كريج: "بعض الوقت على ما أظن، يسمح للسجناء بالدخول واحدًا بعد الآخر وأتوقع أن يتعرضوا لتفتيش أكثر صرامة ودقة مما تعرضنا له".

همست بيث قائلة: "لا تلتفت، لأن كريج وبين يجلسان هناك فى الصف الرابع من خلفك. لابد وأنهما جاءا لزيارة أحدهم".

بدأ دانى ينتفض، لكنه قاوم رغبته فى أن يلتفت. قال: "لابد أنه صديقهم مورتيمر، لكن الأوان قد فات".

سألته بيث: "ولكن لماذا فات الأوان؟".

تناول دانى يدها وقال لها: "لا يمكننى أن أخبرك بأى شيء الآن، لكن آليكس سوف يبلغك بكل شيء عندما ترينه فى المرة

التالية".

قالت بيث مبتسمة: "تتحدث عنه باسمه الأول الآن؟ هل رفعتما التكليف بينكما بالفعل؟".

ضحك دانى قائلاً: "فى غير حضوره فقط".

قالت بيث: "يالك من رعديد، إن السيد ردماين يشير لك على الدوام باسم دانى، بل إنه قد أخبرنى كم سره أنك بدأت تعتنى بشعرك بانتظام وتحلق ذقنك كل يوم. يُعتقد أن هذا سوف يمثل اختلافًا عند الاستئناف".

سأل دانى مغيرًا الموضوع: "ما أحوال الورشة الآن؟".

قالت بيث: "صحة أبى على غير ما يرام، أود لو يمكننى إقناعه أن يقلع عن التدخين. إنه لا يتوقف أبدًا عن السعال، ولكنه لا يستمع إلى أى شىء أقوله أنا أو أمى حول هذا الموضوع".

"ومن الذى يدير له الورشة إذن؟".

"تريفور ساتون".

"تريفورساتون؟ لا يمكنه أن يدير كشكًا لبيع المثلجات".

قالت بيث: "لم يرغب شخص غيره فى هذه الوظيفة".

قال دانى: "يجدر بك إذن أن تراجعى الدفاتر جيدًا".

" لماذا؟ أتظن أن تريفور غير مؤتمن".

" كلا، ولكنه فقط لا يمكنه جمع رقمين من فئة الآحاد".

قالت بيث: "ولكن ماذا عساى أن أفعل بشأن هذا؟ إن أبى لا يمنحنى ثقته أبدًا، وبصراحة أنا مثقلة بأعباء العمل بما يكفى فى هذه اللحظة".

سأل دانى بابتسامة: "هل يثقلك السيد توماس بأعباء عمل كثيرة؟".

ضحكت بيث. "السيد توماس رئيس عمل رائع، وأنت تعرف هذا. تذكر كم كان طيبًا معى أثناء المحاكمة، وقد رفع لى راتبى مرة أخرى منذ فترة قريبة".

قال دانى: "لا شك عندى فى أنه رجل دمث ، ولكن...".

قالت بيث ضاحكة: "رجل دمث؟".

قال دانى: "إنه أسلوب دانى فى الحديث". ومر بيده على شعره بدون وعى.

قالت: "لو استمررت فى الحديث على هذا النحو فلن تكون قادرًا على الاختلاط برفاقك القدامى فى الحى بعد إطلاق سراحك".

قال دانى: "لكنك تدركين ولا شك أن السيد توماس يميل إليك".

قالت بيث: "لابد وأنك تمزح. لقد تعامل معى دائمًا كرجل نبيل ومهذب".

"لكن هذا لا يمنعه من الميل إليك".

تطلع بين نحو كاميرات الدائرة التليفزيونية المغلقة ونحو ضباط السجن الذين يتطلعون نحوهم من الشرفة من خلال مجاهر مزدوجة العدستين، وقال متسائلاً: "لا أعرف كيف يمكن لأى شخص أن يدخل مخدرات إلى مكان على مثل هذه الدرجة من الحماية؟".

قال كريج: "إن مواضع إخفاء المخدرات تصير معقدة وغريبة كل يوم أكثر فأكثر، حفاضات الأطفال، باروكات الشعر – وبعضهم يضع فى أماكن حساسة من أجسادهم، علمًا بأن أغلب الحراس لا يطيب لهم التفتيش فى هذا الموضع، فى حين أن آخرين يبتلعون المخدرات من فرط يأسهم".

"وماذا لو أن الأكياس انفتحت بداخلهم؟".

"قد يموت ميتة شنيعة. سبق أن كان لدى عميل يمكنه أن يبتلع كيسًا صغيرًا من الهيروين، ويحتفظ به فى حلقه، ثم يسعل ويستعيده عندما يعود إلى زنزانته. قد لا ترى أنت

الأمـر يستحق كل هـذا القدر من المجازفة، ولكن تخيل أنك سجين تعيش على دخل قدره ١٢ جنيهًا كل أسبوع، فى حين أنك تستطيع أن تبيع عبوة مثل هذه مقابل خمسمائة جنيه – من الواضح أنهم يرون الأمر يستحق المجازفة. إن السبب الوحيد لتعرضنا لهذا التفتيش بالغ الصرامة هو أننا هنا من أجل زيارة توبى".

قال بين، ناظرًا نحو قدح الشاى الذى برد: "لو تأخر توبى عن الوصول أكثر من هذا فسوف ينقضى وقت الزيارة قبل أن نتمكن حتى من رؤيته".

ظهر أحد الضباط واقفًا بجوار كريج: "أنا آسف على إزعاجكما يا سيدى، ولكنى أخشى أن مورتيمر وقع فريسة المرض، ولن يكون قادرًا على الانضمام لكم هذا الأصيل".

قال كريج وهو يقوم من مكانه: "كم هو متهور لعين، على الأقل كان بوسعه أن يعلمنا مسبقًا. هذا تصرف معتاد منه".

⊸○⊷

"إغلاق! الجميع إلى زنازينهم فى الحال!"، هكذا صاح أحد الضباط من خلال مكبرات الصوت. انطلقت صافرات الإنذار، والأبواق وظهر الضباط من كل ممر وبدأوا يقودون أى سجين متباطئ بالشدة إلى زنزانته.

انغلق باب الزنزانة فى وجه دانى الذى احتج قائلاً: "ولكن يجب أن أكون حاضرًا فى الفصل التعليمى".

فقال آل الضخم، وهو يشعل سيجارة: "ليس اليوم يا دانى الفتى".

تساءل نيك: "ما وراء هذا كله؟".

فقال آل الضخم، وهو يأخذ نفسًا عميقًا: "قد يكون واحدًا من أمور كثيرة".

تساءل دانى: "مثل ماذا؟".

"قد تكون ثارت مشاجرة كبيرة فى جناح آخر من السجن، والتى ارتأى الحراس أنها قد تمتد وتتوسع. أو ربما تم القبض على سجين من المتاجرين بالمخدرات - وبحوزته بضاعته، أو أن أحد السجناء أشعل النار فى زنزانته "نفث سحابة كبيرة من الدخان، قبل أن يضيف: "وربما قتل أحدهم نفسه". تخلص من رماد سيجارته على الأرضية وواصل "اختاروا ما يروق لكم، لأنه واحد من تلك الأشياء على التحديد؛ ولن يفتحوا لنا الزنازين قبل مرور أربع وعشرين ساعة على الأقل، حين تستقر الأمور تمامًا".

اتضح أن آل الضخم على حق تمامًا: فقد مرت سبع وعشرون ساعة قبل أن يسمعوا صوت المفتاح فى القفل.

سأل نيك الضابط الذى فتح الباب: "ماذا وراء هذا كله؟".

وجاء الرد المعتاد: "لا أعلم شيئًا".

صاح صوت من الزنزانة المجاورة: "قتل أحدهم نفسه".

"اللعين المسكين، لابد أنه اكتشف أنها الطريقة الوحيدة للخروج من هذا المكان".

تساءل آخر: "هل هو شخص نعرفه".

فأجابه صوت آخر: "مجرد مدمن مخدرات، لم يدخل هنا إلا منذ أسابيع قليلة".

بعد أن بلغ جيرالد مبنى الإنر تمبل سأل الرجل الذى يجلس فى مكتب الحرس مكتب السيد سبنسر كريج.

أجابه الرجل: "فى الزاوية القصية من الساحة يا سيدى، رقم ستة، سوف تجد مكتبه فى الطابق العلوى".

أسرع بين عبر الساحة، متابعًا طريقه، ومطيعًا الإشارات المعلقة هنا وهناك : "لا تمش على العشب". وكان قد غادر

مكتبه فى منطقة ماى فير بمجرد أن اتصل به كريج وقال له: "إن أتيت إلى مكتبى فى حدود الرابعة مساء، فلن تعانى من ليالى الأرق بعد ذلك أبدًا".

عندما بلغ بين الجهة المقابلة من الساحة، صعد الدرجات الحجرية ودفع بابًا. سار خلال ممر بارد ورث، بجدارين مطليين بالأبيض الصافى زينا بمطبوعات قديمة لصور قضاة أقدم من الصور نفسها، وفى النهاية القصوى من الممر وجد درجًا خشبيًا، وعلى الحائط علقت لوحة سوداء لامعة كتب عليها بحروف بيضاء كبيرة قائمة بأسماء من يشغلون الغرف، وكانت غرفة سبنسر كريج بالطابق العلوى، تمامًا كما أخبره الحارس. الصعود الطويل على الدرج الخشبى جعل بين يتذكر كم فقط لياقته بصورة سيئة - لقد شق عليه التنفس قبل أن يصل للطابق الثانى بوقت طويل.

أعلى الدرج وجد امرأة شابة بانتظاره، وسألته: "السيد بين؟ أنا سكرتيرة السيد كريج. لقد اتصل قبل قليل ليقول إنه قد غادر مبنى المحكمة وسيكون هنا فى غضون دقائق. ربما تود أن تنتظره بمكتبه؟" قادته على طول الردهة، وفتحت له الباب.

دخل عبر الغرفة الكبيرة، وقال لها: "أشكرك". كانت الغرفة مؤثثة بمكتب كبير ومقعدين من الجلد عاليى الظهر، واحد على كل جانب.

" هل ترغب فى قدح من الشاى يا سيد بين، أو ربما قدح من القهوة؟".

قال بين، وهو يتطلع من النافذة المطلة على الساحة: "لا شىء، أشكرك".

أغلقت الباب من خلفها، وجلس هو مواجهًا مكتب كريج؛ يكاد يكون مكتبًا خاويًا تمامًا، كما لو أنه لا يوجد أحد يعمل عليه - لا صور فوتوغرافية، ولا زهور ولا هدايا تذكارية، نشافة

حبر كبيرة، ومسجلة ومظروف ضخم لم يفتح بعد موجه إلى السيد سبنسر كريج ومكتوب عليه "خاص وسرى".

اندفع كريج إلى داخل غرفته بعد دقائق معدودة، وتبعته سكرتيرته على الفور. نهض بين وصافح كريج، كما لو أنه مجرد زبون عادى وليس صديقًا قديمًا.

قال كريج: "استرح أيها الفتى العجوز، آنسة راسيل أود أن تتأكدى من أن أحدًا لن يزعجنا".

أجابته: "بكل تأكيد يا سيد كريج". ثم غادرت، وأغلقت الباب من ورائها.

أشار بين نحو المظروف الموضوع على مكتب كريج، وسأله: "هل هذا هو ما أظن أنه هو؟".

فقال كريج: "نحن على وشك أن نكتشف الآن، لقد وصلنى بالبريد الصباحى بينما كنت بالمحكمة". فتح المظروف وأخرج ما فيه على سطح المكتب - كان شريط تسجيل صغيرًا.

سأل بين: "كيف تمكنت من الوصول إليه؟".

قال كريج: "لا تسأل عن أشياء لا ترجو معرفتها، لنقل وحسب أن لى أصدقاء من أسفل سافلين". ابتسم، والتقط الشريط ووضعه فى المسجلة وواصل: "نحن على وشك أن نعرف ما الذى كان توبى يتحرق شوقًا لإعلانه على العالم كله". ضغط زر التشغيل. اضطجع كريج فى مقعده بينما ظل بين جالسًا على حافة مقعده، بينما يضع مرفقيه على المكتب. مضت بضع ثوان قبل أن يسمعا صوت أحدهم يتحدث.

"لست واثقًا أى واحد منكم سوف يستمع إلى هذا الشريط". لم يتعرف كريج على الصوت على الفور. "قد تكون أنت لورانس دافنبورت – لكن هذا يبدو غير مرجح. أو جيرالد بين وهذا محتمل". شعر بين بقشعريرة باردة تسرى فى بدنه بينما واصل الصوت: "غير أننى أرجح أنك على الأغلب سبنسر كريج". لم يظهر كريج أى علامة تأثر ليواصل الصوت: "أيًا كان هذا

الشخص منكم، أود أن أؤكد لكم كل التأكيد أنه لو اقتضى هذا منى بقية حياتى، سأحرص على أن ينتهى بكم الحال جميعًا هنا فى السجن جزاء وفاقًا لمقتل بيرنى ويلسون، ناهيك على التسبب فى سجنى الغادر. إذا كنتم مازلتم ترجون أن تضعوا أيديكم على الشريط الذى تبحثون عنه حقًا، فاسمحوا لى أن أؤكد لكم أنه فى مكان لن تكتشفوه مطلقًا إلا بعد أن تسجنوا جميعًا هاهنا".

٢٩

نظر دانى إلى صورته فى مرآة بطول الجسم للمرة الأولى منذ شهور، وكان مندهشًا بما طالعه على صفحتها. لابد وأن تأثير نيك عليه صار أعمق حتى مما كان يدركه دانى، لأنه شعر فجأة بالانزعاج من سروال الجينز وقميص فريق ويست هام القطنى الذى كان يرتديهما، لأنهما قد لا يكونان الملابس اللائقة للظهور بها فى المحكمة الملكية، وندم بالفعل على رفض عرض نيك الكريم بإعارته حلة وقورة، وقميصًا ورابطة عنق، والتى ستكون أنسب للتوافق مع ثقل المناسبة (بتعبير نيك)، بما أن التفاوت فى مقايسهما لا يكاد يكون ملحوظا.

اتخذ دانى مكانه فى قفص الاتهام وانتظر ظهور القضاة الثلاثة. كانوا قد خرجوا به من سجن بيلمارش فى السابعة صباحًا بشاحنة كبيرة بيضاء تابعة للسجن، ومعه اثنا عشر سجينًا آخر من المفترض أن يمثلوا جميعًا أمام محكمة الاستئناف هذا الصباح نفسه. كم منهم سوف يعود إلى السجن من جديد تلك الليلة؟ وعند وصوله إلى المحكمة احتجزوه فى إحدى الزنازين وأمر بالانتظار فيها، مما منحه بعض الوقت للتفكير العميق، من غير المسموح له أن ينطق بأى شىء أمام المحكمة. لقد خاض معه السيد ردماين جميع تفاصيل الاستئناف من قبل، وقد أوضح له أن الأمر مختلف تمامًا عن

أى محاكمة عادية.

سيقوم القضاة الثلاثة ببحث مدقق لجميع الأدلة الأصلية، جنبًا إلى جنب مع محاضر المحاكمة، وإذا ما اقتنعوا بظهور دليل جديد لم يطلع عليه المحلفون ولا القاضى من قبل، فسوف يعتبرون الحكم السابق باطلاً وملغيًا.

ما إن استمع آليكس ردماين إلى الشريط حتى شعر بثقة تامة أن هذا الشريط سوف يزرع الشك فى عقول القضاة، لم يكن ينوى أن يركز أكثر من اللازم على السبب الذى منع توبى مورتيمر من المثول أمام المحكمة للشهادة.

لم يمض وقت طويل حتى فتح باب زنزانة دانى، وانضم إليه آليكس. بعد الاستشارة الأخيرة بينهما، أصر آليكس على أن يدعوه دانى باسمه الأول مجردًا، دون أى ألقاب. ومازال دانى مصرًا على رفضه، بما أن هذا لا يبدو له كأمر صواب، على الرغم من حقيقة أن محاميه كان يعامله دائمًا كند لند. شرع آليكس يناقش جميع الأدلة الجديدة بأدق تفاصيلها. وعلى الرغم من انتحار توبى مورتيمر، فمازال الشريط بحوزتهم، مما وصفه آليكس بورقة رابحة.

قال دانى بابتسامة عريضة: "ينبغى على المرء ألا يستخدم التعبيرات المبتذلة يا سيد ردماين".

ابتسم آليكس: "لو مضى عليك عام آخر فى السجن لاستطعت أن تضطلع بقضيتك بنفسك".

"دعنا نتمن ألا يكون هناك داعٍ لهذا".

-٥-

تطلع دانى ببصره نحو بيث ووالدتها الجالستين فى الصف الأمامى للمقصورة المكتظة بالمواطنين الصالحين من منطقة بو، ممن لم يكن لديهم أدنى شك أن دانى سوف يتم إطلاق سراحه فى وقت تالٍ من هذا اليوم نفسه. شعر بالأسف لأن

والد بيث لم يكن واحدًا من بين هؤلاء.

ولكن الأمر الذى لم يدركه دانى هو العدد الأكثر من الناس الذين يصطفون على الرصيف المواجه لمبنى المحكمة، وهم ينشدون رافعين لوحات تطالب بإطلاق سراحه. ألقى نظرة إلى مقعد الصحفيين حيث رأى شابًا من صحيفة بيثنال جرين آند بو جازيت جالسًا ودفتر أوراقه مفتوحًا أمامه وقلمه فى يده على أهبة الاستعداد. هل ستكون نتيجة الاستئناف خبرًا حصريًا فى هذه الصحيفة صباح الغد؟ قد يتضح أن الشريط ليس دليلاً كافيًا فى حد ذاته، هكذا قال آليكس محذرًا دانى، ولكن ما إن يتم تشغيله فى قاعة المحكمة، فإن محتوياته يمكن نشرها فى أى صحيفة على وجه الأرض، وبعد ذلك....

لم يعد دانى يقف وحده. هناك آليكس، ونيك، وآل الضخم، وبالطبع هناك بيث، سرعان ما صار هؤلاء قادة جيشه الصغير. أعرب آليكس عن أمله أن يظهر شاهد ثانٍ مستعد ليؤكد رواية مورتيمر لما حدث. فإن كان توبى مورتيمر قد أبدى استعداده للاعتراف بالحقيقة، فليس من المستبعد أن يحذو كل من جيرالد بين أو لورانس دافنبورت حذوه، بعد أكثر من عامين حاولا أن يتعايشا خلاله مع وخز ضميريهما، بحيث يرغبان فى الإقرار بصحة شريط التسجيل.

كان دانى قد سأل آليكس: "لِمَ لا تذهب لرؤيتهما؟ فقد ينصتان إليك".

وشرح له آليكس لماذا يعتبر هذا مستحيلاً، ومضى ليفسر له أنه حتى إذا خالط أيًا منهما اجتماعيًا بمحض المصادفة فقد يضطر للانسحاب من القضية، أو أن يواجه تهمة إساءة استغلال المهنة.

" ألا يمكنك أن ترسل أحدًا نيابة عنك، وتجعله يجلب الدليل الذى نحتاج إليه، كما فعل آل الضخم؟".

أجاب آليكس بحزم: "كلا، إذا تم اكتشاف أن هذا الفعل

يصدر عنى فى الأصل، سيكون عليك أن تبحث عن محامٍ جديد وسوف يكون علىَّ أنا البحث عن مهنة جديدة".

تساءل دانى: "وماذا عن عامل المقهى؟".

أخبره آليكس بأنهم قاموا بالفعل بالتحرى عن خلفية المدعو ريج جاكسون، وهو عامل مقهى دانلوب آرمز، من أجل أن يتبينوا ما إن كانت سبقت إدانته فى أى قضية".

"والنتيجة؟".

قال آليكس: "لا شىء، لقد قبض عليه مرتين خلال الأعوام الخمسة الماضية من أجل المتاجرة فى بضائع مسروقة، لكن الشرطة لم تحصل على دليل كافٍ لإدانته، وهكذا تم إسقاط التهم عنه".

سأل دانى: "وماذا عن بيث؟ هل سيمنحونها فرصة أخرى للشهادة؟".

أجاب آليكس: "كلا، سوف يقرأ القضاة إفادتها المكتوبة جنبًا إلى جنب مع محضر المحاكمة ولن يهتموا بإعادة أى شهادات أمام المنصة"، كما أنه حذر دانى بأنه لم يتمكن أن يعثر على أى شىء فى الاستنتاج الذى توصل إليه القاضى قد يوحى بتحامل كاف لأن يطلبوا إعادة المحاكمة وعاد ليقول: "الحقيقة أن كل شىء يتوقف على الشريط المسجل".

"وعن آل الضخم؟".

أخبره آليكس بأنه قد فكر فى استدعاء آلبرت كران، والمشهور بآل الضخم، كشاهد، ولكنه قرر أن هذا قد يؤدى لضرر وليس لنفع.

قال دانى: "لكنه صديق مخلص".

" صديق مخلص وله صحيفة سوابق".

◄o►

دقت الساعة العاشرة تمامًا، ودخل القضاة الثلاثة إلى

قاعة المحكمة. نهض مسئولو المحكمة،وانحنوا انحناءة هينة أمام القضاة، ثم انتظروا حتى يتخذ حضرات القضاة أماكنهم على المنصة. بالنسة لدانى، كان مصير ما تبقى من حياته يكمن بين أيدى هذين الرجلين وهذه السيدة، بدوا له الثلاثة مجرد هيئات غامضة غير واضحة، غطيت رءوسهم بشعر قصير مستعار، واختفت ملابسهم العادية تحت عباءات سوداء تصل حتى أقدامهم.

وضع آليكس ردماين ملفًا على منصة صغيرة أمامه. كان قد أوضح لدانى أنه سيكون وحده فى مواجهة منصة القضاة، بما أن ممثل الادعاء لا يفترض به أن يحضر جلسات الاستئناف، فشعر دانى بأنه لن يفتقد وجود ممثل الادعاء العام السيد آرنولد بريسون.

ما إن بدأت المحكمة حتى دعا القاضى الأساسى، السيد براونى، السيد ردماين لأن يبدأ مرافعته.

افتتح آليكس حديثه بتذكير المحكمة بخلفية القضية، محاولاً من جديد أن يزرع الشك فى أذهان القضاة، ولكن النظرة التى كانت على وجوه القضاة لم تعكس أى تأثر بكل ما قاله. بل الحقيقة أن القاضى السيد براونى قاطعه أكثر من مرة ليتساءل إن كان سيقدم أى دليل جديد يتعلق بهذه القضية، بينما أكد سيادة القاضى على أن القضاة الثلاثة جميعًا قد قاموا بدراسة وافية لمستندات ووثائق المحاكمة الأصلية.

استسلم آليكس بعد مرور حوالى الساعة، : "أؤكد لك يا سيادة القاضى أننى أنتوى حقًا تقديم دليل جديد مهم أمام حضراتكم".

" وأنا أؤكد لك يا سيد ردماين أننا نتطلع للاستماع إليه". كان هذا جواب القاضى السيد براونى.

استجمع آليكس ثباته ورباطة جأشه وفتح صفحة أخرى

من ملفه وقال: "السادة القضاة، بحوزتى شريط تم تسجيله أرجو أن تضعوه فى اعتباركم. إنه محادثة دارت على لسان السيد توبى مورتيمر، وهو واحد من جماعة فرسان الماسكتيرز وكان حاضرًا بمقهى دانلوب آرمز ليلة وقوع الجريمة، لكنه لم يتمكن من المثول أمام المحكمة للإدلاء بشهادته فى المحاكمة الأصلية نظرًا لحالته الصحية السيئة". حبس دانى أنفاسه بينما يتناول آليكس شريط التسجيل ويضعه فى المسجل على منضدة قبالته. كان على وشك أن يضغط زر التشغيل، عندما انحنى القاضى براونى للأمام وقال: "لحظة واحدة يا سيد ردماين".

شعر دانى بقشعريرة تسرى فى بدنه حين أخذ القضاة الثلاثة يتهامسون فيما بينهم. مضى بعض الوقت قبل أن يسأل القاضى براونى سؤالاً لم يكن لدى آليكس أدنى شك فى أن سيادته يعرف إجابته مسبقًا.

سأل: "هل سيظهر السيد مورتيمر باعتباره شاهدًا؟".

"كلا يا سيادة القاضى، لكن الشريط سيظهر لكم".

"ولماذا لن يتمكن من المثول أمامنا يا سيد ردماين، هل مازال يمر بظروف صحية سيئة؟".

"بكل أسف يا سيادة القاضى، لقد توفى قبل وقت قريب جدًا".

"هل لى أن أتساءل عن سبب الوفاة؟".

لعن آليكس شياطين جهنم فى سره. كان يعرف أن القاضى براونى على اطلاع تام بسبب عدم قدرة مورتيمر عن المثول أمام المحكمة، ولكنه متأكد أن كل التفاصيل المهمة موجودة على الشريط فقال: "لقد انتحر يا سيادة القاضى، بعد تناوله لجرعة هيروين زائدة".

واصل القاضى براونى بحدة: "هل كان مسجلاً باعتباره مدمن هيروين؟".

"نعم يا سيادة القاضى، ولكن لحسن الحظ أن هذا الشريط تم تسجيله خلال فترة تعافيه من المخدرات".

" لا شك فى أن هناك طبيبًا سيمثل أمامنا ليؤكد لنا هذا؟".

"كلا، بكل أسف يا سيدى".

"هل أفهم من هذا أنه لم يكن هناك طبيب حاضر أثناء تسجيل الشريط؟".

"نعم، يا سيدى".

"أفهم الأمر، وأين تم تسجيل الشريط؟".

"فى سجن بيلمارش، يا سيدى".

"وهل كنت أنت حاضرا أثناء تسجيله؟".

"كلا يا سيدى".

"ربما حضر التسجيل أحد الضباط ليكون شاهدا على الظروف التى تم تسجيل الشريط فيها؟".

"كلا يا سيدى".

"إذن فلدى فضول أن أعرف يا سيد ردماين، من الذى كان حاضرا حينها؟".

"السيد آلبرت كران".

"وإذا كان هذا السيد ليس طبيبًا أو عضوًا فى حراسة السجن، فماذا كان موقعه فى ذلك الوقت؟".

"إنه سجين".

"أهو كذلك بالفعل؟ إذن علىَّ أن أسأل، يا سيد ردماين، إذا كان بحوزتك أى دليل على أن السيد مورتيمر قد أدلى بهذا الاعتراف دون أن يتعرض لأى إجبار أو تهديد".

تردد آليكس. "كلا يا سيدى. لكننى على ثقة تامة أنكم ستكونون قادرين على أن تحكموا بأنفسكم على الحالة العقلية للسيد مورتيمر ما إن تستمعوا إلى الشريط".

"ولكن كيف يمكنك أن تتأكد يا سيد ردماين بأن المدعو

السيد كران هذا لم يكن يوجه سكينًا نحو عنقه؟ الحقيقة، أن مجرد حضوره كان كفيلاً ببث الرعب الحقيقى فى أوصال السيد مورتيمر".

"كما قد اقترحت يا سيدى، تستطيعون تكوين رأى ما إن تستمعوا إلى الشريط".

"اسمح لى بدقيقة لأتشاور مع زميلى يا سيد ردماين".

ومرة أخرة راح القضاة الثلاثة يتهامسون فيما بينهم.

بعد برهة وجيزة، وجه القاضى براونى انتباهه من جديد نحو محامى الدفاع وقال له: "سيد ردماين، لقد اجتمعنا جميعًا على رأى واحد وهو أننا لا يمكننا أن نسمح لك بتشغيل الشريط، باعتباره دليلاً غير مقبول".

" ولكن يا سيادة القاضى، اسمح لى بأن أذكرك بأحدث توجيه صادر عن اللجنة الأوروبية لحقوق...".

قال القاضى براونى: "إن توجيهات اللجنة الأوروبية لا تمثل قانونًا فى محكمتى"، ثم صحح عبارته على الفور قائلا: "...فى هذه البلاد. ودعنى أحذرك إذا ما تم الإفصاح عن محتويات هذا الشريط على الملأ، سيكون على أن أحيل الأمر برمته للنيابة العامة".

وضع الصحفى الوحيد الجالس فى مقاعد الصحافة قلمه فى إحباط. للحظات كان قد ظن أن لديه خبرًا حصريًا، لو أن السيد ردماين قد أدار الشريط حتى نهايته لكان بوسع هذا الصحفى أن يقرر ما إذا كان هذا الشريط يحتوى على شىء يمكنه أن يثير اهتمام القراء بغض النظر عن القضاة أنفسهم، لكن هذا لم يعد ممكنًا الآن. فإذا ما نشرت أى صحيفة ولو كلمة واحدة من محتويات الشريط بعد التوجيه الذى أصدره القاضى، فسيكون فى هذا ازدراء للمحكمة ـ وهو أمر لا يجرؤ عليه أقوى رؤساء التحرير، و لو بسطر واحد عن الأمر.

راح آليكس يخلط أوراقه ويبحث فيها، لكنه كان يعلم أنه

لن يزعج السيد القاضى براونى أكثر من هذا.

قال له القاضى مقدمًا له العون: "رجاء واصل مرافعتك يا سيد ردماين".

واصل آليكس سدى، بعد الدليل الجديد الصغير الذى صار غير مقبول، لكنه لم يكن بمقدوره الآن أن يثير أى أمر قد يتسبب فى أهون الضيق للسيد براونى. عندما عاد آليكس أخيرًا لمكانه، راح يلعن نفسه فى سره. كان عليه أن يفشى محتويات الشريط للصحافة قبل عقد جلسة الاستئناف بيوم واحد، وعندئذ لن يكون أمام القاضى أى خيار آخر سوى أن يضع الحديث المسجل فى الاعتبار، ويقبل بها كدليل جديد، ولكن القاضى براونى أثبت أنه من المكر والدهاء لدرجة ألا يسمح له حتى أن يضغط زر التشغيل.

كان قد أشار والده بأنه إذا استمع القضاة إلى جملة واحدة مسجلة على الشريط، فلن يكون أمامهم خيار آخر غير الاستماع إلى الشريط بكامله. ولكنهم لم يسمعوا كلمة واحدة، ناهيك عن جملة كاملة.

نهض القضاة الثلاثة للمداولة فى الساعة الثانية عشرة وسبع وثلاثين دقيقة، ولم يمض إلا وقت قصير قبل أن يعودوا بحكم إجماعى. أخفض آليكس رأسه بينما كان القاضى براونى يتلفظ بكلمتين: "الاستئناف مرفوض".

اتجه بنظره نحو دانى، والذى حكم عليه توًا بأن يقضى الأعوام العشرين التالية من حياته فى السجن، عقابًا على جريمة يعرف آليكس الآن على وجه اليقين أنه لم يرتكبها.

٣٠

عندما ظهر لورانس دافنبورت على السلالم المؤدية إلى قاعة الاحتفال المزدحمة كان كثير من الضيوف يشربون كأسهم الثالث أو الرابع من أفخر وأثمن المشروبات. لم يتحرك عن منبسط الدرج إلا قبل أن يتشبع من النظرات التى توجهت نحوه بالإعجاب. ثارت نوبة ضعيفة من الهتاف والتصفيق. ابتسم ولوح بيده فى امتنان، ناوله أحد كأس شراب مصحوبًا بجملة: "لقد كنت رائعًا أيها العزيز".

عند نزول الستار قدم حضور الليلة الأولى لفريق العاملين هتافًا وترحيبًا وهم وقوف، غير أن هذا لم يكن مثيرًا للدهشة لأى من رواد المسرح، لأن هذا ما يحدث على الدوام، فعلى كل حال، تمتلئ الصفوف الثمانية الأولى بأفراد أسر فريق العمل، والأصدقاء، والوكلاء الفنيين، أما الصفوف الستة التالية فيشغلها بعض المنافسين والطفيليين. وحده الناقد المحنك لن ينتظر إلى لحظة نزول الستار، إذ أسرع هذا الناقد بالمغادرة مبكرًا بحيث يمكنه أن يرسل مقالته فى الموعد المناسب للحاق بالطبعة الأولى لصحيفة الصباح التالى.

جال دافنبورت ببصره فى أرجاء القاعة ببطء. استقرت عيناه على أخته سارة، والتى كانت تجاذب جيبسون جراهام أطراف الحديث.

سألت سارة وكيل أعمال شقيقها لارى: "كيف سيكون رد فعل النقاد فى ظنك؟".

قال جيبسون وهو ينفث دخان سيجاره: "سوف يبدون ازدراءهم كالعادة. إنهم دائمًا هكذا عندما يظهر أحد ممثلى التليفزيون على مسارح الويست إند، ولكننا تلقينا مقدمًا عروضًا بقيمة تقارب الثلاثمائة ألف جنيه وهذا خلال فترة أربعة عشر أسبوعًا وحسب. إن ما يهمنا هو عدد التذاكر المباعة وليس كلام النقاد يا سارة".

"هل أمام لارى أى فرص عمل قريبة؟".

أقر جيبسون قائلاً: "ليس فى اللحظة الحالية، ولكننى واثق أنه بعد هذه الليلة لن تعوزه عروض العمل".

قالت سارة بينما سار شقيقها نحوهما لينضم إليهما: "لارى، أحسنت".

أضاف جيبسون رافعًا كأسه: "يا له من نصر".

سأل دافنبورت: "أتظن ذلك حقًا؟".

فقالت سارة، والتى تفهم مخاوف شقيقها أفضل من أى شخص آخر: "بالطبع، وعلى أى حال فقد أخبرنى جيبسون بأنك مشغول على مدى الموسم كله".

قال دافنبورت: "هذا حقيقى، ولكنى مازلت قلقًا بشأن النقاد، لم يكونوا أبدًا طيبين معى فيما مضى".

قال جيبسون: "لا تعطهم أى اهتمام. لا يهمنا فى شىء ما يقولونه – سيحقق العرض رواجًا عظيمًا".

مسح دافنبورت القاعة بعينيه ليرى من الذى يرغب فى التحدث إليه بعد ذلك. استقرت عيناه على سبنسر كريج وجيرالد بين، اللذين كانا يقفان بركن قصى، مستغرقين فى الحديث.

⊸o⊷

قال كريج: "يبدو وكأن استثمارنا الصغير فى عرض لارى سيؤتى ثماره، ومضاعفة".

قال بين: "مضاعفة؟".

"من ناحية توقف لارى عن الثرثرة بالحديث إياه ما إن أتيحت له فرصة الوقوف على خشبة مسارح الويست إند، ونحن على ثقة من أننا سوف نستعيد مالنا، بل وعلى الأرجح سوف نجنى ربحًا صغيرًا من ورائه، والآن بعد أن خسر ذلك الكارترايت دعوى الاستئناف، لن يكون علينا القلق بشأنه لمدة عشرين عامًا على الأقل". هكذا أضاف كريج بضحكة خبيثة مكتومة.

قال بين: "مازلت قلقا بشأن ذلك الشريط المسجل، وسأكون أكثر ارتياحًا إذا علمت أنه لم يعد موجودًا أصلا".

قال كريج: "لم تعد لهذا الشريط أية أهمية".

" لكن هذا لا يمنع نشر ما يحتويه، وهو ما قد يسبب ضررًا لكل منا".

قال كريج: "إنك ترهق نفسك بمخاوف لا داعى لها".

فقال بين: "لا تمر ليلة واحدة لا أقلق خلالها بهذا الشأن، أستيقظ كل صباح متسائلاً إن كنت سأرى وجهى على الصفحات الأولى من الصحف".

قال كريج بينما يرى دافنبورت يقترب منهما: "لا أعتقد أن وجهك أنت هو ما سنراه على الصفحات الأولى، تهانينا يا لارى. لقد كنت متألقًا حقًا".

قال دافنبورت: "أخبرنى وكيل أعمالى بأنكما شاركتما فى تمويل العرض".

قال كريج: "لابد أن نفعل، فنحن نعرف العرض الرابح ما إن نراه، وسوف ننفق جزءًا من الأرباح خلال اللقاء السنوى لفرسان الماسكتيرز".

اقترب شابان من دافنبورت، الذى كان سعيدًا بأن يؤكد له

الجميع إعجابه بنفسه، مما سمح لكريج بالتسلل بعيدًا.

بينما كان يدور فى القاعة، اختلس النظر إلى سارة دافنبورت، والتى كانت لاتزال تتحدث إلى رجل قصير أصلع مائل للبدانة، والذى يدخن سيجارًا غليظًا. صارت أكثر جمالاً مما يتذكره عنها. تساءل عما إذا كان الرجل الذى يدخن السيجار شريكها. عندما التفتت نحوه، ابتسم كريج لها، لكنها لم تبادله الابتسام. لعلها لم تره. فى رأيه الخاص لطالما كانت سارة أكثر جمالاً من أخيها لارى، وبعد ليلتهما القديمة معًا ... سار لينضم إليها. سيعرف فى غضون دقيقة إن كان لارى قد أفشى لها السر.

قالت: "مرحبا يا سبنسر" انحنى كريج ليقبل وجنتيها. فقالت: "السيد جيبسون هذا سبنسر كريج صديق قديم للارى من أيام الجامعة، يا سبنسر هذا جيبسون جراهام، وكيل أعمال لارى".

قال جيبسون: "لقد كنت ممن استثمروا فى عرض لارى".

أقر كريج: "بمبلغ بسيط".

قالت سارة: "لم أظنك أبدًا هذا الملاك".

قال كريج: "لقد دعمت لارى على الدوام، لكننى لم أتشكك يومًا أنه سوف يصبح نجمًا لامعًا".

قالت سارة بابتسامة ذات مغزى: "لقد صرت أنت نفسك نجما لامعا من نوع ما".

قال كريج: "إذن فعلى أن أسأل إن كان هذا هو رأيك فلم لم تبغلينى به من قبل؟".

"إننى لا أتعامل مع المجرمين".

"أرجو ألا يمنعنك هذا من تناول العشاء معى ذات يوم، لأننى أود حقًا أن..".

قاطعهما جيبسون قائلا: "لقد وصلت الطبعات الأولى من

الصحف، اعذرانى، فلابد أن أعرف ما قالته الصحف، وان كنا حققنا نجاحًا ساحقًا أم مجرد ليلة افتتاح لا بأس بها".

شق جيبسون جراهام سبيله فى القاعة على جناح السرعة، وهو يزيح جانبًا أى شخص كان أحمق بما يكفى لأن يعترض طريقه. اختطف نسخة من الديلى تيلجراف وقلب صفحاتها ليصل إلى قسم المتابعات النقدية، وابتسم عندما رأى العنوان: الكاتب المسرحى أوسكار وايلد مازال فى وطنه على مسرح الويست إند. ولكن تلك الابتسامة تبددت وتحولت إلى تكشيرة عندما وصل للفقرة الثانية:

> قدم لنا لورانس دافنبورت الأداء المعهود منه، ولكن فى هذه المرة فى دور جاك، ولكن لا يبدو أن للدور هنا أى أهمية، بما أن الجمهور كان أغلبه من معجبات شخصيته التليفزيونية د. بيريزفورد. وعلى النقيض منه جاءت إيف بيست، لتؤدى دور جويندولين فيرفاكس، متألقة من أول ظهور لها على خشبة المسرح......

أرسل جيبسون نظره نحو دافنبورت، وسره أن يراه مستغرقًا فى الحديث مع ممثل شاب آخر لم يحظ بأدوار منذ بعض الوقت.

٣١

كان الضرر قد وقع بالفعل عندما وصلوا إلى زنزانته. تحطمت المنضدة إلى شظايا، وتمزقت الحشية قطعًا، وكذلك الملاءة صارت مزقًا صغيرة والمرآة الحديدية الصغيرة قد انخلعت عن الجدار. حين فتح السيد هاجين الباب بشدة وجد دانى يحاول أن ينزع حوض الاغتسال عن حامله. هجم عليه الضباط الثلاثة وقد مال هو باتجاه هاجين وسدد له لكمة. إن كانت هذه اللكمة التى صوبها نحوه فى الحلبة لكانت سببًا فى فوزه فى بطولة الوزن المتوسط، لكن هاجين قد تملص منها فى الوقت المناسب. قبض الضابط الثانى على ذراعى دانى، فيما ركله الثالث ركلة شديدة خلف ركبتيه، مما أعطى لهاجين وقتًا كافيًا للنهوض وتكبيل ذراعيه وساقيه بينما ثبته زميلاه أرضًا.

جروه جرًا خارج زنزانته وألقوه على السلالم الحديدية، دافعيه للتحرك حتى بلغوا الممر الأرجوانى الذى يقود إلى الحبس الانفرادى. وصلوا إلى الزنزانة التى لا تحمل رقمًا. فتح هاجين بابها وألقى به الاثنان الآخران بداخلها.

رقد دانى ساكنًا على الأرضية الحجرية الباردة لوقت طويل. لو كانت هناك مرآة فى هذه الزنزانة لأمكنه أن يتأمل عينيه المحاطتين بالسواد وكذلك الرضوض التى زخرفت

جسده وكأنها لحاف من رقع مختلفة الألوان التحف به. لم يكن يكترث، فالمرء لا يكترث لهذا عندما يفقد الأمل وعندما يكون أمامه عشرون عامًا أخرى للتفكير بهذا.

قال مندوب لجنة تخفيف العقوبات وإطلاق السراح قبل انتهاء مدة العقوبة: "اسمى مالكولم هيرست، رجاء تفضل بالجلوس يا سيد مونكريف".

كان هيرست قد فكر لبعض الوقت حول الصيغة التى سيخاطب بها السجين. بدأ حديثه قائلاً: "لقد تقدمت من أجل إطلاق سراح مبكر يا سيد مونكريف، ومسئوليتى هى أن أكتب تقريرًا لرفعه للجنة. لقد اطلعت بالطبع على تاريخ قضيتك، والتى اشتملت على إيضاح تام لحياتك وسلوكك فى السجن، وقد وصف ضابط الجناح الذى كنت سجينًا به سلوكك بأنه قدوة يحتذى بها". لبث نيك صامتًا.

"كما لاحظت أيضًا أنك كنت سجينًا وموثوقًا به، تعمل كأمين مكتبة السجن جنبا إلى جنب مع مساعدتك للسجناء على تعلم اللغة الإنجليزية والتاريخ، ولقد بدا أنك حققت نجاحًا باهرًا مع بعض من زملائك السجناء الذين نالوا الشهادة الثانوية، وأحدهم على وجه الخصوص يستعد حاليًا لدخول امتحانات المستوى الرفيع فى ثلاث مواد دراسية".

أومأ نيك بحزن. كان باسكو قد أخبره بأن دانى قد خسر دعوى الاستئناف وأنه فى طريق عودته الآن من محكمة أولد بيلى. أراد أن يكون فى انتظار عودة دانى فى الزنزانة، ولكن للأسف فإن لجنة إطلاق السراح قد حددت هذا الموعد قبل بضعة أسابيع.

كان نيك قد قرر مسبقًا أن يكون على اتصال بالمحامى آليكس ردماين ما إن يتم إطلاق سراحه، وأن يعرض مساعدته

بأى طريقة ممكنة. لم يستطع أن يفهم لماذا لم يسمح القاضى بتشغيل الشريط المسجل. لابد أن دانى سيخبره بالسبب ما إن يعود إلى زنزانته. حاول نيك أن يركز على ما يقوله له مندوب اللجنة.

" أرى أنك يا سيد مونكريف، وخلال الفترة التى قضيتها فى السجن قد حصلت على درجة جامعية فى اللغة الإنجليزية من الجامعة المفتوحة، حاصلاً على تقدير مرتفع". أومأ نيك برأسه ليواصل مندوب اللجنة: "كما أن سجلك فى السجن جدير بالثناء إلى درجة عالية، وأنا واثق أنك ستتفهم أنه مازال علىَّ أن أطرح عليك بعض الأسئلة قبل أن أتمكن من إنهاء تقريرى".

كان نيك قد تلقى نصيحة من باسكو بالفعل حول ما قد تكون عليه تلك الأسئلة. أجابه: "بكل ترحيب".

"لقد تمت إدانتك من قبل مجلس عسكرى بالتهور والإهمال أثناء أدائك لواجبك، وهو ما ثبتت صحته فأدنت به. جردك المجلس العسكرى من رتبتك وحكم عليك بالسجن لثمانى سنوات. هل هذا تقييم صحيح للحالة؟".

"إنه لكذلك يا سيد هيرست".

وضع هيرست علامة صح فى الخانة الأولى وقال: "كانت الفصيلة العسكرية الخاصة بك تحرس بعض السجناء من الصرب عندما قامت فرقة من الميليشيا الألبانية بقيادة سيارة نحو المخيم وأطلقت نيران أسلحة الكلاشينكوف فى الهواء".

"ذلك صحيح تماما".

"وقام رقيب من فصيلتك بالرد على إطلاق النيران".

فقال نيك: "طلقات تحذيرية، وذلك بعد أن وجهت للثوار أمرا واضحا بوقف إطلاق النار".

"ولكن هناك اثنان من مراقبى المتحدة ممن شهدوا الحادثة بكاملها قدموا إفادة خلال محاكمتك تقترح أن الألبانيين كانوا

يطلقون نيرانهم فى الهواء فى ذلك الحين". لم يبد نيك أى محاولة للدفاع عن نفسه ليواصل هيوست: "وعلى الرغم من أنك لم تطلق النيران بنفسك فقد كنت الآمر العسكرى فى تلك الحادثة".

"كنت كذلك".

"وقد تقبلت أن الحكم بسجنك كان عادلاً".

"نعم".

سجل هيرست ملاحظة أخرى قبل أن يسأل: "وإذا ما ارتأت اللجنة أن توصى بإطلاق سراحك بعد أن قضيت نصف فترة العقوبة، فما خططك للمستقبل القريب؟".

" أنتوى العودة إلى اسكتلندا، حيث سوف أسعى للحصول على وظيفة بالتدريس فى أى مدرسة ستكون بحاجة لى".

وضع هيرست علامة صح أخرى فى خانة أخرى قبل أن ينتقل إلى سؤاله التالى: "هل لديك أية مشكلات مالية قد تمنعك من العمل بوظيفة فى مجال التدريس؟".

قال نيك: "كلا، بل على العكس. لقد كتب جدى لى وصية طيبة القدر بما يكفل لى ألا أحتاج للعمل مرة أخرى".

وضع هيرست علامة فى خانة أخرى: "هل أنت متزوج يا سيد مونكريف؟".

قال نيك: "كلا".

"هل لديك أى أطفال، أو أى أشخاص آخرين تعولهم؟".

"كلا".

"هل تتلقى حاليا أية علاجات أو أقراص دوائية؟"

"كلا".

"إذا ما تم إطلاق سراحك هل لديك منزل تتوجه إليه؟"

"نعم، لدى منزل فى لندن ومنزل آخر فى اسكتلندا".

"هل لديك أى أفراد من الأسرة لمساعدتك عند إطلاق سراحك؟".

قال نيك: "كلا". تطلع نحوه هيرست، ستكون هذه هى أول خانة لا توضع بها علامة صح وواصل نيك: "لقد توفى كلا والدى، وليس لدى أشقاء أو شقيقات".

"هل هناك أى أعمام أو عمات؟".

"عم واحد وعمة واحدة يعيشان فى اسكتلندا، لم أكن أبدًا مقربًا إليهما، وخالة تعيش فى كندا، وقد تبادلت معها الرسائل لكننى لم ألتق بها أبدًا".

قال هيرست: "أتفهم هذا، سؤال واحد أخير يا سيد مونكريف. قد يبدو غريبًا بعض الشىء نظرًا لظروفك، ولكننى لابد أن أطرحه على الرغم من هذا. هل ترى أى سبب قد يدفعك لارتكاب الجريمة نفسها مرة أخرى؟".

"بما أننى قد فصلت عن وظيفتى بالجيش، والحق أنه ليس بى أى رغبة للعودة إليه، فإن إجابة سؤالك لابد وأن تكون هى أننى لا أرى أى سبب قد يدفعنى لهذا".

قال هيرست وهو يضع علامة صح فى الخانة الأخيرة: "أتفهم هذا تمامًا، وأخيرًا هل لديك أية أسئلة لى؟".

"فقط أحب أن أسأل متى سيتم إبلاغى بقرار اللجنة؟".

قال هيرست: "سيحتاج منى هذا بضعة أيام حتى أنتهى من كتابة تقريرى وأرفعه إلى اللجنة، ولكن ما إن يتلقوه فلن تتجاوز المدة أسابيع قليلة قبل أن يتصلوا بك".

"شكرًا لك يا سيد هيرست".

"شكرًا لك يا سير نيكولاس".

◄○►

قال باسكو: "ليس أمامنا خيار آخر يا سيدى".

فقال المأمور: "أنا واثق أن هذا صحيح يا راى، ولكننى أعتقد أننا نحتاج لشىء من التفهم تجاه هذا السجين على وجه التحديد".

سأله باسكو: "ما الذى يدور بخلدك يا سيدى؟ فعلى كل حال لقد حطم محتويات زنزانته".

" أدرك هذا يا راى، لكننا نعلم جميعًا كيف يكون رد فعل أصحاب الأحكام بالسجن المؤبد إذا ما خسروا دعوى استئنافهم: فإما أن يغرقوا فى الصمت ويتوحدوا مع أنفسهم تمامًا أو يحطموا المكان تحطيمًا".

قال باسكو: "أيام قليلة فى الحبس الانفرادى سوف تعيد كارترايت إلى صوابه".

قال السيد بارتون: "لنتمن هذا، لأننى أود أن نستعيد حالته الطبيعية والمستقرة فى أقرب وقت ممكن. فهو شاب ذكى. وأتمنى أن يكون خلفًا طبيعيًا لمونكريف".

"هذا اختيار لا غبار عليه، على الرغم من أنه سوف يخسر تلقائيًا الثقة التى اكتسبها ويعود للبداية من جديد".

قال المأمور: "لن يستغرق هذا أكثر من شهر".

قال باسكو: "ولكن فى هذه الأثناء ماذا أفعل بشأن الفئة التى يعمل بها، فهل أستبعده من الفصول الدراسية وأعيده إلى خط تعبئة الطعام؟".

فقال بارتون: "سيكون هذا عقابًا لنا أكثر من كونه عقابًا له".

"وماذا عن حقوقه فى المقصف؟".

"لا مدفوعات ولا مقصف لمدة أربعة أسابيع".

قال باسكو: "حسنًا يا سيدى".

"لابد أن نتحدث إلى مونكريف. فهو أقرب المقربين إلى كارترايت. لنر إن كان بوسعه أن يعيده على اتزانه، وأن يسانده كذلك خلال الأسابيع التالية".

"سنفعل هذا يا سيدى".

"ومن التالى؟".

"ليتش يا سيدى".

"وما تهمته هذه المرة؟".

"عدم إعادة كتاب استعاره إلى المكتبة".

تساءل المأمور: "ألا يمكنك أن تتعامل مع شىء تافه كهذا دون الرجوع إلىَّ؟".

" يمكننى يا سيدى فى الأحوال العادية، ولكن هذه المرة فإنها نسخة قيمة ومغلفة بالجلد الطبيعى من دورية قانونية مهمة، والتى لم يعدها ليتش على الرغم من التحذيرات العديدة شفويًا وكتابيًا".

قال بارتون: "مازلت لا أفهم السبب الذى يستدعى مثوله أمامى".

"لأننا حينما عثرنا أخيرًا على الكتاب فى مقلب النفايات خلف العنبر كان ممزقًا تمزيقًا".

"ولماذا يفعل هذا؟".

"لدى شكوك حول هذا يا سيدى، ولكن لا أملك عليها دليلا".

"أهى طريقة أخرى لإدخال المخدرات إلى السجن؟".

"كما قلت لك يا سيدى لا أملك دليلاً على هذا. غير أن ليتش أودع الحبس الانفرادى لمدة شهر آخر، خشية أن يكون قد اعتزم أن يمزق جميع كتب مكتبة السجن". تردد باسكو قبل أن يضيف: "ولدينا مشكلة أخرى".

"ألا وهى..".

"أحد المخبرين من بين السجناء أبلغنى أنه سمع ليتش يقول إنه سوف ينتقم من كارترايت ولو كان هذا هو الشىء الأخير الذى يقوم به فى حياته".

"لأنه هو أمين المكتبة؟".

فأجاب باسكو: "كلا، بل الأمر يتعلق بشريط مسجل، ولكننى لا أستطيع أن أتبين ما وراء هذا".

قال المأمور: "هذا ما كان ينقصنا، من المستحسن أن تضع

الاثنين تحت المراقبة على مدار الأربع والعشرين ساعة".

فقال باسكو: "إن لدينا قصورًا فى عدد الحراس بالفعل فى الوقت الحالى".

"إذن فلتقم بأفضل ما يمكنك القيام به، فأنا لا أريد ان يتكرر هنا ما حدث مع ذلك المسكين فى سجن جارسايد - وكل ذنبه هو أنه أشار لليتش بعلامة النصر".

٣٢

رقد دانى على الفراش العلوى يكتب رسالة قد فكر فيها تفكيرًا طويلاً. حاول نيك أن يثنيه عن عزمه ذاك ولكنه كان قد اتخذ قراره ولن يجعله أى شىء يغيره.

كان نيك يأخذ حمامًا وآل الضخم غائبًا بالمستشفى يساعد الممرضة فى جراحة مسائية، وهكذا كانت الزنزانة كلها من نصيب دانى فقط. نزل عن فراشه العلوى واتخذ مقعدًا إلى منضدة اللدائن الصغيرة. راح يحدق إلى الصفحة البيضاء. مرَّ بعض الوقت قبل أن ينجح فى كتابة الجملة الأولى.

عزيزتى بيث،

ستكون هذه هى المرة الأخيرة التى أكتب فيها إليك. لقد فكرت لأمد طويل فى هذه الرسالة وقد توصلت إلى نتيجة مفادها اننى لا يمكننى أن أحكم عليك بنفس الحكم بالمؤبد الذى حكم على به.

ألقى بنظرة على صورة فوتوغرافية لبيث كان قد لصقها على الجدار قبالته.

كما تعرفين، لن يطلق سراحى إلا وأنا فى الخمسين من عمرى، ومع وضع هذا فى الاعتبار، فأنا أريد منك أن تبدئى حياة جديدة بدونى. إذا كتبت إلى فلن أفتح رسائلك، وإذا حاولت زيارتى سأبقى فى زنزانتى ولن أخرج للزيارة، ولن أتصل بك، ولن استجب لأى محاولة تقومين بها للاتصال بى. على هذا قر عزمى، ولن يغير أى شىء من قرارى.

لا تتخيلى حتى ولو للحظة واحدة أننى لا أحبك أنت وكريستى، لأننى أذوب فيكما حبًا، وسوف أبقى كذلك لما تبقى من عمرى. ولكن لا يساورنى أى شك أن هذا التصرف هو الأفضل لكل منا على المدى البعيد.

وداعًا، يا حبيبتى

دانى

طوى الرسالة ووضعها فى مظروف كتب عليه: إلى بيث ويلسون، ٢٧ بيكون رود، منطقة بو، لندن إيه ٣.

كان دانى مازال يحدق إلى صورتها على الجدار عندما فتح باب الزنزانة.

قال ضابط يقف بفتحة الباب: "رسائل، واحدة لمونكريف، وواحدة...". رأى الساعة على رسغ دانى والسلسلة الفضية حول رقبته فتردد قليلاً.

شرح دانى قائلاً: "نيك يأخذ حمامًا".

فقال الضابط: "حسنًا، هناك رسالة لك ورسالة لمونكريف".

تعرف دانى على الفور على خط يد بيث الأنيق. لم يفتح المظروف، اكتفى بتمزيقه، وألقى بالقصاصات إلى المرحاض وفتح عليه الماء. وضع المظروف الآخر على وسادة نيك.

وكان مطبوعًا فى الركن الأيمن من المظروف : "لجنة إطلاق السراح المشروط".

تساءل آليكس ردماين: "كم من المرات كتبت إليه؟".

أجابته السكرتيرة: "ستكون هذه هى المرة الرابعة التى ترسل إليه فيها خلال الشهر المنصرم".

نظر آليكس خارج النافذة. كان هناك أشخاص عديدون يروحون ويجيئون بالعباءات القضائية عبر الساحة الصغيرة. قال: "إنها أعراض طبيعية للمحكوم عليهم بالمؤبد".

"هل هناك شيء كهذا؟".

"إما أن ينعزل المحكوم عليه عن العالم الخارجى تمامًا، أو أن يتصرف كما لو أن شيئًا لم يحدث، ومن الواضح أنه اختار أن يعزل نفسه".

"إذن فهل هناك أى جدوى من الكتابة إليه مجددًا؟".

أجاب آليكس: "نعم، هناك طبعًا، لا أريد أن يساوره أى شك فى أننى لم أنسه".

-o-

عندما عاد نيك من الحمام، كان دانى مازال جالسًا إلى المنضدة يراجع بعض التوقعات المالية كجزء من دراسته للمستوى الرفيع لمساواة إدارة الأعمال التى اختارها. دخل نيك إلى الزنزانة يلف خصره بمنشفة مبللة ورفيعة، ترك خفه علامات مبللة على الأرضية الحجرية. توقف دانى عن الكتابة وأعاد إليه ساعة يده، وخاتمه، وسلسلته الفضية.

قال نيك: "شكرًا". وعندئذ لاحظ المظروف البنى الخفيف على وسادته. وللحظة اكتفى بالتحديق إليه، لم ينطق كل من دانى وآل الضخم بأى شيء فى انتظار ردة فعل نيك. أمسك أخيرًا بسكين بلاستيكية وفتح بها المظروف الذى لم يكن مسموحًا لسلطات السجن أن تطلع عليه.

السيد العزيز مونكريف:

إننى مكلف من قبل لجنة إطلاق السراح المشروط بأن أبلغك أن طلبك من أجل إطلاق السراح المبكر قد تمت الموافقة عليها. وعلى هذا فسوف تنتهى فترة عقوبتك فى السابع عشر من يوليو ٢٠٠٢. وسوف نرسل إليك التفاصيل الكاملة لإطلاق سراحك ولشروطه فى موعد آخر قريب، جنبًا إلى جنب مع اسم ضامنك الخاص بك والضابط الذى من المفترض بك

والمسئول الذى ستتوجه إليه لينهى الإجراءات.

المخلص،

تى إل وليامز.

تطلع نيك ببصره نحو زميليه فى الزنزانة، لكنه لم يكن بحاجة لأن يخبرهما بأنه قد صار أخيرًا رجلاً حرًا.

◄o►

صاح الصوت الذى كان بالإمكان سماعه فى جميع جنبات العنبر: "زيارات!". بعدها بدقائق انفتح باب الزنزانة ودخل ضابط يراجع أوراقه وقال "لديك زيارة يا كارترايت، إنها السيدة الشابة نفسها التى جاءت الأسبوع الماضى". قلب دانى صفحة أخرى من رواية بليك هاوس وهزَ رأسه نفيًا.

قال الضابط: "كما تشاء". وأغلق باب الزانزانة بشدة.

لم يعلق كل من نيك وآل الضخم على ما حدث. فقد أقلعا عن محاولة إثناء دانى عن قراره.

٣٣

قام باختيار اليوم بعناية بالغة، وحتى الساعة نفسها، لكنه ما لم يتمكن من التخطيط له بالعناية نفسها هى الدقيقة الأنسب لفعله.

قام المأمور بنفسه باختيار اليوم، وصدق كبير الضباط على اختياره. فى هذه المناسبة تم عمل استثناء. أخرج السجناء من زنازينهم جميعًا لمشاهدة مباراة فى نهائى كأس العالم بين إنجلترا والأرجنتين.

قبل الثانية عشرة تمامًا بدقائق معدودة، فتحت أبواب الزانزين وتدفق منها السجناء، يسيرون جميعًا فى اتجاه واحد، ولأن آل الضخم اسكتلندى متعصب لوطنه، فقد رفض بفجاجة أن يشاهد عدوه القديم يفوز بكأس العالم، وبقى مستلقيًا على فراشه.

كان دانى من بين هؤلاء الذين جلسوا فى الصدارة، يحدقون بانتباه تام إلى تليفزيون مربع عتيق، منتظرين أن يطلق الحكم صافرته لتبدأ المباراة. كان جميع السجناء يصفقون ويتصايحون قبل أن تبدأ ركلة الكرة الأولى بوقت طويل، جميعهم باستثناء واحد فقط، سجين واحد اكتفى بالوقوف صامتًا فى نهاية الجماعة. لم يكن ينظر باتجاه التليفزيون، ولكن نحو باب زنزانة مفتوح بالطابق الأول. لم

يتحرك، فالضباط لا يلاحظون سجينًا لا يتحرك. كان قد بدأ يتساءل إن كان هدفه قد غير من عاداته الثابتة بسبب المباراة، غير أنه لم يكن يشاهد المباراة. كان زميله فى الزنزانة يجلس على المقعد الطويل فى مقدمة المشاهدين فلابد إذن أنه مازال فى زنزانته.

بعد ثلاثين دقيقة، وحينما كانت نتيجة المباراة تعادل لا شىء مقابل لاشىء، لم يظهر له أى أثر.

وعندئذ، وقبيل أن يطلق الحكم صافرته معلنا نهاية الشوط الأول تعرقل لاعب إنجليزى فى منطقة جزاء الفريق الأرجنتينى، وقد بدأ وكأن الحشد المتجمهر حول شاشة التليفزيون قادر على إصدار ضجة مماثلة لما يصدر عن الخمسة والثلاثين ألف متفرج الموجودين بالاستاد، وحتى بعض الضباط انضموا إليهم فى هذا. كانت الضجة العارمة أيضًا جزءًا من مخططه. بقيت عيناه مثبتتين على الباب المفتوح، عندما خرج الصيد فجأة من مخبئه. كان يرتدى سروالاً قصيرًا وخفين مع منشفة تغطى كتفيه. لم ينظر لأسفل؛ من الواضح أنه غير مهتم على الإطلاق بكرة القدم.

سار للوراء خطوات قليلة؛ بحيث ينفصل عن الحشد دون أن يلاحظ ذلك أحد. استدار ومشى ببطء إلى الطرف الأقصى للعنبر، ثم صعد السلالم خلسة إلى الطابق الأول. لم يلتفت نحوه أحد، بما أن الحكم كان يشير نحو منطقة الجزاء. تفقد الأوضاع عندما بلغ آخر درجات السلم ليتأكد إن كان هناك أى شخص لاحظه وهو يغادر. لم ينظر باتجاهه أى شخص على الإطلاق. كان اللاعبون بفريق الأرجنتيين يحيطون بالحكم معترضين، فى حين كان كابتن الفريق الإنجليزى يلتقط الكرة ويسير بهدوء إلى مربع الجزاء.

توقف خارج غرفة الاستحمام، واختلس النظر إلى داخلها ليكتشف أن البخار يسودها؛ كان هذا كله جزءًا من مخططه.

دخلها؛ وكم أراحه أن يجد أن هناك شخصًا واحدًا فقط يأخذ حمامًا. سار بهدوء حتى المقعد الخشبى الطويل بالطرف القصى من الغرفة، حيث وجد منشفة واحدة مطوية بأناقة فى الركن. التقطها وصنع منها أنشوطة. كان السجين الآخر يقف تحت الماء يغسل شعره بالشامبو.

ساد الصمت الجميع فى الطابق الأرضى. لم ينبس أحد بهمهمة خافتة بينما كان اللاعب دافيد بيكهام يضع الكرة فى منطقة الجزاء، وراح يتراجع للخلف فحبس البعض منهم أنفاسه.

راح الرجل الذى فى الحمام يخطو بعض خطوات للأمام بينما كانت قدم بيكهام اليمنى تمس الكرة. الضجة التى تبعت هذا بدت وكأنها حالة شغب سادت السجن، لولا أن الضباط كانوا راضين عنها ومنضمين لها.

فتح السجين الذى كان يغسل شعره تحت الماء عينيه عندما سمع الضجة، واضطر فى الحال لأن يضع يدًا على جبهته لكيلا يدخل أى صابون إلى عينيه. كان على وشك أن يخرج من الحمام ويلتقط منشفته من على المقعد الخشبى الطويل عندما نزلت ركبة أحدهم على ملتقى فخذيه بقوة يمكنها أن تثير دهشة بيكهام نفسه، تبع ذلك قبضة فى وسط أضلاعه دفعته نحو الجدار المغطى بالبلاط. حاول أن يرد، ولكن طوق ساعد رقبته، وجذبت يد أخرى شعره وشدت رأسه للخلف. حركة واحدة سريعة، وعلى الرغم من أن أحدًا لم يسمع طقطقة العظام، فحين أفلت الجسد سقط متكومًا على الأرض وكأنه دمية تقطعت الخيوط التى تحركها.

انحنى القاتل ووضع بكل اعتناء المنشفة المعقودة حول رقبته، ثم رفع الجثة الهامدة للرجل بكل قوته وأسندها إلى الجدار بينما يربط الطرف الثانى من المنشفة فى ماسورة المياه، وأنزل الجثة ببطء إلى موضعها وخطا للخلف للحظات وهو يتأمل عمل يديه معجبًا به. عاد إلى مدخل غرفة الاستحمام وأبرز رأسه من مدخل الباب ليتأكد مما يجرى بأسفل. كان المحتفلون

عندئذ قد صاروا فى حالة هرج ومرج خارج كل نطاق للسيطرة، وكان الضباط منشغلين بالتأكد من أن السجناء لن يحطموا الأثاث من فرط فرحتهم.

تحرك مثل فأر صغير، شاقًا سبيله بسرعة وعاد مجددًا وبهدوء من خلال السلالم اللولبية، متجاهلاً علامات قدميه المبتلتين بالماء لأنه سوف تجف قبل انتهاء المباراة بوقت طويل. عاد إلى زنزانته فى أقل من دقيقة واحدة. كان قد فرد على فراشه منشفة، وقميصًا قطنيًا نظيفًا وسروالاً، وزوجًا جديدًا من الجوارب وحذاءه الرياضى الثمين، ماركة أديداس. خلع الثياب المبتلة بسرعة شديدة، وجفف نفسه وارتدى الملابس النظيفة. ثم تفقد شعره فى المرآة الحديدية الصغيرة المعلقة على الجدار قبل أن يتسلل خارج الزنزانة.

كان السجناء عندها ينتظرون بفارغ الصبر بداية النصف الثانى من المباراة. انضم إلى زملاء زنزانته دون أن يلاحظه أحد، وببطء شديد، وبخطوة هنا وبتراجعات جانبية هناك، شق سبيله إلى مركز الحشد. كان السجناء يحثون الحكم على إطلاق صافرة الشوط الثانى من المباراة قبل نهايته بوقت طويل، بحيث يمكن لإنجلترا أن تغادر المباراة فائزة بهدف واحد إلى لا شىء.

عندما انطلقت الصافرة الأخيرة لانتهاء المباراة، انطلقت نوبة أخرى من الضجة والهياج. وصاح عدة ضباط: "والآن عودوا إلى زنازينكم" غير أن السجناء لم يتعجلوا للقيام بهذا.

استدار وسار عامدًا نحو واحد من الضباط، وارتطم به بمرفقه وهو يمر به.

قال باسكو: "انظر إلى أين تسير يا ليتش".

فقال ليتش: "آسف يا سيدى"، وواصل طريقه.

⊸٥⊷

صعد دانى السلالم. كان يعلم أن آل الضخم سيكون فى عمله بالمستشفى، لكنه اندهش لعدم وجود نيك فى الزنزانة. جلس إلى الطاولة وراح يحدق إلى صورة بيث الملصوقة على الجدار. استعاد ذكرياته مع بيرنى. كان من الممكن اليوم أن يشاهدا المباراة فى الحى معًا، إذا .... حاول دانى أن يركز على المقال الذى من المفترض أن يسلمه فى الغد، لكنه اكتفى بمواصلة التطلع إلى الصورة الفوتوغرافية، محاولاً أن يقنع نفسه بأنه لا يفتقدها.

وفجأة تردد الصوت الحاد للصافرات فى أرجاء العنبر، مصحوبًا بأصوات الضباط تصيح: "ارجعوا إلى زنازينكم جميعًا!" ما هى إلا لحظات وفتح باب الزنزانة بشدة وأطل منه أحد الضباط وسأله: "مونكريف أين آل الضخم؟".

لم يهتم دانى بتصحيح خطئه - فعلى كل حال، كان مازال يضع ساعة يد نيك، وخاتمه وسلسلته الفضية، والذى كان يعطيها له ليحفظها له - فقال ببساطة: "سيكون فى عمله بالمستشفى".

انغلق الباب بشدة، تساءل دانى لماذا لم يسأل الضابط عنه هو نفسه. كان من المستحيل التركيز على مقالته مع ذلك الضجيج كله الصادر من حوله، وافترض أن واحدًا من السجناء الذين بالغوا فى التعبير عن حماستهم بنتائج المباراة وفوز الفريق الإنجليزى لابد وأنه يقاد الآن إلى الحبس الانفرادى. بعدها بدقائق انفتح الباب مرة أخرى من قبل الضابط نفسه، وتبعه آل الضخم.

قال آل الضخم بصوت عالٍ قبل أن ينغلق الباب بشدة: "مرحبًا يا نيك".

فتساءل دانى: "أى لعبة تلعبها معى؟".

وضع آل الضخم إصبعًا على شفتيه، وسار إلى المرحاض وجلس عليه.

"إنهم لا يستطيعون رؤيتى بينما أجلس هنا، لذا تصرف وكأنك تذاكر ولا تلتفت نحوى..".

"ولكن لماذا..؟".

"ولا تفتح فمك بكلمة، استمع فقط". التقط دانى قلمه وتظاهر بأنه يركز على مقالته فقال آل: "لقد انتحر نيك".

اعتقد دانى بأنه سوف يصاب بالغثيان. فكرر: "ولكن... لماذا..؟".

"قلت لك ألا تتكلم. لقد وجدوه مشنوقًا فى الحمام".

راح دانى يضرب المنضدة بقبضته. "لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا".

"أغلق فمك أيها الأحمق اللعين، واستمع إلى. كنت فى المستشفى عندما هرع إلينا اثنان من الضباط - قال واحد منهما: "تعالى بسرعة أيتها الممرضة، لقد قتل كارترايت نفسه". عرفت أن هذا غير حقيقى لأننى كنت قد رأيتك تشاهد مباراة كرة القدم قبلها بدقائق. كان لابد أن يكون نيك. فهو دائما من يستخدم الحمام عندما لا يكون هناك الكثير من السجناء يستخدمونه".

"ولكن لماذا..؟".

قال آل الضخم بحزم: "لا تشغل بالك بالسؤال عن السبب أيها الفتى دانى. أخذ السجناء والممرضة يجرون، وهكذا تركونى وحدى لبضع دقائق. ثم ظهر حارس آخر وقادنى إلى هنا". كان دانى الآن ينصت بكل انتباه ليواصل آل: "وقد أخبرنى الحارس بأنك أنت من انتحرت".

"ولكنهم سيكتشفون أنه لم يكن أنا بمجرد أن...".

فقال آل الضخم: "كلا، لن يكتشفوا هذا؛ لأننى وجدت ما يكفى من الوقت لكى أغير الأسماء فى ملفاتكما".

قال دانى غير مصدق: "ماذا فعلت؟".

"لقد سمعتنى".

"ولكنى أعتقد أنك تقول لى دائمًا إن الملفات دائمًا فى خزائن محكمة الإغلاق؟".

"إنها كذلك ولكن ليس أثناء العمليات الجراحية، فى حالة احتاجت المرضة لتفقد التاريخ العلاجى لشخص ما. وقد تركت المكان فى عجلة من أمرها". توقف آل الضخم عن الحديث عندما سمع شخصا ما يتحرك خارج الزانزانة، قال: "انتظر" ووقف، وعاد إلى فراشه ورقد. أطلت عين من ثقب باب الزنزانة ثم انتقلت إلى الزانزانة التالية.

سأل دانى: "ولكن لماذا فعلت هذا؟".

"لكى يعتقدوا تمام الاعتقاد عندما يتأكدوا من بصمات أصابعه ومن فصيلة دمه أنك أنت من قمت بالانتحار لأنك لا تستطيع أن تواجه حقيقة أنك سوف تقضى عشرين عامًا أخرى فى هذا المكان اللعين".

"ولكن نيك لم يكن لديه أى سبب يدفعه قتل نفسه".

قال آل الضخم: "أعلم هذا، لكن ماداموا يعتقدون أنك أنت من شنق نفسه بهذا الحبل فلن تثار أية تساؤلات أخرى حول الأمر".

"ولكن هذا لا يفسر لماذا قمت بتغيير الملفات..". هكذا بدأ دانى يتحدث. ثم التزم الصمت لبرهة من الوقت، قبل أن يضيف: "بحيث يمكننى أن أخرج من هذا المكان فى غضون ستة أسابيع مثل أى رجل حر".

"أفهمتنى الآن أيها الفتى دانى؟".

غاضت الدماء من وجه دانى بينما راح يتأمل تبعات الفعل الطائش الذى أقدم عليه آل الضخم. راح يحدق إلى صورة بيث. مازال يظن أنه غير قادر على رؤيتها، حتى ولو تمكن من الهرب من السجن. سوف يظل يتظاهر طوال عمره أنه نيك مونكريف. وقال: "لكنك لم تسألنى قبل أن تفعل هذا؟".

"إذا كنت انتظرت لسؤالك سيكون الأوان قد فات. ولا تنس

أنه لا يوجد كثيرون فى هذا المكان قادرون على التمييز بينكما، وما إن يتفقدوا الملفات، خصوصا إذا ما صدقوا أنك أنت الذى انتحرت فلن يشكوا فيك".

"ولكن ماذا لو فضح أمرنا؟".

"تستمر أنت فى تنفيذ فترة عقوبتك بالسجن المؤبد، وأفقد أنا عملى بالمستشفى وأعود لأعمال النظافة البشعة. مشكلة كبيرة".

التزم دانى الصمت من جديد لبرهة من الوقت. حتى قال فى نهاية الأمر: "لست متأكدًا إن كان بوسعى النجاح فى هذا. ولكن إذا..، أقصد أنه إذا...".

"لا وقت لدينا لنضيعه على إذا وهذه الاحتمالات كلها أيها الفتى دانى. ليس لدينا على الأغلب إلا ٢٤ ساعة قبل أن يفتح باب هذه الزنزانة مرة أخرى، وعند هذا الوقت سيكون عليك أن تقرر إما أنك دانى كارترايت الذى سيقضى عشرين عامًا أخرى عقوبة لجريمة لم يرتكبها، أو أنك السير نيكولاس مونكريف، والذى ينتظر إطلاق سراحه بعد ستة أسابيع. ودعنا نواجه الأمر، ستكون لديك فرصة أفضل كثيرًا فى تطهير سمعتك ما إن تخرج من هنا - ناهيك عن الانتقام من هؤلاء الأوغاد الذين قتلوا صديق عمرك".

قال دانى: "أحتاج إلى وقت للتفكير"، وصعد إلى فراشه العلوى.

" لابد ألا يكون وقتًا طويلاً، وتذكر أن نيك كان دائمًا ما ينام على الفراش السفلى".

٣٤

"كان نيك يكبرنى عمرًا بخمسة شهور، وأقصر منى بنصف بوصة".

تساءل آل الضخم بعصبية: "كيف تعرف هذا؟".

أجاب دانى: "كل شىء موجود فى يومياته. لقد وصلت للنقطة التى ظهرت فيها فى زنزانتكم وقرر كل منكما ما القصة التى ستخبرانى بها". قطب آل الضخم جبينه ليواصل دانى: "لقد كنت أعمى خلال العامين الماضيين، رغم أن الأمر كان واضحًا وضوح الشمس أمام عينى". لم ينبس آل الضخم ببنت شفة بينما استطرد دانى: "كنت أنت الرقيب الذى أطلق النار على الألبانيين الكوسوفويين عندما كانت فصيلة نيك متعهدة بحراسة مجموعة من السجناء الصرب".

قال آل الضخم: "بل الأمر أسوأ، كان ذلك بعد أن أعطانا الكابتن مونكريف أمرًا واضحًا بألا نطلق النيران وأصدر تحذيرًا باللغتين الإنجليزية والكرواتية الصربية".

"وقد اخترت أنت تجاهل هذا الأمر".

"لا جدوى من إطلاق التحذيرات تجاه شخص يطلق النار تجاهك بالفعل".

" لكن هناك مراقبان من الأمم المتحدة شهدا أمام المحكمة

العسكرية بأن الألبانيين كانوا فقط يطلقون نيرانهم فى الهواء".

" كان فريق المراقبين ينعمون بالأمان فى دفء غرفهم بالفنادق على الطرف الآخر من المكان".

"وانتهى الأمر بنيك أن يدخل السجن ويتحمل الذنب".

فقال آل الضخم: "نعم، على الرغم من حقيقة أننى أخبرت قائد الشرطة العسكرية بما حدث بالضبط، لكنهم اختاروا الأخذ بكلام نيك وليس بكلامى أنا".

"مما نجم عنه اتهامك بالقتل الخطأ".

"صحيح، مما نجم عنه الحكم علىّ بفترة عقوبة لعشر سنوات فقط بدلاً من اثنين وعشرين عامًا على جريمة القتل العمد دون أمل فى إطلاق السراح المشروط".

" يكتب نيك فى يومياته الكثير عن شجاعتك، وكيف أنك أنقذت نصف أفراد الفصيلة، بمن فيهم هو نفسه، عندما كنتم تخدمون فى العراق".

"إنه يبالغ".

قال دانى: "لم تكن المبالغة جزءًا من أسلوبه، على الرغم من أن هذا يوضح لى لماذا اختار أن يحمل الذنب على عاتقه، على الرغم من عصيانك لأوامره".

كرر آل الضخم: "لقد أخبرت المحكمة العسكرية بالحقيقة كاملة، ولكنهم أخذوا باعتراف نيك وحكموا عليه بثمانية أعوام للتهور والإهمال أثناء أداء واجبه. هل تتخيل أن هناك يومًا يمر بى دون أن أفكر فى التضحية التى قام بها هذا الرجل من أجلى؟ غير أننى الآن واثق من شىء واحد، إنه يود لو أنك أخذت مكانه".

"كيف تكون واثقًا إلى هذا الحد؟".

"أكمل القراءة أيها الفتى دانى، أكمل القراءة".

قال راى باسكو: "ثمة شيء ما فى هذه الحكاية يبدو لى فى غير مكانه".

سأله المأمور: "ما الذى ترمى إليه؟ تعرف جيدًا كما أعرف أنا أنه أمر معتاد أن يقدم أحد السجناء المحكوم عليهم بالسجن المؤبد على الانتحار بعد أيام من خسارة دعوى الاستئناف".

" ولكن ليس كارترايت. كان لديه الكثير مما يعيش لأجله".

قال المأمور: "لا يمكننا أن نعرف ما الذى كان يدور بعقله، ولا تنس أنه حطم أثاث زنزانته عندما أودع السجن الانفرادى. كما أنه رفض رؤية خطيبته وطفلته عندما كانا يأتيان لزيارته - بل إنه حتى لم يكن يفتح رسائلها".

"صحيح. لكن أهى مجرد مصادفة أن يحدث هذا بعد ايام من تهديد ليتش بالانتقام منه؟".

"لقد كتبت فى آخر تقرير لك أنه لم يحدث أى اتصال بين الاثنين منذ موقف المكتبة".

قال باسكو: "وهذا ما يقلقنى. إذا ما انتوى أحدهم أن يقتل شخصًا ما، فإن آخر شيء يفعله هو أن يشاهد قريبًا منه فى أى مكان".

"أكد الطبيب أن كارترايت قد توفى بكسر فى العنق".

"ليتش يملك كل القدرة على دق عنق أى شخص".

"وهذا كله لأنه لم يُعد كتابًا استعاره إلى المكتبة؟".

قال باسكو: "ودخوله للحبس الانفرادى لمدة شهر".

"وماذا عن ذلك الشريط الذى كنت سمعت به؟".

هزَّ باسكو رأسه، وأقر قائلاً: "لا علم لدى بهذا الشأن حتى الآن، الأمر كله مجرد إحساس داخلى...".

"إذا كنت تتوقع منى أن أفتح تحقيقًا كاملاً، فمن الأفضل أن يكون لديك شيء ما أهم من مجرد إحساسك الداخلى يا راى".

"قبل اكتشاف الجثة بدقائق معدودة اصطدم بى ليتش عن عمد وقصد".

قال المأمور: "وما فى ذلك؟".

"كان يرتدى حذاءه الثمين الجديد".

"وإلى ماذا يشير هذا؟".

"لقد لاحظت أنه كان يرتدى حذاء السجن الأزرق عندما بدأت المباراة، وهكذا كيف له أن يرتدى حذاءه الأديداس الجديد الثمين عند انتهائها؟ هذا غير منطقى".

" بقدر إعجابى بقوة ملاحظتك يا راى، بقدر ما لا يمكننى أن أجد فى هذا كله دليلاً كافيًا لإقناعى بأننا بحاجة لفتح تحقيق".

" كان شعره مبتلاً".

قال المأمور: "راى، أمامنا خياران. إما أن نتقبل تقرير الطبيب وأن نرفع تقريرًا لرؤسائنا فى وزارة الداخلية على أنه جريمة انتحار، أو أن نستدعى رجال الشرطة ونطلب منهم عمل تحريات شاملة وتحقيق كامل. وإن اخترنا الخيار الثانى سأكون بحاجة لما هو أكثر من حذاء جديد وشعر مبتل".

" ولكن إذا كان ليتش ...".

" إن أول سؤال سيطرح علينا هو مادمنا كنا نعرف بتهديد ليتش لكارترايت فلماذا لم نوص بنقله إلى سجن آخر فى اليوم نفسه".

كانت هناك طرقة خفيضة على الباب.

قال المأمور: "ادخل"

قالت السكرتيرة: "آسفة على الإزعاج، ولكنى أعتقد أنك ستود رؤية هذا على الفور". وناولته صفحة من ورق السجن المسطر.

قرأ الملاحظة المقتضبة مرتين قبل أن يناولها لراى باسكو.

قال المأمور: "هذا هو ما أسميه دليلاً حقيقيًا".

كان بين يعرض على أحد الزبائن شقة فوق سطح أحد المبانى الفخمة فى منطقة ماى فير، عندما دق جرس هاتفه المحمول. عادة ما يلغى المكالمة مادام مع زبون محتمل، لكن عندما ظهر اسم سبنسر كريج على الشاشة استأذن لدقيقة ودخل الغرفة التالية ليتلقى المكالمة.

قال كريج: "أنباء سارة، لقد مات كارترايت".

"مات؟".

"لقد انتحر – لقد وجد مشنوقًا فى الحمام".

"وكيف عرفت؟".

"الخبر منشور فى الصفحة ١٧ من صحيفة إيفننج ستاندرد. بل حتى أنه ترك رسالة انتحار، وهكذا فقد انتهت مشكلاتنا".

وهنا ذكره بين من جديد: "لن تنتهى مادام ذلك الشريط موجودًا".

"لا أحد سيهتم بشريط عليه صوت رجل منتحر يتحدث عن رجل منتحر آخر".

انفتح باب الزنزانة ودخل إليها باسكو. نظر إلى دانى لبعض الوقت، ولكنه لم يتحدث. رفع دانى نظره عن دفتر اليوميات؛ كان قد وصل إلى تاريخ مقابلة نيك مع السيد هيرست مندوب لجنة إطلاق السراح المشروط. إنه اليوم نفسه الذى عقدت فيه جلسة الاستئناف الخاصة به وخسرها. اليوم الذى حطم فيه الزنزانة ووضعوه فى الحبس الانفرادى.

قال باسكو: "حسنًا أيها الرجال، خذوا وجباتكم ثم عودوا

للعمل من جديد، وأنت يا مونكريف أنا آسف حقًا من أجل صديقك كارترايت. كنت واحدًا ممن لم يشكوا فى براءته مطلقا". حاول دانى أن يتوصل لرد مناسب، غير أن باسكو كان قد توجه بالفعل للزنزانة التالية ليفتح بابها.

قال آل الضخم فى هدوء: "إنه يعرف".

قال دانى: "إذن فقد فشلت خطتنا".

قال آل الضخم: "لا أعتقد هذا، لسبب ما اقتنع باسكو بمسألة الانتحار، وأراهن أنه ليس الشخص الوحيد الذى لديه شكوكه نحوها، وبالمناسبة يا نيك ما الذى جعلك تغير رأيك؟".

التقط دانى دفتر اليوميات، وقلب عدة صفحات للوراء وقرأ منها بعض العبارات: لو أمكننى أن أتبادل المواقع مع دانى لفعلت هذا؛ فهو يستحق حريته أكثر منى بكثير.

٣٥

وقف دانى بصورة لا تثير الريبة قدر الإمكان فى مؤخرة قاعة دار العبادة بينما كان الأب مايكل يباشر مراسم الجنازة.

وافق المأمور على مطلب نيك بأن يحضر جنازة دانى كارترايت فى دار عبادة سانت مارى بمنطقة بو. ولكنه رفض المطلب نفسه حين قدمه آل الضخم، بما أنه مازال أمام أربعة عشر شهرًا قبل انقضاء فترة عقوبته ولم يمنح بعد إطلاق السراح المشروط.

عندما دلفت السيارة غير المميزة بعلامات إلى شارع مايل إند رود، تطلع دانى من النافذة، متفقدًا المشاهد الأليفة لقلبه. مارًا بالأمكنة المحببة التى طالما تسكع بها، منطقة صباه، محل كروان آند جارتر، وسينما الأوديون، حيث كان يجلس هو وبيث فى الصف الخلفى مساء كل يوم جمعة. عندما توقفوا عند إشارة مرور أمام مدرسة كليمنت آتلى الشاملة، اعتصر قبضة يده مفكرًا فى السنوات التى بددها هناك.

حاول ألا يرسل نظره عندما مر بورشة ويلسون، لكنه لم يستطع منع نفسه. كانت هناك بعض علامات الحياة فى الباحة الصغيرة. من الواضح أن المسألة تحتاج لأكثر من طبقة جديدة من الطلاء لإقناع أى شخص بشراء سيارة مستعملة من ورشة ويلسون. ركز انتباهه على ورشة مونتى هيوز

على الناحية الأخرى من الطريق: كانت هناك صفوف من سيارات المرسيدس تتألق وإلى جانبها رجال مبيعات مهندمون ومبتسمون.

قام المأمور بتذكير مونكريف بأنه على الرغم من أنه أمامه خمسة أسابيع فقط على إطلاق سراحه، سيبقى معه ضابطان، لن يغادرا جانبه بالمرة. إذا عصى أى توجيه من توجيهاتهما، فإن المأمور لن يتردد فى أن يوصى لجنة إطلاق السراح المشروط بأن تلغى قرارها الخاص بإطلاق سراحه المبكر، مما سوف يؤدى لأن يقضى فى السجن أربعة أعوام أخرى.

واصل المأمور مايكل بارتون قائلاً: "ولكنك تعرف بالفعل هذا كله من قبل، لأنها التعليمات نفسها التى وجهت إليك عند ذهابك لحضور جنازة أبيك منذ شهرين". لم يعقب دانى.

كانت تقييدات المأمور، كما أطلق عليها، مناسبة للغاية لدانى، بما أنه لم يرغب فى الاختلاط بأفراد عائلة كارترايت، أو بأصدقائهم أو بأى فرد آخر من الحضور، والحقيقة أنه لم يكن مسموحًا له أن يتحدث إلى أى شخص غير الضابطين المصاحبين له، حتى عودته من جديد إلى جدران السجن. إن فكرة قضاء أربعة أعوام أخرى فى سجن بيلمارش كانت كافية لتجعله يلتزم بالتقييدات.

وقف كل من الضابطين باسكو وجينكينز على كلا جانبيه، على مبعدة يسيرة من أهالى المتوفى المحيطين بالقبر. استراح دانى عندما تبين له أن ملابس نيك ملائمة – حسنًا، لعل السروال لو كان أطول بوصة واحدة لكان أفضل ، وعلى الرغم من أنه لم يضع قبعة قبل ذلك أبدًا، فكان لهذا ميزة فى إخفاء ملامح وجهه عن أى متطلع فضولى.

استهل رجل الدين الطقوس بصلاة بينما راح يراقب دانى الجمع الذى كان أكبر عددًا مما توقع. بدت أمه شاحبة ومحطمة، كما لو أنها ظلت تبكى لأيام، وكانت بيث على درجة

من النحافة بحيث أن ثوبها الذى يعرفه جيدًا تهدل عن جسدها، ولم يعد يؤكد قوامها البديع. وحدها ابنته كريستى ذات العامين، لم تكن مكترثة لما يحدث ولعبت بجانب أمها فى هدوء؛ فهى حتى هذا الحين لم تتعرف على أبيها إلا فى أضيق نطاق، على مرات متباعدة عن بعضها البعض بشهر كامل، وعلى هذا فمن المؤكد أنها قد نسيته قبل وقت طويل. تمنى دانى لو أن ذكراها الوحيدة عن والدها لن تكون زيارة فى سجن.

تأثر دانى عندما رأى والد بيث يقف إلى جانبها، محنى الرأس، ومن وراء أفراد الأسرة مباشرة يقف شاب طويل أنيق، فى حلة سوداء، مزموم الشفتين، وبين عينيه غضب مكظوم. شعر دانى فجأة بالذنب لأنه لم يرد على أى من رسائل آليكس ردماين منذ جلسة الاستئناف.

عندما أنهى الأب مايكل صلواته، أحنى رأسه قبل أن يقدم نعيه: "إن موت دانى كارترايت لمأساة فاجعة". هكذا قال لأهل منطقته وهو يخفض بصره نحو الكفن ويواصل : "إنه شاب ضل طريقه، وواجه أزمات كثيرة فى هذا العالم كلفته حياته. وهؤلاء الذين كانوا يعرفون دانى معرفة جيدة مازالوا لا يستطيعون التصديق أن هذا الشاب الصالح والدمث يمكنه أن يرتكب أى جريمة، ناهيكم عن قتل أعز أصدقائه". نظر نحو حارس برىء يقف عند مدخل دار العبادة وواصل: "والحقيقة أن كثيرين فى هذا المكان مازالوا مقتنعين بأن الشرطة قد ألقت القبض على المتهم الصحيح حقًا". ثارت موجة هينة من الضجيج بين المتجمعين حول القبر، وسُرَّ دانى لأنه رأى أن والد بيث كان واحدًا من هؤلاء المعترضين.

رفع الأب مايكل رأسه وقال: "ولكن الآن، دعونا نتذكر دانى كارترايت، الابن الطيب والأب الشاب، والقائد بالفطرة والرياضى الهمام، وبالنسبة للكثيرين منا سوف يبقى حيًا،

وسوف يتردد اسمه إلى ما هو أبعد كثيرًا من شوارع منطقة بو". ثارت همهمة بين الحضور ليواصل هو: "لكن هكذا كانت إرادة القدر، وهكذا شاءت حكمته الخفية عن أذهاننا، وكان هذا هو مصير العبد الطيب". أخذ رجل الدين يدعو لدانى بالمغفرة، ثم تم إنزال الكفن إلى الأرض، وبدأ يدعو قائلاً: "لعل الله يغفر لابننا دانى ويبسط عليه مغفرته ورحمته".

وهنا بدأت جوقة من صغار السن يدعون للمتوفى، وانحنى الأب مايكل، وبيث وبقية أفراد أسرة كارترايت إلى القبر. توقف آليكس ردماين وآخرون من المعزين لتقديم نظرات احترام أخيرة للمتوفى. أحنى آليكس رأسه كما لو كان يصلى، وتحدث بكلمات قليلة، غير أن دانى لم يكن قريبًا بما يكفى ليسمعها، لقد قال: "سوف أعمل على تطهير اسمك وسمعتك بحيث تسكن بسلام فى مرقدك".

لم يسمح لدانى بالتحرك إلا بعد أن انصرف آخر المعزين، بمن فيهم بيث وكريستى، اللتان لم تنظرا فى اتجاهه على الإطلاق. عندما أخبر باسكو مونكريف بأن عليهما الانصراف، وجده يبكى. أراد دانى أن يشرح أن هذه الدموع لا تنهمر فقط من أجل صديقه العزيز الراحل نيك، ولكنها من أجل أنه كان واحدًا من البشر القلائل المحظوظين، الذين تسنى لهم أن يكتشفوا كم هم محبوبون من قبل المقربين منهم.

٣٦

استغل دانى كل وقت فراغ أتيح له فى قراءة دفتر يوميات نيك وإعادة قراءته، حتى شعر بأنه لم يعد هناك أى شىء يحتاج لمعرفته عن الرجل.

أما آل الضخم، والذى خدم مع نيك لمدة خمسة أعوام قبل أن يقدما للمحاكمة العسكرية ويتم إرسالهما إلى سجن بيلمارش، فقد كان بمقدوره أن يملأ لدانى فجوات عديدة لم تغطها اليوميات، بما فى ذلك كيف سيكون رد فعل دانى إن التقى مصادفة بضابط من ضباط كتيبة كاميرون هايلاندرز وكيف يمكنه أن يكتشف أن الشخص الذى أمامه ضابط من على بعد ثلاثين خطوة. وقد اندمجا فى مناقشات لا تنتهى حول أول شىء كان سيفعله نيك بعد إطلاق سراحه.

قال آل الضخم: "كان ليذهب إلى أسكتلندا رأسًا".

" ولكن كل ما سيكون بحوزتى هو مبلغ خمس وأربعين جنيهًا وتذكرة قطار".

" سيكون بمقدور السيد مونرو أن يحل لك هذه المسألة. ولا تنس أن نيك قد قال إنك كنت لتتعامل معه خيرًا منه هو نفسه".

" إن كنت أنا هو".

فقال آل الضخم: "وأنت هو، شكرًا لجهود الحلاق لويس

ولمجهود صديقنا الراحل نيك، اللذين قاما بعمل رائع، وهكذا لن يكون التعامل مع مونرو فى غاية الصعوبة. تأكد فقط أنه حين يراك للمرة الأولى".

"بل للمرة الثانية".

"...لكنه لم ير نيك إلا لساعة واحدة فقط، وهو سوف يتوقع أن يرى السير نيكولاس مونكريف، وليس شخصا لم يلتق به أبدا من قبل. المشكلة الأكبر ستكون ما عليك القيام به بعد ذلك".

قال دانى: "سأعود مباشرة إلى لندن".

"إذن فاحرص على أن تبقى بعيدا عن إيست إند".

قال دانى وهو يخامره شعور تجاه منطقته: "هناك الملايين من سكان لندن لم يذهبوا أبدا إلى إيست إند، كما أننى لا أعرف أين تقع بولتونز تلك، أنا على ثقة من أنها غرب منطقة بو".

"وعلى هذا فما الذى ستفعله ما إن تعود إلى لندن؟"

"بعد أن حضرت جنازتى ورأيت كم تعانى بيث، فإننى أكثر تصميمًا مما سبق لأتأكد من أنها الشخص الوحيد الذى يعرف أننى لم أقتل أخاها".

"هذا شبيه قليلاً من قصة ذلك الفرنسى الذى حكيت لى عنه....ما اسمه؟".

قال دانى: "إدموند دانتى، ومثله تمامًا لن أرضى إلا بعد أن أنتقم من الرجال الذين مكروا بى ودمروا حياتى".

"هل ستقتلهم؟".

"كلا، سيكون هذا فى غاية السهولة. لابد وأن يعانوا، على حد تعبير آلكسندر دوماس، لابد أن يعانوا مصيرًا أسوأ من الموت، سيكون لدى ما يكفى من الوقت وأكثر لأن أفكر بشأن هذا الأمر".

قال آل الضخم: "لعلك بحاجة لأن تضيف ليتش إلى تلك القائمة".

"ليتش؟ ولماذا أكترث له؟".

"لأننى أظن أن ليتش هو من قتل نيك. لا أتوقف عن التساؤل لماذا يقتل نيك نفسه قبل ستة أسابيع من إطلاق سراحه؟".

"ولكن لماذا يقتل ليتش نيك؟ فإن كان قد تشاجر مع أى شخص فإنه أنا".

قال آل الضخم: "لم يكن يسعى وراء نيك، لا تنس أنك كنت تضع حول عنقك سلسلة نيك الفضية، وترتدى ساعة يده وخاتمه بينما كان فى الحمام".

"ولكن معنى هذا...".

"لقد قتل ليتش الرجل غير المقصود".

"ولكن من المستحيل أن يرغب فى قتلى لمجرد أننى طلبت منه رد الكتاب الذى استعاره من المكتبة فلم يفعل".

"وانتهى به الأمر فى الحبس الانفرادى".

"أتعتقد أن هذا سيكون كافيًا لجعله يقتل شخصًا؟".

فقال آل الضخم: "ربما لا، ولكن لابد وأن تتأكد من أن كريج لن يدفع نقودًا مقابل الشريط الخطأ، وأنا أشك إن كان الضابط السيد هاجين يكن لك أى مودة هو الآخر".

حاول دانى ألا يفكر فى حقيقة أنه كان مسئولاً عن موت نيك دون أن يعى ذلك.

" ولكن لا تشغل بالك بهذا. فما أن تخرج من هنا، سيكون هناك مصير أسوأ من الموت بانتظار ليتش كما أخطط له".

لم يكن سبنسر كريج بحاجة لأن ينظر إلى قائمة الأطعمة، لأنه كان جالسًا بمطعمه المفضل. كان رئيس الندل بالمطعم قد اعتاد رؤيته مع نساء مختلفات – وأحيانًا مع اثنتين أو ثلاث خلال الأسبوع نفسه.

جلست سارة قبالته وقالت: "آسفة على التأخير. لقد عطلنى عن المجىء واحد من العملاء".

قال كريج: "إنك ترهقين نفسك فى العمل، ولكن هذا كان دأبك على الدوام".

" وهذا العميل على وجه الخصوص دائمًا ما يأخذ ميعادًا لساعة واحدة، ثم يتوقع منى أن أتفرغ له لبقية فترة ما بعد الظهر. لم يتسن لى الوقت حتى للذهاب إلى البيت لتغيير ثيابى".

قال كريج: "ما كنت لأخمن هذا بالمرة، وعلى أى حال فأنا أجد هذه الثياب العملية جذابة جاذبية لا تقاوم".

قالت سارة وقد بدأت تلقى بنظرة على قائمة الطعام: "أرى أنك لم تفقد شيئًا من لباقتك وسحرك حتى الآن".

قال كريج: "الطعام هنا ممتاز، يمكننى أن أنصحك بـ ..".

فقالت سارة: "لا أتناول أكثر من صنف واحد فى المساء، هذه واحدة من قواعدى الذهبية".

قال كريج: "إننى أتذكر جميع قواعدك الذهبية منذ أيام الدراسة فى كامبريدج. فتلك القواعد كانت السبب وراء تفوقك، وتخرجك بأعلى التقديرات على عكسنا جميعًا".

قالت سارة: "ولكنك أيضًا نجحت فى هزيمة بطل جامعة أوكسفورد فى الملاكمة، إن كنت أتذكر جيدًا؟".

"إن ذاكرتك تثير الدهشة".

"هكذا قيل لذات الرداء الأحمر فى حكاية الأطفال، وبالمناسبة كيف حال لارى؟ إننى لم أره منذ ليلة الافتتاح".

قال كريج: "ولا أنا رأيته، ولكن منذ ذلك الحين لم يعد بمقدوره أن يخرج ويفرج عن نفسه فى الأمسيات".

"أرجو ألا يكون قد تألم أكثر من اللازم بسبب تلك المقالات النقدية السخيفة".

قال كريج: "لا أستطيع أن أتخيل سببًا ليتألم، فالممثلون

شأنهم شأننا نحن المحامين – لا يهم بالنسبة لنا إلا رأى لجنة المحلفين، أى الجمهور، فأنا لا أكترث البتة برأى القضاة".

عاود النادل ظهوره إلى جوارهم. قالت سارة: "سأتناول طبق جون دورى، ولكن بلا أى صلصة، ولا حتى على الجانب".

قال كريج: "وقطعة لحم بقرى بالنسبة لى، بسيطة الطهو لدرجة أن يظهر الدم فى عروقها". ناول القائمة للنادل وأعاد توجيه انتباهه نحو سارة.

قال: "من الطيب أن أراك بعد كل هذا الوقت، خصوصًا أننا لم نفترق على خير ما يرام. أعترف بأن الخطأ كان خطئى".

فأجابته سارة: "لقد صار كل منا أكبر عمرًا الآن، وفى الحقيقة ألم تصر واحدًا من أصغر المحامين الملكيين من جيلنا؟".

انفتح باب الزنزانة، مما أدهش دانى وآل الضخم، لأن موعد إغلاق الزنازين قد مرّ عليه ساعة.

" لقد قدمت طلبًا مكتوبًا للقاء السيد المأمور يا مونكريف".

فقال دانى: "نعم يا سيد باسكو، إن كان هذا ممكنًا".

" سوف يمنحك خمس دقائق من وقته فى الثامنة من صباح الغد".

وانغلق الباب من جديد بلا أية تفسيرات أخرى.

قال آل الضخم: "كلما مرّ يوم آخر تصير أكثر شبهًا بنيك، استمر فى هذا وسوف ينتهى بى الأمر إلى تقديم التحية العسكرية لك ومناداتك بسيدى".

قال دانى: "تابع أيها الرقيب".

ضحك آل الضخم، ولكنه تساءل بعدها: "لماذا ترغب فى مقابلة المأمور؟ إنك لم تغير رأيك، أليس كذلك؟".

قال دانى، مرتجلاً أية أفكار فى التو: "كلا، ولكنّ هناك شابين ممن يترددان على الفصول التعليمية سوف ينتفعان بمقاسمة زنزانة واحدة، بما أن كلاً منهما يدرس المواد نفسها".

"لكن تسكين السجناء مسئولية السيد جينكينز. لماذا لا تتحدث معه هو؟".

قال دانى: "سأفعل، ولكن هناك مشكلة إضافية". وحاول أن يبتكر مشكلة ما.

فسأله آل الضخم: "وما هى؟".

" لقد تقدم كلاهما بطلب من أجل العمل كأمين مكتبة. فقد كنت سوف أقترح على حضرة المأمور أن يعين أمينين للمكتبة مستقبلاً، وإلا سينتهى الأمر بواحد منهما إلى أعمال النظافة من جديد".

" لقد حاولت محاولة جيدة يا نيك، ولكنك لا تتوقع منى أن أصدق هذا الهراء المكشوف، أليس كذلك؟".

فقال دانى: "صحيح".

"حسنًا، إذا حاولت أن تخدع جنديًا قديمًا مثلى، فاحرص على ألا تؤخذ على حين غرة – قم بحبك قصتك دومًا على ما يرام أولاً".

قال دانى: "إذن بم كنت ترد أنت إذا ما سؤلت عن سبب رغبتك فى مقابلة المأمور؟".

"كنت سأقول: لا تدس أنفك فيما لا يخصك".

أعاد النادل إلى كريج بطاقته الائتمانية، فسأل كريج سارة: "هل يمكننى أن أقلك إلى المنزل؟".

قالت سارة: "إن كان فقط فى طريقك المعتاد".

قال لها، ملقيًا إحدى عباراته المعدة سلفًا: "كم أتمنى أن

يكون فى طريقى المعتاد".

نهضت سارة عن المائدة دون أن تجد جوابًا.. صحبها كريج إلى الباب، وساعدها على ارتداء معطفها. ثم أمسكها من ذراعها وقادها عبر الطريق إلى حيث أوقف سيارته البورش. فتح لها الباب ونظر معجبًا إلى ساقيها وهى تدخل إلى السيارة.

سألها: "مازلت تسكنين فى تشاين ووك؟".

سألته سارة وهى تربط حزام الأمان: "كيف تعرف ذلك؟".

"أخبرنى لارى".

أدار كريج المحرك، وراح يزيد السرعة لبضع ثوانٍ إلى أن انطلق فجأة. انحرف بحدة عند أول منعطف، مما جعل سارة تميل بشدة ناحيته. وضع يده اليسرى على ساقها، فرفعتها بلطف.

قال كريج: "آسف لهذا".

قالت سارة: "لا عليك" لكنها اندهشت عندما قام بالحركة نفسها عندما استدار نحو المنعطف الثانى، ولكنها فى هذه المرة رفعت يده بمزيد من الحزم والصرامة. لم يحاول كريج فعل هذا مجددًا خلال ما تبقى من الرحلة، مكتفيًا بمحادثة صغيرة معها فى الطريق إلى شقتها فى منطقة تشاين ووك.

حلت سارة حزام المقعد، متوقعة من كريج أن يخرج ليفتح لها الباب، لكنه مال نحوها وحاول تقبيلها. أشاحت برأسها بعيدًا بحيث إن شفتيه مست وجنتها مسًا خفيفًا. وهنا لف كريج ذراعه حول خصرها بقوة وجذبها نحوه. ضغط صدرها إلى صدره، ووضع يده الأخرى على ساقها. حاولت أن تدفعه بعيدًا، لكنها نسيت كم كان قويًا. ابتسم لها وحاول أن يقبلها مرة أخرى. تظاهرت بالاستسلام، ومالت نحوه وعضت لسانه. تراجع للخلف صائحًا: "الساقطة!".

منح هذا سارة الوقت الكافى لأن تفتح الباب، غير أنها سرعان ما اكتشفت أنه ليس من السهل الخروج من سيارة

ماركة بورش.

استدارت لتواجهه، وقالت بغضب: "وأنا التى كنت أعيش فى وهم أنك ربما تكون قد تغيرت". صفقت باب السيارة، ولم تسمعه يصيح غاضبًا: "لا أعرف لماذا أتجشم عناء هذا. فلم تكونى فى المرة الأولى شريكًا جيدا فى الفراش".

قاد باسكو دانى إلى مكتب المأمور.

سأله المأمور بارتون: "لماذا رغبت فى رؤيتى يا مونكريف؟".

أجابه دانى: "إنه أمر شائك".

قال المأمور: "إننى أستمع إليك".

"الأمر يتعلق بآل الضخم".

"من هذا؟ إن كنت أتذكر جيدًا فهو الرقيب الذى كان فى فصيلتك بالجيش".

"هذا صحيح يا سيدى، ولهذا أشعر بنوع من المسئولية تجاهه".

قال باسكو: "هذا طبيعى، بعد أن قضيتما أربعة أعوام معًا فى هذا المكان، يا مونكريف، نعرف أنك لست واشيًا وسوف تأخذ مصلحة الرقيب كران فى اعتبارك. لذا هات ما عندك".

قال دانى: "لقد استمعت بالمصادفة إلى مشادة حامية بين آل الضخم وليتش. بالطبع قد أكون مبالغًا فى رد فعلى تجاه هذا الأمر، وأنا واثق أننى أستطيع أن أحجم هذا الأمر خلال الفترة المتبقية لى هنا، ولكن إذا حدث أى شىء لآل الضخم بعد مغادرتى فسوف أشعر بمسئولية عن ذلك".

قال المأمور : "شكرًا لك على هذا التحذير. لقد ناقشت مع السيد باسكو من قبل ماذا سنفعل حيال كران ما أن يتم إطلاق سراحك". وواصل المأمور قائلاً: "وبما أنك موجود،

هنا يا مونكريف هل لديك تصور عمن قد يكون أمين المكتبة التالى؟".

"هناك شابان،. سيدجويك وبوتر، وكلاهما مؤهل تماما لهذه المهمة. وكنت أقسم هذا الدور بينهما".

"كان من الممكن أن تكون مأمور سجن بارعًا يا مونكريف".

"أعتقد أنك ستكتشف أننى أفتقر للمؤهلات الضرورية لهذا المنصب".

كانت هذه هى المرة الأولى التى يسمع فيها دانى كلا هذين الرجلين يضحكان. أومأ المأمور برأسه، ففتح باسكو الباب بحيث يصحب مونكريف إلى عمله.

"يمكنك أن تبقى أنت يا سيد باسكو لبرهة. أنا واثق أن السيد مونكريف يستطيع أن يجد طريقه إلى المكتبة بدون مساعدتك".

"صحيح يا سيادة المأمور".

سأله بارتون بعد أن أغلق دانى الباب خلفه: "كم بقى من الوقت لمونكريف فى السجن؟".

قال باسكو: "عشرة أيام أخرى يا سيدى".

"إذن فإن علينا أن نتحرك بسرعة إن أردنا أن نشحن ليتش إلى خارج السجن".

قال باسكو: "هناك حل بديل يا سيدى".

راح هوجو مونكريف يدق على بيضته المسلوقة بملعقة بينما يتدبر فى المشكلة. كانت زوجته مارجريت تجلس إلى الطرف الآخر من المائدة تقرأ صحيفة سكوتمان. نادرًا ما كانا يتحدثان أثناء تناول الإفطار؛ وهى عادة روتينية حافظا عليها على مدى سنوات كثيرة.

كان هوجو قد تفقد البريد الصباحى بالفعل. كانت

هناك رسالة من نادى الجولف المحلى وأخرى من جمعية الكاليدونيان، إلى جانب العديد من النشرات الدورية التى وضعها جانبًا، إلى أن وصل أخيرًا للرسالة التى كان يبحث عنها. التقط سكين الزبد، وفتح المظروف واستخرج الرسالة ثم قام بما كان يقوم به على الدوام، تفقد التوقيع المكتوب فى طرف الرسالة: ديزموند جالبريث. ترك بيضته دون مساس بينما شرع يفكر فى النصيحة التى قدمها له محاميه.

فى البداية كان يبتسم ولكنه حين وصل إلى الفقرة الأخيرة من الرسالة كشر وقطب جبينه. كان ديزموند جالبريث يؤكد له أنه بعد انتهاء جنازة أخيه، استطاع ابن أخيه، السير نيكولاس، أن يعقد اجتماعًا مع محاميه، وقد اتصل المحامى فريزر مونرو فى الصباح التالى، ولم يثر معه موضوع الرهنين العقاريين، وقد قاد هذا جالبريث إلى أن يظن أن السير نيكولاس لن يعترض على أحقية السيد هوجو فى مبلغ المليونى جنيه التى اكتسبها باستخدام العقارين الخاصين بجده كضمان ائتمانى. ابتسم هوجو، وأزال قشرة البيضة وتناول ملء الملعقة. لقد اقتضى منه الأمر قدرًا كبيرًا من محاولات الإقناع ليجعل أخاه آنجوس يوافق على الحصول على رهون ائتمانية بضمان الملكية العقارية وشقة لندن دون الرجوع إلى نيك، وخاصة بعد أن نصحه فريزر مونرو بشدة ألا يفعل هذا، وكان على هوجو أن يتحرك بسرعة ما أن أكد له طبيب شقيقه أنه ليس أمامه إلا بضعة أسابيع قبل أن يداهمه الموت.

منذ أن ترك آنجوس الخدمة العسكرية صار رفيقه الوحيد فى الحياة هو كأس الشراب. كان هوجو يزور بانتظام قصر دانبروثى ليشارك أخاه فى قليل للغاية من الشراب، ونادرًا ما غادر قبل أن يأتيا على زجاجة كاملة من الشراب. وقرب نهاية الزجاجة كان آنجوس يصير مستعدًا لأن يوقع على أى وثيقة توضع أمامه تقريبًا: أولاً وثيقة رهن عقارى بضمان شقة

لندن التى نادرًا ما يزورها، وتبع هذا وثيقة رهن عقارى أخرى بضمان الملكية العقارية بأسكتلندا، والتى كان بوسع هوجو أن يقنع أخاه أنها بحاجة ماسة لإصلاحات. وفى نهاية الأمر استطاع هوجو أن يقنع أخاه أن ينهى ارتباطه المهنى بالمحامى فريزر مونرو، والذى كان فى رأى هوجو له سيطرة كبيرة على أخيه.

وللاضطلاع بشئون الأسرة القانونية والمالية أوصى هوجو بالمحامى ديزموند جالبريث، والذى يؤمن بالالتزام بحرفية القوانين، دون أن يعير روح العدالة أدنى اهتمام.

كان النصر الأخير لهوجو هو الوصية الأخيرة لآنجوس، والتى وقعها قبل موته ببضع ليالٍ. والتى شهد عليها واحد من القضاة الذى صادف أنه كان سكرتيرًا لنادى الجولف المحلى، إلى جانب رجل الدين الخاص بدار العبادة المحلية.

ثم عثر هوجو على وصية سابقة يوصى فيها آنجوس بكل ما يمتلكه لابنه الوحيد نيكولاس، فمزقها مزقًا صغيرة، وحاول أن يخفى الارتياح الذى خامره عندما توفى شقيقه قبل الموعد المحدد لإطلاق سراح نيك بشهور قليلة. فإن أى لم للشمل بين الأب والابن ومداواة الجروح لم تكن تشكل أى جزء من خطة العم، وعلى الرغم من ذلك، فإن جالبريث قد أخفق فى أن يستخلص من السيد هوجو النسخة الأصلية من الوصية الأولى لسير آلكسندر، والمحامى العجوز الداهية قد أوضح أنه حاليًا يمثل قانونيًا مصالح المستفيد الأساسى وهو السير نيكولاس مونكريف.

ما إن أتى على بيضته الأولى، أعاد هوجو قراءة تلك الفقرة من رسالة جالبريث التى جعلته يقطب جبينه. تفوه بلعنه، مما جعل زوجته ترفع بصرها عن صحيفتها، مندهشة بخرقه للروتين المنظم جيدًا بينهما منذ زمن طويل.

" يزعم نيك أنه لا يعلم أى شىء بخصوص المفتاح الذى

تركه له جده. كيف يمكن أن يكون ذلك حقيقيًا فى حين أننا رأيناه جميعًا يضع تلك السلسلة الفضية اللعينة حول عنقه؟".

قالت مارجريت: "لم يكن يضعها فى الجنازة، لقد نظرت باعتناء حين انحنى ليصلى".

قال هوجو: "أتعتقدين أنه يعلم ما الذى يمكنه أن يفتحه هذا المفتاح؟".

أجابت مارجريت: "ربما يعلم تمام العلم، ولكن هذا لا يعنى أنه يعرف أين يبحث عنه".

"كان على أبينا أن يخبرنا أولا بالموضع الذى يخفى فيه مجموعته الخاصة".

ذكرته مارجريت قائلة: "نادرًا ما كنت تتحدثان معًا قبل وفاته، وقد اعتبر آنجوس أضعف من اللازم ومغرمًا بالخمور أكثر من أى شىء آخر".

"صحيح، ولكن هذا لا يحل مشكلة المفتاح".

"ربما قد حان الوقت لكى نلجأ إلى أساليب أكثر غلظة".

"ما الذى يدور بخلدك أيتها الفتاة العجوز؟".

"أقصد بالتعبير العامى أن نعين من يراقبه، ليقودنا إلى حيث نريد، ما إن يطلق سراح نيك نستطيع أن نراقبه. فإن كان يعرف موضع المجموعة الخاصة فسوف يقودنا إليها مباشرة".

قال هوجو: "ولكننى لا أعرف كيف لنا أن...".

قالت مارجريت: "لا تشغل بالك بهذا مطلقًا، دع الأمر كله لى".

قال هوجو وهو يهاجم بيضته الثانية: "كما تقولين أيتها الفتاة العجوز"

٣٧

رقد دانى مستيقظًا على الفراش السفلى وراح يفكر فى كل ما حدث منذ وفاة نيك. لم يستطع النوم، على الرغم من أن آل الضخم لا يصدر غطيطه المعهود. كان دانى يعلم أن ليلته الأخيرة فى سجن بيلمارش ستكون بطول الليلة الأولى نفسها ليلة أخرى لن يتمكن من نسيانها أبدًا.

خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية، مر بزنزانته الكثير من الضباط والسجناء ليودعوه ويتمنوا له حظًا طيبًا، مؤكدين له كم كان نيك موضع حب واحترام الجميع.

سبب عدم إصدار آل الضخم لأى غطيط أنه قد تم نقله من سجن بيلمارش فى الصباح السابق إلى سجن وايلاند فى نورفولك، أثناء ما كان دانى يراجع امتحاناته للمستويات الرفيعة بصفته نيك. كان مازال أمام دانى امتحان الرياضيات، ليدخله ولكن خاب أمله لأنه سيضطر إلى تفويت امتحان اللغة الإنجليزية لأن نيك لم يكن مسجلاً بها. عندما عاد دانى إلى زنزانته ما بعد ظهيرة هذا اليوم لم يكن هناك أى أثر لآل الضخم، وبدا الأمر كما لو أنه لم يوجد بالزنزانة بالمرة. لم تتح لدانى الفرصة حتى أن يودعه.

الآن سيتبين آل الضخم سبب رغبة دانى فى مقابلة المأمور، وسوف يستشيط غضبًا، لكن دانى كان يعلم أنه سيهدأ بالا ما

إن يستقر فى سجنه الجديد، حيث يوجد جهاز تليفزيون فى كل زنزانة، وطعام يكاد يكون شهيًا، والأهم من ذلك كله السماح للسجناء بالخروج من زنازينهم لمدة أربع عشرة ساعة يوميًا. وكذلك اختفى ليتش من السجن، ولكن دون أن يعلم أحد إلى أين ذهب، ولم يهتم إلا قليلون بالسؤال عنه لمرة ثانية.

خلال الأسابيع القليلة الماضية بدأ دانى يضع خطة فى عقله، غير أن تلك الخطة لم تتجاوز حيز عقله، ذلك لأنه لم يكن بوسعه المجازفة بكتابة أى شىء على الورق، فإذا ما تم اكتشاف أمره فسوف يحكمون عليه بعشرين عامًا أخرى فى هذا الجحيم، ثم أخلد للنوم.

سرعان ما استيقظ من جديد. كانت أول فكرة خطرت له هى صديقه الراحل بيرنى، الذى فقد حياته على أيدى كريج ورفاقه ممن يسمون أنفسهم خطأً بالفرسان. كانت فكرته الثانية عن نيك، والذى منحه فرصة ثانية فى الحياة، وفكرته الأخيرة كانت هى بيث، وعندئذ تذكر مرة ثانية القرار الذى اتخذه وجعل من المستحيل عليه أن يراها مرة أخرى بعد ذلك أبدًا.

راح يفكر فى الغد. ما إن ينتهى من لقائه بفريزر مونرو ويسوى بعض المسائل العاجلة الخاصة بنيك فى أسكتلندا، سوف يعود أدراجه إلى لندن ويشرع فى تنفيذ مخططاته التى ظل ينسج خيوطها على مدى الأسابيع الستة الماضية. صار أكثر واقعية بشأن فرصه فى تطهير اسمه وسمعته، ومع ذلك لم يمنعه هذا من سعيه لعدالة من نوع مختلف – ما يسميه رجال الدين بالقصاص، وما وصفه إدموند دانتى فى الرواية الشهيرة بالانتقام. أيًا كان الاسم، ومن جديد نام دانى.

وسرعان ما استيقظ من جديد. سوف يطارد فريسته وكأنه حيوان برى، سيراقبهم من مبعدة بينما كل منهم مسترخ تمامًا فى حياتهم الطبيعية: سبنسر كريج فى المحكمة، وجيرالد بين

فى مكتبه بمنطقة ماى فير، ولورانس دافنبورت على خشبة المسرح. ورابع الفرسان توبى مورتيمر، الذى عانى ميتة أسوأ وأبشع من أى شىء كان من الممكن أن يتوصل إليه دانى، ولكن قبل كل شىء على دانى أن يسافر إلى أسكتلندا، ويلتقى بفريزر مونرو ويكتشف إن كان بوسعه أن يجتاز الاختبار الأول. إذا سقط عند اجتيازه لأول حاجز أمامه، فسوف يعيدونه إلى سجن بيلمارش مع نهاية الأسبوع. ومن جديد نام دانى.

وسرعان ما استيقظ. كانت شمس الصباح الباكر ترسم بنورها مربعًا واهنًا من الضوء على أرضية الزنزانة، ولكن هذا لا يمكن ان ينفى حقيقة أنه مازال فى السجن، لأن القضبان كانت تنعكس بكل وضوح على الأحجار الرمادية الباردة. حاول طائر القُبَّرَة أن يطلق تغريدة بهيجة تحية للفجر، لكنه سرعان ما حلق مبتعدًا.

دفع دانى بعيدًا الملاءة الخضراء النايلون ووضع قدميه الحافيتين على الأرضية. سار نحو حوض الاغتسال الحديدى الصغير، وملأه بالماء الفاتر وحلق ذقنه بعناية، وبعدها اغتسل بقطعة صغيرة من الصابون وهو يتساءل لكم من الوقت ستبقى رائحة السجن منطبعة فى مسام جلده.

تطلع لصورته فى المرآة الحديدية الصغيرة المعلقة فوق حوض الاغتسال. كانت الأجزاء الصغيرة من وجهه التى تمكن من رؤيتها نظيفة. ارتدى ثياب السجن للمرة الأخيرة وهى سروال تحتانى قصير، قميص مقلم بالأزرق والأبيض، وسروال الجينز، وجوربان رماديان، والحذاء الرياضى الخاص بنيك. جلس على حافة الفراش وانتظر ظهور الضابط باسكو، وهو يقرقع بالمفاتيح وبتحيته الصباحية المعتادة: "هيا بنا أيها الشاب، حان وقت الذهاب إلى العمل". ولكن ليس اليوم. انتظر دانى.

عندما دار المفتاح أخيرًا فى قفل الباب وانفتح الباب، رأى

باسكو ترتسم على وجهه ابتسامة عريضة. قال له : "صباح الخير يا مونكريف، تبدو مشرقًا، هيّا اتبعنى. حان وقت تسلمك لأغراضك الشخصية من المخازن، من أجل أن تمضى فى طريقك وتغادرنا فى سلام".

بينما كانا يسيران فى الممر، قال باسكو: "الطقس اليوم رائع. سيكون نهارًا لطيفًا بالنسبة لك ولا شك". كما لو أن دانى سينطلق اليوم فى نزهة على شاطئ البحر.

سأله دانى: "كيف يمكننى أن أصل من هنا إلى كينجز كروس؟". وهو أمر ما كان لنيك أن يعرفه.

قال باسكو بينما يقتربان من باب المخازن: "عليك أن تستقل القطار من محطة بلامستيد إلى شارع كانون ستريت، ثم تأخذ قطار الأنفاق إلى كينجز كروس". طرق باسكو بشدة على الباب المزدوج، وبعدها بلحظات انفتح الباب بيد أمين المخازن.

قال ويبستر: "صباحك طيب يا مونكريف، لابد وأنك كنت تتطلع إلى رؤيتى فى هذا اليوم الجميل على مدى الأعوام الأربعة الماضية". لم يعقب دانى بأى شىء. واصل ويبستر قائلاً: "لقد أعددت كل شىء من أجلك"، وتناول كيسين من البلاستيك من فوق أحد الأرفف وراءه ووضعها على النضد، ومن ثم اختفى فى الجانب الخلفى من المخازن، وعاد بعدها بلحظات ومعه حقيبة جلدية كبيرة مغطاة بالغبار وتحمل الحروف الأولى من اسم نيك الثلاثى: ن أ م باللون الأسود. قال أمين المخازن: "حقيبة رائعة الجمال، إلام يشير الحرف أ فى اسمك، فأنا لا أعرف إلا نيك مونكريف؟".

لم يستطع دانى أن يتذكر ما إذا كان حرف الألف يشير إلى اسم أبيه آنجوس، أم اسم جده آلكسندر".

قال باسكو: "هيًا أسرع يا مونكريف، فليس لدى طول النهار لنقف هنا ونتجاذب أطراف الحديث".

حاول دانى بهمة ورجولة أن يحمل الكيسين البلاستيكيين بيد وباليد الأخرى الحقيبة الجلدية، ولكنه تبين أن عليه من وقت لآخر أن يقف ويستبدل هذه بتلك من يد إلى أخرى.

همس له باسكو: " كان بودى أن أساعدك يا مونكريف، ولكن إذا ما فعلت هذا لن ترحمنى أبدًا ألسنة السوء".

أخيرًا عادا من جديد إلى زنزانة دانى. فتح باسكو الباب، وقال له: "سوف أعود لآخذك بعد ساعة تقريبًا. لابد أن أخرج بعض الرجال من زنازينهم إلى محكمة أولد بيلى قبل أن نفكر فى إطلاق سراحك". انغلق باب الزنزانة فى وجه دانى للمرة الأخيرة.

أخذ دانى وقته الكافى. فتح الحقيبة ووضعها على فراش آل الضخم، وتساءل ترى من الذى سينام على فراشه هذه الليلة؛ إنه شخص سيمثل أمام محكمة أولد بيلى فى وقت تالٍ من هذا اليوم، آملاً ألا تعتبره لجنة المحلفين مذنبًا. أفرغ محتويات الكيسين البلاستيكين على الفراش، وشعر وكأنه لص يراجع مسروقاته: حُلتان رسميتان، ثلاثة قمصان، وزوج من السراويل العسكرية المصنوعة من النسيج الذى تصفه اليوميات بأنه صوف الفرسان، إلى جانب جذاءين أيرلنديين، واحد أسود والآخر بنى. اختار دانى الحُلة الداكنة التى ارتداها فى جنازته الخاصة، وقميصًا عاجى اللون، ورابطة عنق مخططة وزوج أحذية أسود أنيق والذى لا يحتاج لتلميع حتى بعد مرور أربعة أعوام على استعماله لآخر مرة.

وقف دانى كارترايت قبالة المرآة يتطلع إلى صورة السير نيكولاس مونكريف، الضابط والسيد النبيل. شعر وكأنه محتال.

طوى ثياب سجنه ووضعها على فراش نيك، مازال يعتبره فراش نيك، ثم حزم ما تبقى من ثياب نيك بنظام وعناية فى الحقيبة قبل أن يستخرج دفتر يوميات نيك من تحت مرتبة

الفراش، ومعها ملف توجد به مراسلات عليها اسم فريزر مونرو – ثمانية وعشرون رسالة كاد دانى يحفظ ما كتب فيها عن ظهر قلب. ما إن انتهى من حزم الأغراض، كان كل ما تبقى قليلاً من الأغراض الشخصية لنيك، والتى وضعها دانى على المنضدة الصغيرة، وصورة بيث الملصوقة بشريط لاصق على الجدار. قام بنزع الشريط اللاصق بحرص قبل أن يضع الصورة فى جيب جانبى من جيوب الحقيبة، ثم أغلق الحقيبة ووضعها إلى جانب باب الزنزانة.

جلس دانى من جديد إلى المنضدة وراح ينظر نحو المتعلقات الشخصية لصديقه. وضع حول يده ساعة يد نيك مرهفة الصنع من ماركة لونجينس، والتى كان على ظهرها تاريخ ١١-٧-١٩٩١ كانت هدية من جده فى عيد ميلاده الواحد والعشرين - ثم وضع خاتمًا ذهبيًا عليه شعار عائلة مونكريف. حدق إلى محفظة نقود سوداء وشعر أنه لص محتال أكثر من ذى قبل. وجد بداخلها سبعين جنيهًا نقودًا سائلة ودفتر شيكات تابعًا لبنك كاوتس مع عنوان مطبوع على غلافه. وضع المحفظة فى جيب الحُلة الداخلى، وأدار المقعد البلاستيكى ليواجه باب الزنزانة، وجلس فى انتظار ظهور باسكو. كان مستعدًا للهرب. فى جلسته تلك تذكر واحداً من اقتباسات نيك غير الدقيقة: فى السجن، يتوقف الوقت ويتوقف المد والجزر بالنسبة لكل سجين.

مد يده داخل قميصه ومس المفتاح الصغير المدلى من السلسلة التى يضعها حول عنقه. لم يكن لديه أى علم بما يفتحه هذا المفتاح – لعله يفتح بوابة السجن. كان قد نقب فى دفاتر يوميات نيك عن أهون دليل أوعلامة ترشده، فيما يزيد على الألف من الصفحات، ولكنه لم يتوصل إلى أى شىء. إن كان نيك نفسه يعرف السر، فقد اصطحب هذا السر معه إلى القبر.

والآن دار فى قفل باب الزانزانة مفتاح مختلف تمامًا. انفتح الباب وظهر من خلفه باسكو واقفًا وحده. توقع دانى أن يقول له: "محاولة جيدة منك يا كارترايت ولكنك لا تتوقع حقًا أن تفلت بهذه الجريمة، أليس كذلك؟"، ولكن كان كل ما قاله باسكو: "حان وقت الذهاب يا مونكريف، أسرع وشد همتك".

نهض دانى، ورفع الحقيبة وسار خارجًا إلى منبسط الدرج. لم ينظر وراءه نحو الغرفة التى كانت بيتًا له على مدار العامين الماضيين. تبع باسكو على طول المنبسط ونزولاً على السلالم اللولبية، وبينما كان يغادر العنبر راح يتلقى التحيات بالهتاف والصفير من هؤلاء الذين سيطلق سراحهم قريبًا وآخرين لن يتمكنوا من رؤية نور النهار بعد ذلك بالمرة.

واصلوا السير خلال الردهة ذات اللون الأزرق. لقد نسى دانى كم من الأبواب المزدوجة القضبان تفصل ما بين العنبر ب والاستقبال، حيث كان يجلس جينكينز وراء مكتبه فى انتظاره.

قال له جينكينز بانشراح: "صباح الخير يا مونكريف". كان لديه صوت يستقبل به الوافدين الجدد للسجن، وصوت آخر تمامًا للخارجين منه. تفقد الملف المفتوح أمامه وقال له: "أرى أنك قد ادخرت على مدى الأعوام الأربعة الماضية مائتين وأحد عشر جنيهًا، علاوة على أنك تستحق أيضًا مبلغ خمسة وأربعين جنيهًا إعانة إطلاق سراح، ومجموع هذا يبلغ مائتين وستة وخمسين جنيها". راح يحصى المبلغ ببطء وبحرص، قبل أن يناوله لدانى، وقال له: "وقع هنا". كتب دانى توقيع نيك للمرة الثانية هذا الصباح قبل أن يضع المال فى محفظته ليواصل جينكينز: "كما أن من حقك تذكرة قطار خاصة إلى أى مكان فى البلاد تختاره، إنها مجرد طريقة لنتأكد أنك لن تعود هنا مرة أخرى". مزاح السجن.

أسلمه جينكينز تذكرة القطار إلى دانبروث فى أسكتلندا،

ولكن بعد أن زور دانى التوقيع على وثيقة أخرى. لم يكن من المفاجئ أن يشبه خط يده خط يد نيك – فعلى كل حال كان نيك هو من علمه الكتابة.

ما إن تفقد جينكينز التوقيع حتى، قال: السيد باسكو سوف يصطحبك حتى البوابة الخارجية. سأقول لك وداعًا لأن لدى شعورًا بأننا لن نلتقى مجددًا، ومن المؤسف أننى لا أستطيع قول هذا لكل من يخرجون من هنا".

صافحه دانى، التقط الحقيبة وتبع باسكو خارج الاستقبال، نزولاً على الدرج نحو الباحة.

سارا معًا ببطء عبر والتى تعتبر مكان انتظار شاحنات السجن والسيارات الخاصة التى تدخل وتخرج من السجن بصورة قانونية كل يوم. كان يجلس فى غرفة الحرس عند البوابة ضابط لم يره دانى من قبل على الإطلاق.

سأل دون أن يرفع بصره عن قائمة إطلاق السراح الموضوعة على ملف أوراقه: "الاسم؟".

أجاب دانى: "مونكريف".

"مونكريف؟"

"والرقم؟".

قال دانى بدون تفكير: "سى كيه ٤٨٠٢"

مر الضابط بإصبعه ببطء على قائمته. وظهرت نظرة متحيرة على وجهه.

همس باسكو: "سى كيه ١٠٧٩"

فكرر دانى وهو يرتجف: "سى كيه ١٠٧٩ "

قال الضابط: "آه، نعم". وتوقف إصبعه عند اسم مونكريف وقال له: "وقع هنا".

كانت يد دانى ترتجف وهو يكتب توقيع نيك فى المستطيل الصغير. تفقد الضابط الاسم أمام رقم السجين والصورة الفوتوغرافية ثم تطلع نحو وجه دانى. تردد للحظات.

فقال باسكو بحزم: "لا تتلكأ هنا يا مونكريف، بعض منا لديه يوم عمل حافل، أليس كذلك يا سيد تومكينز؟".

أجاب ضابط البوابة: "بلى، يا سيد باسكو". وضغط على الفور زرًا أحمر تحت مكتبه. بدأت أولى البوابتين الإلكترونيتين الهائلتين تفتح ببطء.

خطا دانى نحو البوابة، ومازال غير واثق أى اتجاه سيتخذ. لم يقل باسكو شيئًا.

ما إن استقرت البوابة الأولى فى فتحة فى الجدار، قال باسكو أخيرًا: "حظًا طيبًا أيها الفتى، سوف تكون بحاجة للحظ الطيب".

صافحه دانى بحرارة وقال له: "شكرًا لك يا باسكو على كل شىء". والتقط حقيبته وخطا نحو المنطقة الخالية الفاصلة ما بين العالمين المختلفين. عادت البوابة الأولى تنغلق من خلفه، وما هى إلا لحظات وبدأت البوابة الثانية تنفتح.

خرج دانى كارترايت من السجن رجلاً حرًا، وكان أول سجين يتمكن من الهرب من سجن بيلمارش.

الكتاب الثالث

الحرية

٣٨

عندما عبر نيك مونكريف الطريق أثار مرآه قدر من الدهشة لدى واحد أو اثنين من العابرين، ليس لأنهم لم يعتادوا رؤية السجناء خارجين من تلك البوابة، ولكن لأنهم لم يعتادوا على رؤية سجين يخرج حاملاً مثل هذه الحقيبة الجلدية الثمينة ويرتدى مثل نبيل من نبلاء الريف.

لم ينظر دانى وراءه بالمرة وهو يسير صوب أقرب محطة. بعد أن اشترى تذكرة - أول مرة يتعامل فيها بالنقود منذ أكثر من عامين - استقل القطار. راح ينظر خارج النافذة، وهو يشعر بفقدان الأمان على نحو غريب. لا جدران ولا أسوار ولا أسلاك شائكة ولا بوابات مزدوجة ولا حراس ولا ضباط السجن. يبدو مثل نيك، ويتحدث مثل نيك، لكنه يفكر مثل دانى.

عند كانون ستريت، انتقل دانى ليستقل قطار الأنفاق. كان الركاب يتحركون بإيقاع مختلف تمامًا عن الإيقاع الذى اعتاده فى السجن. كان العديد منهم يرتدون حُلات أنيقة، ويتحدثون بلكنات راقية وبالتأكيد يتعاملون بمبالغ مالية كبيرة، غير أن نيك كان قد أظهر له أنهم ليسوا أكثر ذكاءً منه؛ كل ما هنالك أنهم بدأوا الحياة من مكان مختلف عن المكان الذى بدا هو فيه حياته.

وفى كينجز كروس، نزل نيك من القطار، حاملاً حقيبته الثقيلة. مرّ برجل شرطة لم يلتفت حتى نحوه. راح يتفقد لوحات مواعيد القطارات. القطار التالى إلى إدينبرج من المفترض أن يغادر فى الحادية عشرة، ويصل محطة ويفرلى فى الثالثة وعشرين دقيقة ما بعد الظهر. مازال لديه وقت لتناول الإفطار. التقط نسخة من صحيفة التايمز من الحامل الموضوع أمام متجر من سلسلة دابليو اتش سميث. سار بضع خطوات قبل أن يدرك أنه لم يدفع ثمن الصحيفة. راح دانى يتعرق بغزارة وهو يعود مسرعًا وينضم لطابور عند مكان الدفع. تذكر قصة حكيت له عن سجين أطلق سراحة لتوه وبينما كان فى طريقه لمنزله فى بريستول حين التقط قالب شيكولاتة من خزانة عرض فى محطة ريدينج دون أن يدفع ثمنه كما اعتاد فى السجن. تم القبض عليه بتهمة سرقة بضائع من متجر وأعيد إلى سجن بيلمارش بعد خروجه منه بسبع ساعات؛ وانتهى به الأمر لأن يقضى فيه ثلاثة أعوام أخرى.

دفع دانى ثمن الصحيفة ودخل أقرب مقهى، حيث انضم إلى طابور آخر. عندما بلغ نضد المطبخ قدم الصينية للفتاة التى تقف وراء النضد.

سألته الفتاة متجاهلة الصينية الممدودة تجاهها: "ماذا تحب أن تتناول؟".

لم يكن دانى يعرف كيف يجيب. فعلى مدى أكثر من عامين كان يقبل أى شىء يوضع فى طبقه. قال: "بيض، ولحم مقدد وعيش الغراب".

اقترحت قائلة: "لعلك تفضل أيضاً تناول إفطار إنجليزى كامل بجانب ما طلبت".

قال دانى: "رائع، إفطار إنجليزى كامل، و...و...".

"شاى أم قهوة؟".

قال: "نعم، قهوة ستكون مناسبة للغاية". وأدرك عندها أنه سيحتاج لبعض الوقت للاعتياد لأن يقدم له كل ما يطلبه. وجد مقعدًا إلى مائدة فى الركن. التقط زجاجة من صلصلة الإتش بى وصب منها مقدارًا على جانب الطبق بطريقة كانت ستلقى إعجاب نيك. ثم فتح صحيفته وقلب صفحاتها حتى صفحة الاقتصاد وإدارة الأعمال. يبدو مثل نيك، يتحدث مثل نيك، ولكنه يفكر مثل دانى.

كانت شركات الإنترنت لا تزال تتساقط على جانبى طريق الاستثمار بعد أن اكتشف ملاكها أن ذوى الضمائر نادرًا ما يرثون الأرض. حينما وصل دانى للصفحات الأولى، كان قد أنهى وجبته وبدأ يستمتع بقدحه الثانى من القهوة. كان قد مر أحدهم بالفعل وملأ له قدحه من جديد، لكنه ابتسم له وشكره. بدأ دانى يقرأ الموضوعات الرئيسية بالصحفة الأولى. كان رئيس حزب المحافظين أيان دانكان سميث، موضع هجوم مرة أخرى. إذا تم الاقتراع على منصب رئيس الوزراء فسوف يصوت دانى لصالح تونى بلير، لكنه شك فى أن نيك كان سيدعم أيان دانكان سميث؛ فعلى كل حال كان هو أيضًا جنديًا عجوزًا آخر. ربما كان سيمتنع عن التصويت. كلا، لابد أن يبقى على طبيعته إذا كان يأمل أن يخدع الناخبين، ناهيك عن الاحتفاظ بمنصبه.

أنهى دانى قهوته، لكنه لم يتحرك لبعض الوقت. كان بانتظار السيد باسكو ليأتى ويخبره أن بوسعه العودة إلى زنزانته. ابتسم لنفسه، ونهض عن مقعده وسار خارج المقهى. أدرك أن الوقت قد حان لمواجهة أول اختبار. عندما وقعت عيناه على صف من أكشاك هواتف العملة أخذ نفسًا عميقًا وذهب نحوها. أخرج من جيبه محفظته - محفظة نيك - وأستخرج منها بطاقة مهنية، واتصل بالرقم المطبوع على الركن الأسفل جهة اليمين منها.

أعلن صوت قائلاً: "مكتب مونرو، مونرو آند كارمايكل".
قال نيك: "السيد مونرو من فضلك".
"أيهما؟".
تفقد دانى البطاقة: "السيد فريزر مونرو".
"أقول له من المتصل؟".
"نيكولاس مونكريف".
"سأصلك به على الفور يا سيدى".
"شكرا لك".

قال الصوت المنشرح التالى الذى سمعه دانى: "صباح الخير يا سير نيكولاس، كم هو من اللطيف أن أسمع صوتك".

تحدث دانى ببطء: "طاب صباحك يا سيد مونرو، أفكر فى السفر إلى اسكتلندا بعد قليل وأتساءل إن كان وقتك يسمح بلقائى غدًا".

"بالطبع يا سير نيكولاس. هل ستكون الساعة العاشرة مناسبة لك؟".

قال دانى: "عظيم". متذكرًا واحدًا من تعبيرات نيك المفضلة.

"إذن فسوف أنتظر لقاءك هنا فى مكتبى فى العاشرة من صباح الغد".

قال دانى: "إلى اللقاء سيد مونرو"، وبالكاد استطاع أن يمنع نفسه من سؤاله عن عنوان مكتبه وعندما وضع دانى سماعة الهاتف. كان يتصبب عرقًا. كان آل الضخم على حق تمامًا. كان مونرو يتوقع اتصالا من نيك. لماذا راودته فكرة لثوان أنه قد يجرى اتصالا بشخص آخر؟

كان دانى بين أول من استقلوا القطار. وبينما ينتظر تحرك القطار أولى انتباهه للصفحات الرياضية. كان لا يزال هناك شهر على بدء موسم كرة القدم، وكانت لدى دانى آمال عريضة من أجل فريق وست هام، الذى وصل إلى المركز السابع فى ختام

الدورى السابق. شعر بمسحة من الحزن لفكرة أنه لن يجرؤ أبدًا على زيارة أبتون بارك خشية أن يتعرف عليه أحد هناك. لا مزيد من الهتاف التشجيعى. حاول أن يتذكر أن دانى كارترايت قد مات ودفن.

تحرك القطار ببطء مغادرًا المحطة، وراقب دانى مدينة لندن وهى تبتعد عن المشهد الذى يغشاه الريف بالتدريج. اندهش لسرعة وصول القطار لسرعته القصوى. لم يسبق له أن سافر إلى أسكتلندا - أبعد نقطة فى الشمال كان قد بلغها هى فيكاريدج رود فى واتفورد.

شعر دانى بحماسة وتشوق، لقد خرج من السجن من ساعات معدودة. كان الإيقاع الذى يتحرك به كل شىء أسرع مما يتذكر، والأصعب من ذلك كله أن على المرء أن يتخذ قرارات. تفقد ساعة يد نيك - ساعة يده - الحادية عشرة والربع. حاول أن يواصل قراءة الصحيفة، لكن رأسه مال للخلف وراح فى النوم.

"التذكرة من فضلك".

استيقظ دانى فجأة، وفرك عينيه ومد يده بتصريح الركوب المجانى لمفتش التذاكر الذى قال له: "أنا آسف يا سيدى، لكن هذا التصريح غير سارى فى القطار السريع. لابد وأن تدفع مبلغًا إضافيًا".

شرع دانى يقول: "ولكننى كنت..."، لكنه قال بسرعة: "أنا آسف، كم سيكلفنى هذا؟".

"أربعة وثمانين جنيها".

لم يصدق دانى أنه ارتكب هذا الخطأ الأحمق. أخرج محفظته وقدم النقود. قام مفتش التذاكر بختم وصل من أجله بالمبلغ.

قال المفتش بعد أن أعطاه تذكرته: "أشكرك يا سيدى". لاحظ دانى أنه دعاه بسيدى دون أى تردد، لم يناده بـ "يا صاح".

كما كان يفعل سائقو الحافلات فى إيست إند عندما يخاطبونه.

"هل تود أن تتناول الغداء اليوم يا سيدى؟".

ومن جديد ناداه سيدى، بسبب ثيابه ولكنته. قال دانى: "نعم".

"عربة تناول الطعام على مبعدة عربتى قطار للأمام. سيبدأون فى تقديم الطعام بعد حوالى نصف الساعة".

"إننى ممتن لك". تعبير آخر من تعبيرات نيك.

تطلع دانى من النافذة وراقب الريف يتطاير بسرعة شديدة. بعد أن مرَ القطار بجرانتهام كان قد بلغ دانى الصفحات المالية فى الصحيفة، لكنه قوطع بصوت من مكبر الصوت يعلن فتح عربة تناول الطعام. شق سبيله للأمام واتخذ مقعدًا إلى مائدة صغيرة على أمل ألا ينضم إليه أحد. راح يقرأ قائمة الطعام بعناية، متسائلاً ترى أى الأطباق كان نيك سيختارها. ظهرت النادلة إلى جانبه.

قال دانى "باتيه". كان يعرف كيف ينطق اسم هذا الصنف من الطعام على الرغم من جهله التام بمذاقه. فيما مضى كانت قاعدته الذهبية ألا يطلب أى شىء له اسم أجنبى: "وبعده قطعة لحم بقرى وفطيرة الكلاوى".

" وللتحلية؟".

كان نيك قد علمه ألا يطلب أبدًا الأصناف الثلاثة معًا فى وقت واحد. قال دانى: "سوف أفكر فى هذا".

"بالطبع يا سيدى".

عندما أنهى دانى وجبته، كان قد قرأ كل موضوعات وصفحات صحيفة التايمز، بما فى ذلك متابعات المسرح، مما ذكره بشأن لورانس دافنبورت. ولكن فى الوقت الحالى، على دافنبورت أن ينتظر. فلدى دانى أمور أخرى تشغل باله. استمتع بالوجبة، إلى أن قدمت له النادلة فاتورة بمبلغ سبعة وعشرين جنيهًا. قدم لها ثلاث ورقات فئة العشرة جنيهات مدركاً أن

محفظته صارت أخف وزنًا فى غضون دقائق.

وفقًا لما يرد فى دفتر يوميات نيك، كان السيد مونرو يعتقد أنه فى حال عرض ممتلكاته العقارية بأسكتلندا ومنزل لندن للبيع، فسوف يدران عليه مبلغًا طيبًا، على الرغم من ذلك فقد واصل قائلاً: "إن هذا سوف يستغرق شهورا عديدة لإتمام البيعة. كان دانى يعرف أنه غير قادر على الاستمرار فى العيش لمدة شهور عديدة بمبلغ أقل من مائتى جنيه فى محفظته.

عاد إلى مقعده،وبدأ يفكر قليلاً فى لقائه مع السيد مونرو فى الصباح التالى. عندما توقف القطار فى محطة نيوكاسل أبون تاين، فك دانى إبزيم الحقيبة الجلدى وفتحها وعثر على ملف السيد مونرو. أخرج الرسائل، وعلى الرغم من أنها كانت تحتوى على ردود السيد مونرو على أسئلة نيك، فلم يكن هناك سبيل أمام دانى ليعرف ماذا كتب نيك فى رسائله الأصلية. حاول أن يخمن من جديد الأسئلة التى لابد وأن نيك قد طرحها بعد قراءته لردود السيد مونرو، بلا أدلة ترشده سوى تواريخ الرسائل وأبواب يوميات نيك. بعد قراءته للمراسلات مرة أخرى، لم يعد لديه أى شك فى أن العم هوجو قد استغل أسوأ استغلال حقيقة سجن نيك على مدى الأعوام الأربعة الماضية.

عندما كان دانى يعمل بورشة السيارات مرّ بزبائن على شاكلة هوجو - مرابين، وتجار عقارات، وباعة جائلين ظنوا خطأ أن بوسعهم أن يخدعوه، لكنهم لم يفلحوا فى خداعه أبدًا، ولم يكتشف أحدهم أبدًا أن دانى غير قادر على قراءة أى عقد. وجد عقله يتجه نحو امتحانات المستوى الرفيع التى خاضها قبل إطلاق سراحه بأيام. تساءل إن كان نيك قد اجتاز الامتحانات بتفوق باهر – واحد آخر من تعبيرات نيك المفضلة. كان قد وعد رفيقه فى الزنزانة أنه إذا كسب الاستئناف فإن أول شيء سيقوم به هو الدراسة للحصول على درجة جامعية. انتوى أن

يفى بهذا الوعد ويحصل على الدرجة الجامعية باسم نيك، وراح يذكر نفسه، فكر مثل نيك، وانس دانى تمامًا. أنت نيك، أنت نيك، راح يراجع الرسائل مرة أخرى كما لو أنه يستذكر استعداداً لامتحان؛ امتحان لا يمكن له أن يخفق فيه.

وصل القطار محطة ويفرلى فى الثالثة والنصف، متأخرًا عشر دقائق فقط. انضم دانى للحشد بينما يتجهون صوب رصيف المحطة. تفقد لوحات المغادرة ليعرف موعد القطار التالى المتجه إلى دانبروث. أمامه عشرون دقيقة أخرى. اشترى نسخة من صحيفة أخبار إدينبيرج المسائية: إدينبيرج إفيننج ليفوز. واكتفى برغيف باجيت محشو بلحم مقدد من محل أبر كراست. هل سيدرك السيد مونرو أنه ليس واحدًا من أبناء الطبقة العليا؟ مضى يبحث عن رصيف القطار الخاص به، ثم جلس هناك على أحد مقاعد الانتظار الطويلة. كانت الصحيفة ممتلئة بأسماء الأشخاص والأماكن التى لم يسمع بها من قبل: مشكلات فى لجنة تخطيط مدينة دادلنجستون، تكلفة مبنى البرلمان الأسكتلندى الذى لم ينته بعد وتكملة الخبر تقدم تفاصيل حول شىء يدعى مهرجان إينبيرج، والذى سيجرى فى الشهر القادم. توقعات فوز فريق هارتس آند هيبس فى الموسم الوشيك تهيمن على الصفحات الرياضية، وهو يحل بجرأة محل فريقى آرسنال وويست هام.

بعد عشر دقائق استقل دانى متن القطار الداخلى الى دانبروث، وهى رحلة استغرقت أربعين دقيقة، وتوقفت عند عدة محطات لها أسماء لا يمكنه حتى نطقها. فى الرابعة وأربعين دقيقة دخل القطار الصغير إلى محطة دانبروث. حمل دانى حقيبته الثقيلة على طول الرصيف وخرج من المحطة، واستراح عندما رأى سيارة أجرة ينتظر أمامها. ركب نيك فى المقعد الأمامى بينما وضع السائق حقيبته فى الصندوق.

سأل السائق ما إن استقر خلف عجلة القيادة :

" ربما يمكنك أن تقترح علىّ فندقًا؟".

قال سائق السيارة الأجرة: "لا يوجد إلا فندق واحد".

قال دانى بينما تتحرك السيارة: "حسنًا، هذا يحل المشكلة".

ثلاثة جنيهات والنصف كأجرة، إلى جانب البقشيش، ووجد دانى نفسه أمام فندق مونكريف آرمز. صعد الدرجات ودخل من خلال الأبواب الدوارة وألقى بالحقيبة إلى جانب مكتب الاستقبال.

قال للمرأة الواقفة وراء النضد: "أحتاج لغرفة لهذه الليلة".

"لشخص واحد؟".

"نعم، أشكرك".

"هلا وقعت رجاء استمارة حجز غرفة يا سيدى؟"، كان بوسع دانى الآن أن يوقع باسم نيك دونما تفكير وقالت له أيضًا: "وهل لى أن أتحقق من بطاقتك الائتمانية؟".

شرع دانى يقول: "ولكننى لا ... وأكمل متقمصاً شخصية نيك: "سأدفع نقدا".

أدارت الاستمارة نحوها، رأت الاسم وحاولت أن تخفى دهشتها. وعندئذ اختفت إلى غرفة خلفية دون كلمة أخرى. بعدها بدقائق ظهر من المكتب رجل فى منتصف العمر يرتدى سترة من نسيج منقوش وسروالاً قصيراً من المخمل المضلع.

"مرحبًا بك فى موطنك يا سير نيكولاس. أنا روبرت كيلبرايد، مدير الفندق، وأعتذر لك، لكننا لم نكن نتوقع حضورك. سوف أنقلك إلى جناح والتر سكوت".

سوف أنقلك عبارة مرعبة فى السجن. بدأ دانى يقول: "ولكن..". متذكرًا كم هو قليل المال المتبقى فى محفظته.

أضاف المدير: "بلا أية نفقات إضافية".

قال نيك: "شكرًا لك".

"هل ستنضم إلينا وقت العشاء؟".

قال نيك: "نعم". ثم استطرد دانى "كلا". قال دانى، متذكرًا ذخيرته المتناقصة من المال".

وقال: "لقد تناولت طعامى بالفعل".

"لا بأس يا سيد نيكولاس. سأجعل الحمال يأخذ حقيبتك لغرفتك بأعلى".

ظهر شاب وصحب دانى إلى جناح والتر سكوت.

قال الشاب وهو يفتح الباب: "اسمى آندرو، إذا احتجت إلى أى شىء، ما عليك إلا أن ترفع سماعة الهاتف وتستدعينى".

قال دانى: "أحتاج لكى حُلة وغسل قميص قبل موعد اجتماع فى العاشرة من صباح الغد".

"بكل تأكيد يا سيدى. سأعيدهم إليك فى الوقت المناسب قبل موعدك".

قال دانى: "شكرًا لك". وبقشيش آخر.

جلس دانى على حافة الفراش وشغل جهاز التليفزيون. شاهد نشرة الأنباء المحلية، والتى تلقى بلكنة مازالت تذكره بلكنة آل الضخم. لم يستطع أن يتابع كل كلمة تنطق إلا حين أدار المؤشر لقناة البى بى سى ٢، ولكن لم تمض دقائق حتى غرق فى النوم.

٣٩

استيقظ دانى ليجد نفسه مازال مرتديًا ملابسه الكاملة والتليفزيون يعرض الجزء الأخير من فيلم بالأبيض والأسود بطولة شخص يدعى جاك هاوكينز. أغلق جهاز التليفزيون، وخلع ملابسه وقرر أن يأخذ حمامًا قبل أن يخلد إلى النوم من جديد.

خطا إلى داخل المغتسل وأرسل فوق رأسه تيارًا مستمرًا من الماء الدافئ لا ينقطع كل بضع ثوانٍ كما كان الحال فى السجن. نظف جسده بقطعة صابون فى حجم لفافة الخبز، وجفف نفسه بمنشفة كبيرة ذات زغب، شعر بنظافته التامة لأول مرة منذ أعوام.

صعد إلى الفراش ذى المرتبة المريحة السميكة، والملاءات النظيفة وأكثر من بطانية، ثم أراح رأسه على وسادة محشوة بالريش. وغرق فى نوم عميق ثم استيقظ. كان الفراش مريحًا أكثر مما يجب، حتى إنه كان يتغير مع وضعيات جسده عندما يتحرك فوقه. نزع عنه واحدة من البطاطين وألقى بها على الأرضية. واستدار ونام لكنه استيقظ من جديد. كانت الوسادة أنعم مما يجب، فلحقت بالبطانية على الأرض. راح فى النوم من جديد، وعندما بزغت الشمس مصحوبة بتغريد متنافر النغمات لطائر مجهول، استيقظ دانى من جديد. نظر حوله

متوقعًا أن يرى السيد باسكو يقف لدى باب الزنزانة، لكن هذا الباب كان مختلفًا: كان خشبيًا وليس حديديًا، وبه مقبض من الداخل يمكنه من فتحه متى شاء ذلك.

نزل دانى من على الفراش وخطا فوق سجادة ناعمة الملمس إلى الحمام - غرفة منفصلة - ليأخذ حمامًا آخر. غسل شعره فى هذه المرة، وحلق دقنه بمعونة مرآة دائرية كبرت صورة وجهه.

سمع طرقة مهذبة على الباب الذى ظل مغلقًا بدلا من أن ينفتح بعنف. ارتدى دانى روبًا من أرواب الفندق وفتح الباب فوجد الحمال يقف أمامه حاملا لفافة أنيقة.

"ثيابك يا سيدى".

قال دانى: "شكرا لك".

"سوف يقدم الإفطار حتى الساعة العاشرة فى غرفة الطعام".

ارتدى دانى قميصًا نظيفًا ورابطة عنق مقلمة قبل أن يجرب حُلته التى تم كيها حديثًا. تطلع إلى صورته فى المرآة، بكل تأكيد لن يرتاب أحد فى أنه سير نيكولاس مونكريف. لن يضطر بعد الآن إلى أن يرتدى القميص نفسه لمدة ستة أيام على التوالى، والسروال الجينز نفسه لمدة شهر، والحذاء نفسه لمدة عام - هذا بافتراض أن السيد مونرو سيكون بمقدوره أن يحل له جميع مشكلاته المالية. ذلك أيضًا بافتراض أن السيد مونرو...

تفقد دانى محفظته التى كان يشعر بأنها سميكة للغاية بالأمس فقط. أطلق لعنة؛ لن يتبقى معه الكثير من المال ما إن يدفع فاتورة الفندق. فتح الباب وخرج وما إن خرج منه أدرك أنه ترك المفتاح بالداخل. عليه أن يطلب من الضابط باسكو أن يفتح الباب له. هل سيرفع عنه تقريرًا؟ أطلق لعنة مجددًا، سحقًا، اللعنة التى كان يطلقها نيك. انطلق بحثًا عن غرفة الطعام.

كانت هناك مائدة كبيرة الحجم فى مركز الغرفة ملئت حتى حوافها بكثير من الأطعمة من حبوب الإفطار والعصائر، وكانت الأطباق الساخنة ثريداً، وبيضًا، ولحمًا مقددًا، وبلاك بودينج، بل وسمك مدخن. جلس دانى إلى مائدة قرب النافذة وقدمت له صحيفة الصباح، سكوتسمان. قلب الصفحات وصولاً للصفحات المالية، فعرف أن بنك رويال بنك أوف أسكتلاند كان يوسع من استثماراته العقارية، بينما كان فى السجن، تابع دانى بعين الإعجاب هذا البنك نفسه وهو يستولى على بنك ناتويست؛ سمكة صغيرة تبتلع حوتًا، دون أن تتجشأ حتى.

تطلع حوله، وخشى فجأة من أن يكون العاملون بالفندق انتبهوا أنه لا يتحدث بلكنة اسكتلندية. غير أن آل الضخم كان قد أخبره ذات مرة أن الضباط لا يتحدثون أبدًا بلكنة. وبكل تأكيد لم يكن نيك يتحدث بلكنة خاصة. وضعت أمامه سمكتان من السمك المدخن، لابد أن والده كان سيعتبرهما متعة حقيقية. إنها أول الأفكار التى تخطر له عن أبيه منذ إطلاق سراحه.

"هل تحتاج أى شىء يا سيدى؟".

قال دانى: "لا أحتاج إلى شىء، شكرًا لك، ولكن هلا تفضلت بإعداد فاتورتى!".

أتاه الرد على الفور: "بكل تأكيد يا سيدى".

كان على وشك أن يغادر غرفة الطعام عندما تذكر أنه يجهل تمامًا أين يقع مكتب السيد مونرو. وفقًا لبطاقته المهنية فإنه فى ١٢ شارع آرجايل، لكنه لا يمكنه أن يطلب إرشادًا من مكتب الاستقبال، ذلك لأن الجميع يظنون أنه نشأ هنا فى دانبروث. أخذ دانى مفتاحًا آخر من مكتب الاستقبال وتوجه إلى غرفته. كانت الساعة التاسعة والنصف. مازالت أمامه نصف ساعة ليكتشف أين يقع شارع آرجايل.

سمع طرقة على الباب. كان مازال بحاجة لبعض الوقت حتى يثب عن الفراش وثبًا ويقف عند طرف الفراش فى انتظار انفتاح الباب من الخارج.

سأله الحمال: "هل لى أن آخذ أمتعتك يا سيدى؟ وهل ستحتاج لعربة أجرة؟".

غامر دانى بقوله: "كلا، لن أذهب أبعد من شارع آرجايل".

"إذن سوف أضع أمتعتك فى الاستقبال ويمكنك العودة لأخذها فيما بعد".

سأله دانى: "هل مازالت هناك صيدلية فى الطريق إلى شارع آرجايل؟".

"كلا، لقد أغلقت منذ سنوات. ما الذى تحتاج إليه؟".

"بعض شفرات الحلاقة وكريم حلاقة".

"سيكون بمقدورك شراؤها من محل لايث، وهو يبعد بمبان قليلة عن متجر جونسون".

قال دانى: "شكرًا جزيلاً"، وأعطاه جنيهًا آخر، على الرغم من أنه مازال لا يعرف أين يقع متجر جونسون.

تفقد نيك ساعة يده، إنها التاسعة وست وثلاثون دقيقة صباحًا. نزل السلالم بسرعة وتوجه نحو مكتب الاستقبال، حيث جرب حيلة مختلفة.

"ألديكم نسخة من صحيفة التايمز؟".

"كلا يا سير نيكولاس، ولكننا بوسعنا جلب نسخة لك على الفور".

"لا تتكلفوا هذا العناء، سوف أجلب نسخة".

قالت موظفة الاستقبال: "يبيعون التايمز فى متجر مينزيس، اتجه يسارًا ما إن تخرج من الفندق، ستجده على مبعدة مائة ياردة...". توقفت قليلاً ثم تابعت قائلة: "وأنت بالطبع تعرف أين يقع متجر مينزيس".

خرج دانى من الفندق واستدار يسارًا، وسرعان ما رأى علامة متجر مينزيس. دخل المتجر، ولم يتعرف عليه أحد هناك. اشترى نسخة من صحيفة التايمز، وما بعث فيه الراحة أن الفتاة الواقفة وراء النضد لم تناده بالسيد أو بالسير نيكولاس.

سألها: "هل أنا بعيد عن شارع آرجايل؟".

"إنه على بعد مائتى ياردة. انعطف يمينًا بعد أن خرج من المتجر، وتجاوز فندق مونكريف آرمز...".

عاد دانى بسرعة شديدة إلى الفندق، متفقدًا أسماء الشوارع عند كل منعطف، إلى أن رأى أخيرًا اسم شارع آرجايل منحوتًا بحروف كبيرة على لوح حجرى أمامه مباشرة. دخل الشارع وهو يتفقد ساعة يده، ست دقائق قبل العاشرة تمامًا. مازال لديه بضع دقائق على سبيل الاحتياط، لكنه يجب ألا يتأخر. كان نيك حريصًا على مواعيده دائمًا. وتذكر مقولة آل الضخم المأثورة: "لا يخسر المعارك إلا الجيوش التى تتأخر عن مواعيدها. وفى نابليون خير عبرة".

بينما راح يمر بالمبانى ذات الأرقام ٢، ٤، ٦، ٨، كانت خطواته تصير أكثر بطئًا وبطئًا؛ رقم ١٠، ثم توقف أمام المبنى رقم ١٢. كان هناك لافتة نحاسية على الجدار تبدو كأنها تم صقلها وتلميعها هذا الصباح، وفى كل صباح مضى تحمل نقشًا باهتًا لاسم مونرو، مونرو آند كارميشيل.

أخذ دانى نفسًا عميقًا، وفتح باب البناية وخطا بهمة. الفتاة التى تجلس عند مكتب الاستقبال رفعت نظرها نحوه. تمنى ألا تسمع الفتاة صوت ضربات قلبه المتسارعة. كان على وشك أن يخبرها باسمه، عندما قالت: "صباح الخير يا سير نيكولاس. السيد مونرو فى انتظارك". نهضت من مقعدها وقالت: "اتبعنى رجاء".

اجتاز دانى الاختبار الأول، لكنه لم يفتح فمه بكلمة حتى الآن.

⊸o⊷

قالت ضابطة واقفة وراء نضد: "بعد موت خطيبك، أنا مخولة كى أسلمك كل متعلقاته الشخصية. ولكن أولاً أحتاج إلى أن أطلع على أى إثبات شخصية".

فتحت بيث حقيبتها وأخرجت رخصة القيادة الخاصة بها.

قالت الضابطة: "شكرًا لك". وتفقدت التفاصيل بكل حرص قبل أن تعيدها إلى بيث. قالت الضابطة وهى تفتح صندوقا من الكرتون وتخرج منه سروالاً من الجينز: "بينما أقرأ بصوت عالٍ مواصفات كل غرض من الأغراض، هل لك أن تتفضلى وتتعرفى عليه. سروال جينز، فاتح الزرقة". عندما رأت بيث بالسروال القطع المسنن حيث دخلت السكين إلى ساق دانى تدفقت الدموع من عينيها. انتظرت الضابطة حتى استعادت بيث جأشها قبل أن تواصل: "قميص قطنى لفريق ويست هام؛ حزام من الجلد البنى؛ خاتم ذهبى واحد؛ زوج من الأحذية، أسودان، محفظة تحتوى على خمسة وثلاثين جنيهًا وبطاقة عضوية فى نادى ملاكمة بو ستريت. هلا تفضلت بالتوقيع بالاستلام هنا يا آنسة ويلسون". مشيرة بإصبعها على خط من النقاط.

ما إن وقعت بيث باسمها حتى وضعت جميع متعلقات دانى فى الصندوق من جديد بنظام وقالت: "شكرًا لك"، وعندما استدارت لتغادر وجدت نفسها وجهًا لوجه مع ضابط آخر من ضباط السجن.

قال لها: "طاب يومك يا آنسة ويلسون، اسمى راى باسكو".

ابتسمت بيث، وقالت: "كان دانى معجبًا بك".

قال باسكو: "وأنا أعجبت به كثيرًا، ولكن هذا ليس السبب الذى أتيت لأجله هنا. اسمحى لى بأن أحمل هذا عنك". وتناول عنها الصندوق بينما أخذا يسيران عبر الردهة وأضاف: "أردت أن أعرف إن كنت مازلت تنوين الطعن فى حكم الاستئناف".

قالت بيث: "وما جدوى ذلك الآن وقد مات دانى".

سألها باسكو: "هل سيكون هذا هو موقفك إن كان لايزال حيًا؟".

قالت بيث بحدة: "كلا، بالطبع لن يكون موقفى، كنت لأخوض معركة لإثبات براءته ما تبقى من حياتى".

عندما بلغا البوابات الأمامية ناولها باسكو الصندوق وقال لها: "يراودنى شعور بأن دانى يحب أن يطهر سمعته واسمه".

٤٠

قال دانى وهو يمد يده للمصافحة: "صباح الخير سيد مونرو، كم كان لطيفًا أن أراك مجددًا".

أجاب مونرو: "وأن أراك سير نيكولاس. لابد وأنك حظيت برحلة طيبة".

كان نيك قد وصف له السيد فريزر بحيث إن دانى شعر تقريبًا بأنه يعرفه من قبل فقال له:" نعم، شكرًا لك. سمحت لى رحلة القطار أن أراجع مراسلاتنا من جديد، وأن أفكر من جديد فيما نصحتنى به"، بينما يرشده مونرو إلى مقعد مريح بجوار مكتبه.

قال مونرو: "أخشى أن آخر رسائلى لك لم تصل فى موعد مناسب، كان يجب أن أتصل بك هاتفيًا ولكن بالطبع...".

قال دانى: "بالطبع لم يكن ممكنًا.". وهو شغوف بأن يعرف ما تتضمنه تلك الرسالة الأخيرة.

قال مونرو، وهو ينقر بأصابعه على المكتب – وهى عادة لم يلحظها نيك: "رفعت ضدك دعوى قضائية". قبض دانى على ذراعى مقعده. هل سيجد الشرطة بانتظاره أمام المكتب؟ ـ واصل مونرو: "رفعها عمك هوجو". تنفس دانى الصعداء فصدرت عنه تنهيدة مسموعة. قال مونرو: "كان لابد أن أتوقع حدوث هذا، لذا فاللوم كله يقع علىّ أنا".

أراد دانى أن يقول له واصل الحديث المهم، غير أن نيك لم يقل شيئًا.

"تزعم الدعوى أن أباك قد ترك عقارات أسكتلندا ومنزل لندن لعمك بحيث لم يعد لك أى حق قانونى فى أى منهما".

قال دانى: "لكن ذلك هراء".

"وأنا أتفق معك تمامًا، وبسماح منك سوف أرد بأننا ننتوى الرد على هذه الدعوى بكل قوة". تقبل دانى رأى مونرو، على الرغم من أن نيك سيكون أكثر حذرًا من ذلك. واصل مونرو قائلاً: "ولإضافة الإهانة لهذا الأذى الواضح توصل محامو عمك إلى ما أسموه بتسوية". أومأ دانى، وهو مازال غير مستعد لتقديم رأى نهائى ليواصل مونرو: "إذا قبلت العرض الأصلى الذى قدمه عمك، أى تحديدًا أن يحصل هو على العقارات هنا وفى لندن إلى جانب أن يلتزم بمسئولية رد الديون عليهما، فإنه سوف يعطى توجيهاته بسحب تلك الدعوى القضائية".

قال دانى: "إنه يخادع، وإذا كنت أتذكر جيدًا يا سيد مونرو فإن نصيحتك الأصلية لى كانت هى أن أقاضى عمى وأرفع دعوى مطالبًا بحقى فى المال الذى اقترضه أبى برهن المنزلين، حوالى مليونين ومائة ألف جنيه".

واصل مونرو قائلاً: "تلك كانت نصيحتى بالفعل. ولكن إذا كنت أتذكر ردك فى ذلك الحين يا سير نيكولاس..."، وضع نظارته هلالية الشكل من جديد على طرف أنفه وفتح ملفًا ـ واستطرد: "نعم، ها هو ردك. كان كلامك بالنص هو: "مادامت تلك هى رغبة والدى فأنا لن أعارضها".

قال دانى: "هكذا كان رأيى عندها يا سيد مونرو، لكن الظروف اختلفت منذ ذلك الحين. لا أصدق أن أبى قد يوافق على أن يستصدر العم هوجو أمرًا قضائيًا ضد ابن أخيه".

قال مونرو غير قادر على إخفاء دهشته من تغير موقف عميله: "إذن فهل يمكننى أن أقترح يا سيد نيكولاس أن نتهمه

بالمخادعة؟".

"وكيف نفعل هذا؟".

أجاب مونرو: "نستطيع أن نرفع دعوى مضادة لدعواه، ونطلب من المحكمة أن تتوصل لقرار حول ما إذا كان والدك له الحق أم لا فى أن يقترض مالاً على ذمة العقارين اللذين تمتلكهما دون استشارتك أولاً، وعلى الرغم من أننى رجل حذر بطبيعتى يا سير نيكولاس، سأجازف بالقول إن القانون سيكون فى صفنا، ومع ذلك أنا واثق أنك قرأت رواية بليك هاوس فى شبابك".

أقر دانى قائلاً: "بل قرأتها من وقت قريب".

"إذن فأنت تعرف مخاطر التورط فى فعل كهذا".

قال دانى: "ولكن على خلاف أبطال الرواية أظن أن العم هوجو سوف يميل لحل المشكلة بعيدًا عن قاعات المحاكم".

"ما الذى يدفعك لهذا الظن؟".

"إنه لن يرغب فى رؤية صورته على الصفحة الأولى من صحيفة سكوتمان أو إدينبيرج إيفنينج نيوز، وسوف يسر الصحيفتين أن تذكر قراءها بالمكان الذى كان يقيم فيه ابن أخيه خلال الأعوام الأربعة المنقضية".

قال مونرو: "إنها نقطة لم أضعها فى الحسبان، ولكن مع تأمل الأمر ينبغى علىَّ أن أتفق معك حولها". سعل ثم أضاف "عندما التقينا آخر مرة لم يكن يبدو أن رأيك هو ..".

"عندما التقينا آخر مرة يا سيد مونرو كنت منشغلاً بشئون أخرى كثيرة، وبالتالى لم أكن قادرًا على أن أستوعب تمام الاستيعاب دلالة ومغزى ما كنت تقوله لى. ومنذ ذلك الحين توفر لى الوقت لكى أتدبر نصائحك...". كان دانى قد تدرب على تلك العبارات مرارًا وتكرارًا، وكان آل الضخم هو من يلعب دور السيد مونرو.

قال مونرو وهو يرفع نظارته وينظر بمزيد من العناية نحو

موكله: "بكل تأكيد. إذن فسوف أعلن بداية المعركة القضائية نيابة عنك. وعلى الرغم من ذلك، على أن أحذرك بأن المسألة قد تستغرق وقتًا".

سأل دانى: "كم من الوقت؟".

"قد يصل إلى العام، بل وأكثر قليلاً، قبل أن توضع القضية على جدول أعمال المحكمة".

قال دانى: "قد تكون تلك مشكلة. لست متأكدًا أن حسابى المصرفى فى بنك كوتس يمكنه أن يغطى...".

"لا ريب أنك سوف ترجع إلىّ ما إن تتصل بالمصرف الذى تتعامل معه".

قال دانى: "بالطبع".

سعل مونرو من جديد وقال: "هناك مسألة أو اثنتان أرى أننا علينا مناقشتهما يا سير نيكولاس". أومأ دانى برأسه ببساطة، بينما يضع مونرو نظارته من جديد. قال مونرو وهو يخرج وثيقة من أسفل كومة أوراق: "لقد كتبت وصية مؤخرًا بينما كنت فى السجن".

تعرف دانى على خط يد نيك المألوف له على ورق السجن المسطر وقال لمونرو: "ذكرنى بالتفاصيل من فضلك".

"لقد أوصيت بالجزء الأكبر مما تمتلكه لصالح دانيال كارترايت".

قال دانى: "رباه!".

"هل أفهم من هذا أنك تريد أن تعيد النظر فى موقفك يا سير نيكولاس؟".

تمالك دانى نفسه بسرعة وقال: "كلا، كل ما هنالك أن دانى كارترايت قد توفى مؤخرًا".

"إذن فسوف يكون عليك أن تكتب وصية أخرى فى وقت قريب، ولكن بصراحة هناك أمور ننشغل بها أكثر إلحاحًا من ذلك بكثير فى الوقت الحالى".

سأله دانى: "مثل ماذا؟".

"هناك مفتاح سمعت أن عمك فى غاية اللهفة للحصول عليه".

"مفتاح؟".

قال مونرو: "نعم، ويبدو أنه مستعد لأن يقدم لك ألف جنيه مقابل سلسلة فضية بها مفتاح يعتقد أنك تمتلكها، ويدرك أن قميتها الأساسية قليلة ولكنه يود أن تبقى فى إطار العائلة".

أجاب دانى: "وسوف تبقى فى إطار العائلة، أتساءل إن كان بوسعى أن أسألك يا سيد مونرو إن كان لديك أدنى فكرة عما يفتحه هذا المفتاح؟".

أقر مونرو قائلاً: "كلا، لا علم لدى. إن جدك لم يطلعنى على هذا الموضوع بالذات، ومع هذا قد تتاح لى الجرأة لأن أقول لك إن كان عمك متلفهًا لهذه الدرجة على أن يضع يده على هذا المفتاح، فأظن أن علينا أن نفترض أن قيمة ما تحتويه الخزانة التى يفتحها هذا المفتاح ستكون قيمتها أكبر بكثير من مبلغ الألف جنيه".

قال دانى محاكيًا السيد مونرو: "بكل تأكيد".

سأله مونرو: "ما الرد الذى تظن أن علىَّ أن أرد به؟".

"قل له إنك لا تعرف بوجود مثل هذا المفتاح أصلا".

"كما تشاء يا سير نيكولاس. ولكننى واثق أنه ليس من السهل إثناء عمك عن أمر يرغبه، وأنه سوف يعود بعرض أعلى".

قال دانى بحزم: "وسوف يكون ردى كما هو مهما كان العرض".

قال مونرو: "ليكن هذا، هل لى أن أتساءل إن كنت تنوى البقاء فى أسكتلندا؟".

"كلا يا سيد مونرو. سوف أرجع إلى لندن سريعًا لكى أسوى أمورى المالية، ولكن تأكد أننى سأبقى على اتصال بك".

قال مونرو: "إذن فسوف تحتاج إلى مفاتيح شقتك فى لندن، والتى ظلت فى خزانتى منذ وفاة أبيك". نهض عن مقعده وسار نحو خزانة كبيرة فى ركن الغرفة. أدخل رقمًا سريًا وفتح بابها الثقيل ليكشف عن أرفف ممتلئة بالوثائق، تناول مظروفين من الرف الأعلى وقال لدانى: "لدى مفاتيح كلا المنزلين، منزل بولتونز وكذلك عقارك هنا فى أسكتلندا يا سير نيكولاس. هل تريد أن تستردهما معًا؟".

قال دانى: "كلا، إننى أشكرك. فى الوقت الحاضر لا أحتاج إلا إلى مفاتيح بيتى فى لندن. سوف أكون ممتنًا إذا احتفظت معك بمفاتيح العقار الآخر، فعلى كل حال، لا أستطيع أن أكون موجودًا بمكانين فى وقت واحد".

قال مونرو : "بكل تأكيد". وناوله واحدًا من المظروفين الكبيرين.

قال دانى: "أشكرك. لقد خدمت أسرتنا بكل إخلاص على مدى أعوام عديدة"، ابتسم مونرو وواصل دانى: "وكان جدى..".

قال مونرو بتنهيدة: "آه.". تساءل دانى إن كان بالغ فى التعبير عن امتنانه وقال مونرو: "أعذرنى على مقاطعة حديثك، ولكن ذكرك لجدك ذكرنى بشىء آخر لابد أن أنبهك له". اتجه من جديد نحو الخزانة، وبعد أن نبش فيها بدقة لبضع دقائق أخرج مظروفًا صغيرًا. صاح قائلاً وعلى وجهه ابتسامة فوز: "ها هو ذا. أمرنى جدك أن أسلمه لك شخصيًا، ولكن بعد وفاة والدك. كان علىَّ أن أنفذ رغبته فى لقائنا السابق، ولكن مع كل تلك الـ.. الظروف المقيدة التى كنت معرضًا لها فى ذلك الحين، أعترف بأن الأمر تاه عن عقلى"، أعطى المظروف لدانى والذى نظر بداخله لكنه لم يجد شيئًا.

سأله دانى: "هل يعنى هذا أى شىء بالنسبة لك؟".

أقر مونرو: "كلا، لا يعنى شيئًا، ولكن بتذكر الهواية التى

كرس لها جدك حياته، فقد يكون لطابع البريد على المظروف مغزى ما".

وضع دانى المظروف فى جيبه الداخلى دون مزيد من الحديث.

نهض السيد مونرو من على مقعده وقال: "أرجو يا سير نيكولاس ألا يمر وقت طويل قبل أن نراك مرة أخرة هنا فى أسكتلندا. وفى تلك الأثناء، لا تتردد فى طلب أى عون تحتاج إليه".

قال دانى: "لا أعرف كيف سأرد لك طيبتك معى".

فقال مونرو: "أنا على ثقة من أننا بعد أن نعالج مشكلتك مع عمك هوجو، فسوف تعوضنى بما فيه الكفاية". وابتسم ابتسامة جافة، ثم صحب السير نيكولاس حتى الباب، صافحه بحرارة وودعه.

بينما كان مونرو يراقب موكله وهو يسير باتجاه الفندق، لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير كم صار السير نيكولاس الشاب يشبه جده المتوفى، ومع ذلك تساءل هل كان من الحكمة أن يضع رابطة العنق الخاصة بزيه العسكرى - مع وضع الظروف المحيطة فى الاعتبار.

قال هوجو وهو يصيح فى سماعة الهاتف: "ماذا فعل؟".

"رفع ضدنا دعوى مضادة لدعوانا، مطالبًا بحقه فى مبلغ المليونين ومائة ألف الذى حصلت عليه بضمان العقارات".

قال هوجو: "لابد وأن فريزر مونرو هو من وراء ذلك كله، لا يجرؤ نيك على معارضة مشيئة أبيه المتوفى. ماذا سنفعل الآن؟".

"نواصل إجراءات الدعوى ونقول لهم إننا سنلتقى بهم فى المحكمة".

◄○►

قال هوجو: "ولكننا لا يمكننا تحمل مغبة هذا، فلقد قلت لى دائمًا أنه لو انتهت هذه القضية إلى المحكمة، فسوف نخسرها – وسوف تستغل الصحافة هذا أسوأ استغلال".

"صحيح، ولكنها لن تصل أبدًا للمحكمة".

"كيف يمكنك أن تكون متأكدًا من هذا؟".

"لأننى سوف أقوم بكل ما يضمن لنا أن نعيق حركة الإجراءات لعامين آخرين، وابن أخيك سيصاب بالإفلاس قبلها بوقت طويل، لا تنس أننا نعرف كم من المال تبقى فى رصيده البنكى. كل ما عليك هو أن تتحلى بالصبر بينما أنا أقوم باستنزافه لآخر قطرة".

"وماذا عن المفتاح؟".

"يدعى مونرو أنه لا يعرف عنه أى شىء".

فقال هوجو: "اعرض عليه مبلغًا أكبر من المال، إذا اكتشف نيك ما الذى يفتحه هذا المفتاح فسيكون بمقدوره هو أن يراقبنى وأنا أنزف حتى الموت".

٤١

مستقلاً قطار العودة إلى لندن، راح دانى ينظر عن كثب إلى مظروف جد نيك، والذى لابد أنه أراد أن يحصل عليه نيك بدون إطلاع أبيه على الأمر، ولكن لماذا؟

أولى دانى انتباهه نحو طابع البريد. كان طابعًا فرنسيًا، بقيمة خمسة فرانكات، يعرض الحلقات الخمس التى تمثل شعار الألعاب الأوليمبية. كان المظروف مختومًا بختم باريس ومؤرخ بتاريخ ١٨٩٦. يعرف دانى من دفاتر يوميات نيك، أن جده السير آلكسندر مونكريف كان جامعًا شغوفًا لطوابع البريد، وهكذا فقد يكون الطابع نادرًا وثمين القيمة، ولكنه لا يدرى لمن يتجه ليلتمس النصح فى هذا، ووجد أنه من الصعب أن يكون للاسم وللعنوان أى دلالة: بارون دو كوبرتين، ٢٥ شارع كرواروج، جينيف، سويسرا. لابد وأن ذلك البارون قد مات منذ أعوام عدة.

من محطة كينجز كروس، أخذ دانى قطار الأنفاق إلى ساوث كينسينجتون - وهو ليس حيًا من الأحياء التى يألفها فى لندن. اشترى من أحد أكشاك المحطة دليل لشوارع وأحياء لندن، وبمساعدته سار على طول طريق أولد برومبتون فى اتجاه حى بولتونز، ومع أن حقيبة نيك كانت تزداد ثقلاً مع كل دقيقة تمر، فإنه لم يشعر بضرورة استقلاله سيارة أجرة

فيبدد بذلك مزيدًا من نقوده التى راحت تتضاءل بسرعة.

عندما بلغ أخيرًا حى بولتونز، توقف دانى أمام مبنى رقم ١٢. لم يستطع أن يصدق أن عائلة واحدة كانت تسكن فى هذا البناء؛ كان مرآب السيارات المزدوج وحده أكبر حجمًا من منزله فى منطقة بو. فتح بوابة حديدية أحدثت صريراً حاداً وسار فى ممشى تغطيه الحشائش حتى بلغ الباب الأمامى. قرع الجرس. لم يدر لماذا فعل ذلك، عدا أنه لم يرغب فى أن يضع المفتاح فى الباب حتى يتأكد له أن المنزل غير مأهول. لم يستجب أحد.

قام دانى ببضع محاولات لإدارة المفتاح فى القفل قبل أن يفتح الباب بصعوبة. أضاء ضوء الردهة. كان المنزل تمامًا كما وصفه له نيك. سجادة خضراء سميكة لونها حالك؛ وورق حائط عليه رسوم حمراء، حال لونه هو الآخر؛ وستائر طويلة عتيقة الطراز من الساتان تتدلى من السقوف حتى الأرضيات، وقد تركت لتجتذب إليها العثة على مدى السنوات. لم تكن هناك أية لوحات معلقة على الجدران، هناك فقط مربعات ومستطيلات لونها أكثر وضوحًا عن بقية مساحة الجدران، حيث كانت اللوحات من قبل. لم يكن دانى فى أدنى شك من هوية من قام بأخذها، وصارت معلقة فى بيته الخاص الآن.

سار دانى ببطء فى أرجاء الغرف محاولاً أن يتبين اتجاهاته. كان المكان أقرب إلى متحف وليس بيتًا يعيش فيه شخص ما. ما إن أتم استكشافه للطابق الأرضى، صعد الدرج إلى منبسطه وسار فى رواق آخر قبل أن يدخل إلى غرفة نوم بها فراش مزدوج. فى خزانة الملابس عُلق صف من الحُلل داكنة اللون يمكن تأجيرها من أجل تمثيل المسرحيات التاريخية، وإلى جانبها قمصان بياقات مجنحة، وعلى سياج فى قاعدة الخزانة اصطفت أزواج عديدة من الأحذية الأيرلندية الثقيلة السوداء. افترض دانى أن هذه ولابد كانت غرفة نوم جد نيك، ومن الواضح أن أباه آثر البقاء فى أسكتلندا. ما إن توفى السير آلكسندر، الجد، حتى

أتى العم هوجو واستولى على اللوحات وأى شىء آخر له قيمة .... ويسهل حمله، هذا قبل أن يجبر والد نيك على الحصول على قرض ائتمانى قيمته مليونا جنيه بضمان المنزل بينما كان حبيس زنزانته. بدأ دانى يرى أن عليه أن يسوى أموره أولاً مع هوجو قبل أن يولى انتباهه لجماعة الفرسان.

بعد أن تفقد جميع غرف النوم - وعددها جميعًا سبع - اختار دانى أصغر الغرف ليقضى بها أولى لياليه بعد أن بحث فى خزانتها والأدراج فاستنتج أنها ولابد كانت غرفة نيك، لأنه وجد بها حاملاً عليه حُلل، ودرجًا ممتلئًا بالقمصان وصفًا من الأحذية كان قياسها مناسبًا له تمامًا، ولكنها بدت وكأنها جديدة نظرًا لأن صاحبها كان مجندًا يقضى أغلب وقته فى زيه الرسمى ولا يهتم كثيراً بشئون الموضة.

بعد أن أفرغ دانى محتويات حقيبته، قرر أن يستكشف الدور الأعلى ويكتشف ماذا هنالك، مرَّ بغرفة للأطفال بدت وكأن أحدًا لم يستخدمها من قبل، وبالغرفة المجاورة غرفة لعب للأطفال مكتظة بألعاب لم تمسها أيدى أطفال بالمرة. تحولت أفكاره نحو بيث وكريستى. أطل من نافذة غرفة لعب الأطفال على حديقة كبيرة، وحتى فى ضوء آخر النهار الشحيح كان بمقدور دانى أن يرى الباحة التى نمى فيها العشب بغزارة دون أى لمسة رعاية، بعد سنوات من الإهمال.

عاد دانى إلى غرفة نيك، خلع ملابسه أخذ حمامًا. جلس فى حوض الاستحمام الكبير، واستغرق فى أفكاره، ولم يتحرك حتى بدأ الماء يتحول من الحرارة إلى البرودة. بعد أن جفف نفسه، ارتدى منامة نيك الحريرية وصعد مباشرة إلى الفراش، وما هى إلا دقائق حتى راح فى النوم. كانت حشية الفراش أقرب فى صلابتها لتلك التى اعتادها فى فراش السجن.

فى الصباح التالى وثب دانى من على فراشه، وارتدى سروالاً والتقط روبًا حريرًا كان معلقًا على مشجب وراء باب الغرفة، وذهب ليبحث فى المطبخ عن طعام.

نزل درجًا صغيرًا غير مغطى بالسجاد إلى قبو معتم، حيث اكتشف وجود مطبخ كبير به موقد كبير من طراز آجا وأرفف ممتلئة بقوارير تحتوى على أشياء لا علم له بها. وسرّه وجود صف من الأجراس الصغيرة مثبتة بالحائط، مكتوب عليها: "غرفة الرسم" و "غرفة نوم السيد"و"غرفة المكتب"و"غرفة الأطفال"و"الباب الأمامى". بدأ يفتش عن طعام، غير أنه لم يستطع العثور على أى شىء لم ينته تاريخ صلاحيته منذ أعوام. أدرك الآن مصدر الرائحة الغريبة التى كانت تعم أرجاء المنزل كله. إذا كان هناك أى مال فى رصيد نيك البنكى فإن أول شىء عليه القيام به هو أن يوظف شخصًا لتنظيف المنزل. فتح واحدة من النوافذ الكبيرة ليسمح للهواء النقى بالدخول إلى المنزل الذى لم يدعَ إلى دخوله منذ وقت طويل.

بعد أن أخفق فى العثور على أى شىء يمكنه تناوله، عاد دانى إلى غرفة النوم ليرتدى ملابس الخروج. اختار أبسط الثياب التى أمكنه أن يعثر عليها فى خزانة نيك، ومع ذلك ظل يوحى منظره بقائد عسكرى فى إجازة.

عندما دقت ساعة دار العبادة القريبة الثامنة صباحًا، التقط دانى المحفظة من المنضدة الصغيرة المجاورة للفراش ووضعها فى جيب سترته. نظر نحو المظروف الذى تركه له جد نيك، وقرر أن السر يكمن ولابد فى طابع البريد. جلس إلى مقعد بجوار النافذة وحرر شيكًا مصرفيًا باسم نيكولاس مونكريف بقيمة خمسمائة جنيه. هل سيجد فى حساب نيك مبلغ خمسمائة جنيه؟ لم يكن أمامه إلا سبيل واحد لاكتشاف إجابة هذا السؤال.

عندما غادر المنزل بعد ذلك بدقائق قليلة سحب الباب من

ورائه ليغلقه ولكنه لم ينس هذه المرة أن يأخذ المفاتيح معه. سار إلى أول الطريق، وانعطف نحو اليمين وسار صوب محطة أنفاق ساوث كينسينجتون، ولم يتوقف إلا ليمر بأحد باعة الصحف ليشترى نسخة من صحيفة التايمز. وبينما كان يغادر المتجر لاحظ لوحة إعلانات عرض خدمات متنوعة: "تدليك، ستزورك سيلفيا فى منزلك، ١٠٠ جنيه"، "ماكينة لجز العشب للبيع، لم تستعمل إلا مرتين فقط، الثمن ٢٥٠ جنيها أو أفضل سعر يقدم فيها". كان على استعداد لشرائها فقط لو أنه يثق أن هناك مبلغ ٢٥٠ جنيهًا فى حساب نيك البنكى، "عاملة تنظيف منازل، خمسة جنيهات للساعة، مع توافر شهادات الخبرة و مصادر موثوق بها لتأكيد جدارتها. اتصلوا بالسيدة ميرفى على رقم....". تساءل دانى ترى هل لدى السيدة ميرفى ألف ساعة، سجل رقم هاتفها، مما ذكره بشىء آخر عليه إضافته إلى قائمة مشترياته، ولكن ذلك أيضًا لابد وأن ينتظر حتى يكتشف كمًا من المال يوجد فى رصيد نيك.

حين خرج من محطة قطار الأنفاق فى محطة تشارينج كروس، كان دانى قد استقر على خطتين للتحرك، بناءً على ما إذا كان مدير بنك كوتس يعرف السير نيكولاس معرفة جيدة، أم لم يسبق له أن قابله بالمرة.

سار على طول شارع ستراند باحثًا عن البنك. على الغلاف الرمادى لدفتر شيكات نيك لم يكتب إلا: بنك كوتس وشركاه، شارع ستراند، لندن، من الواضح أن المؤسسة كانت من المكانة بحيث لا يعتد برقم البناية. لم يمض بعيدًا حتى وجد مبنى برونزيًا له واجهة كبيرة من الزجاج على الناحية الأخرى من الطريق، وكانت صورة تاجين معروضة بشكل دبلوماسى فوق اسم كوتس. عبر الطريق، منطلقًا برشاقة هنا وهناك بسبب المرور. كان على وشك أن يكتشف مقدار ثروته الحالية.

دخل البنك عبر أبوابه الدوارة، وسرعان ما حاول أن يتبين

اتجاهه. قبالته مباشرة كان هناك مصعد يقود إلى الردهة الكبيرة لاستقبال البنك. شق سبيله نحو قاعة كبيرة زجاجية السقف وبها نضد طويل على طول أحد الجدران. كان يقدم الخدمة للعملاء محاسبون كثيرون يرتدون السترات الرسمية السوداء. اختار دانى أصغرهم سنًا والذى بدا وكأنه بدأ يحلق ذقنه منذ أيام قليلة. اتجه نحو نافذته الصغيرة، وقال: "أود أن أجرى سحبًا من الرصيد".

سأله المحاسب: "كم من المال تطلب يا سيدى؟".

قال دانى، وهو يناوله الشيك الذى حرره فى وقت سابق من الصباح نفسه: "خمسمائة جنيه".

راجع المحاسب الاسم والرقم على جهاز الكمبيوتر، وتردد قليلاً. سأل نيك قائلاً: "أتسمح بالانتظار لدقيقة يا سير نيكولاس؟". راح عقل دانى يعمل بأقصى سرعته. هل أفرط نيك فى الاقتراض من الحساب حتى استدان من البنك؟ هل تم إغلاق حسابه؟ هل هم غير مستعدين للتعامل مع سجناء سابقين؟ ما هى إلا دقائق معدودة حتى ظهر رجل أكبر عمرًا، وابتسم له ابتسامة ودودة. هل كان يعرف نيك، ويعرفه نيك؟ بادر الرجل متسائلاً: "سير نيكولاس؟".

فقال دانى: "نعم". وقد أجيب عن واحد من أسئلته.

"اسمى هو السيد واتسون. أنا المدير. ومما يسرنى أن ألتقى بك بعد كل هذا الوقت". صافحه دانى بحرارة قبل أن يضيف المدير قائلاً: "ربما نستطيع أن نتبادل كلمتين فى مكتبى؟".

قال دانى: "بالطبع يا سيد واتسون"، وحاول أن يظهر بمظهر الواثق. تبع المدير خلال هذا الطابق وعبر باب قادهما إلى غرفة مكتب صغيرة خشبية الجدران. كانت هناك لوحة زيتية واحدة تعرض رجلاً فى سترة سوداء رسمية طويلة الذيل، علقت على الجدار الذى يقع وراء المكتب. وتحت البورتريه كتب الأسطورة جون كامبل، المؤسس، ١٦٩٢.

بدأ السيد واتسون يتحدث حتى قبل أن يستقر دانى فى مقعده. "أرى أنك لم تجر أى سحب من رصيدك خلال الأعوام الأربعة الماضية، يا سير نيكولاس". هكذا قال ناظرًا نحو شاشة الكمبيوتر.

قال دانى: "ذلك صحيح".

"لعلك كنت خارج البلاد؟".

"كلا، ولكننى فى المستقبل سأكون عميلاً أكثر انتظامًا. ذلك فى حالة إن كنتم قد تعاملتم مع حسابى بعناية بينما كنت بعيدًا".

أجاب المدير: "أرجو أن يكون هذا ما تعتقده دائمًا يا سير نيكولاس. لقد كنا ندفع فائدة بنسبة ثلاثة فى المائة سنويًا ونضيفها لحسابك عامًا بعد آخر".

لم ينبهر دانى، ولكنه اكتفى بأن يتساءل: "وكم يبلغ حسابى الحالى؟".

نظر المدير نحو الشاشة، ثم قال: "سبعة آلاف ومائتى واثنى عشر جنيهًا".

تنفس دانى الصعداء، ثم سأل: "ألا توجد أية حسابات أخرى أو وثائق أو ودائع ثمينة باسمى تحفظونها لى فى الوقت الحالى؟". ظهر شىء من الدهشة على المدير فأضاف دانى: "كل ما هنالك أن أبى قد توفى مؤخرًا".

أومأ المدير وقال: "سوف أتفقد ذلك سيدى السير". ثم ضغط بعض مفاتيح الكمبيوتر. ليهز رأسه نفيًا: "يبدو أن حساب والدك البنكى تم إغلاقه منذ شهرين، وكل أصوله وأمواله قد انتقلت إلى بنك كلايديسديل فى إدينبيرج".

قال دانى: "نعم، العم هوجو".

أكد له المدير ظنه قائلاً: "نعم، هوجو مونكريف كان هو متلقيها بالفعل".

قال دانى: "تمامًا كما ظننت".

"هل هناك أى شىء آخر يمكننى أن أقوم به لأجلك سير نيكولاس؟".

"نعم، سأحتاج لبطاقة ائتمانية".

قال واتسون: "بكل تأكيد. هلا ملأت هذه الاستمارة". ودفع: عبر المنضدة باستمارة قائلاً: "سوف نرسل لك واحدة على عنوان المنزل خلال الأيام القليلة القادمة".

حاول دانى أن يتذكر تاريخ ومحل ميلاد نيك واسمه الأوسط كذلك؛ لم يكن يعرف ماذا يكتب بالضبط فى خانات: "الوظيفة" أو "مقدار الدخل السنوى".

بعد أن أتم دانى ملء الاستمارة، قال: "هناك أمر واحد آخر، هل لديك أى فكرة أين يمكننى أن أحدد قيمة هذا؟". أخرج المظروف الصغير من جيبه الداخلى وناوله له عبر المكتب.

نظر المدير إلى المظروف بعناية وأجاب بعد تردد: "متجر ستانلى جيبونز. إنهم الأفضل فى هذا المجال، ولهم سمعة عالمية".

"أين يمكننى أن أجدهم؟".

"لهم فرع بالقرب من هنا. أنصحك بأن تتحدث إلى السيد بريندرجاست".

قال دانى بحرارة: "إننى محظوظ حقًا لسعة معلوماتك".

"حسن، هذا المتجر يتعامل معنا على مدى ما يقرب من مائة وخمسين عامًا".

خرج دانى من البنك وبمحفظته مبلغ إضافى يبلغ ٥٠٠ جنيه، وانطلق يبحث عن متجر ستانلى جيبونز، وفى الطريق مر بمتجر للهواتف الجوالة، مما أتاح لها أن يرتاح من بند آخر على قائمة مشترياته. بعد أن انتقى أحدث طراز، سأل البائع الشاب إذا كان يعرف مكان متجر ستانلى جيبونز.

أجاب: "على مبعدة خمسين ياردة أخرى من جهة اليسار".

واصل دانى سيره على طول الطريق إلى أن رأى اللافتة فوق الباب، وبالداخل، كان هناك رجل طويل نحيل ينحنى على النضد يقلب صفحات كاتالوج. نهض مستقيم القامة لحظة دخول دانى.

سأل دانى: "السيد بريندرجاست؟".

قال: "نعم يا سيدى، كيف أستطيع خدمتك؟".

أخرج دانى المظروف ووضعه على النضد وقال: "اقترح علىّ السيد واتسون من بنك كوتس أنكم قادرون على تثمين هذا من أجلى".

فرد عليه: "سأبذل جل جهدى". والتقط عدسة مكبرة من تحت النضد. راح يتفحص المظروف لبعض الوقت قبل أن يبدى رأيًا ويقول: "طابع بريد أول إصدار من فئة الفرنكات الخمسة، صدر احتفاء بتأسيس دورات الألعاب الأوليمبية الحديثة. الطابع فى حد ذاته محدود القيمة، ليس أكثر من بضع مئات الجنيهات، ولكنّ هناك عاملين من الممكن أن يضيفا إلى أهميته".

سأل دانى: "وما هما؟".

"إن ختم البريد تاريخه السادس من أبريل ١٨٩٦".

سأل دانى، محاولاً ألا يبدو نافد الصبر: "ولماذا يمثل هذا التاريخ أى دلالة؟".

"كان ذلك هو تاريخ افتتاح الدورة الأولى للألعاب الأوليمبية".

سأل دانى، دون أن ينتظر هذه المرة: "وما العامل الثانى؟".

قال بريندرجاست بنوع من الإعجاب بنفسه: "الشخص الذى تم توجيه هذا المظروف له هو ...".

قال دانى، بلا حاجة لتذكيره بهذا: "بارون دو كوبرتين".

قال التاجر: "صحيح، لقد كان هو البارون الذى أسس دورة الألعاب الأوليمبية الحديثة، وهذا ما يمنح هذا المظروف قيمة قطعة فى مجموعة من المقتنيات الخاصة".

سأل دانى: "هل بمقدورك أن تثمنه؟".

"هذا ليس أمرًا يسيرًا، بما أنها قطعة فريدة من نوعها. ولكننى سأكون مستعدًا أن أعرض عليك ألفين من الجنيهات ثمنًا له".

أجاب دانى قبل أن يستدير ليغادر: "شكرًا لك، لكننى أحتاج لقليل من الوقت للتفكير بالأمر".

قال التاجر بينما يغلق دانى الباب بهدوء من خلفه: "ألفان ومائتان، ما قولك؟".

٤٢

أمضى دانى الأيام القليلة التالية لتوطيد استقراره بمنزل حى بولتونز، وكان قد بدأ يشعر بأنه لن يحس أبدًا بأنه فى موطنه فى كينسينجتون، ولكن انتهى ذلك حين التقى بالسيدة مولى.

تنحدر مولى ميرفى من كاونتى كورك بأيرلندا، ولهذا مر بعض الوقت قبل أن يفهم دانى كلمة واحدة مما تقوله. لابد وأنها كانت أقصر قامة من دانى بنحو قدم، وكانت على درجة من النحافة دفعته لأن يتساءل فى نفسه ما إذا كانت لديها من القوة ما يكفى لأن تخدم فى المنزل لأكثر من ساعتين كل يوم. لم يدر كم تبلغ من العمر، على الرغم من أنها بدت أصغر سنًا من أمه وأكبر سنًا من بيث. كان أول ما قالته له: "إننى أتقاضى خمسة جنيهات عن الساعة عدًا ونقدًا. لا أنوى أن أدفع أى ضرائب على الدخل لأولئك الملاعين الإنجليز". وأضافت فى حزم بعد أن علمت بأن السير نيكولاس ينحدر من مكان فى الشمال: "وإن لم تعتقد أننى كفء لهذه المهمة سأترك العمل فى نهاية الأسبوع".

راقب دانى السيدة مولى بعين يقظة خلال اليومين الأولين، ولكن سرعان ما وضح له أنها قدت من المعدن نفسه الذى قدت منه أمه الغالية. وعند نهاية الأسبوع صار قادرًا على أن يجلس فى أى مكان من المنزل دون أن تثور من حوله

سحابة من الغبار، وأن يدخل الحمام دون أن يجد فيه بقع مياه هنا وهناك، وأن يفتح ثلاجة الطعام ويأكل شيئًا لا يخشى من تسممه به.

مع بداية الأسبوع الثانى، بدأت مولى تعد له عشاءه كما بدأت كذلك تغسل له ثيابه وتكويها، وبحلول الأسبوع الثالث تساءل دانى تُرى كيف كان له أن يواصل حياته بدونها؟

سمحت الاستعانة بمولى لدانى أن يركز على أمور أخرى. كتب له السيد مونرو رسالة يعلمه فيها بأنه رفع دعوى قضائية ضد عمه. ترك محامى هوجو مهلة السماح المكونة من واحد وعشرين يومًا تمر قبل أن يقر بالاستلام.

وقد حذر مونرو سير نيكولاس من سمعة جالبريث المعروف عنه أن يأخذ وقته الكافى فى الإجراءات، ولكنه أكد له أنه سوف يواصل دفعه للإسراع كلما سنحت الفرصة. تساءل دانى ترى كم سيكلفه هذا الدفع للإسراع. واكتشف الجواب عندما قلب الصفحة. كان مرفقًا برسالة السيد مونرو فاتورة أتعاب قيمتها أربعة آلاف جنيه، تغطى كل العمل الذى أنجزه منذ يوم الجنازة، بما فى ذلك تكاليف رفع الدعوى.

تفقد دانى التقرير الذى أرسله له البنك، والذى وصل مع بطاقة الائتمان، فى البريد الصباحى. أربعة آلاف جنيه سوف تتسبب فى فجوة كبيرة للغاية فى الرصيد الأصلى بحيث إن دانى تساءل كم من الوقت سوف يمر قبل أن يعلن استسلامه ويرفع المنديل الأبيض كما فى حلبة الملاكمة؛ قد يكون هذا أيضًا تعبيرًا مستهلكًا ومبتذلاً غير أنه يذكره بأيام أكثر سعادة فى منطقة بو.

خلال الأسبوع الماضى، اشترى دانى كمبيوتر محمولاً وطابعة، وإطارًا فضيًا لصورة فوتوغرافية، وبعض الملفات، وأقلام حبر جاف متنوعة، وأقلام رصاص وممحاوات، إلى جانب رزم من الأوراق. كان قد بدأ بالفعل فى تكوين قاعدة

بيانات حول الرجال الثلاثة المسئولين عن مقتل بيرنى، وأمضى الجزء الأكبر من شهره الأول بعد هروبه يقوم بإدخال كل معلومة يعلمها عن سبنسر كريج، وجيرالد بين، ولورانس دافنبورت. لم يأت له قدر كبير من المكونات من هذا، غير أن نيك كان علمه أنه من السهل على المرء أن يجتاز اختبارا عندما يكون قد أجرى أبحاثه واستعد. كان على وشك أن يبدأ تلك الأبحاث عندما تلقى فاتورة السيد مونرو، مما ذكره بالسرعة التى يتناقص بها رصيده من المال، ثم تذكر المظروف، وقد حان الوقت المناسب للحصول على رأى آخر بشأنه.

تناول صحيفة التايمز - كانت مولى تشتريها له كل صباح - وانتبه لموضوع رآه فى الصفحات الفنية. جامع مقتنيات وتحف أمريكى اشترى إحدى لوحات كليمت بمبلغ واحد وخمسين مليون جنيه فى مزاد علنى بقاعة مزادات تدعى سوذيبيز.

فتح دانى كمبيوتره النقال وبحث فى موقع جوجل عن كليمت، ليكتشف أنه رسام نمساوى ينتمى للمدرسة الرمزية، عاش ما بين ١٨٦٢ إلى ١٩١٨. ثم أولى دانى انتباهه نحو قاعة سوذيبيز والتى اتضح أنها قاعة للمزادات العلنية تخصصت فى الفنون الجميلة والرفيعة، والتحف والكتب والحلى الثمينة وما سوى ذلك مما يستحق الجمع فى مقتنيات خاصة. بعد عدة نقرات بفأرة الكمبيوتر اكتشف أن المجموعات الخاصة للمقتنيات الشخصية تشتمل على طوابع البريد. بالنسبة لهؤلاء الراغبين فى الحصول على نصيحة يمكنهم الاتصال بدار سوذيبيز أو بزيارة مكاتبهم فى شارع نيو بوند.

فكر دانى أن يفاجئهم بزيارة، ولكن ليس اليوم، لأنه كان ذاهبًا إلى المسرح، وليس بهدف مشاهدة المسرحية. لم تكن المسرحية هى الشىء المهم بالنسبة له.

لم يذهب دانى من قبل إلى مسرح الويست إند، فيما عدا رحلة خلال عيد ميلاد بيث الحادى والعشرين لرؤية مسرحية البؤساء فى مسرح بالاس. لم يستمتع بها كثيرًا، ولم يعتقد أنه يهتم بمشاهدة مسرحية موسيقية أخرى بعد ذلك.

كان دانى قد اتصل بمسرح جاريك بالأمس وحجز مقعدًا لحفل أول المساء لمسرحية أهمية أن تكون إرنست. وقيل له إن عليه أن يتسلم تذكرته من شباك التذاكر قبل رفع الستار بربع ساعة على الأقل. وصل دانى مبكرًا قليلاً، ليجد أن المسرح يكاد يكون خاويًا تقريبًا. أخذ تذكرته واشترى برنامج الليلة وشق طريقه بين الصفوف بمساعدة الحاجب، حتى وجد مقعده فى نهاية صف ح. لم يكن هناك إلا حفنة قليلة من الجمهور تتوزع هنا وهناك.

فتح بطاقة البرنامج وقرأ لأول مرة كيف أن مسرحية أوسكار وايلد حققت نجاحًا مدويًا فى عرضها الأول عام ١٨٩٥ على مسرح سانت جيمس بلندن. اضطر للوقوف ليسمح بمرور الآخرين إلى مقاعدهم فى الصف بينما أخذ حاملو التذاكر يتدفقون إلى قاعة المسرح.

عندما أطفأت أضواء القاعة، كانت أغلب مقاعد مسرح جاريك قد امتلأت تقريبًا، وشغل معظمها فتيات صغيرات، وعندما ارتفع الستار، لم يظهر لورانس دافنبورت فى أى مكان على الخشبة، غير أن دانى لم يطل انتظاره، لأنه ظهر على الخشبة بعد ذلك بدقائق قليلة. وجه لن يستطيع نسيانه. بدأ واحد أو اثنان من الجمهور فى التصفيق عند ظهوره، توقف دافنبورت عن الأداء لبرهة قصيرة قبل أن يلقى سطوره الأولى فى النص، كما لو أنه لم يتوقع شيئًا أقل من هذا.

قاوم دانى رغبته فى أن يهجم على خشبة المسرح ليعتليها ويعلن لجميع الحاضرين أى نوع من الرجال هو دافنبورت، ويخبرهم بما جرى فى مقهى دانلوب آرمز حقا فى الليلة التى

وقف فيها بطلهم وراح يراقب سبنسر كريج وهو يطعن أعز أصدقاء دانى حتى الموت. كان يلعب دورًا مختلفًا تمام الاختلاف فى ذلك الزقاق عن هذا الرجل الواثق بنفسه والمختال الذى يصوره لكم. وفى تلك المناسبة كان أداؤه أكثر إقناعًا وهو يلعب دور الرعديد الجبان.

وشأنه شأن الفتيات الصغيرات بين الجمهور، لم ترتفع عينا دانى بالمرة عن دافنبورت. فيما تواصل العرض صار من الواضح أن دافنبورت هو محط أنظار الجميع عندما نزل ستار الاستراحة شعر، دانى بأنه رأى بما فيه الكفاية من لورانس دافنبورت ليعرف إلى أى حد سوف يقدر أن يقضى دقائق قليلة فى السجن. كان دانى ينوى الرجوع فى الاستراحة إلى بيته بحى بولتونز ليعكف على تحديث سجلاته، لو لم يكتشف لدهشته أنه يستمتع حقًا بالمسرحية.

تبع الجمهور المتدافع نحو مقهى صغير مزدحم ووقف فى صف طويل بينما كان عامل واحد فى المقهى يحاول ببسالة أن يخدم جميع من سيكونون زبائنه. استسلم دانى أخيرًا وقرر أن يمضى وقته فى قراءة المزيد من برنامجه ومعرفة المزيد عن أوسكار وايلد، والذى تمنى أن يكون مدرجًا ضمن منهجه الدراسى لمواد المستوى الرفيع. ثم جذبت انتباهه محادثة عاليه الصوت كانت تجرى بين فتاتين تقفان عند ركن المقهى.

سألت الأولى: "كيف ترين لارى؟".

فجاء جواب الأخرى: "إنه رائع، من المؤسف أنه يفضل الرجال".

"ولكن هل تستمتعين بالمسرحية؟".

"نعم، وسوف آتى من جديد فى ليلة الختام".

"كيف نجحت فى الحصول على تذاكر لليلة الختام؟".

"أحد العاملين فى المسرح يسكن بشارعنا".

"هل هذا يعنى أنك سوف تذهبين إلى الحفل الذى يعقد

بعد ليلة الختام؟".

"فقط إذا وافقت أن أخرج فى تلك الليلة بصحبة جارنا عامل المسرح".

"هل تعتقدين أنك سوف تلتقين لارى؟".

"إنه السبب الوحيد الذى يدفعنى للخروج مع جارنا ذلك".

دق جرس ثلاث دقات وأعاد العديد من رواد المقهى كئوسهم على الفور قبل إنهاء ما فيها، ثم توافدوا من جديد إلى مقاعدهم فى قاعة المسرح. وذهب دانى على أثرهم.

عندما ارتفع الستار من جديد، صار دانى أكثر انغماسًا فى المسرحية لدرجة أنه كاد ينسى غرضه الحقيقى للمجىء إلى هنا. بينما ظل انتباه الفتيات مصوبًا بكل شدة لـ "بيريزفورد"، جلس دانى بانتظار أن يكتشف أى الاثنين المدعيين سيتضح أنه هو إرنست الحقيقى.

عندما نزل الستار وخرج فريق العمل لتحية الجمهور، نهض الجمهور واقفًا، وهم يصيحون ويصرخون، تمامًا كما كانت بيث تفعل فى تلك الليلة المشئومة، ولكنه نوع آخر من الصراخ. كل هذا الضجيج جعل دانى أكثر تصميمًا على أن يكشف لهؤلاء جميعًا حقيقة صنمهم المعبود.

بعد أن انتهت تحية الجمهور، راح الجمع المثرثر يتدفق نحو الرصيف أمام المسرح. توجه البعض مباشرة إلى باب خشبة المسرح، غير أن دانى شق سبيله نحو شباك التذاكر.

ابتسم له مدير شباك التذاكر وقال: "هل استمتعت بالعرض يا سيدى؟".

"نعم، شكرًا لك. هل لديك بالمناسبة تذكرة لليلة الختام؟".

"أخشى أنها غير متوفرة، لقد بيعت كلها".

قال دانى آملًا: "تذكرة واحدة فقط. ولا يهم مكان

الجلوس".

تفقد مدير شباك التذاكر شاشة الكمبيوتر ودرس الرسم التوضيحى للمقاعد من أجل العرض الأخير، ثم قال: "لدى بالفعل مقعد واحد فى الصف قبل الأخير".

قال دانى وهو يناوله بطاقته الائتمانية: "سوف آخذه، هل يتيح لى هذا أن أحضر الحفل التالى للعرض الأخير؟"

قال المدير بابتسامة: "كلا، أخشى ألا يمكن هذا، الحفل لابد أن يكون بدعوة شخصية فقط". أدخل بطاقة دانى فى الماكينة ليقول له مواصلاً: "يا سير نيكولاس مونكريف"، ناظرًا نحوه بمزيد من الاهتمام والفضول.

قال دانى: "نعم، ذلك صحيح".

طبع له المدير تذكرة واحدة، وتناول مظروفًا من أسفل النضد ووضع فيه التذكرة.

واصل دانى قراءة البرنامج فى رحلته بقطار الأنفاق إلى ساوث كينسينجتون، وبعد أن التهم كل كلمة كتبت فيه عن أوسكار وايلد وقرأ ما كتب عن مسرحياته الأخرى، فتح المظروف وتفقد تذكرته. الصف س رقم ٩. لابد أنهم ارتكبوا خطأ ما. نظر بداخل المظروف فوجد بطاقة دعوة، مكتوبًا عليها:

مسرح الجاريك

يدعوكم لحفل ليلة ختام عرض

أهمية أن تكون إرنست

فى دورتشيستر

يوم الأحد ١٤ سبتمبر ٢٠٠٢

الدخول بالدعوات فقط

يبدأ الحفل ١١ م، وليس له موعد انتهاء.

سرعان ما أدرك دانى أهمية أن يكون المرء سير نيكولاس.

٤٣

قال السيد بلاندل وهو يعيد عدسته المكبرة إلى المنضدة ويبتسم للعميل المحتمل الجالس أمامه: "يا له من طابع مثير للاهتمام، مثير للاهتمام للغاية".

سأل دانى: "كم يساوى؟".

أقر بلاندل قائلاً: "ليس لدى أدنى فكرة".

"ولكن قيل لى إنك واحد من أهم خبراء هذا المجال".

أجابه بلاندل قائلاً: "وأحب أن أرى نفسى كذلك، ولكن خلال ثلاثين عامًا قضيتها فى هذا المجال لم أقع على أى شىء مثل هذا بالمرة". رفع عدسته المكبرة من جديد، وانحنى وراح يتفحص المظروف بمزيد من القرب وقال: "الطابع فى حد ذاته ليس على درجة من الندرة، ولكن عندما يكون مختومًا فى اليوم نفسه لافتتاح احتفالات أول دورة ألعاب أوليمبية فإنه شىء يجعله أندر، وحين يكون المظروف موجهًا لعنوان بارون دو كوبرتين...".

فقال دانى: "مؤسس دورة الألعاب الأوليمبية الحديثة، فلابد وأن هذا يجعل الطابع والمظروف أندر وأندر".

قال بلاندل: "إذا لم يكن فريدًا من نوعه". حرك العدسة المكبرة على المظروف من جديد: "من العسير إلى أبعد حد أن نحدد له ثمنًا".

سـألـه دانـى آمــلاً: "ربما يمكنك أن تعطينى ثمنًا تقريبيًا؟".

"إذا اشترى المظروف أحد تجار المقتنيات الخاصة فسيكون الثمن ما بين ألفين ومائتين وألفين وخمسمائة، وهذا تخمينى، أما إذا اشتراه جامع شغوف بالطوابع، فربما يصل الثمن إلى ثلاثة آلاف، ولكن فى حال تنافس مشتريان على امتلاكه بإلحاح وشغف، فمن يدرى بالسعر الذى يمكن أن يصل إليه؟ دعنى أقدم لك مثالاً يا سير نيكولاس. العام الماضى وضعت على مائدة المزاد هنا فى دار سوذيبيز صورة زيتية بعنوان رؤية فياميتا بريشة دانتى جابريال روسيتى. وضعنا سعرًا تقريبيًا لها ما بين مليونين والنصف وثلاثة ملايين، والذى كان أعلى سعر لها فى السوق بكل تأكيد، وفى الحقيقة فقد انصرف عنها جميع التجار المعروفين فى السوق قبل أن تصل لهذا الحد الأقصى من السعر. ومع ذلك، وبسبب وجود آندرو لويد ويبر وإليزابيث روتشايلد، وكل منهما يريد أن يضيف تلك اللوحة إلى مجموعته الخاصة، فإن السعر النهائى لهذه القطعة وصل إلى تسعة ملايين جنيه، أكثر من ضعف آخر ثمن بيعت به لوحة للفنان نفسه.

"هل توحى بأن مظروفى قد يباع بأكثر من ضعف قيمته التقريبية؟".

"كلا يا سير نيكولاس، أقول ببساطة إننى لا أملك أى فكرة عن السعر الذى قد يصل إليه عند وضعه على طاولة المزاد".

سأله دانى: "ولكنك تستطيع أن تتأكد من حضور كل من آندرو لويد ويبر وإليزابيث روتشايلد إلى المزاد؟".

أخفض بلاندل رأسه، خشية أن يلمح على وجهه أثر طرافة هذا السؤال عليه. وقال: "كلا، ليس لدى أى سبب يدفعنى للاعتقاد بأن اللورد لويد ويبر أو إليزابيث مهتمين بطوابع البريد، وعلى الرغم من ذلك، فإذا ما قررت أن تضع المظروف

على قائمة مزادنا التالى، فسوف يكتب عنه فى كاتالوج، ويرسل إلى جميع كبار جامعى المقتنيات فى العالم كله".

سأل دانى: "ومتى سيعقد مزاد الطوابع التالى لديكم؟".

أجاب بلاندل: "السادس عشر من سبتمبر، بعد ما يزيد على الستة أسابيع".

قال دانى، الذى ظن أنهم سيكون بوسعهم بيع الطابع فى غضون أيام معدودة: "كل هذه الفترة؟".

"مازلنا نعد الكتالوج، وسوف نرسله بالبريد إلى جميع عملائنا قبل تاريخ المزاد نفسه بأسبوعين على الأقل".

تذكر دانى من جديد لقاءه بالسيد برندجاستر فى متجر ستانلى جيبسون، والذى عرض عليه ألفين ومائتين ثمنًا للمظروف، وربما يرفعه إلى الألفين وخمسمائة. إذا قبل عرضه فلن يكون مضطرًا للانتظار لمدة ستة أسابيع أخرى. آخر تقرير ورد إلى نيك من البنك أظهر أنه لم يتبق له إلا مبلغ ١٩١٨ جنيهًا، وعلى هذا فإن رصيده قد يكون مكشوفًا بحلول السادس عشر من سبتمبر دون أى دخل آخر متوقع.

لم يتعجل بلاندل السير نيكولاس، والذى كان من الواضح أنه يفكر فى الأمر تفكيرًا جديًا، وإذا كان حفيدا لعميله القديم ...، فقد تكون هذه بداية علاقة عمل مثمرة وطويلة.

كان دانى يعلم أى الخيارين سيختار نيك. كان سيقبل العرض الأصلى بمبلغ الألفى جنيه من السيد بريندرجاست، ويعود لبنك كوتس ويودع المال فى رصيده على الفور. ساعد هذا دانى على الوصول لقرار، تناول المظروف وسلمه للسيد بلاندل قائلاً: "سوف أترك لك مهمة العثور على مشتريين يتنافسان على شراء مظروفى".

قال بلاندل: "سأبذل قصارى جهدى يا سير نيكولاس، وسوف أحرص على أن تتلقى نسخة من الكتالوج، إلى جانب دعوة لحضور المزاد. ولعلنى أضيف أننى سررت كثيرًا بمساعدة

جدك الكريم على تكوين مجموعته الرائعة".

كرر دانى: "مجموعته الرائعة؟".

"إن أحببت أن تضيف إلى تلك المجموعة أو فى الواقع أن تبيع أى جزء منها سيكون من دواعى سرورى أن أقدم لك خدماتى".

قال دانى: "شكرًا لك، سأكون على اتصال بك". غادر دار سوذبيز دون كلمة أخرى - لم يجازف بسؤال بلاندل أية أسئلة من المنتظر أن يعرف هو إجاباتها. ولكن هل من سبيل آخر للوصول إلى المجموعة الرائعة للسير آلكسندر؟".

ما إن عاد دانى من جديد إلى شارع بوند حتى تمنى لو أنه كان قد قبل العرض الأول من بريندرجاست، لأنه حتى ولو بلغ ثمن المظروف ستة آلاف، لن تكون كافية لأن تغطى نفقات المعركة القانونية الممتدة مع هوجو مونكريف، وحتى لو تمت تسوية الدعوى قبل أن تنفد مدخراته المالية، لابد أن يكون معه ما يكفى من المال لمواصلة العيش لبضعة أسابيع أخرى حتى يتمكن من العثور على عمل. ولكن لسوء الحظ، لم يكن السير نيكولاس مونكريف مؤهلاً للعمل بورشة سيارات تقع فى ويست إند والحق أن دانى قد بدأ يتساءل ما هو العمل الذى كان مؤهلا له.

سار دانى على طول شارع بوند حتى شارع بيكاديلى. فكر فى المجموعة الرائعة، إن كانت حقًا كذلك، وحسب تعبير بلاندل: "المجموعة الرائعة لجدك الكريم". لم يلاحظ دانى أن هناك شخصًا يتتبعه، وهذا لأنه شخص محترف.

⊸○⊷

تناول هوجو سماعة الهاتف.

"لقد غادر لتوه دار سوذبيز للمزادات ويقف بمحطة حافلات فى شارع بيكاديلى".

قال هوجو: "إذن فلابد أن ماله بدأ ينفد، لماذا ذهب إلى هناك؟".

"ترك مظروفا للسيد بلاندل، رئيس قسم طوابع البريد النادرة. إنه يستعد لمزاد وشيك بعد ستة أسابيع".

سأل هوجو: "ماذا كان على المظروف؟".

"طابع بريد صدر بمناسبة دورة الألعاب الأوليمبية الأولى، والذى ثمنه بلاندل بما بين الألفين وألفين وخمسمائة جنيه".

"متى موعد المزاد؟".

"السادس عشر من سبتمبر".

قال هوجو، قبل أن يضع سماعة الهاتف: "إذن فلابد أن أحضر هذا المزاد".

قالت زوجته مارجريت وهى تطوى فوطة الطعام: "هذا مخالف للغاية لرغبات والدك، أن يسمح لطوابعه العزيزة بالنزول إلى المزاد. إلا إذا..".

قال هوجو: "لا أتابعك جيدًا يا عزيزتى، إلا إذا ماذا؟".

"لقد كرس والدك حياته لجمع مجموعة من أهم وأروع طوابع البريد فى العالم كله، وقد اختفت تمامًا عند وفاته، ليس هذا وحسب بل إنه لم يأت على ذكرها فى وصيته. ولكنَّ ما ذكره فى الوصية مفتاح ومظروف، تركهما لنيك".

"مازلت لا أفهم ما تقصدين يا فتاتى العجوز".

قالت مارجريت: "من الواضح أن المفتاح والمظروف مرتبطان على نحو ما".

"ما الذى يدفعك لهذا الاعتقاد؟".

"لأننى لا أظن أن هذا الطابع له أى أهمية".

"ولكن مبلغ ألفى جنيه يعد مبلغًا كبيرًا من المال فى الوقت الحاضر بالنسبة لنيك".

" ولكن ليس لجده. أشك فى أن الاسم والعنوان المكتوبين

على المظروف لهما أهمية، لأنهما سيقودان إلى المجموعة الكاملة".

قال هوجو: "ولكننا مازلنا لا نملك المفتاح".

"لن يكون للمفتاح نفسه إلا أهمية ثانوية إذا استطعت أن تثبت أنك الوريث الشرعى لثروة مونكريف".

⊸○⊷

وثب دانى على متن الحافلة المتجهة نحو شارع نوتنج هيل جيت، آملاً أن يصل فى الوقت المناسب للقاء الشهرى مع مسئولة إطلاق السراح المشروط. لو مرت عشر دقائق أخرى على انتظار الحافلة لاضطر لأن يستقل سيارة أجرة. كانت الآنسة بينيت قد تكتب إليه رسالة تقول إن هناك أمر طرأ له أهميته الخاصة. جعلته تلك العبارة متوترًا، مع أن دانى كان يعلم أنهم لو اكتشفوا أمره فلن يعلم من خلال رسالة بالبريد ترسلها له مسئولة إطلاق السراح المشروط، ولكن سيصحو فى منتصف الليل ليجد المنزل ممتلئًا بأفراد الشرطة.

على الرغم من أنه راح يصير أكثر ثقة يومًا بعد يوم فى شخصيته الجديدة، لم يمر يوم واحد دون أن يذكر نفسه بأنه سجين هارب. أى شىء يمكن أن يقضى عليه: نظرة ثانية مدققة نحوه، ملاحظة يساء فهمها، سؤال اعتيادى لا يعرف إجابته. من كان ناظر مدرستك فى لوريتو؟ ما المدرسة التى ارتدتها فى ساندهيرست؟ ما فريق الرجبى الذى تشجعه؟

نزل من على الحافلة العامة رجلان عندما توقفت فى شارع نوتنج هيل جيت. شرع واحد منهما يهرول بسرعة نحو مكتب متابعة ومراقبة السجناء المحلى؛ وتبعه الآخر عن كثب، لكنه لم يدخل إلى المبنى، ومع أن دانى قد سجل حضوره بالمكتب قبل الموعد المحدد بدقيقتين، إلا أنه اضطر لأن ينتظر عشرين دقيقة أخرى حتى تتفرغ الآنسة بينيت للقائه.

دخل دانى مكتبًا صغيرًا بسيطًا لا يحتوى إلا على منضدة واحدة ومقعدين، بلا ستائر، وسجادة بالية تم شراؤها من أسواق البضائع المستعملة. لم يكن المكان أفضل كثيرًا من زنزانته فى بيلمارش.

جلست الآنسة بينيت على المقعد البلاستيكى المواجه له وقالت: "كيف حالك يا مونكريف؟". بدون "السير". أو "السيد" ، مونكريف وفقط.

تصرف مثل نيك، فكر مثل دانى وقال "على ما يرام، شكرًا لك، وكيف حالك آنسة بينيت؟".

لم تجب عن سؤاله، قامت بفتح ملف ببساطة كان موضوعًا قبالتها وكشفت عن قائمة من الأسئلة، يجب على أى سجين سابق أن يجيب عنها مرة فى الشهر مادام مازال فى فترة الاختبار. قالت له: "أريد أن أحدث معلوماتى بشأنك لا أكثر، هل أحرزت أى نجاح فى مسألة العثور على عمل؟".

كان دانى قد نسى أن نيك انتوى أن يعود لأسكتلندا ليعمل بالتدريس ما إن يتم إطلاق سراحه من السجن.

أجاب دانى: "كلا، إن تسوية مشكلاتى العائلية تقتضى منى وقتًا أطول مما كنت أتوقعه فى البداية".

كررت الآنسة بينيت: "مشكلات عائلية؟". لم يكن هذا هو الجواب الذى تنتظره. المشكلات العائلية تفسر باعتبارها أزمة وعقبة. "هل تود أن تناقش تلك المشكلات؟".

قال دانى: "لا، أشكرك، أحاول فقط تسوية وصية جدى. لا شىء يستدعى القلق".

أجابت آنسة بينيت بحدة: "دع الحكم لى فى هذا. هل هذا معناه أنك تواجه صعوبات مالية؟".

"لا، يا آنسة بينيت".

عادت إلى قائمة الأسئلة، فسألته: "ألم تجد أى وظيفة حتى الآن؟".

"لا، ولكننى أتوقع أن أكون قادرا على البحث عن وظيفة فى المستقبل القريب".

"فى مجال التدريس حسب ما هو مفترض".

"لنأمل ذلك".

"حسن، إذا ثبتت صعوبة ذلك، فلعلك تفكر فى وظائف أخرى".

"مثل ماذا؟".

"حسن، أرى أنك كنت أمين مكتبة فى السجن".

قال دانى، واثقًا من أنه سيحصل على علامة صح فى هذه الخانة: "سأكون بالطبع مستعدًا للتفكير فى هذا الشأن".

" ألديك مكان لتقيم به فى الوقت الحاضر، أم أنك تقيم فى نزل السجناء غير القادرين".

"لدى مكان أقيم به".

"مع أسرتك؟".

"لا، ليس لدى أسرة".

علامة صح، ثم علامة خطأ، ثم علامة استفهام. واصلت سائلة: "هل تقيم بشقة مستأجرة أم تقيم برفقة أحد الأصدقاء؟".

"بل أعيش فى منزلى الخاص".

بدت الحيرة على الآنسة بينيت. لم يقدم لها أحد مثل هذه الإجابة من قبل. وضعت علامة صح وقالت: "لدى سؤال واحد أخير لك؛ هل وقعت خلال الشهر الماضى تحت إغراء ارتكاب الجريمة نفسها، مثل تلك التى دخلت بسببها السجن؟".

أراد دانى أن يقول لها نعم، لقد وقعت تحت إغراء أن أقتل لورانس دافنبورت، ولكن نيك أجاب: "كلا يا آنسة بينيت لم أتعرض لذلك بالمرة".

"هذا كل ما هنالك حاليًا يا مونكريف. سوف أراك مجددًا فى الشهر القادم. لا تتردد فى الاتصال بى إذا شعرت بأننى

أستطيع مساعدتك على أى نحو خلال هذه الفترة".

قال دانى: "شكرًا لك، لكنك ذكرت فى رسالتك أن هناك شيئًا له أهمية...".

قالت الآنسة بينيت، وهى تغلق الملف: "هل ذكرت هذا؟"، ثم وضعت الملف على مكتبها ثم فتحت مظروفًا وقالت: "آه، أنت على حق تمامًا". ناولته رسالة موجهة إلى ن. أ. مونكريف، القسم التعليمى، سجن بيلمارش. بدأ دانى يقرأ الرسالة الموجهة إلى نيك من لجنة القبول بالجامعات بالمملكة المتحدة ليكتشف ما تعتبره آنسة بينيت له أهمية خاصة.

> نتائج اختباراتك لمواد المستوى الرفيع كانت كالتالى:
>
> دراسات إدارة الأعمال أ *
>
> الرياضيات أ

قفز دانى واقفًا وراح يضرب بقبضته المضمومة فى الهواء كما لو أنه فى آبتون بارك وقد أحرز فريق ويستهام هدف الفوز ضد فريق الآرسنال. لم تعرف آنسة بينيت هل تهنئ مونكريف أم تضغط على الزر أسفل مكتبها لتطلب له الأمن. سألته: "إذا كنت مازلت تنوى أن تحصل على درجة جامعية يا سيد مونكريف فسوف يسعدنى أن أرسل إليك طلب التحاق بالجامعة والحصول على منحة مجانية".

-o-

تفقد هوجو مونكريف كتالوج دار سوذيبيز لوقت طويل. اتفق مع رأى مارجريت، لابد أن المظروف هو القطعة رقم ٣٧ فى الكتالوج: مظروف نادر يعرض أول إصدار لطابع بريدى صدر بمناسبة الاحتفال بافتتاح أول دورة للألعاب الأوليمبية موجه لمؤسسها/ بارون بيير دو كوبرتين، يقدر ثمنه من ٢٢٠٠

إلى ٢٥٠٠ جنيه. قال مقترحًا: "ربما علىّ أن أحضر أحد أيام عرض المقتنيات وألقى نظرة أكثر قربًا؟".

قالت مارجريت فى حزم: "لن تفعل أى شىء من هذا القبيل. فمن شأن هذا أن ينبه نيك وحسب، وقد يكتشف أن المهم ليس هو طابع البريد فى حد ذاته".

"ولكننى إذا ذهبت إلى لندن فى اليوم السابق للمزاد وتبينت العنوان المكتوب على المظروف، فسوف تعرف مكان المجموعة الكاملة، دون أن نهدر مالنا على شراء المظروف نفسه".

"ولكننا عندئذٍ لن يكون لنا الحق فى الحصول على أى شىء".

"لا أظن أننى أفهمك جيدًا يا فتاتى العجوز".

"قد لا نكون نمتلك المفتاح، ولكن إذا ظهرت أنت، الابن الوحيد لأبيك، وبحوزتك المظروف والوصية الجديدة كذلك، فلابد أن تتاح لنا فرصة إقناع أى شخص يحتفظ بالمجموعة كاملة بأنك أنت الوريث الشرعى لها".

"ولكن قد يحضر نيك المزاد".

"إذا لم يكتشف حتى يوم المزاد أن العنوان هو المهم، وليس طابع البريد، فسيكون الأوان قد فات على أن يقوم بأى شىء حيال هذا. فعليك بالشكر على شىء مهم يا هوجو".

"ألا وهو يا فتاتى العجوز".

"أن نيك لا يفكر مثل جده".

فتح دانى الكتالوج مرة أخرى. قلب صفحاته حتى وصل إلى القطعة رقم ٣٧ وراح يدرسها بمزيد من العناية. سره أن يجد وصفًا مفصلاً لمظروفه، ومع ذلك فقد خاب ظنه قليلاً؛ لأنهم لم يضعوا له صورة فوتوغرافية على غرار القطع الأخرى.

بدأ يقرأ شروط المزاد وراعه أن يكتشف أن دار سوذيبيز

تخصم ما قيمته ١٠ بالمائة من سعر الشراء من البائع كما تكلف المشترى ٢٠ بالمائة أخرى كتأمين. إذا انتهى به الحال أن يتسلم ١٨٠٠ جنيه فقط لكان من الأفضل له أن يبيع المظروف إلى ستانلى جيبونز - وهو ما كان سيفعله نيك تمامًا.

أغلق دانى الكتالوج وحول انتباهه إلى الرسالة الوحيدة الأخرى التى تلقاها هذا الصباح: كتيب واستمارة التحاق من جامعة لندن من أجل الالتحاق بإحدى دوراتها الدراسية للحصول على درجة جامعية. أمضى بعض الوقت يدرس الخيارات المتنوعة. وأخيرًا وصل إلى الجزء الخاص بالمنح الدراسية، واعيًا بأنه إذا وفى بوعده لكل من بيث ونيك، فسوف يكون معنى هذا تغييرًا هائلاً فى نمط حياته.

انخفض رصيد نيك الحالى فى البنك إلى ٧١٦ جنيها، دون أى إضافة من أى نوع إلى خانة الإيداع منذ أن تم إطلاق سراحه من السجن. خشى أن تكون أولى تضحياته الاستغناء عن مولى، ففى هذه الحالة سرعان ما سيعود المنزل إلى سيرته الأولى عندما فتح بابه أول مرة.

تجنب دانى الاتصال بالسيد مونرو من أجل طلب تقرير بالتقدم فى معركته القانونية مع العم هوجو، خشية أن هذا لن يسفر إلا عن وصول فاتورة جديدة إليه. اضطجع فى جلسته وراح يفكر فى السبب الذى دفعه لأن يحل محل نيك. أقنعه آل الضخم بأنه إذا ما تمكن من الهرب من السجن فإن كل شىء بعد ذلك ممكن. وسرعان ما اكتشف دانى أن رجلاً مفلسًا يعتمد على نفسه وحسب لا يمكنه أن يتغلب على ثلاثة رجال يحققون نجاحًا مهنيًا عاليًا، حتى ولو كانوا يظنونه ميتا ونسوه من فترة طويلة. فكر فى الخطط التى كان قد بدأ ينفذها، بادئًا بتلك الليلة نفسها وارتياده للعرض الختامى لمسرحية أهمية أن تكون إرنست. الغرض الحقيقى

من هذا سيتحقق بعد إسدال الستار، عندما يحضر حفل ليلة الختام ويتقابل وجهًا لوجه مع لورانس دافنبورت للمرة الأولى.

٤٤

نهض دانى من مقعده وانضم إلى الجمهور الذى وقف معلنًا عن استحسانه وإعجابه، ولم يفعل ذلك فقط لكى لا يبقى من ضمن القلة القليلة التى ظلت جالسة، ولكن لأنه استمتع بالمسرحية فى مشاهدته لها للمرة الثانية أكثر من المرة الأولى، ولكن هذا على الأرجح لأنه أتيحت له فرصة لقراءة النص المكتوب.

كان جالسًا فى الصف الثالث بين أسر وأصدقاء فريق العمل، مما أضاف إليه مزيدًا من السرور. كان مصمم المناظر يجلس إلى أحد جانبيه، وزوجة المنتج تجلس إلى الجانب الآخر، وقد دعواه لينضم إليهما لتناول مشروب خلال الاستراحة التى زيد وقتها. استمع إلى حديث أهل المسرح، ونادرًا ما شعر بثقة كافية ليدلى بدلوه، ولكن هذا لم يبدو مهمًا بالنسبة لهم، فقد كان لدى الجميع رؤى لا تتزحزح حول كل شىء، بداية من جودة أداء دافنبورت وانتهاء بسيطرة المسرحيات الموسيقية على مسرح الويست إند. وبدا أن دانى لا يتقاسم إلا شيئًا واحدًا مع فنانى المسرح: لا أحد منهم يعرف شيئًا عن عمله التالى.

بعد أن قدمت التحية لدافنبورت مرات ومرات، وعاود الدخول إلى خشبة المسرح أكثر من مرة، خرج الجمهور ببطء من المسرح. وبما أنها كانت ليلة صفت فيها السماء، فقد قرر

دانى أن يتمشى حتى دور تشيستر. التمرين مفيد له، وعلى أى حال لم يكن يستطيع أن يتكفل بأجرة التاكسى.

بدأ يسير باتجاه سيرك بيكاديلى، عندما ناداه صوت من ورائه: "سير نيكولاس؟" التفت فرأى مدير شباك التذاكر يلوح له بإحدى يديه، ويمسك بباب سيارة أجرة ليفتحه باليد الأخرى وقال له: "إذا كنت ذاهبًا إلى الحفل فلم لا تنضم إلينا؟".

قال دانى: "بالطبع، شكرا لك". ودخل السيارة فوجد فيها امرأتين شابتين تجلسان بالمقعد الخلفى.

قال مدير شباك التذاكر وهو يفرد أحد المقعدين ويجلس بحيث يواجههما: "أقدم لكم سير نيكولاس مونكريف".

قال دانى وهو يجلس على الكرسى القابل للطى المجاور له: "نيك فقط".

"نيك، هذه خطيبتى شارلوت. إنها تعمل فى مجال الدعم والمعاونة بالمسرح وهذه كاتى، وتعمل كممثلة بديلة. وأنا بول".

سأل نيك كاتى: "أى دور فى المسرحية كنت بديلة له؟".

"أنا بديلة للممثلة إيف بيست، والتى تلعب دور جويندولين".

قال دانى: "لكنك لم تلعبى الدور الليلة".

أقرت كاتى قائلة وهى تضع ساقًا فوق أخرى: "كلا، والحقيقة أننى لم ألعب الدور إلا مرة واحدة خلال فترة عرض العمل بكاملها. كان قد عرض فى أول المساء عندما كان لدى إيف موعد مع إذاعة البى بى سى".

سأل دانى: "هل هذا مخيب للأمل نوعًا ما؟".

"هو كذلك دون شك، ولكنه أفضل من الجلوس بلا عمل".

قال بول: "يعيش كل ممثل بديل على أمل أن يتم اكتشافه عندما يصاب الممثل الرئيسى بتوعك ما. قام لارى أوليفر بتمثيل دور ألبرت فينى عندما كان يلعب دور كوريولانوس فى

ستراتفورد، وأصبح لارى أوليفر نجمًا بين عشية وضحاها".

قالت كاتى وهى تحمل شعورًا خاصًا: "حسنًا، لم يحدث هذا معى ذلك الأصيل عندما وقفت على خشبة المسرح. وماذا عنك أنت يا نيك، ما عملك؟".

لم يجد دانى جوابًا على الفور، من ناحية لأن أحدًا لم يطرح عليه هذا السؤال عدا مسئولة المراقبة الخاصة به. فقال: "كنت مجندًا فى الجيش".

قالت شارلوت: "أخى جندى بالجيش، أنا قلقة لأنه قد يرسل إلى العراق. هل سبق لك أن خدمت هناك؟".

حاول دانى أن يتذكر صفحات يوميات نيك التى تتعلق بهذا الأمر وأجاب: "مرتين، ولكن ذلك كان منذ فترة طويلة".

عندما توقفت السيارة الأجرة أمام دورتشيستر ابتسمت كاتى نحو دانى ابتسامة موحية. كان يتذكر بوضوح المرة الأخيرة التى نظرت إليه امرأة هذه النظرة الموحية.

كان دانى آخر من نزل من السيارة الأجرة. وجد نفسه يقول: "دعنى أدفع ذلك". وهو يتوقع أن يكون جواب بول هو: كلا بالطبع.

قال بول: "شكرًا لك يا نيك". وهو يدخل بصحبة شارلوت إلى الفندق الفخم. أخرج دانى محفظته وأخرج منها عشرة جنيهات أخرى يشق عليه أن ينفقها - شىء واحد تأكد له الآن، عليه أن يعود للمنزل هذه الليلة سيرا على القدمين.

تباطأت كاتى عن الدخول وانتظرت نيك لينضم إليها وقالت له وهما يدخلان معًا إلى الفندق:" يقول بول إن هذه هى المرة الثانية التى تشاهد فيها العرض".

قال دانى مبتسمًا: "لقد جئت الليلة على أمل أن تلعب الممثلة البديلة دور جويندولين".

ابتسمت وقبلت وجنته. وهو شىء لم يجربه دانى منذ زمن طويل وقالت له وهى تمسك بيده وتقوده إلى داخل قاعة

الاحتفال "أنت شخص لطيف يا نيك".

سألها دانى، وهو يكاد يصيح من فرط الضجة والضوضاء: "إذن فما محطتك الفنية التالية؟".

"ثلاثة شهور من العروض الخفيفة مع شركة سياحة إنجليزية".

"ممثلة بديلة مرة أخرى؟".

"لا، إنهم لا يستطيعون تحمل نفقة ممثلين بدلاء فى الرحلات الفنية. إذا ما تغيب أى ممثل، فإن بائع البرنامج يحل محله، وهكذا ستكون هذه هى فرصتى فى الوقوف على خشبة المسرح، وفرصتك أنت أيضا لتأتى وترانى".

سألها دانى: "أين ستقدمون عروضكم الخفيفة؟".

"لك حرية الاختيار - نيوكاسل أو شيفيلد أو برمنجهام أو كامبريدج أو بروملى".

قال دانى وأحد الندل يقدم لهم شرابًا ثمينًا: "أعتقد أننى سآتى إلى عرض بروملى".

راح ينظر هنا وهناك فى القاعة المزدحمة بالناس. بدا وكأن الجميع يتحدثون معًا فى الوقت نفسه. وهؤلاء الذين لم يكونوا من المتحدثين راحوا يتجرعون الشراب، والآخرون يتنقلون من شخص إلى آخر، على أمل أن يجذبوا انتباه المخرجين والمنتجين أو حتى الوكلاء الذين يختارون الممثلين ويوزعون الأدوار، فى بحث لا يهدأ ولا ينتهى عن فرصة عمل تالية.

ترك دانى يد كاتى، وتذكر أنه على عكس هؤلاء الممثلين الباحثين عن دور جديد، فإنه يعرف دوره وهدفه هنا تمام المعرفة. راح يمسح القاعة بعينيه ببطء، بحثًا عن لورانس دافنبورت، لكنه لم يكن هناك أى أثر له. افترض دانى أنه سيشرق على معجبيه فيما بعد.

سألته كاتى، وهى تلتقط كأسًا آخر من نادل يمر بصينية: "هل مللت منى بهذه السرعة؟".

قال دانى بلهجة غير مقنعة: "كلا". وانضم إليهما شاب حديث السن.

قال الشاب: "مرحبا كاتى". وطبع قبلة على وجنتها وسألها. "هل حصلت على فرصة عمل أخرى أم أنك ستخلدين للراحة؟".

تناول دانى قطعة نقانق من صينية أخرى مرت بهم، وتذكر أنه لن يكون لديه أى شئ آخر يأكله هذه الليلة، ومن جديد نظر حوله فى أرجاء القاعة مفتشًا عن دافنبورت. وقعت عيناه على رجل آخر كان لابد وأن يدرك أنه سيكون حاضرًا هنا هذا المساء. كان يقف بمركز القاعة يتجاذب أطراف الحديث مع فتاتين هائمتين بكل كلمة ينطق بها. لم يكن طويلاً كما يتذكر دانى من اللقاء الأخير بينهما، ولكن كان هذا اللقاء حينذاك فى ذلك بالزقاق المسدود، وكان همه الوحيد هو إنقاذ حياة بيرنى.

قرر دانى أن يلقى عليه نظرة أكثر قربًا. خطا خطوة باتجاهه، تلتها خطوة أخرى، إلى أن صار على مبعدة أقدام قليلة منه. نظر سبنسر كريج باتجاهه مباشرة. تجمد دانى فى مكانه، غير أنه أدرك بعدها أن كريج كان ينظر إلى ما وراء كتفيه، غالبًا نحو فتاة أخرى.

راح دانى يحدق إلى الرجل الذى قتل أعز أصدقائه وظن أنه أفلت بفعلته تلك. قال دانى بصوت عالٍ بما يكفى ليسمعه كريج إن كان مصغيًا: "لن تفلت مادمت حيًا أرزق". خطا خطوة أخرى للأمام، متشجعًا بلامبالاة نحو سبنسر كريج، وخطوة أخرى، وهنا استدار أحد الرجال الواقفين مع كريج، على نحو غريزى عندما شعر باقتراب دانى وراء ظهره أكثر من اللازم. تقابل دانى لحظتها وجهًا لوجه مع جيرالد بين، الذى زاد وزنه بمقدار كبير منذ المحاكمة ومرت بضع ثوانٍ قبل أن يتعرف دانى على شخصيته. أولاه بين ظهره من جديد، لامبالٍ بذلك

الغريب. حتى عندما كان دانى يقف بقفص الاتهام، لم يهتم بالنظر نحوه – لا شك أن هذا كان جزءًا من مخطط كريج ونصحهم بتبنيه.

تناول دانى فطائر السلمون المدخن بينما كان ينصت إلى محادثة كريج مع الفتاتين. كان يلقى على مسامعهما سطرًا تدرب عليه كثيرًا من قبل حول أن قاعة المحكمة هى أقرب إلى خشبة المسرح، عدا أن المرء لا يعرف أبدًا متى ينزل الستار، وضحكت الفتاتان على سبيل المجاملة.

قال دانى بصوت مسموع: "هذا صحيح تمامًا"... نظر كل من كريج وبين إليه، ولكن دون أن يظهر عليهما أنهما تعرفا عليه بأى حال من الأحوال على الرغم من أنهما قد رأياه قبل عامين يقف فى قفص الاتهام، ولكن فى ذلك الوقت كان شعره أقصر كثيرًا، ولم يكن يحلق ذقنه وكان يرتدى ملابس السجن. وعلى أى حال، لم يتوجب عليهما أن يشغلا ذهنيهما بالمدعو دانى كارترايت؟ فقد مات ودفن وانتهى الأمر.

"كيف تمضى وقتك يا نيك؟" استدار دانى فوجد بول يقف إلى جواره.

قال دانى: "على أفضل ما يرام، أشكرك. أفضل مما توقعت". اتخذ دانى مكانًا قريبًا من كريج وبين بحيث يمكنهما سماع صوته، ولكن بدا أنه ما من شىء بقادر على إبعادهما عن حديثهما مع الفتاتين.

ثارت نوبة من التصفيق والهتاف فى أرجاء الغرفة، والتفتت كل الرءوس متطلعة نحو لورانس دافنبورت وهو يتجلى عليهم. راح يبستم ويلوح بيديه وكأنه أحد أفراد العائلة الملكية يزورهم، وكان يشق سبيله متباطئًا، متلقيًا الثناء والتصفيق مع كل خطوة يخطوها. تذكر دانى المقولة الآسرة للكاتب سكوت فيتزجيرالد: بينما كان الممثل يرقص، لم ير حوله أى مرايا ليرى صورته فيها، لذا فقد انحنى للخلف ليتأمل صورته

معجبًا فى ثريات السقف.

لاحظ بول أن عينى دانى لم ترفعا عن دافنبورت، فسأله: "هل تود أن تلتقى به؟".

قال دانى، بدافع الفضول ليكتشف إن كان الممثل سيعامله بالقدر نفسه من اللامبالاة كما فعل زميلاه من جماعة الفرسان: "نعم، أود ذلك".

"اتبعنى إذن". راحا يتقدمان ببطء خلال القاعة المزدحمة بالناس، ولكن قبل أن يصلا إلى دافنبورت، توقف دانى فجأة وراح يحدق نحو المرأة التى كان الممثل اللامع يتحدث إليها، والتى كان يعاملها بألفة وحميمية تامة.

قال دانى: "يا له من حسن باهر!".

وافقه بول قائلاً: "صحيح، حسنه واضح كالشمس". وقبل أن يتمكن دانى من تصحيح مراده، قال بول: "لارى، أريدك أن تلتقى بصديق لى، نيك مونكريف".

لم يهتم لارى بمصافحة دانى؛ كان مجرد وجه آخر فى هذا البحر المتلاطم من الوجوه. ابتسم دانى لفتاة دافنبورت.

قالت له: "مرحبًا أنا سارة".

أجابها: "نيك، نيك مونكريف. لابد وأنك ممثلة".

"كلا، أعمل فى مهنة أقل لمعانًا بكثير، أنا محامية".

قال دانى: "لا تظهرين بمظهر محامية". لم تجبه سارة. كان واضحا أنها سمعت هذا الإطراء كثيرًا من قبل.

سألته: "وهل أنت ممثل؟".

أجاب دانى: "سأكون ما تريدين منى أن أكونه". وهذه المرة أسفر وجهها عن ابتسامة.

قال شاب آخر، وهو وضع يده حول خصرها: "مرحبًا سارة؛ "أنت بدون خلاف أروع امرأة فى المكان". ثم قبَّل وجنتيها.

ضحكت سارة قائلة: "هذا إطراء جميل يا تشارلى، لولا أننى أعرف أنك معجب بأخى وليس بى".

قال دانى فى غير تصديق: "هل أنت شقيقة لورانس دافنبورت؟".

فقالت سارة: "لابد وأن يلعب أحدهم هذا الدور، ولكننى تعلمت أن أتعايش مع دورى كشقيقة للنجم الكبير".

قال تشارلى وهو يبتسم لدانى بإعجاب: "وماذا عن صديقك؟".

قالت سارة: "لا أظن ذلك، نيك، هذا تشارلى دانكان، منتج المسرحية".

قال تشارلى: "ياللأسف!"، ووجه انتباهه للشباب المحيطين بدافنبورت.

قالت سارة: "أظنه معجبًا بك".

"ولكننى... لست ...".

قالت سارة مبتسمة: "لقد تبينت هذا لتوى".

واصل دانى مغازلة سارة، مدركًا أنه لن يكون عليه ملاحقة دافنبورت مادامت أخته ستخبره بلا ريب بكل شىء يحتاج لمعرفته.

شرع دانى يقول: "ربما نستطيع أن.."، وهنا قاطعه صوت آخر يقول: "مرحبًا يا سارة، كنت أتساءل إن..".

قالت سارة فى جفاء وبرود: "مرحبًا يا سبنسر. هل تعرف نيك مونكريف؟".

أجابها: "كلا"، وبعد مصافحة سريعة وسطحية، تابع حديثه مع سارة: "كنت على وشك أن أخبر لارى عن مدى روعة أدائه الليلة عندما رأيتك".

قالت سارة: "والآن إنها فرصتك، لتخبره بما تريد".

"ولكننى وددت أيضًا أن أتجاذب معك أطراف الحديث".

قالت سارة وهى تتفقد ساعة يدها: "لقد كنت على وشك الرحيل".

"لكن الحفل بدأ للتو، ألا يمكنك أن تبقى قليلاً؟".

"أخشى أننى لا أستطيع يا سبنسر. لابد أن أراجع بعض الأوراق المهمة قبل أن أقدم نصيحتى القانونية غدًا".

"كل ما هنالك أننى كنت آمل أن..".

"مثل ما كنت تأمله فى لقائنا الأخير".

أعتقد أننى كنت سيئًا فى المرة الأخيرة.

"لقد كنا جميعًا كذلك". وأدارت له ظهرها.

قالت سارة لدانى: "آسفة بهذا الشأن يا نيك، لا يلحظ بعض الرجال حتى يكون معنى الكلام هو لا، فى حين آخرين...". ومنحته ابتسامة عذبة وقالت: "أتمنى أن أراك مجددًا".

شرع دانى يقول: "ولكن كيف لى أن...". ولكن سارة كانت بالفعل فى منتصف قاعة الاحتفال؛ إنها من نوعية النساء اللاتى يفترضن أنه إذا أراد رجل أن يعثر عليها فسوف يعثر عليها. استدار دانى فوجد كريج ينظر نحوه نظرة أكثر قربًا.

قال دافنبورت: "سبنسر، كم هو لطيف منك أن تأتى، هل كان أدائى على ما يرام الليلة؟".

قال كريج: "فى أفضل حالاتك".

رأى دانى أن الوقت قد حان ليغادر. لم يعد محتاجًا لأن يتحدث إلى دافنبورت، وشأنه شأن سارة كان لديه غدًا لقاء عليه أن يستعد له. كان ينوى أن يكون فى غاية اليقظة والانتباه عندما ينادى رجل المزاد على القطعة رقم ٣٧.

"مرحبًا أيها الغريب، أين اختفيت؟".

قال دانى: "التقيت بعدو قديم، وأنت؟".

قالت كاتى: "إنهم الأشخاص المعتادون دائمًا، لقد مللت هذا الحفل. وماذا عنك أنت؟".

"كنت على وشك المغادرة".

قالت وهى تتناول يده: "فكرة نيرة. لمَ لا نقفز عن السفينة معا؟".

سارا خلال قاعة الاحتفال وتوجها نحو الأبواب الدوارة. ما

إن خرجت كاتى على الرصيف حتى أوقفت سيارة أجرة.

سأل السائق: "إلى أين يا آنستى؟".

سألت كاتى نيك: "إلى أين سنذهب؟".

" ١٢ شارع بولتونز".

قال السائق: "أمرك مطاع يا سيدى!"، مما أعاد لدانى ذكريات السجن البائسة.

لم يكد دانى يتخذ مجلسه فى المقعد حتى أحس بيدها تمتد نحو جسده، ولفت ذراعها حول رقبته، وجذبته نحوها.

قالت : "سئمت من لعب دور البديلة، سوف ألعب الدور الرئيسى على سبيل التغيير". مالت نحوه وبادرت بتقبيله.

عندما توقفت السيارة الأجرة أمام منزل نيك، كانت الملابس على وشك أن تقع عنهما. خرجت كاتى واثبة من السيارة الأجرة وركضت نحو باب المنزل بينما حاسب دانى سائق سيارة الأجرة للمرة الثانية هذه الليلة.

قال له السائق: "ليت الشباب يعود يومًا!".

ضحك دانى وانضم لكاتى عند الباب الأمامى. اقتضى منه بعض الوقت حتى أدخل المفتاح فى ثقب الباب، وبينما يتخبطان فى الردهة الداخلية راحت تجذب عنه سترته. تركا خلفهما خطًا من قطع الثياب المتناثرة من الباب الأمامى وحتى غرفة النوم. جذبته إلى الفراش وارتمت معه عليه. وهو أمر آخر لم يجربه دانى منذ زمن طويل.

٤٥

وثب دانى نازلاً من على الحافلة وبدأ يسير نحو شارع بوند. رأى من بعيد راية زرقاء ترفرف فى الهواء، وتعرض بوضوح، اسم دار سوذيبيز الأسطورة، بحروف مذهبة.

لم يسبق لدانى أن حضر مزادًا من قبل، وكان قد بدأ يتمنى لو أنه تمكن من حضور مزادا أو اثنين قبل أن يتعرف على هذا العالم للمرة الأولى. قدم له ضابط فى زى رسمى تحية عند الباب بينما يدخل، كما لو أنه كان واحدًا من الزبائن الذين يفكرون فى دفع بضعة ملايين على لوحة مجهولة من المدرسة الانطباعية.

سأل دانى المرأة التى تقف وراء مكتب الاستقبال: "أين يعقد مزاد طوابع البريد؟".

قالت وهى تشير: "أعلى الدرج، فى الطابق الأول. ستجده بكل سهولة. هل تريد إشارة ؟" لم يعرف دانى ماذا تقصد على وجه التحديد . فسألته: "إشارة لتستخدمها عند المزايدة على مقتنى ما من المقتنيات، فهل ستزايد؟".

قال دانى: "كلا، سوف أجنى مالاً على ما أتمنى".

صعد دانى الدرج ودخل إلى قاعة كبيرة قوية الإضاءة، فوجد حوالى عشرة أشخاص يتوزعون فى المكان. لم يكن متأكدًا إن كان موجودًا فى المكان الصحيح حتى رأى السيد

بلاندل يتحدث إلى رجل يرتدى ثياب عمل خضراء أنيقة. امتلأت القاعة بصفوف وصفوف من المقاعد، غير أن قليلاً منها كان مشغولاً بالفعل. عند الصدارة حيث وقف بلاندل كانت هناك منصة عالية مصقولة تمامًا ودائرية، ومنها سيدار المزاد كما افترض دانى، وخلفها على الجدار كانت هناك شاشة كبيرة تظهر أسعار التحويل لعملات مختلفة، وهكذا يمكن لأى مزايد من خارج البلاد أن يعرف كم سيدفع فى أى قطعة بعملته المحلية، بينما على الجانب الأيمن من القاعة وضع صف من الهواتف البيضاء على مسافات متوافقة فوق منضدة طويلة.

بقى دانى فى مؤخرة القاعة بينما توافد المزيد من الناس إليها واتخذوا أماكنهم. قرر أن يجلس فى الركن البعيد من الصف الخلفى، بحيث يمكنه أن يراقب جميع هؤلاء الذين سوف يزايدون، بالإضافة إلى مدير المزاد. شعر وكأنه مراقب أكثر منه مشاركًا، وراح يتصفح الكاتالوج، على الرغم من أنه قرأه مرات عديدة. لم يكن يهتم اهتمامًا حقيقيًا إلا بالقطعة رقم ٣٧، غير أنه لاحظ القطعة رقم ٣٦، وهو طابع ينتمى إلى رأس الرجاء الصالح يعود تاريخه لعام ١٨٦١ بقيمة أربعة بنسات حمراء، وقيمته المبدئية أربعون ألف جنيه وأعلى سعر له ستون ألفًا، مما يجعله القطعة الأعلى سعرًا فى المزاد كله.

تطلع دانى ببصره فرأى السيد بريندرجاست من متجر ستانلى جيبونز وهو يدخل إلى القاعة وينضم إلى مجموعة صغيرة من تجار الطوابع القديمة ممن أخذوا يتهامسون فيما بينهم فى نهاية القاعة.

أخذ دانى يسترخى بينما توافد المزيد والمزيد من الناس وهم يحملون إشارات المزايدة بأيديهم ويجلسون فى مقاعدهم. تفقد ساعة يده - أو الساعة التى أهداها جد نيك إليه فى عيد ميلاده الواحد والعشرين - فوجدها تشير للعاشرة إلى عشر

دقائق. لم يستطع منع نفسه من أن يلحظ رجلاً ضخم الجثة يدخل إلى القاعة، وهو يحمل بيده اليمنى سيجارًا كبيرًا غير مشتعل. شق طريقه ببطء فى الممر، بين صفى المقاعد، قبل أن يجلس على مقعد فى طرف الصف الخامس كان واضحًا أنه قد تم حجزه له خصيصًا.

عندما رأى بلاندل ذلك الرجل - ولا يمكن أن يغفل أحد عن رؤيته - ترك المجموعة التى كان معها، وتوجه نحوه ليقدم له التحية. وما أدهش دانى أن كلاً منهما التفت نحوه ونظر إليه. رفع بلاندل كتالوجه نحو دانى بالتحية، فأومأ له دانى برأسه. وابتسم الرجل ذو السيجار كما لو أنه تعرف على دانى، ثم واصل حديثه مع مدير المزاد السيد بلاندل.

سرعان ما بدأت المقاعد تمتلئ بالزبائن الموسميين قبل أن يظهر السيد بلاندل عند صدارة القاعة بدقائق. اعتلى الدرجات العشر للمنصة العالية، وابتسم نحو زبائنه المحتملين، ثم ملأ كوبًا بالماء قبل أن يتفقد ساعة الحائط. دق برفق على الميكروفون وقال: "طاب صباحكم أيها السيدات والسادة، ومرحبًا بكم فى مزادنا نصف السنوى للطوابع البريدية النادرة. القطعة رقم واحد". وهنا ظهرت على شاشة إلى جواره صورة مكبرة لطابع البريد الذى فى الكتالوج.

"نبدأ مزادنا اليوم بطابع من فئة البنس الأسود، يرجع تاريخه إلى ١٨٤١، فى حالة ممتازة تقريبًا. هل أرى مزايدة افتتاحية بمبلغ ألف جنيه؟". رفع أحد التجار من مجموعة بريندرجاست الصغيرة الواقفين فى المؤخرة إشارته وقال: "كانت الاستجابة الفورية من مزايد فى الصف الثالث، والذى انتهى إلى شراء الطابع بعد ست مزايدات أخرى، بسعر ١٨٠٠ جنيه.

سر دانى لأن طابعًا من نوع البنس الأسود قد بيع بأكثر من سعر الافتتاح المقدر له بكثير، ولكن كلما عرضت قطعة

جديدة تحت مطرقة المزايدة، فإن الأسعار التى كانت تصل إليها متقلبة ومتعارضة. فلم يكن يبدو أن هناك سببًا، بالنسبة لدانى، يجعل بعض القطع تتجاوز السعر الأقصى المحدد لها، فى حين تخفق أخرى فى الوصول إلى السعر المبدئى للشراء، وعندئذٍ يقول مدير المزاد بهدوء: "لا بيع". لم يرغب دانى حتى فى أن يفكر فى العواقب المترتبة على أن يقول بلاندل "لا بيع" بالنسبة للقطعة رقم ٣٧.

من وقت لآخر كان دانى يختلس النظر إلى الرجل ذى السيجار، ولكن لم يبد أن هناك أية علامة على أنه مهتم بالمزايدة على أى من تلك القطع التى عرضت مبكرًا. وتمنى دانى أن يكون اهتمامه منصبًا على مظروف دو كوبرتين، وإلا فلِمَ أشار له بلاندل نحو دانى؟

عندما وصل مدير المزاد إلى القطعة رقم ٣٥، وهى مجموعة من طوابع الكومونويلث والتى بيعت فى أقل من ثلاثين ثانية مقابل ألف جنيه، وأصبح دانى أكثر توترًا. القطعة رقم ٣٦ أحدثت جلبة كبيرة، مما جعل دانى يتفقد كتالوجه من جديد: طابع رأس الرجاء الصالح، بتاريخ ١٨٦١، فئة الأربعة بنسات الحمراء، وهو واحد من ستة طوابع فقط معروفة فى العالم كله.

افتتح بلاندل المزاد عليه بسعر مبدئى ٣٠ ألفًا، وبعد أن خرج من السباق بعض التجار وقليل من جامعى الطوابع الثانويين، ظهر أن المزايدين الوحيدين المتبقيين هما الرجل ذو السيجار وشخص آخر مجهول كان يزايد من خلال الهاتف. راح دانى يراقب الرجل ذا السيجار بتركيز. لم يبد عليه أى إشارة على أنه كان يزايد على القطعة، ولكن عندما تلقى بلاندل أخيرا هزة رأس علامة على النفى من عاملة الهاتف، التفت نحوه وقال: "بيع للسيد هانساكر مقابل خمسة وسبعين ألف جنيه". ابتسم الرجل وأخرج السيجار من فمه.

كان دانى مستغرقًا تمامًا فى حرب المزايدة التى تجرى أمامه حتى إنه بوغت عندما أعلن بلاندل قائلاً: "القطعة رقم سبعة وثلاثين، وهو مظروف فريد من نوعه يحمل الإصدار الأول لطابع صدر عام ١٨٩٦، وقد صدر عن الحكومة الفرنسية احتفالاً بافتتاح أول دورة للألعاب الأوليمبية الحديثة. والمظروف موجه إلى مؤسس الدورة الحديثة وهو البارون بيير دو كوبريتن. هل نفتح المزاد بسعر مبدئى ألف جنيه؟" خاب أمل دانى عندما افتتح بلاندل المزاد بهذا الرقم المنخفض، إلا أنه رأى الكثير من الإشارات ترتفع فى أرجاء القاعة.

قال كثيرون: "وخمسمائة؟".

وقال عدد أقل: "ألفان؟".

فقال السيد هانساكر الذى أبقى السيجار غير المشتعل فى فمه: "ألفان وخمسمائة؟".

"ثلاثة آلاف". مد دانى عنقه وراح ينظر فى أرجاء القاعة، غير أنه لم ير من أين أتت تلك المزايدة الأخيرة.

"ثلاثة آلاف وخمسمائة". وبقى السيجار غير المشتعل فى فمه.

"أربعة آلاف. أربعة آلاف وخمسمائة. خمسة آلاف. خمسة آلاف وخمسمائة. ستة آلاف". وهنا أخرج السيد هانساكر السيجار من فمه تجهم مقطبًا جبينه.

قال مدير المزاد وهو يدق بمطرقته على المنصة: "بيع، للسيد النبيل الجالس فى الصف الأمامى، مقابل ستة آلاف جنيه".

"القطعة الثامنة والثلاثين، وهى مثال نادر على ...".

حاول دانى أن يرى من كان يجلس بالصف الأمامى، لكنه لم يتبين أى واحد من الجالسين به اشترى مظروفه. أراد أن يشكرهم لمضاعفتهم أعلى سعر مقدر للمظروف ليصل لثلاثة. أحس بتربيتة على كتفه، التفت فرأى الرجل ذا السيجار ينحنى نحوه.

قال الرجل بصوت عال كصوت مدير المزاد تقريبًا: "اسمى جين هانساكر، هل تود أن تتناول قدح قهوة معى يا سير نيكولاس، فقد تكون هناك اهتمامات مشتركة بيننا نحتاج لمناقشتها. أنا أمريكى الجنسية، من ولاية تكساس". مصافحًا دانى، ثم أضاف بينما يغادران القاعة ويهبطان الدرج معًا: "ولعل هذا لن يدهشك بما أننا التقينا فى واشنطون. كان لى الشرف أن أعرف جدك". لم ينطق دانى بكلمة. لا تبادر بالكلام إلا بعد أن تعرف موطئ قدمك، هكذا تعلم منذ أن بدأ يلعب دور نيك. عندما وصلا إلى الطابق الأرضى، قاده هانساكر إلى داخل مطعم وتوجها إلى مجلس به مقعد وكأنه هو أيضًا كان مخصصًا له.

قال لنادلة مارة: "اثنان قهوة سادة". دون أن يعرض على دانى حق الاختيار وقال متوجهًا لدانى:". والآن يا سير نيكولاس أنا حائر".

تحدث دانى للمرة الأولى وقال متعجبًا: "حائر؟!".

"إننى أتساءل عما جعلك تضع مظروف بايرون دو كوبرتين فى المزاد العلنى، ثم تسمح لعمك بأن يزايد عليه. إلا إذا كنتما متعاونين معًا، على أمل أن تجعلانى أرفع السعر".

قال دانى، منتقيًا كلماته بعناية: "ليس هناك أى اتصال متبادل بينى وبين عمى".

فقال هانساكر: "هذا أمر تشترك فيه مع جدك".

سأل دانى: "أكنت صديقًا لجدى؟".

قال التكساسى: "صديقًا ستكون كلمة فيها جرأة من جانبى. لقد كنت تلميذًا ومريدًا له، هذا هو التعبير الأقرب لواقع الحال. لقد تغلب علىَّ ذات مرة فى الحصول على طابع نادر فئة بنسين أزرق حوالى عام ١٩٧٧ عندما كنت لا أزال جامعًا مبتدئًا للطوابع النادرة، لكننى سرعان ما تعلمت منه، وللأمانة فقد كان معلمًا سخيًا. دائمًا ما يكتبون عنى فى الصحف أننى

أمتلك أفخر وأهم مجموعة من الطوابع النادرة على وجه الأرض، لكن هذا مناف للحقيقة.فهذا الشرف لا يمكن أن ينسب إلا لجدك وحده". احتسى هانساكر رشفة من قهوته قبل أن يضيف قائلا: "قبل سنوات عديدة أسر لى أنه سوف يترك مجموعته لحفيده الوحيد، وليس لواحد من ابنيه".

قال دانى: "لقد توفى والدى".

بدا هانساكر مندهشًا. "أعلم هذا - فقد حضرت الجنازة. أعتقدت أنك رأيتنى هناك".

قال دانى بسرعة: "لقد رأيتك" وتذكر وصف الأمريكى ضخم الجثة فى دفتر يوميات نيك. وأضاف بسرعة: "لكنهم لم يسمحوا لى بالتحدث إلا للمحامى الخاص بى".

قال هانساكر: "نعم، إنى أعلم، ولكننى نجحت فى الحديث مع عمك، وأعلمته أننى موجود فى سوق الطوابع النادرة فى حالة إن أردت أن تعرض المجموعة للبيع فى أى وقت. ووعدنى أن يبقى على اتصال بى. وعندئذ أدركت أنه لم يرث المجموعة، وأنه لابد وأن جدك قد وفى بوعده وترك المجموعة لك أنت. وهكذا عندما اتصل بى السيد بلاندل هاتفيًا ليبلغنى بأنك ستضع مظروف دو كوبرتين فى المزاد، جئت بالطائرة على الفور على أمل أننا قد نلتقى".

أقر دانى قائلاً: "إننى حتى لا أعلم أين توجد مجموعة الطوابع النادرة".

قال التكساسى: "لعل هذا يفسر سبب استعداد هوجو لأن يدفع كل هذا المبلغ مقابل مظروفك، فهو لا يهتم أدنى اهتمام بالطوابع. ها هو الآن". وأشار هانساكر بسيجاره إلى رجل يقف لدى مكتب الاستقبال، إذن فهذا هو العم هوجو، هكذا فكر دانى، مدققًا النظر فيه. لم يسعه إلا أن يتساءل لماذا يحتاج المظروف إلى حد استعداده لأن يدفع فيه ثلاثة أضعاف أعلى سعر مقدر له. راقب دانى هوجو بينما يحرر شيكًا ويعطيه للسيد بلاندل،

والذى ناوله بدوره المظروف.

غمغم دانى وهو ينهض من مكانه: "يالك من أحمق".

سأله هانساكر، وكاد السيجار يسقط من فمه: "ماذا قلت؟".

قال دانى بسرعة: "أقصدنى أنا وليس أنت. لقد كان الأمر واضحًا أمام عينى كالشمس طوال الشهرين الماضيين. إنه العنوان هو ما يسعى وراءه، وليس المظروف نفسه، لأن العنوان يكشف عن المكان الذى حفظ فيه السيرآلكسندر المجموعة".

بدا جين هانساكر أكثر حيرة وارتباكًا، فلم يتحدث نيك عن جده بلقب السير آلكسندر؟".

"علىّ أن أذهب يا سيد هانساكر، أعتذر لك. ما كان ينبغى علىَّ أبدًا أن أبيع المظروف من الأساس".

قال هانساكر، مخرجًا محفظته من الجيب الداخلى: "أتمنى لو أننى أعرف ما الذى تتحدث بشأنه". قدم لدانى بطاقة تعريفه. "إذا ما قررت أن تبيع المجموعة فعلى الأقل دعنى أقدم لك أول عرض لشرائها، فسوف أقدم لك سعرًا منصفًا بدون خصم عشرة بالمائة من سعر البيع كما يحدث فى المزادات".

قال دانى مبتسمًا: "وكذلك بدون إضافة عشرين بالمائة كتأمين إلى سعر الشراء كما يحدث فى المزادات".

قال جين: "هذا الشبل من ذاك الأسد. لقد كان جدك سيدًا نبيلاً يتمتع بالذكاء وسعة الحيلة، على عكس عمك هوجو، كما تدرك بلا شك".

قال دانى، وهو يضع البطاقة فى محفظة نيك: "إلى اللقاء يا سيد هانساكر".. لم يرفع عينيه عن هوجو مونكريف، الذى كان قد وضع المظروف فى حقيبة أوراقه. سار نحو بهو الاستقبال، حيث انضم إلى امرأة لم يلحظ دانى وجودها قبل هذه اللحظة. علقت ذراعها فى ذراعه وغادر الاثنان المبنى فى عجلة.

انتظر دانى بضع ثوانٍ قبل أن يتبعهما، وما إن خرج إلى شارع بوند، راح ينظر جهةَ اليمين وجهة اليسار، وحين رآهما اندهش للمسافة التى كانا قد قطعاها. كان من الواضح أنهما فى عجلة من أمرهما. انحرفا نحو اليمين، بعد أن مرّا على تمثال تشرشل وروزفلت الجالسين على مقعد طويل، ثم اتخذا جهة اليسار فى ألبيمارل وعبرا الشارع وسارا بضع ياردات أخرى قبل أن يختفيا بداخل مبنى فندق براون.

راح دانى يسير قبالة فندق براون لبضع دقائق بينما يوازن بين خياراته. كانا يعلم أنهما إذا ما رأياه، فسوف يعتقدان أنه نيك. دخل الفندق فى حذر، ولكنه لم يجد لهما أى أثر فى بهو الانتظار بالفندق. جلس دانى على أحد المقاعد كان نصف مخفى من وراء عمود، ولكنه يتيح له مع ذلك أن يرى بوضوح المصاعد ومكتب الاستقبال، ولم يول أدنى اهتمام لرجل آخر جلس لتوه على الجانب الآخر من بهو الاستقبال.

انتظر دانى لنصف ساعة أخرى، وبدأ يتساءل إن كان قد فقد أثرهما. كان على وشك النهوض ليستعلم من مكتب الاستقبال عنهما حين فتح باب المصعد، وخطا خارجًا منه السيد هوجو والمرأة يحملان حقيبتى سفر كبيرتين. سارا نحو مكتب الاستقبال، حيث دفعت المرأة الفاتورة قبل أن يغادرا الفندق بسرعة من باب مختلف. هرع دانى للخارج، على الرصيف المقابل، حيث رآهما يركبان سيارة أجرة سوداء اللون. صاح مناديًا على السيارة التالية لها، وقبل أن يغلق خلفه الباب صاح فى السائق: "اتبع هذه السيارة".

وأجابه السائق وهو ينطلق من الموقف: "لقد انتظرت طوال عمرى كى أسمع هذه العبارة من أحدهم".

انعطفت السيارة الأولى نحو اليمين عند نهاية الطريق وشقت طريقها منعطف الهايد بارك، واتخذت نفق السيارات، ثم برومبتون إلى ويستواى.

قال السائق: "يبدو أنهم يقصدون المطار". وبعدها بعشرين دقيقة ثبت أنه كان على صواب.

عندما خرجت عربتا السيارة الأجرة من نفق سيارات هيثرو، قال سائق سيارة الأجرة لدانى: "المدخل الثانى. إذن فلابد أنهم سوف يحلقون إلى مكان ما فى أوروبا". توقفت العربتان أمام المدخل. سجل العداد ٣٤ جنيهًا والنصف، فأعطى دانى للسائق أربعين جنيهًا ولكنه انتظر بداخل السيارة إلى أن غاب السيد هوجو والمرأة بالداخل.

تبعهما إلى الداخل، وراقبهما وهما ينضمان إلى طابور من ركاب الدرجة الفاخرة. كانت الشاشة المعروضة فوق مكتب الاستقبال الذى يتوجهان نحوه مكتوب عليه: بى إيه ٠٧٣٢ جينيف، الساعة ١٣,٥٥.

غمغم دانى من جديد: "ياللحماقة، يالحماقتى". متذكرًا العنوان على المظروف. ولكن فى أى مكان بالتحديد من جينيف؟ نظر نحو ساعة يده. مازال أمامه ما يكفى من الوقت ليشترى تذكرة ويلحق بالطائرة، هرع نحو مكتب البيع الخاص بخطوط الطيران البريطانية، واضطر للانتظار لبعض الوقت قبل أن يصل لأول الطابور.

سأل، محاولاً ألا يبدو يائسًا تمامًا: "هل يمكنك أن تضعينى على الطائرة بى إيه ٠٧٣٢، المتوجهة إلى جينيف؟".

فسألته الموظفة من وراء حاجز بيع التذاكر: "هل لديك أية أمتعة يا سيدى؟".

قال دانى: "لاشىء".

تفقدت كمبيوترها، وقالت "لم يغلقوا أبواب الطائرة بعد، وعليه مازال يمكنك أن تلحق بها. درجة فاخرة أم اقتصادية؟".

فقال دانى: "اقتصادية" راغبًا فى أن يتجنب الجزء الذى سيجلس فيه هوجو والمرأة".

"بجوار النافذة أم الممر؟".

"النافذة؟".

"ستكلفك ٢١٧ جنيهًا يا سيدى".

قال دانى وهو يناولها بطاقة الائتمان: "شكرًا لك".

"هل لى أن أرى جواز سفرك من فضلك؟".

لم يكن لدى دانى جواز سفر فى حياته أبدًا فقال: "جواز سفرى؟".

"نعم يا سيدى، جواز سفرك".

"آه، كلا، لابد أننى تركته بالمنزل".

"أخشى إذن أنك لن تستطيع أن تلحق بتلك الطائرة".

قال دانى: "ياللحماقة، ياللحماقة".

"أستميحك عذرًا؟".

قال دانى: "أنا فى غاية الأسف، أقصدنى أنا وليست أنت". هكذا كرر للمرة الثانية، فابتسمت الموظفة.

استدار دانى وسار ببطء بين الحشود، شاعرا بالعجز. لم يلاحظ هوجو والمرأة وهما يغادران من بوابة كتب فوقها: الرحيل، المسافرون فقط، ولكنّ شخصًا آخر سواه لاحظ ذلك، والذى كان يراقبهم ويراقب دانى أيضًا بكل يقظة.

٥

ضغط هوجو زر الرد فى هاتفه الجوال فى حين أعلن صوت من مكبر الصوت: "النداء الأخير للمسافرين إلى جينيف على الرحلة بى إيه ٠٧٣٢ . الرجاء التوجه إلى بوابة تسعة عشر".

أتاه صوت الطرف الآخر يقول: "لقد تبعكما من دار مزادات سوذيبيز وحتى الفندق، ثم من الفندق إلى مطار هيثرو".

سأل هوجو: "هل هو على نفس الرحلة معنا؟".

"كلا، لم يكن جواز السفر بحوزته".

"هذا هو ابن أخى نيك. وأين هو؟".

"فى طريق العودة إلى لندن، وهكذا فإنكما تسبقانه بأربع وعشرين ساعة على الأقل".

"دعنا نأمل أن يكون هذا وقتًا كافيًا، ولكن لا تدعه يبتعد عن عينيك ولو لدقيقة". أغلق هوجو هاتفه، بينما نهض هو ومارجريت عن مقعديهما ليستقلا الطائرة.

سأل السيد بلاندل آملاً: "هل عثرت على قطعة جديدة من إرثك يا سير نيكولاس؟".

قال دانى: "لا، ولكن بحاجة لأن أعرف إن كان لديهم صورة للمظروف الذى تم بيعه هذا الصباح؟".

أجاب بلاندل: "نعم بالطبع، إننا نحتفظ بصورة فوتوغرافية لكل قطعة يتم بيعها بالمزاد، فى حالة نشوب أى نزاع فيما بعد".

سأل دانى: "أيمكنك أن تريها لى؟".

فسأله بلاندل: "أهناك مشكلة؟".

أجاب دانى: " كلا، أريد فقط أن أتفقد العنوان المكتوب على المظروف".

أجابه بلاندل: "بكل تأكيد". دق بعض أزرار الكمبيوتر، وبعد لحظة ظهرت صورة للمظروف على الشاشة. فأدار الشاشة نحو دانى حتى يرى الصورة.

بارون دو كوبرتين
٢٥ شارع كروا روج
جينيف
سويسرا

نقل دانى الاسم والعنوان. وسأل دانى: "هل تعرف ما إذا كان البارون دو كوبرتين جامعًا جادًا للطوابع النادرة؟".

قال بلاندل: "فى حدود علمى أنه لم يكن كذلك، ولكن بطبيعة الحال كان ابنه مؤسسًا لواحد من أنجح بنوك أوروبا".

قال دانى: "أحمق، أحمق". كررها وهو يستدير ليغادر.

"أرجو حقًا يا سير نيكولاس ألا تكون ناقمًا على نتيجة مزاد الصباح؟".

استدار دانى. "كلا، بالطبع لست ناقمًا يا سيد بلاندل، إننى أعتذر حقًا. وراض تمامًا، شكرًا لك". إنها لحظة أخرى توجب عليه فيها أن يتصرف كما يجدر بنيك أن يتصرف، فى حين يفكر بعقل دانى.

أول شىء قام به دانى عندما عاد على المنزل فى بولتونز هو أن يبحث عن جواز سفر نيك. كانت مولى تعرف مكانه بالضبط. وقالت له: "وبالمناسبة، اتصل بك السيد فريزر مونرو، وطلب أن تتصل به على الفور".

دخل دانى غرفة المكتب، واتصل بالسيد مونرو وأخبره بكل ما حدث ذلك الصباح. استمع المحامى العجوز إلى عميله دون أن يعلق.

ثم قال أخيرًا: "أنا سعيد أنك اتصلت بى، لأن لدى بعض الأخبار الجديدة لك، على الرغم من أنه قد لا يكون من الحكمة مناقشتها على الهاتف. كنت أتساءل متى ستعود مرة أخرى إلى أسكتلندا؟".

فقال دانى: "يمكننى أن ألحق بقطار المساء هذه الليلة".

" جيد، وربما من المستحسن أن تحضر معك جواز سفرك هذه المرة".

تساءل داني: "للسفر إلى أسكتلندا؟ ".

"لا، سيرنيكولاس. للسفر إلى جينيف".

٤٦

قادت سكرتيرة مدير البنك كلاً من السيد مونكريف وحرمه إلى غرفة الاجتماعات الخاصة بمجلس الإدارة.

قالت لهما: "سيكون مدير البنك معكما بعد دقيقة، هل تحبان أن تشربا قهوة أو شايًا بينما تنتظرانه؟".

قالت مارجريت: "كلا، شكرًا". بينما كان زوجها يذرع الغرفة جيئة وذهابًا. اتخذت مقعدًا من المقاعد الستة عشر من ماركة تشارلز رينيه ماكنتوش المصطفة حول طاولة الاجتماعات الطويلة المصنوعة من خشب البلوط، مما ساعدها على أن تشعر وكأنها فى بيتها الخاص.طليت الجدران بلون أزرق فاتح من ماركة ودجوود، وعلقت على كل مساحة ممكنة منها صور شخصية رسمت بالزيت وبالطول الطبيعى لمدراء البنك السابقين، مما أعطى إحساسًا بالاستقرار والثروة. لم تقل مارجريت أى كلمة إلا حين خرجت السكرتيرة وأغلقت الباب من خلفها.

"إهدأ يا هوجو. فإن آخر شىء نحتاج إليه الآن هو أن يشعر المدير بأننا غير واثقين من دعوانا. والآن تعال واجلس".

قال هوجو دون أن يتوقف عن تحركه هنا وهناك: "كل هذا حسن جدًا يا فتاتى العجوز، ولكن لا تنسى أن مستقبلنا كله يعتمد على نتيجة هذا اللقاء".

"وهو سبب أدعى لأن تتصرف بهدوء وعقلانية. لابد وأن تظهر وكأنك أتيت لتطالب بما هو حقك تمامًا". لم تكد تنهى قولها حتى انفتح الباب فى طرف الغرفة.

دخل الغرفة رجل نبيل متقدم فى العمر، وعلى الرغم من انحناءة ظهره وهو يمشى والعصا الفضية الممسك بها فإن هالة السلطة كانت تشع منه بحيث لا يتشكك أى شخص فى أنه مدير هذا البنك.

قال وهو يصافحهما: "طاب صباحكما، السيد مونكريف، السيدة مونكريف. اسمى بيير دو كوبرتين، ويسرنى لقاؤكما". لم تكشف لغته الإنجليزية عن أى أثر للكنة أجنبية. اتخذ مقعدًا إلى رأس الطاولة، تحت صورة زيتية لرجل نبيل عجوز بدا انعكاسًا لهذا المدير نفسه، عدا شاربه الرمادى الضخم وقال لهما: " كيف يمكننى أن أساعدكما؟".

أجاب هوجو: "الأمر بسيط فى الحقيقة. لقد أتيت إلى هنا للمطالبة بإرثى الذى تركه لى أبى".

لم يبد على وجه مدير البنك أى اختلاجة تدل على إدراكه لمرادهما. قال: "هل لى أن أسالك عن اسم والدك؟".

"سير آلكسندر مونكريف".

"وما الذى يجعلك تعتقد أن أباك كان لديه تعاملات بنكية معنا؟".

فقال هوجو: "لم يكن هذا سرًا فى إطار العائلة، لقد أخبرنا أنا وشقيقى فى مناسبات عديدة عن علاقته الطويلة مع هذا البنك، والذى كان حارسًا على مجموعة طوابعه البريدية الفريدة، بين أشياء أخرى".

"ألديك أى دليل يدعم حقك للمطالبة بهذا الإرث؟".

قال هوجو: "كلا، ليس لدى. كان والدى يعتبر أنه من غير الحكمة أن يضع مثل تلك الشئون على أوراق، مع الوضع فى الاعتبار قوانين الضرائب فى بلادنا، لكنه أكد لى أنكم

ستكونون مطلعين خير اطلاع على رغباته".

قال دو كوبرتين: "أفهم ما ترمى إليه، لعله إذن زودك برقم حساب؟".

فقال هوجو، وقد بدأ يظهر عليه شيء من نفاد الصبر: "كلا، لم يفعل، لكننى استفسرت عن وضعى القانونى من محامى العائلة، وقد أكد لى أننى الوريث الوحيد لأبى بعد موت أخى، وليس لديكم خيار آخر إلا أن تسلمونى ما هو حقى مائة فى المائة".

أكد دو كوبرتين على كلامه قائلاً: "قد تكون هذه هى المسألة تمامًا، ولكن علىّ أن أتساءل عما إذا كانت بحوزتك أية وثائق تثبت حقك".

"نعم، لدى". ووضع حقيبة أوراقه على الطاولة ثم فتحها وأخرج منها المظروف الذى اشتراه من دار مزاد سوذيبيز أمس، ودفعه إلى الناحية الأخرى من الطاولة وقال لمدير البنك: "ترك أبى هذا لى".

أمضى دو كوبرتين بعض الوقت فى تفحص المظروف الموجه إلى جده هو شخصيًا. وقال: "شيء مذهل، ولكنه لا يثبت أن أباك كان له حساب فى هذا البنك. قد يكون من الحكمة فى هذه النقطة أن أتاكد من هذه المسألة. سوف أكون ممتنًا لكما إذا انتظرتمانى لدقيقة واحدة". نهض الرجل العجوز ببطء عن مقعده، وانحنى وغادر الغرفة دون كلمة أخرى.

قالت مارجريت: "إنه يعلم تمام العلم أن والدك كانت له تعاملات بنكية معهم، ولكنه يحاول أن يكسب وقتًا لسبب مجهول".

--٥--

قال فريز مونرو وهو ينهض من وراء مكتبه: "صباح الخير يا سير نيكولاس. أرجو أن تكون قد قطعت رحلة مريحة".

"لعلها ستكون مريحة حقًا لو أنى لا أتألم من حقيقة أن عمى فى جينيف فى هذه اللحظة يحاول أن يسلبنى ميراثى الشرعى".

أجابه مونرو: "اهدأ واطمئن، فمن خلال خبرتى بالبنوك السويسرية، فإنها لا تتخذ قرارات خطيرة كهذه فى عجلة. كلا، سوف نذهب إلى جينيف فى الوقت المناسب. ولكن فى الوقت الحالى، علينا أن نتعامل مع مسألة أكثر إلحاحًا تقف على عتبة بابنا الآن".

سأله دانى: "هل هذه هى المشكلة التى ارتأيت ألا نناقشها على الهاتف؟".

قال مونرو: "إنها هى تمامًا، وأخشى أننى لست بشير خير فى هذه النقطة. إن عمك يدعى الآن أن جدك قد كتب وصية ثانية، قبل وفاته بأسابيع، وفيها يحرمك من إرثه ويتركه كاملاً لأبيك".

سأل دانى: "ألديك نسخة من هذه الوصية؟".

أجاب مونرو: "نعم، لدى، لكننى لم أكتف بصورة طبق الأصل منها، فسافرت إلى إدينبيرج لكى أزور السيد ديزموند جالبريث فى مكتبه من أجل أن أتمكن من الاطلاع على الأصل".

سأل دانى: "وما الذى استنتجته بعد ذلك؟".

أجاب مونرو: "أول شىء استنتجته أنها لو كانت مزيفة فهو تزييف جيد جدًا، من خلال تفحصى السريع لها، لم أعثر على أى خطأ فى نوع الورق أو شريط الآلة الكاتبة، كانت الورقة من النوع العتيق الممتاز نفسه الذى كتبت عليه الوصية الأصلية التى كتبها لك".

"أيمكن للأمور أن تسوء أكثر من هذا؟".

قال مونرو: "أخشى أنها قد تسوء عن هذا، فقد ذكر السيد جالبريث أيضًا أن هناك رسالة أرسلت على زعمه إلى والدك

من قبل جدك قبل وفاته بوقت قصير".

"هل سمحوا لك برؤيتها؟".

"نعم، وهى مكتوبة على الآلة الكاتبة، الأمر الذى أدهشنى، لأن جدك كان يكتب رسائله بيده دائمًا؛ لم يكن يثق بالآلات. وقد وصف الآلة الكاتبة على أنها اختراع له أنياب جديدة سيكتب شهادة موت الخط الإنسانى البديع".

سأل دانى: "وما الذى تقوله الرسالة؟".

"تقول إن جدك قرر أن يحرمك من ميراثك، وعلى هذا الأساس فقد كتب وصية جديدة، موصيًا بكل ما يمتلكه لوالدك. وهى حركة بارعة للغاية".

"بارعة؟".

"نعم، لأنه إذا كان قسم ملكياته ما بين كلا الابنين، فسوف يبدو الأمر مثيرًا للشبهات، لأن كثيرًا من الناس يعرفون تمام المعرفة أن عمك وجدك لم يكونا على وفاق لسنوات".

قال دانى: "ولكن على هذا النحو، يظل العم هوجو مالكًا لكل شىء، لأن أبى ترك كل أملاكه له. لكنك استخدمت تعبير "حركة بارعة" فهل هذا يعنى أن لديك شكوكًا بشأن ما إذا كان جدى قد كتب الرسالة فعلاً؟".

قال مونرو: "لدى شكوك بكل تأكيد، وليس فقط لأنها مكتوبة على الآلة الكاتبة، فقد كانت الرسالة على صفحتين من الورق الذى كان جدك يستخدمه فى مكتبه بشكل شخصى، وقد تعرفت عليه فى الحال، ولكن لسبب يتعذر تفسيره كانت الصفحة الأولى مكتوبة بالآلة الكاتبة، بينما كتبت الصفحة الثانية بخط اليد ولا تحمل إلا كلمات قليلة هى: تلك هى أمنياتى الشخصية وأعتمد على كل منكما فى تنفيذ ما يوجد بهذه الرسالة، والدكما المحب، آلكسندر مونكريف. الصفحة الأولى، والمكتوبة بالآلة الكاتبة، توضح تفصيلاً تلك الأمنيات الشخصية، فى حين أن الصفحة الثانية لم تكن وحسب مكتوبة

بخط اليد، ولكنها جاءت مطابقة، فى كل كلمة منها، لتلك التى كانت مع الوصية الأصلية. يالها من مصادفة!".

"ولكن بالتأكيد لا يكفى هذا وحده باعتباره دليلاً ...؟".

قال مونرو: "أخشى أنه لا يكفى، على الرغم من أننا لدينا أسباب وجيهة لنرى أن الرسالة مزيفة، فالواقع أنها كتبت بالاعتماد على أدوات وأوراق جدك الشخصية، لكن الكتابة على الصفحة الثانية هى خط يد جدك بلا جدال. أشك فى أن هناك محكمة فى البلاد سوف تدعم دعوانا، وكأن هذا كله ليس بكاف فقد رفع عمك ضدنا أمر انتهاك ملكية شخصية بأمس".

قال دانى: "انتهاك ملكية شخصية؟".

"لم يكفه أن الوصية الجديدة سوف تعتبره المالك الشرعى لكل من عقارات أسكتلندا ومنزل منطقة بولتونز، بل إنه كذلك يطالب بأن تخلى المنزل فى غضون ثلاثين يومًا، وإلا فسوف يطالبك بأمر محكمة بأن تدفع الإيجار المستحق عن المنازل المماثلة فى المنطقة، بأثر رجعى منذ أول يوم سكنت فيه بالمنزل".

قال دانى: "لقد فقدت كل شىء".

قال مونرو: "ليس تمامًا، مع أنى أقر بأن الأمور تبدو محبطة قليلاً هنا، ولكن فيما يتعلق بجينيف فمازلت تمتلك المفتاح. وأعتقد أن البنك لن يسلم أى شىء ينتمى لجدك إلى شخص غير قادر على إظهار المفتاح". توقف قليلاً قبل أن ينطق بجملته التالية: "وإذا كان هناك شىء واحد أنا على يقين منه، فهو مادام جدك قد اضطلع بترتيب هذا الأمر بنفسه فلابد أنه لم يترك أى فرصة لإخفاقه".

قال دانى: "وأنا لا أظن هذا، ليت لدى موارد مالية لمواصلة المعركة القانونية مع هوجو. ولكن على الرغم من بيع المظروف بأمس، فلن تمر إلا أسابيع قبل أن يستصدر عمى أمرًا قضائيًا ليعلن إفلاسى نتيجة للقائمة الطويلة من الدعاوى القضائية

التى رفعها ضدنا".

ابتسم السيد مونرو للمرة الأولى هذا الصباح، وقال: "لقد تنبأت بهذه المشكلة يا سير نيكولاس، وبعد ظهيرة أمس تناقشت أنا وشركائى عما عسانا أن نفعل بشأن أزمتك الحالية". سعل ثم واصل قائلاً: "وقد اجتمع رأيهم على أننا سوف نخرق واحدة من أعرق قواعدنا، ولن نطالبك بأى فواتير أتعاب بعد ذلك حتى تصل تلك الدعوى القضائية إلى نتيجة مرضية".

"ولكن ماذا لو خسرنا القضية عند عرضها أمام المحكمة - ودعنى أعلمك يا سيد مونرو بأن لدى بعض التجارب السابقة فى تلك الأمور - فسوف أظل مدينًا لكم إلى الأبد".

أجابه مونرو: "إذا ما خسرنا القضية، فلن نقدم لك أية فواتير، لأن مكتب المحاماة هذا سوف يظل مدينًا لجدك إلى الأبد".

عاد مدير البنك بعد دقائق معدودة، واستعاد مكانه قبالة عميليه المحتملين. ابتسم لهما وقال: "سيد مونكريف، أستطيع أن أؤكد لك أن سير آلكسندر كانت لديه بالفعل معاملات مع بنكنا. لابد لنا الآن أن نثبت دعواك لتكون الوريث الوحيد لممتلكاته".

قال هوجو فى ثقة: "أستطيع أن أقدم لكم كل الوثائق التى ستطلبونها".

"أولا، علىّ أن أسألك إن كنت تمتلك جواز سفر يا سيد مونكريف؟".

أجاب هوجو: "نعم بالطبع". وفتح حقيبة أوراقه، واستخرج منها جواز سفره وناوله له عبر الطاولة.

قلب دو كوبرتين الصفحات حتى الصفحة الأخيرة ليفحص الصورة لبرهة قبل أن يعيد الجواز إلى هوجو. ويسأله: "هل

لديك شهادة وفاة والدك؟".

أجاب هوجو: "نعم" وتناول وثيقة ثانية من حقيبته ودفعها له عبر الطاولة.

هذه المرة أخذ مدير البنك يتفحص الوثيقة بمزيد من العناية قبل أن يومئ برأسه ويعيدها من جديد. ليسأل: "وهل لديك شهادة وفاة أخيك أيضًا؟" . ناوله هوجو الوثيقة الثالثة. ومرة أخرى أخذ دو كوبرتين وقته الكافى قبل أن يعيدها له من جديد. "كما أننى سأحتاج أيضًا لأن أرى وصية أخيك، للتأكد من أنه ترك لك جميع ممتلكاته". ناوله هوجو الوصية ووضع علامة صح أخرى أمام القائمة الطويلة للمستندات التى أعدها له محاميه جالبريث.

لم يتحدث دو كوبرتين لبعض الوقت، بينما درس وصية آنجوس مونكريف. وقال أخيرًا: "كل هذا يبدو على ما يرام، ولكن الأهم من هذا كله، هل تمتلك وصية أبيك نفسه؟".

فقال هوجو: "أستطيع أن أقدم لك وصيته الأخيرة، والتى تم توقيعها بتاريخ يرجع إلى ستة أسابيع قبل وفاته، ليس هذا وحسب ولكننى أيضًا أملك رسالة كتبها إلى أخى آنجوس وإلى كانت مرفقة بتلك الوصية". دفع الوثيقتين عبر الطاولة، لكن دو كوبرتين لم يحاول أن يتفحص أيًا منهما.

" وأخيرًا يا سيد مونكريف، لابد أن أسألك إذا ما كان يوجد مفتاح بين ما تركه والدك من ميراث؟".

تردد هوجو فى الإجابة.

تحدثت مارجريت للمرة الأولى قائلة: "كان موجودًا ولاشك، لكنه بكل أسف ضاع، على الرغم من أننى قد رأيته مرات عديدة على مدار السنوات. إنه صغير نوعا ما وفضى وإن كنت أتذكر جيدا فهناك رقم مطبوع عليه".

سألها المدير: "وهل تتذكرين ذلك الرقم على أى نحو سيدة مونكريف؟".

فأقرت مارجريت أخيرًا: "لا أتذكره بكل أسف".

قال دو كوبرتين: "فى هذه الحالة، أنا واثق أنكم ستقدرون المأزق الذى يجد فيه البنك نفسه، كما يمكنكم أن تتخيلوا، فبدون هذا المفتاح، سنكون فى وضع لا نحسد عليه. ومع ذلك"، ثم أضاف قبل أن تتمكن مارجريت من مقاطعته: "سأطلب من أحد خبرائنا أن يفحص الوصية، وهو تصرف شائع كما أنكم تعرفون بلا شك فى مثل هذه الظروف. وبمجرد ما يتأكدون من صحتها ومصداقيتها، سوف نسلمكم أية ممتلكات نحتفظ بها تحت اسم سير آلكسندر".

"سأله هوجو ولكن كم من الوقت سيستغرقه هذا؟"، مدركا أن نيك لن يحتاج لوقت طويل حتى يكتشف أين كانا، وما يدبران له.

قال المدير: "يوم، أويوم والنصف على أقصى تقدير".

سألت مارجريت: "متى ينبغى علينا أن نعود؟".

"على سبيل الاحتياط، لنقل غدًا فى الساعة الثالثة بعد الظهيرة".

قالت مارجريت: "شكرًا لك، نتطلع لرؤيتك فى ذلك الحين".

اصطحب دو كوبرتين كلا من السيد مونكريف وحرمه حتى الباب الأمامى للبنك دون أن يناقش أى شىء سوى الطقس.

⊸o⊷

قالت بيث لرئيسها فى العمل: "لقد حجزت لك على رحلة بى إيه درجة رجال الأعمال إلى برشلونة، سوف تستقل الطائرة من مطار هيثرو مساء الأحد، وسوف تقيم فى فندق آرتس". ناولته ملفًا يحتوى على جميع الوثائق اللازمة للرحلة، بما فيها أسماء العديد من المطاعم وكتاب إرشادى للمدينة".

وقالت مواصلة: "سيبدأ المؤتمر فى التاسعة صباحًا بخطبة من الرئيس الدولى له، وهو ديك شيروود. سوف تجلس على المنصة إلى جانب نواب الرئيس الآخرين. يرجو منك منظمو المؤتمر أن تكون فى مكانك فى الثامنة وخمس وأربعين دقيقة".

سألها السيد توماس: "كم يبعد مقر المؤتمر عن الفندق؟".

قالت بيث: "إنه على الجهة الأخرى من الشارع نفسه، هل هناك أى شىء آخر تود أن تعرفه؟".

أجابها توماس: "فقط أمر واحد، هل تودين أن تصحبينى فى هذه الرحلة؟".

استولت المفاجأة على بيث، فإن توماس لم يعتد على مفاجأتها، وأقرت قائلة: "لطالما تمنيت أن أسافر إلى برشلونة".

فقال توماس مبتسمًا لها ابتسامة دافئة: "الآن فرصتك".

سألت بيث: "ولكن هل سيكون هناك عمل لى يستدعى سفرى معك؟".

"مبدئيًا، يمكنك أن تتأكدى من أننى سوف أجلس فى مكانى عند الموعد المحدد صباح يوم الاثنين". لم تجب بيث بأى شىء. ثم أضاف توماس: "كنت أتمنى أن تحصلين على قسط من الراحة والاسترخاء كنوع من التغيير، يمكننا أن نزور دار الأوبرا، وأن نرى المجموعة الخاصة لتيسان، وندرس الأعمال المبكرة لبيكاسو، ونرى المكان الذى ولد فيه خوان ميرو، ويقولون لى إن الطعام هناك...".

تعرفين بالطبع أن السيد توماس معجب بك. عادت إليها فى الحال كلمات دانى، مما جعلها تبتسم وتقول: "إنه عطف كبير من جانبك يا سيد توماس، ولكننى أعتقد أنه سيكون من الحكمة أن أبقى هنا، لكى أتأكد أن كل شىء يمضى على خير ما يرام أثناء غيابك".

قال توماس وهو يضطجع ويفرد ذراعيه: "بيث، أنت شابة ذكية وجميلة. ألا تعتقدين أن دانى لا يريد لك إلا أن تسعدى بحياتك، وتستمتعى بين الحين والآخر؟ الحقيقة أنك تستحقين هذا".

"أنا ممتنة لك كل الامتنان يا سيد توماس، ولكننى غير مستعدة بما يكفى لأن أفكر فى...".

قال توماس: "أنا أفهمك، بالطبع أفهمك. على أى حال سيرضينى أن أنتظر حتى تجدى نفسك مستعدة. فأيًا كان ما كان يتمتع به دانى لا أظننى قادرًا على منافسته".

ضحكت بيث. وأجابته: "لقد كان هو أيضًا يحب الأوبرا، والمعارض الفنية وأفخر أنواع الشراب، كل هذا فى حزمة واحدة، وحتى بعد ذلك كله من الصعب لأى شخص أن يكون مثل دانى كارترايت".

قال توماس: "حسن، لا أنوى أن أستسلم، ربما سأنجح فى إغرائك لمصاحبتى فى رحلة العام القادم، حيث سيكون المؤتمر السنوى فى روما وسأكون أنا رئيسه الشرفى".

قالت بيث: "كارافاجيو".

سألها توماس متحيرًا: "كارافاجيو؟".

"كنت أنا ودانى نخطط لأن نقضى شهر العسل فى سانت تروبيز - كان ذلك حتى عرفه زميله فى الزنزانة، بنك مونكريف، على كارافاجيو. كان هذا فى الحقيقة من ضمن آخر الأشياء التى وعدنى بها دانى قبل أن يموت. - لم تتمكن بيث مطلقًا من أن تجعل نفسها تنطق كلمة ينتحر - "وواصلت أن يصحبنى فى رحلة إلى روما، حتى أتمكن أنا أيضًا من مشاهدة أعمال سنيور كارافاجيو".

قال توماس: "ليس لدى فرصة فى كسب ودك، أليس كذلك؟"

لم تجد بيث جوابًا.

-o-

وصل كل من دانى والسيد مونرو إلى مطار جينيف فى وقت تالٍ. ما أن خرجا من مكتب الجمارك، حتى مضى دانى يبحث عن سيارة أجرة. انتهت الرحلة القصيرة إلى المدينة حين توقف السائق أمام فندق لى آرميور، والذى يقع فى المدينة القديمة قريبًا من دار العبادة الكبرى – نصحهم به سائق السيارة الأجرة.

كان مونرو قد اتصل بدو كوبرتين قبل أن يغادر مكتبه، ووافق مدير البنك على أن يقابلهم فى العاشرة من صباح اليوم التالى. بدأ دانى يشعر وكأن الرجل العجوز يستمتع بما يجرى.

على العشاء، قام السيد مونرو - الذى لم يفكر دانى حتى الآن أن يخاطبه باسمه الأول مجردا - بمراجعة مع السير نيكولاس لقائمة الوثائق التى يتوقع أن تكون مطلوبة منه خلال لقاء الصباح.

سال دانى: "هل نسينا أى شىء؟".

قال مونرو: "كلا، بلا شك، هذا إذا افترضنا أنك لم تنس أن تحضر معك المفتاح".

-o-

التقط هوجو الهاتف من المنضدة الصغيرة المجاورة للفراش ليجيب: "نعم؟".

قال صوت: "استقل قطار الليل إلى إدينبيرج، ثم رحل إلى دانبروث".

"لكى يلتقى بمونرو بلا شك".

"التقى به فى مكتبه فى العاشرة من صباح اليوم".

"هل عاد إلى لندن بعد ذلك؟".

"كلا، لقد غادر هو مونرو المكتب معًا، وذهبا إلى المطار،

استقلا رحلة بى إيه. لابد أنهما وصلا منذ ساعة".

" هل كنت معهما على الرحلة نفسها؟".

قال الصوت: "كلا".

فسأل هوجو بحدة: "ولمَ لا؟".

"لم يكن جواز سفرى معى".

وضع هوجو الهاتف والتفت نحو زوجته المستغرقة فى النوم. وقرر ألا يوقظها.

٤٧

رقد دانى مستيقظًا، وراح يفكر فى وضعه المزعزع والحرج. إنه أبعد ما يكون عن هزيمة خصومه، ويبدو أنه لا يفعل شيئًا غير اكتساب خصوم جدد يرغبون كل الرغبة فى سحقه وإذلاله.

نهض مبكرًا، استحم وارتدى ثيابه، ونزل إلى قاعة الإفطار فوجد السيد مونرو جالسا على مائدة فى الركن، وهناك كومة من الوثائق والأوراق إلى جانبه. قضيا الأربعين دقيقة التالية يراجعان كل سؤال من الممكن أن يطرحه دو كوبرتين على دانى. توقف دانى عن الاستماع إلى ما يقوله له محاميه عندما دخل القاعة أحد النزلاء وتوجه مباشرة إلى طاولة إلى جانب النافذة تطل على دار العبادة الضخمة الكبيرة. إنه مقعد آخر لابد أنه محجوز له شخصيًا.

سأل مونرو: "فى حالة ما إذا طرح عليك دو كوبرتين ذلك السؤال يا سير نيكولاس، فكيف ستجيبه؟".

همس دانى: "أعتقد أن أهم جامع طوابع نادرة فى العالم يتناول إفطاره بالقرب منا".

"هل أفهم من هذا أن صديقك السيد جين هانساكر موجود بيننا هنا؟".

"هذا هو الأمر. لا أستطيع أن أصدق أنها مجرد مصادفة أن يكون موجودًا فى جينيف فى وقت وجودنا نفسه بها".

قال مونرو: "بالطبع ليست مصادفة، ولابد أنه سيكون على علم بوجود عمك أيضًا فى جينيف".

سأل دانى: "ماذا عساى أن أفعل حيال هذا؟".

قال مونرو: "ليس كثيرًا فى الوقت الحالى، سوف يحوم هانساكر حولنا مثل النسر حتى يكتشف أيكما سيكون الوريث الشرعى للمجموعة، وعندئذ فقط سينقض".

قال دانى: "لعله أثقل قليلاً من مجرد نسر، ولكننى أفهم وجهة نظرك، فماذا عساى أن أقول له إن بدأ يطرح على أية أسئلة؟".

"لا تقل أى شىء إلا بعد لقائنا بدو كوبرتين".

"لكن هانساكر كان ودودًا وخدومًا فى آخر مرة التقينا فيها، وكان من الواضح أنه لا يهتم بأمر هوجو، وأنه يفضل التعامل معى".

"لا تخدع نفسك. سوف يسعد هانساكر أن يتعامل مع من يقرر دو كوبرتين أنه الوريث الشرعى لمجموعة طوابع الجد، أيًا كان هذا الشخص، والأرجح أنه قدم بالفعل عرضًا لعمك". نهض مونرو عن المائدة وغادر قاعة الطعام دون أن ينظر ولو نظرة واحدة باتجاه هانساكر. وتبعه دانى إلى ردهة الاستقبال.

سأل مونرو البواب: "كم يلزم من الوقت للوصول إلى بنك دو كوبرتين بالسيارة الأجرة؟".

فأتاه الجواب: "ثلاث دقائق، وربما أربع، حسب حالة المرور".

"وإذا سرنا على أقدامنا".

"ثلاث دقائق وحسب".

⊰٥⊱

دق نادل على الباب برفق وقال: "خدمة الغرف". قبل أن

يدخل. وضع طاولة الإفطار فى وسط الغرفة ووضع نسخة من صحيفة تيليجراف على صحن جانبى؛ وهى الصحيفة الوحيدة التى تهتم مارجريت بقراءتها عندما لا تتوفر لها صحيفة سكوتسمان. وقع هوجو على فاتورة الإفطار بينما اتخذت مارجريت مكانها وصبت لهما القهوة.

سأل هوجو: "أتظنين أننا سننجح يا فتاتى العجوز، بدون أن يكون المفتاح معنا؟".

قالت مارجريت: "إذا اقتنعوا أن الوصية صحيحة وأصلية، فلن يكون أمامهم خيار آخر، إلا إذا كانوا مستعدين للتورط فى معركة قضائية طويلة الأمد، والابتعاد عن الفضائح هو مبدأ أى بنك سويسرى، سوف يتجنبون ذلك بأى ثمن".

قال هوجو: "لن يجدوا أى شىء مريب فى الوصية".

" إذن فأراهن على أننا سنحصل على مجموعة والدك هذا المساء، وفى هذا الحالة كل ما عليك القيام به هو الموافقة على السعر الذى عرضه هانساكر، وبما أنه عرض مبلغ أربعين مليون دولار عندما أتى إلى أسكتلندا فى جنازة أبيك، فأنا واثقة أنه على أتم الاستعداد أن يدفع خمسين مليونًا، والحقيقة أننى قد أمرت جالبريث بالفعل لأن يعد عقد بيع لهذا الغرض".

قال هوجو: "سيشترى هانساكر من أى واحد منا يمتلك المجموعة، لأن نيك صار يعرف الآن بوجودنا هنا".

قالت مارجريت: "لكنه لا يستطيع عمل أى شىء حيال هذا، خصوصًا وأنه هناك فى إنجلترا".

قال هوجو وهو لا يريد أن يقر بمعرفته أن نيك موجود بالفعل فى جينيف: "ليس هناك ما يمنعه من أن يأخذ أول طائرة إلى هنا. لن أتفاجأ بالمرة إن كان موجودًا هنا بالفعل".

"لابد أنك نسيت تمامًا يا هوجو، أنه من غير المسموح له بالمرة أن يسافر خارج البلاد بينما مازال قيد المراقبة، بعد إطلاق السراح المشروط".

قال هوجو: "لو كنت مكانه لقبلت مجازفة كتلك، مقابل خمسين مليون دولار".

قالت مارجريت: "قد تفعلها أنت، ولكن ليس نيك الذى لا يعصى الأوامر أبدًا. وحتى إن فعلها فلن يقتضى الأمر منا أكثر من اتصال هاتفى واحد بالسيد دو كوبرتين حتى نساعده ليقرر أى فرع من أسرة مونكريف يريد أن يتعامل معه - الفرع الذى يهدده بجره للمحاكم، أم الفرع الذى سوف يقضى أربع سنوات أخرى فى السجن".

على الرغم من أن دانى وفريزر قد وصلا إلى البنك قبل الموعد بدقائق، فقد وجدا سكرتيرة مدير البنك تنتظرهما فى الاستقبال لتصحبهما إلى غرفة الاجتماعات. وما أن جلسا حتى عرضت عليهما تناول قدحين من الشاى الإنجليزى.

قال مونرو وهو يبتسم لها بمودة: "لن أتناول أى شاى من شايكم الإنجليزى". تساءل دانى إن كانت قد فهمت كلمة من كلام الرجل الأسكتلندى، ناهيك عن فهم طريقته الخاصة فى الدعابة.

قال دانى: "قدحا قهوة، من فضلك". ابتسمت وغادرت الغرفة.

كان دانى يتأمل صورة مؤسس الألعاب الأوليمبية الحديثة عندما فتح الباب ودخل الغرفة وارث اللقب والبنك الحالى.

قال وهو يتجه نحو مونرو، مقدمًا له يده: "صباح الخير سير نيكولاس".

" لا، لا، اسمى فريزر مونرو، وأنا الممثل القانونى لسير نيكولاس".

قال الرجل العجوز مواريًا خجله: "أعتذر". وابتسم بخجل وهو يصافح دانى. وكرر قائلاً: "أعتذر".

قال دانى: "لا عليك سيادة البارون. إنه خطأ مفهوم".

حيّاه دو كوبرتين بانحناءة بسيطة: "إنك مثلى، كلانا حفيدان لرجلين من عظام الرجال". ودعا سير نيكولاس والسيد مونرو للانضمام إليه إلى طاولة الاجتماعات. وسأل: "كيف يمكننى أن أقدم المساعدة؟".

بدأ مونرو يقول: "لى عظيم الشرف أنى الممثل القانونى للراحل سير آلكسندر مونكريف، وأننى الآن يسرنى أن أقدم المشورة لسير نيكولاس". أومأ دو كوبرتين برأسه. قال مونرو: "لقد أتينا لنطالب بحق عميلى كوريث شرعى". ثم فتح مونرو حقيبة أوراقه ووضع على الطاولة جواز سفر، وشهادة وفاة ووصية السير آلكسندر.

قال دو كوبرتين: "شكرًا لك" دون أن يتجشم حتى إلقاء ولو نظرة فضول واحدة على أى من المستندات. وتابع قائلاً: "سير نيكولاس، هل لى أن أسأل إذا كان معك المفتاح الذى تركه لك جدك؟".

أجاب دانى: "نعم، معى"، وفك السلسلة المعلقة حول رقبته وناول المفتاح لدو كوبرتين، الذى راح يتفحصه للحظات قبل أن يعيده من جديد لدانى. وعندئذ نهض من مكانه وقال: "أرجو أن تتبعانى أيها السيدان".

بينما كانا يتبعان المدير لخارج الغرفة، همس مونرو: "لا تنطق بأى كلمة، من الواضح أنه ينفذ تعليمات جدك". ساروا على طول ردهة طويلة، مارين بالمزيد من اللوحات الزيتية تصور شركاء آخرين فى البنك، إلى أن وصلوا إلى مصعد صغير. وعندما انفتح بابه تنحى دو كوبرتين مقدار خطوة ليسمح لضيفيه بالدخول، ثم انضم إليهما وضغط على زر رقم ٢ . لم يتحدث إلى أن انفتح الباب من جديد، عندما خرج من المصعد قائلاً: "هلا اتبعتمانى أيها السيدان الموقران".

حل محل جدران غرفة الاجتماعات بلونها الأزرق الفاتح

من ماركة ودجوود لون أصفر بينما يسيرون فى ممر من القرميد لا يعرض أى صور لأى من المالكين السابقين للبنك. عند نهاية الممر كانت هناك بوابة مزدوجة القضبان أعادت لدانى ذكريات غير سعيدة. ما إن رأى الحارس مدير البنك حتى فتح البوابة، ثم صحب الرجال الثلاثة حتى توقفوا أمام باب ضخم من الصلب له قفلان. تناول دو كوبرتين مفتاحًا من جيبه، ووضعه فى القفل الأعلى وأداره ببطء. ثم أومأ لدانى، فوضع مفتاحه فى القفل الأدنى وأداره كذلك. دفع الحارس الباب الصلب الثقيل ففتحه.

كان على الأرضية خط أصفر بعرض بوصتين أمام مدخل الباب مباشرة. عبره دانى ودخل الغرفة الصغيرة المربعة التى غطيت جدرانها بالأرفف من السقف للأرض، وقد اكتظت تلك الأرفف بمجلدات ذات أغلفة جلدية. على كل رف بطاقات مطبوعة، تشير للسنوات من ١٨٤٠ وحتى ١٩٩٢.

قال دانى لهما: "انضما إلىّ رجاء"، وأمسك بواحد من المجلدات الجلدية السميكة من أعلى الرفوف وبدأ يقلب صفحاته. دخل مونرو إلى الغرفة، لكن دو كوبرتين لم يتبعه.

قال دو كوبرتين: "أعتذر، ولكن ليس مسموحًا لى أن أعبر هذا الخط الأصفر - إنه واحد من تقاليد البنك الكثيرة. أرجو أن تتفضلا بإخبار الحارس عندما ترغبان فى الرحيل، ثم تعاليا وانضما إلىّ فى غرفة الاجتماعات".

أمضى كل من دانى ومونرو نصف الساعة التالية وهما يقلبان صفحات ألبوم بعد ألبوم، وبدآ يفهمان سبب طيران جين هانساكر من تكساس فى أمريكا إلى جينيف فى سويسرا.

تطلع مونرو إلى صفحة غير مثقوبة تحتوى على أربعة وثمانين من فئة البنس الأسود، وقال: "لا أكاد أصدق!".

قال دانى وهو يناول مونرو المجلد الجلدى الوحيد غير المؤرخ: "لن تصدق حقًا عندما تلقى نظرة على هذا".

راح مونرو يقلب الصفحات ببطء، ليتعرف من جديد على الرسوم اليدوية البارعة التى يتذكرها خير تذكر: عمود بعد آخر مدرجة حسب زمن ومكان وهوية من اشتراها منهم سير آلكسندر، وأيضًا السعر الذى دفعه فيها. أعاد السجل الدقيق لمن قضى عمره فى جمع الطوابع إلى دانى من جديد، وقال له: "عليك أن تدرس كل صفحة من صفحات هذا المجلد بمنتهى العناية قبل أن تلتقى بالسيد هانساكر فى المرة القادمة".

ظهر كل من السيد مونكريف وحرمه فى قاعة الاجتماعات عند الساعة الثالثة مساء. جلس البارون دو كوبرتين عند نهاية الطاولة، مع ثلاثة من زملائه على كل جانب من جانبى الطاولة. نهض الرجال السبعة من أماكنهم عند دخول الزوجين مونكريف إلى الغرفة، ولم يعودوا إلى مقاعدهم حتى جلست السيدة مونكريف.

قال دو كوبرتين: "شكرًا لك لسماحك لنا بتفقد وصية والدك الأخيرة، وكذلك الرسالة المرفقة بها". ابتسم هوجو على أمل"، فواصل دو كوبرتين: "على الرغم من هذا، على أن أبلغك أنه وفقًا للرأى المعتبر لواحد من خبرائنا فإن الوصية غير سارية".

سأل هوجو بغضب وهو ينهض من مكانه: "أتقول إنها مزيفة؟".

"نحن لا نقول إنكما كنتما تدركان هذا ولو للحظة يا سيد مونكريف. ومع هذا فقد قررنا أن تلك المستندات لا ترقى لمستوى الدقة المطلوب فى هذا البنك". مرر الوصية والرسالة له من خلال الطاولة.

شرع هوجو يقول: "ولكن...".

سألت مارجريت فى هدوء: "هل لكم أن تخبرونى بما

دفعكم تحديدًا لرفض الوصية التى قدمها زوجى؟".

" كلا يا سيدتى، لا يمكننا ذلك".

قالت مارجريت وهى تجمع الوثائق، وتعيدها إلى حقيبة أوراق زوجها قبل أن ينهضا ويغادرا: "إذن فيمكنم أن تتوقعوا اتصالاً من محامينا هذا اليوم نفسه".

نهض الرجال السبعة واقفين بينما يغادر الزوجان مونكريف القاعة مصحوبين بسكرتيرة مدير البنك.

٤٨

عندما انضم فريزر مونرو إلى دانى فى غرفته بالفندق فى الصباح التالى، وجده جالس القرفصاء على الأرضية برداء النوم، محاطًا بصفحات وصفحات من الأوراق، وجهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به وآلة حاسبة.

"أعتذر على إزعاجك يا سير نيكولاس. هل أحضر فى وقت آخر؟".

قال دانى وهو يثب واقفًا: "كلا، ادخل على الفور".

هكذا سأل مونرو وهو ينظر نحو كل تلك الأوراق المتناثرة على الأرضية: "هل حصلت على قدر وافر من النوم؟".

قال دانى: "لم يغمض لى جفن، لقد سهرت طوال الليل أراجع الأرقام مرارًا وتكرارًا".

سأل مونرو: "وهل وصلت لشىء؟".

قال دانى: "أرجو هذا، لأننى على ثقة أن جين هانساكر لم يغمض له جفن هو الآخر، وراح يسأل نفسه عن السعر التقديرى لهذا الكنز؟".

"ألديك أى فكرة عن ذلك...؟".

قال دانى: "حسن، تحتوى المجموعة بكاملها على ثلاثة وعشرين ألفًا، ومائة وأحد عشر طابعًا بريديًا، تم شراؤها على مدى فترة زمنية تجاوزت السبعين عامًا. اشترى جدى أول

طابع بريدى له عام ١٩٢٠ وهو فى الثالثة عشرة من عمره، وواصل جمعها حتى عام ١٩٩٨، قبل رحيله بأشهر معدودة. وإجمالاً أنفق عليها مبلغ ١٣٧٢٩٤١٢ جنيهًا".

قال مونرو: "لا عجب أن هانساكر يرى أنها أهم مجموعة طوابع نادرة فى العالم كله".

أومأ دانى: "بعض الطوابع نادرة ندرة لا يصدقها العقل. فهناك على سبيل المثال طابع سنة ١٩٠١ للولايات المتحدة فئة السنت الواحد (مقلوب المركز)، وهناك طابع من هاواى، فئة السنتين الزرقاوين يعود للعام ١٨٥١، وطابع من كندا يعود للعام ١٨٥٧ فئة البنسين القرمزيين، دفع فيه مبلغ ١٥٠ ألف دولار فى عام ١٩٧٨، ولكن درة المجموعة لابد وأنه طابع غيانا البريطانية لعام ١٨٥٦ فئة سنت واحد أسود على أرجوانى، والذى اشتراه فى مزاد علنى بتاريخ أبريل ١٩٨٠ بمبلغ ٨٠٠ ألف دولار. تلك كانت الأخبار الطيبة، أما الأخبار غير الطيبة بالدرجة نفسها، فهى أن الأمر قد يستغرق العام، بل وربما وقتًا أطول من ذلك، لتقدير قيمة كل طابع، وهانساكر يعرف ذلك بطبيعة الحال، ولكن لحسن حظنا لن يكون مستعدًا للانتظار لمدة عام، لأننى عرفت أمرًا من بين أمور أخرى اطلعت عليها من مقال غريب اختفظ به جدى هنا، وهو أن هانساكر لديه منافس، ويدعى السيد تومو جى واتانابى، وهو تاجر عاديات من طوكيو". ثم واصل دانى قائلاً وهو ينحنى ليلتقط قصاصة قديمة من مجلة تايم: "واتضح أنهما يتنافسان منافسة شرسة من أمد طويل حول أحقية كل منهما بأن تكون مجموعته الخاصة من الطوابع فى المرتبة الثانية بعد مجموعة جدى، ولكن ذلك الخلاف والسجال سوف يتم حسمه فى اللحظة التى يضع واحد منهما يده على هذه". رافعًا بيده قائمة الطوابع.

قال مونرو: "أظن أن تلك المعلومات تضعك فى مركز قوى للغاية من وجهة نظرى".

قال دانى: "على الأرجح، ولكن عندما تبلغ القيمة الكلية مبلغًا كهذا - وبعملية حسابية صغيرة لابد أن تقدر قميتها بخمسين مليون دولار - فإن اثنين على وجه الأرض هما من يستطيعان الدخول فى منافسة ومزايدة على المجموعة، وعلى هذا لا ينبغى أن أعرض فرصًا للخطر".

قال مونرو: "لقد تاه عقلى".

"دعنا نتمن ألا يتوه عقلى عندما تبدأ مباراة التفاوض، لأننى أتوقع أن الشخص الثانى الذى سيدق هذا الباب، إن لم يكن موظف خدمة الغرف، فسوف يكون السيد جين هانساكر طامعًا أن يشترى مجموعة الطوابع النادرة التى كان يسعى وراءها على مدار الخمسة عشر عامًا الماضية. وهكذا فيستحسن أن آخذ حمامًا وأن أرتدى ثيابًا لائقة. لا أرغب فى أن يظننى قضيت طوال الليل ساهرًا فى محاولة أن أعرف كم يبلغ الثمن الذى علىّ أن أطلبه منه".

"السيد جالبريث من فضلك".

"من يتصل به؟".

"هوجو مونكريفت".

"سوف أصلك به على الفور يا سيدى".

كانت أولى كلمات جالبريث: "كيف مضت الأمور فى جينيف؟".

"سنغادرها بخفى حنين".

"ماذا؟ كيف أمكن أن يحدث هذا؟ إن لديكم كل وثيقة تحتاجون إليها لتثبتوا صحة دعواكم، بما فى ذلك وصية والدك".

"قال دو كوبرتين إن الوصية زائفة، وتقريبًا طردنا من مكتبه".

قال جالبريث وهو يبدو مندهشًا حقًا: "ولكننى لا أستطيع أن أفهم هذا، فقد عرضت الوصية على جميع السلطات المختصة فى البلاد، وقد اجتاز بكل الاختبارات المعروفة كلها".

"حسن، من الواضح أن دو كوبرتين لا يتفق مع جميع الخبراء الموثوق بهم، وهكذا أتصل لأسألك عن خطوتنا التالية".

"سوف أتصل بدو كوبرتين على الفور، وأنصحه بأن يتوقع إقامة دعويين قضائيتين عليه واحدة فى لندن والأخرى فى جينيف. هذا سيجعله يفكر مرتين عند التعامل مع أى شخص آخر سوانا إلى أن تتأكد صحة الوصية أمام المحكمة".

"ربما قد حان الوقت لكى ننتقل إلى الأمر الآخر الذى ناقشناه قبل أن أحضر إلى جينيف".

قال جالبريث: "لو أننى سأتولى هذا الأمر فإن كل ما أحتاج إليه هو رقم رحلة طيران ابن أخيك".

بعد عشرين دقيقة خرج دانى من الحمام، فقال له مونرو: "لقد كنت محقًا".

سأله دانى: "فيم؟".

" الشخص التالى الذى طرق الباب كان نادل خدمة الغرف". أضاف مونرو ودانى يتخذ مكانه إلى منضدة الإفطار: "شاب نبيه سره أن يعطينى قدرًا كبيرًا من المعلومات".

قال دانى وهو يفرد منديل المائدة: "لابد وأنه ليس سويسريًا".

واصل مونرو: "اتضح أن السيد هانساكر حجز غرفة فى الفندق منذ يومين. أرسلت له إدارة الفندق سيارة ليموزين إلى المطار لتأخذه من المطار، حيث يسافر بطائرته الخاصة. وكان بمقدور الشاب أن يخبرنى، مقابل عشرة فرانكات سويسرية،

أن الفندق حجز له مدة مفتوحة".

قال دانى: "استثمار فى موضعه".

" الأمـر الأكـثـر إثـارة أن سـيارة الليموزين نفسها أقلت هانساكر إلى بنك دو كوبرتين صباح الأمـس، حيث اجتمع بمدير البنك لمدة أربعين دقيقة".

اقترح دانى قائلاً: "ذهب ولا شك ليرى المجموعة".

قال مونرو: "كلا، لن يسمح بنك دو كوبرتين لأى شخص بالدخول إلى تلك الغرفة بدون إذنك، فسوف يحطم هذا كل التقاليد العريقة لسياسة البنك، وعلى أى حال، فليس هناك داعٍ لذلك".

سأل دانى: "ولِمَ لا؟".

"بالتأكيد تتذكر أن جدك عرض المجموعة بكاملها فى معهد سيمبثسونيان البحثى فى واشنطون احتفالاً بعيد ميلاده الثمانين، وكان أول الزائرين صباح يوم الافتتاح هو السيد جين هانساكر".

سأل دانى دون أن يفوت أى فرصة: "وما الذى أخبرك به النادل أيضًا؟".

"السيد هانساكر موجود بغرفته فى الطابق الذى فوقنا مباشرة يتناول إفطاره، ومن المفترض أنه ينتظرك لتطرق بابه".

قال دانى: "سيطول انتظاره، لأننى لا أنوى أن أكون البادئ بالتفاوض".

قال مونرو: "ياللخسارة، لقد كنت أتطلع لهذه المقابلة. لقد كان لى الشرف ذات مرة أن أحضر مفاوضة كان جدك الراحل طرفًا فيها، وعند نهاية الاجتماع، غادرت شاعرًا بأننى مسحوق ومثخون بالجراح – وكنت أقف فى جهته هو". ضحك دانى.

طرق الباب.

قال دانى: "أسرع مما توقعت".

اقترح مونرو: "لعله عمك هوجو جاء ليرفع دعوى قضائية أخرى علينا".

"أو هو النادل جاء ليأخذ آنية الإفطار، وإلا فإننى بحاجة للحظات لأخفى تلك الأوراق لكى لا يظن هانساكر أننى لا أعرف قيمة المجموعة". انحنى دانى على الأرض وانضم إليه مونرو، وشرعا يجمعان أكداس الأوراق المتناثرة.

سمعا طرقة أخرى على الباب، ولكنها كانت أعلى قليلاً هذه المرة. اختفى دانى داخل الحمام ومعه الأوراق كلها، فى حين اتجه مونرو نحو الباب.

"صباح الخير يا سيد هانساكر، كم هو لطيف أن أراك مجددًا. لقد التقينا من قبل فى واشنطون"، ومد مونرو يده ليصافحه، لكن الرجل التكساسى الضخم تجاوزه داخلاً الغرفة، وهو يفتش بعينيه عن دانى. انفتح باب الحمام بعدها بلحظات، وظهر دانى من جديد وقد ارتدى روب الاستحمام الخاص بالفندق. تثاءب ومط ذراعيه.

قال: "يا لها من مفاجأة سيد هانساكر، ما السر وراء هذه الزيارة غير المتوقعة التى أكرمتنا؟".

قال هانساكر: "اللعنة على المفاجآت. لقد رأيتنى عند تناول الإفطار صباح أمس. من الصعب على رجل بحجمى أن يتوه عن العين، وتستطيع أن تتوقف عن التظاهر بالتثاؤب لأننى أعلم أنك تناولت إفطارك بالفعل". هكذا قال وهو يرمى بنظرة نحو قطعة الخبز المحمص المأكول نصفها.

قال دانى مبتسمًا: "لابد أنك عرفت ذلكم مقابل عشرة فرانكات سويسرية ولا شك، ولكن فلتخبرنى إذن ما الذى أتى بك إلى جينيف". هكذا قال وهو يغوص بظهره فى المقعد الوحيد المريح بالغرفة.

قال هانساكر، وهو يشعل سيجاره: "اللعنة، إنك تعرف تماما سبب وجودى فى جينيف".

ذكره دانى قائلاً: "غير مسموح بالتدخين فى هذا الطابق".

قال هانساكر، وهو يرمى برماد السيجار على السجادة: "هراء! قل لى إذن كم تريد؟".

"مقابل ماذا يا سيد هانساكر؟".

"توقف عن التلاعب معى يا نيك. كم تريد؟".

"أقر بأننى كنت أناقش هذا الموضوع نفسه مع مستشارى القانونى قبل أن تطرق الباب، وقد نصحنى بحكمته أن علىَّ الانتظار قليلاً قبل أن ألتزم بأى وعد مع أى شخص".

"ولماذا الانتظار؟ ليس لديك أى اهتمام بالطوابع".

قال دانى: "هذا حقيقى، ولكن ربما هناك آخرون مهتمون بها".

"مثل من؟".

اقترح دانى قائلاً: "مثل السيد واتانابى على سبيل المثال".

"أنت تخادع".

"هذا ما قاله عنك تمامًا".

"هل تحدثت بالفعل إلى واتانابى؟".

أقر دانى قائلاً: "ليس بعد، ولكنى أتوقع منه اتصالاً فى أى لحظة".

"حدد السعر".

قال دانى: "خمسة وستون مليون دولار".

"أنت مجنون. هذا ضعف قيمتها. وأنت تدرك أننى الشخص الوحيد فى العالم الذى يمكنه أن يشترى المجموعة بكاملها. ولن تحتاج إلا لعمل اتصال هاتفى واحد لتكتشف أن واتانابى لا يمكنه منافستى".

قال دانى: "إذن فعلى أن أقسم المجموعة قطعًا مفردة، فعلى كل حال لقد أكد لى السيد بلاندل أن قاعة مزادات سوذيبير

يمكنها أن تضمن لى دخلاً هائلاً على مدى ما تبقى من حياتى، دون أن أضطر إلى إغراق السوق بالقطع، وهذا سوف يتيح لك أنت والسيد واتانابى الفرصة لانتقاء أى طوابع معينة تتلهفون لإضافتها لمجموعتيكما".

قال هانساكر وهو يشير بأصبعه نحو دانى: "وفى الحين نفسه سوف تدفع نسبة عشرة بالمائة من سعر الشراء على كل قطعة تباع من المجموعة".

تحداه دانى قائلاً: "ولا تنس نسبة العشرين بالمائة التى ستضاف إلى سعر الشراء عليك، ودعنا نواجه الأمر يا جين، إننى أصغر منك بثلاثين عامًا، ولست الطرف المتعجل فى الصفقة".

قال هانساكر: "أنا مستعد لأن أدفع خمسين مليونًا".

استولت المفاجأة على دانى، لأنه توقع أن هانساكر يفتح المزايدة بحوالى أربعين مليونًا، لكنه لم يتردد أو يطرف له جفن، وقال: "أنا مستعد لأن أبيع بستين مليونًا".

قال هانساكر:"ستكون مستعدا لأن تبيع بخمسة وخمسين".

"ربما ولكن ليس لمشتر استقل طائرته الخاصة وقطع بها نصف الكرة الأرضية تقريبًا، لا لشىء إلا ليعرف من ستئول إليه مجموعة مونكريف".

كرر هانساكر: "خمسة وخمسون".

أصر دانى: "ستون".

" كلا، خمسة وخمسون هى حدى الأقصى. وسوف أحول المبلغ كاملاً لأى بنك فى العالم، مما يعنى أنه سيكون فى حسابك خلال ساعات قليلة من الآن".

" لماذا لا نجرى قرعة على الملايين الخمسة المتبقية؟".

" لأنه على هذا النحو لا يمكنك أن تخسر. خمسة وخمسون هى ما أعرضه عليك. اقبلها أو ارفضها".

قال دانى: "أعتقد أننى سأرفضها". ونهض عن مقعده

وواصل قائلاً: "أتمنى لك رحلة عودة طيبة إلى تكساس يا أخ جين، وأرجو أن تتصل بى إن كانت هناك قطعة معينة فى المجموعة تود أن تقدم لها عرضًا خاصًا قبل أن أتصل بالسيد واتانابى".

" حسنًا، حسنًا، لنجر القرعة على الخمسة ملايين الأخيرة".

استدار دانى إلى محاميه وقال له: "هل تتفضل وتكون الحكم يا سيد مونرو؟".

قال هانساكر: "حكم؟".

أجاب مونرو: "بالطبع يا سيد". ناوله دانى عملة معدنية بقيمة جنيه، وفاجأه أن يرى يد السيد مونرو ترتعش وهو يوازن العملة على طرف إبهامه. وقذف العملة عاليًا فى الهواء.

صاح هانساكر: "صورة". حطت العملة على السجادة السميكة بالقرب من المدفأة، ووقفت رأسية على حافتها، دون ان تقع على هذا الجانب أو ذاك.

قال دانى: "لنستقر على مبلغ ٥٧ مليونا و٥٠٠ ألف".

قال هانساكر: "إنه اتفاق" ثم انحنى يلتقط العملة ووضعها فى جيبه.

قال دانى وهو يمسك بيد هانساكر: "أعتقد أنها عملتى أنا".

أعطاه هانساكر العملة وهو يبتسم ويقول: "والآن أعطنى المفتاح يا نيك، حتى أتمكن من إلقاء نظرة على البضائع".

قال دانى: "لا داعى لذلك، فعلى كل حال، لقد رأيت المجموعة كاملة بعينيك عندما كانت معروضة فى واشنطون، ومع ذلك، سأسمح لك بأن تحتفظ بسجل محفوظات جدى". التقط الكتاب السميك المغلف بالجلد من طاولة جانبية وسلمه له، وأضاف مبتسمًا: "بالنسبة للمفتاح، فإن السيد مونرو سوف يرسله لك فى اللحظة نفسها الذى يصل فيه المال لحسابى.

أعتقد أنك قلت إن هذا لن يستغرق أكثر من ساعات معدودة".

بدأ هانساكر يتوجه نحو الباب.

"ومن فضلك يا جين". التفت هانساكر نحو دانى الذى أكمل: "حاول أن يتم هذا قبل وقت الغروب فى مدينة طوكيو".

التقط ديزموند جالبريث سماعة الخط الخاص من فوق مكتبه.

قال هوجو مونكريف: "لقد تم إبلاغى من مصدر موثوق من طاقم العاملين بالفندق أنهما قد حجزا فى رحلة الخطوط الجوية البريطانية ٧٣٧ والتى تغادر من هنا فى الساعة التاسعة إلا خمس دقائق مساء. وتصل إلى مطار هيثرو فى التاسعة وخمس وأربعين دقيقة مساء".

قال جالبريث: "هذا كل ما أحتاج لمعرفته".

"سوف نعود إلى إدينبيرج فى الصباح التالى".

"وسوف يمنح هذا السيد دو كوبرتين الوقت الكافى ليقرر أى فرع من عائلة مونكريف سيفضل أن يتعامل معه".

سألت المضيفة: "أتود تناول كأس من العصير؟".

أجاب مونرو: "أشكرك، ولكننى أرغب فى شراب قوى مع الصودا".

"وأنت يا سيدى؟".

قال دانى: "سآخذ العصير، شكرًا لك". بعد أن مضت المضيفة التفت نحو مونرو وسأله: "لماذا رفض البنك، فى رأيك، أن يتعامل مع وصية عمى بجدية؟ فعلى كل حال، لابد أنه عرض عليهم الوصية الجديدة".

قال مونرو: "لابد أنهم اكتشفوا شيئًا فاتنى اكتشافه".

"لمَ لا تتصل بدو كوبرتين وتسأله عما اكتشفوه".

"ذَلك الرجل لن يعترف أصلاً بأنه التقى بعمك، ناهيك عن أنه رأى وصية جدك، ومع ذلك، فلديك الآن حوالى ستين مليونًا فى البنك، وأفترض أنك تريد منى أن أواصل المعركة القضائية مع عمك".

تساءل دانى مغمغمًا بينما يستغرق فى النوم: "ترى ما الذى كان سيفعله نيك فى هذا...".

رفع مونرو حاجبيه دهشة، لكنه لم يضغط على عميله أكثر من هذا لأنه تذكر أن السير نيكولاس لم يغمض له جفن فى الليلة السابقة.

استيقظ دانى حافلاً عندما لامست عجلات الطائرة أرض مطار هيثرو. كان هو ومونرو من أوائل من نزلوا من على متن الطائرة. بينما ينزلان درج الطائرة اندهشا عندما رأيا ثلاثة من رجال الشرطة يقفون عند مدرج الإقلاع. لاحظ مونرو أنهم لا يحملون أسلحة، فلابد إذن أنهم ليسوا من أمن المطار. فى اللحظة التى لمست فيها قدما دانى أرض المطار أمسك به اثنان من رجال الشرطة، فى حين ثنى ثالثهما ذراعيه وراء ظهره ووضع يديه فى الأصفاد.

قال واحد منهم وهم يبتعدون به: "أنت مقبوض عليك يا مونكريف".

تساءل مونرو: "بأى تهمة؟"، غير أنه لم يحصل على أى إجابة، لأن سيارة الشرطة كانت قد أسرعت بالابتعاد وهى تطلق سرينتها.

كان دانى قد قضى أغلب أيامه منذ إطلاق سراحه يتساءل متى سيقبضون عليه أخيرًا. المفاجأة الوحيدة كانت أنهم خاطبوه باسم مونكريف.

لم تعد بيث تحتمل النظر نحو أبيها، الذى لم تتحدث إليه لأيام، وعلى الرغم من أن الطبيب قد حذرها من قبل، فإنها لم تكد تصدق كم بلغ من الهزال والنحول خلال فترة قصيرة من الوقت. كان رجل الدين مايكل يزوره يوميًا منذ أن صار طريح الفراش، وهذا الصباح طلب من أم بيث أن تجمع حول فراشه الأصدقاء الحميمين وأفراد الأسرة هذا المساء نفسه، لأنه لم يعد بوسعه تأجيل إجراء الطقوس الدينية الأخيرة للاحتضار.

" بيث".

استولت المفاجأة على بيث عندما تحدث لها والدها ولبت نداءه: "نعم يا أبى". وتناولت يده.

سألها بصوت متهدج لا يكاد يسمع: "من الذى يدير الورشة الآن؟".

أجابته برقة: "إنه تريفور ساتون".

"إنه لا يصلح لهذا. لابد أن توظفى شخصًا آخر فى القريب العاجل".

أجابته بيث بلهجة مطيعة: "سأفعل هذا يا أبى".. لم تخبره بأنه ما من شخص آخر قبل بالوظيفة.

عاد ليسألها بعد صمت طويل: "هل نحن بمفردنا؟".

"نعم يا أبى. أمى فى غرفة الاستقبال تتحدث إلى السيدة".

"إلى السيدة كارترايت....؟".

أقرت بيث: "نعم".

"أشكر القدر على عقل أمك الرشيد الذى ورثته عنها". توقف أبوها من جديد ليلتقط أنفاسه.

ابتسمت له بيث. حتى جهد التحدث صار عسيرًا عليه الآن. قال لها فجأة، وصوته يصير أضعف فأضعف: "أخبريها هى وزوجها هارى أننى أود أن أراهما قبل أن أموت".

كادت بيث تقول له إنك لن تموت، لكنها همست له ببساطة: "سأخبرهما بالطبع يا أبى".

وبعد صمت طويل آخر، وبعد صراع آخر مع الأنفاس، همس لها أخيرًا: "عدينى بشىء واحد يا بيث".

"أعدك بأى شىء تطلبه يا أبى".

قبض على يد ابنته: "عدينى بأنك ستكافحين من أجل تطهير اسمه وسمعته". ارتخت قبضته فجأة، وتخدرت يده وارتمت ثقيلة إلى جانبه.

قالت بيث: "سأفعل يا أبى". رغم أنها كانت تعرف أنه لم يعد يسمعها.

٤٩

تـرك مكتب مونـرو رسـائل عـديـدة لـه عـلى هـاتـفـه الجوال ليعاود الاتصال بهم للضرورة. ولكن عقله كان مشغولاً بأشياء أخرى.

ابتعدت سيارة الشرطة بسير نيكولاس، لكى يقضى ليلته فى زنزانة بقسم شرطة بادينجتون جرين. عندما غادره السيد مونرو، استقل سيارة أجرة إلى نادى كاليدونيان فى بيلجرافيا، وراح يلقى باللوم على نفسه لأنه لم يتذكر أنه ليس مسموحًا للسير نيكولاس بالسفر خارج البلاد مادام تحت المراقبة بعد إطلاق السراح المشروط. لابد وأن نسيانه يعود ببساطة لأنه لم يستطع أبدًا التفكير فيه باعتباره مجرمًا.

عندما وصل مونرو إلى ذلك النادى فى الساعة الحادية عشرة والنصف، وجد المحامية الآنسة دافنبورت بانتظاره فى ردهة الضيوف. كان أول أمر يحتاج للتيقن منه هو ما إذا كانت كفئًا للمهمة التى اختارها لها. اقتضى منه الأمر دقائق معدودة ليتأكد من ذلك. كان من النادر أن يلتقى بأى شخص يفهم النقاط الأساسية لأى قضية بهذه السرعة. لقد طرحت جميع الأسئلة المناسبة وتمنى أن يتمكن السير نيكولاس من أن يجيب الأجوبة المناسبة، وعندما افترقا، بعد منتصف الليل بقليل، لم يكن لدى السيد مونرو أى شك فى أن عميله بين أيدٍ أمينة.

لم تكن سارة دافنبورت بحاجة لأن تذكر مونرو بموقف القضاة والمحكمة من السجناء الذين يخرقون شروط إطلاق سراحهم، وكيف أنهم نادرًا ما يجرون أية استثناءات، وخصوصًا عندما يتعلق الأمر بالسفر للخارج دون طلب الموافقة من مسئول إطلاق السراح الخاص بهم. كان كل من سارة والسيد مونرو مدركين تمامًا أن القاضى على الأغلب سوف يرسل نيك إلى السجن من جديد ليكمل ما تبقى له من أعوام أربعة فى حكمه الأصلى. سوف تطالب الآنسة دافنبورت بلا شك بـ "تخفيف الحكم لظروف خاصة"، ولكنها لم تكن متفائلة تمامًا بشأن النتيجة. لم يثق مونرو أبدًا بالمحامين المتفائلين. وعدته أن تتصل به فى دانبروث لحظة أن ينطق القاضى بالحكم.

بينما كان السيد مونرو يشق طريقه نحو غرفته بالطابق الأعلى، أخبره الحمال بأنه وصلته رسالة أخرى، مفادها أن يتصل بابنه بأقصى سرعة ممكنة.

جلس السيد مونرو على حافة الفراش وسأل ابنه فى الهاتف: "ما الأمر الملح إلى هذا الحد؟".

همس هاميش مونرو بصوت منخفض لكى لا يوقظ زوجته: "لقد سحب جالبريث جميع الدعاوى القضائية الموجهة ضد سير نيكولاس، بالإضافة إلى سجن دعوى التعدى على أملاك الغير الموجه له وطلب إخلاء منزله فى بولتونز فى غضون ثلاثين يومًا. إنه استسلم تمامًا يا أبى أم أنه هناك شىء لا أدركه؟" وأغلق على نفسه باب الحمام.

"هناك أمور لا تدركها يا بنى. جالبريث لم يقم إلا بتضحية صغيرة لشىء بعيد مقابل الفوز بالجائزة الوحيدة التى تستحق السعى لنيلها".

"الحصول على حكم محكمة بصحة الوصية الثانية للسير آلكسندر؟".

قال مونرو: "هذا هو الأهم. إذا تمكن من أن يثبت أن وصية السير آلكسندر الجديدة تترك كل شيء كان يمتلكه إلى أخيه آنجوس، وتبطل بهذا أى وصية سابقة، فعلى هذا سيكون إذن هوجو مونكريف هو الوريث الشرعى، وليس السير نيكولاس، لكل التركة والممتلكات، بما فى ذلك حساب بنكى فى سويسرا يقدر رصيده بنحو أكثر من ٥٧ مليون دولار".

"لابد وأن جالبريث واثق من صحة الوصية الثانية؟".

"قد يكون كذلك،ولكننى أعرف شخصًا آخر ليس واثقًا بالدرجة نفسها منها".

"بالمناسبة يا أبى، لقد اتصل جالبريث مجددًا بينما كنت على وشك مغادرة المكتب. لقد أراد أن يعرف متى ستعود إلى أسكتلندا".

قال مونرو: "هل سأل عن هذا حقًا؟ مما يستدعى سؤالاً أهم، كيف عرف أننى لم أكن فى أسكتلندا أصلاً؟".

قالت سارة: "عندما قلت لك إننى أود أن نلتقى مرة أخرى، كان آخر شىء أفكر فيه هو غرفة اللقاء فى نقطة شرطة بادينجتون جرين". ابتسم دانى فى أسف بينما ينظر إلى محاميته الجديدة عبر المنضدة الخشبية الصغيرة. كان مونرو قد شرح له أنه لا يستطيع أن يمثله أمام محكمة إنجليزية؛ ومع ذلك يمكنه أن يوصى له بمحام ما - لكن دانى أجابه قائلاً: "كلا، إننى أعرف تمامًا من أريده أن يمثلنى".

واصلت سارة قائلة له: "إنه لإطراء بالنسبة لى، أنك حين وجدت نفسك فى حاجة لمساعدة قانونية كنت أنا خيارك الأول".

اعترف دانى قائلاً: "بل خيارى الوحيد، فأنا لا أعرف أى محامين آخرين". ندم على ما تفوه به فى اللحظة نفسها.

" وأن تعتقد أننى جاهزة لمد يد العون بعد منتصف الليل..".

قال دانى: "أنا آسف، لم يكن هذا ما قصدته. كل ما هنالك أن السيد مونرو قال لى..".

قالت سارة مبتسمة: "أنا أعرف ما أخبرك به السيد مونرو. والآن، ليس لدينا وقتًا لنبدده. سوف تمثل أمام القاضى فى تمام الساعة العاشرة صباحًا، وعلى الرغم من أن السيد مونرو قد أوجز لى ما حدث خلال اليومين الماضيين، مازالت لدى بضعة أسئلة أحتاج لأجوبة منك عنها، لأننى لا أريد أن تكون هناك أية مفاجآت أمام المحكمة؛ لذا أرجو أن تكون صريحًا معى - وأعنى بذلك أن تكون أمينًا تمامًا. هل حدث فى أى وقت من الاثنى عشر شهرًا الماضية أن سافرت للخارج، باستثناء تلك المرة عندما زرت جينيف؟".

أجابها دانى: "كلا".

" هل تخلفت عن أى موعد شهرى مع مسئولة المراقبة الخاصة بك منذ أن غادرت السجن؟".

"كلا، بالمرة".

"هل حاولت فى أى وقت أن تتصل ...".

قال مونرو: "طاب صباحك يا سيد جالبريث. إننى أعتذر عن عدم الاتصال بك قبل هذا، ولكن لدى إحساس بأنك تعرف تمام المعرفة سبب تأخرى".

أجابه جالبريث: "أعرف فى الحقيقة، وهو السبب نفسه على التحديد الذى جعلنى أريد الاتصال بك بكل إلحاح. سوف تعلم أن موكلى قد سحب جميع الدعاوى القانونية ضد السير نيكولاس، ومع وضع هذه الظروف فى الاعتبار فإننى أرجو أن يستجيب موكلك بالقدر نفسه من الشهامة والكرم،

ويسحب دعواه الخاصة بمصداقية الوصية الأخيرة لجده، فما رأيك؟".

أجابه مونرو فى حدة: "لا تطمع فى أى شىء من هذا القبيل، فسيكون نتاج هذا أن يمتلك موكلك كل شىء، بما فى ذلك حوض المطبخ".

"لا تعد إجابتك مفاجأة لى يا مونرو. فى حقيقة الأمر لقد أعلمت موكلى مسبقًا أن هذا سيكون موقفكم، وأنه لن يكون أمامنا أى خيار آخر إلا أن نختصمكم فى تلك الدعوى المزعجة. ومع ذلك". هكذا أضاف جالبريث قبل أن يتمكن مونرو من الرد: "ربما يمكننى أن أقترح مادامت لم تعد هناك إلا دعوى قضائية واحدة بين الطرفين، وهى تحديدًا ما إذا كانت الوصية الأخيرة للجد صحيحة أم لا، قد يكون من مصلحة الطرفين أن توضع الدعوى أمام المحكمة بأسرع وقت ممكن؟".

"هل لى أن أذكرك بكل احترام يا سيد جالبريث بأن شركتنا لم تكن مسئولة عن أى تأخير أو تعويق للإجراءات، ورغم هذا سوف أرحب بهذا التغيير من كل قلبى، حتى فى ظل الظروف الأخيرة".

"يسرنى أن هذا هو موقفكم يا سيد مونرو، وأنا واثق أنه سوف يسرك أن تعلم أن سكرتير القاضى ساندرسون اتصل بنا هذا الصباح ليبلغنا بأن لديه يومًا مناسبًا لنظر الدعوى فى أول خميس من الشهر القادم، وسيسعده أن ينظر هذه الدعوى إذا ما اتفق الطرفان على ذلك".

فقال مونرو مدركًا أن جالبريث قد تربص به حتى أوقعه: "لكن هذا لا يمنحنى أكثر من عشرة أيام للتحضير للقضية".

قال جالبريث: "الحق يا سيد مونرو هو إما أنك تثبت أن الوصية غير صحيحة أو لا تثبت ذلك. إذا أثبت ذلك فإن القاضى ساندرسون سوف يحكم لصالحكم، أو على حسب

تعبيرك سوف يكون نتاج هذا أن يمتلك موكلك كل شىء حتى حوض المطبخ".

نظر دانى نحو سارة من مكانه فى قفص الاتهام. كان قد أجاب جميع أسئلتها بصراحة تامة، واستراح عندما بدا عليها الاهتمام لأسباب سفره للخارج، ولكن عندئذ، كيف لها أن تعرف أى شىء بخصوص دانى كارترايت؟ حذرتْه من أنه من المرجح للغاية أن يعود إلى سجن بيلمارش بحلول وقت تناول الغداء، وأن عليه أن يتوقع أن سيضطر لأن يقضى السنوات الأربع التالية فى السجن. نصحته أن يقر بذنبه أمام المحكمة، بما أنه ليس لديهما أى دفاع للمطالبة بإسقاط التهمة، نظرًا لأنه خالف قواعد إطلاق السراح المشروط وبالتالى لا يمكنها أن تفعل له أكثر من أن تطالب بتخفيف الحكم نظرًا للظروف الخاصة، ووافق على رأيها.

نهضت سارة وواجهت القاضى السيد كالاجان، وبدأت مرافعتها قائلة: "سيدى القاضى، لا ينكر موكلى خرقه لقواعد إطلاق السراح المشروط، ولكنه لم يقم بهذا إلا بغرض أن يثبت حقوقه فى قضية مالية كبيرة يتوقع أن توضع قريبًا للغاية أمام المحكمة العليا فى أسكتلندا، وينبغى علىَ أن أوضح يا سيادة القاضى أن موكلى كان مصحوبًا خلال كل ذلك الوقت بمحاميه الأسكتلندى المرموق السيد فريزر مونرو، والذى يمثله قانونيًا فى تلك القضية المالية". سجل القاضى ملاحظة باسم القاضى على ورقة صغيرة أمامه. وواصلت سارة: "وقد ترى أيضًا يا سيادة القاضى أنه مما يتصل بالموضوع أن موكلى لم يكن خارج البلاد إلا لأقل من ثمانى وأربعين ساعة فقط وأنه عاد إلى لندن بإرادته الحرة. وتهمة أنه لم يعلم مسئولة مراقبته بسفره ليست دقيقة كل الدقة، ذلك لأنه قد اتصل بالآنسة بينيت ولم يتلق أى جواب،

وترك لها رسالة على جهاز تسجيل الرسائل الخاص بها، وقد تم تسجيل الرسالة ويمكن إحضارها للمحكمة إذا ما أمرت بذلك ".

"كما أن هذه الزلة الهينة يا سيادة القاضى كانت هى المناسبة الوحيدة التى لم يلتزم فيها موكلى كامل الالتزام بشروط إطلاق سراحه، وأنه لم يتخلف أبدًا عن مواعيده الشهرية للمثول أمام مسئولة مراقبته أو حتى يتأخر عنها". أضافت سارة قائلة: "وأود أن أضيف أنه منذ أن تم إطلاق سراحه من السجن، فإن سلوك موكلى، باستثناء هذه الزلة، كان نموذجيًا. لا يقتصر الأمر وحسب على التزامه بشروط إطلاق السراح، ولكنه أيضًا واصل جهوده لاستكمال تعليمه العالى، وقد تم منحه مؤخرًا منحة دراسية بجامعة لندن، ويتمنى أن يقوده هذا إلى الحصول على درجة جامعية فى دراسات إدارة الأعمال".

"إن موكلى يقدم اعتذاره دون أية تحفظات عن أى مشكلات تسبب فيها للمحكمة أو للجنة إطلاق السراح المشروط، وقد أكد لى أن هذا لن يتكرر مرة ثانية".

"وفى المحصلة النهائية يا سيادة القاضى، أتمنى أنكم بعد أن تضعوا فى الحسبان كل تلك الظروف، أنه لن يكون هناك أى جدوى أو هدف من إرسال موكلى من جديد إلى السجن". أغلقت سارة ملفها، وانحنت وعادت إلى مكانها.

واصل القاضى الكتابة لبرهة من الوقت قبل أن يضع قلمه، ثم قال أخيرًا: "شكرًا لك يا آنسة دافنبورت. أحتاج لقليل من الوقت حتى أفكر فى مطلبك قبل النطق بالحكم. ربما يمكننا أن نأخذ راحة قصيرة، وتعود المحكمة للانعقاد مجددًا".

رفعت الجلسة. تحيرت سارة. لماذا يحتاج قاض بخبرة السيد كالاجان إلى بعض الوقت ليصل إلى قرار بشأن قضية تافهة كهذه؟ وعندئذ تبينت الأمر.

"هل يمكننى التحدث إلى مدير عام البنك من فضلك؟".

"من يريده؟".

"فريزر مونرو".

"سأرى إن كان بوسعه تلقى اتصالك يا سيد مونرو". راح مونرو يدق سطح مكتبه فيما ينتظر.

قال دو كوبرتين: "سيد مونرو، كم هو لطيف أن أسمع صوتك مجددًا، كيف يمكننى أن أساعدك فى هذه المناسبة؟".

"فكرت أن أبلغك بأن الشأن الذى يهمنا سوف يتم حسمه فى يوم الخميس من الأسبوع التالى".

أجابه دو كوبرتين: "نعم، أنا مطلع تمامًا على التطورات الأخيرة، كما أننى تلقيت اتصالاً من السيد ديزموند جالبريث، وقد أكد لى أن موكله سوف يقبل بأى حكم تحكم به المحكمة، وبالتالى ينبغى علىّ أن أسألك ما إذا موكلك مستعد لاتخاذ الموقف نفسه".

أجاب مونرو: "نعم، إنه لكذلك. كان على أن أكتب لك اليوم مؤكدًا أن هذا هو موقفنا أيضًا".

قال دو كوبرتين: "أنا فى غاية الامتنان، وسوف أبلغ قسم الشئون القانونية لدينا بهذا. فما إن نعرف أى الطرفين تم الحكم لصالحه، سوف أعطى أوامرى بإيداع مبلغ الـ ٥٧٥٠٠٠٠٠ دولار فى حسابه".

قال مونرو: "شكرًا لك على هذا التأكيد"، ثم سعل قبل أن يتابع قائلاً: "إننى أتساءل إن كان بوسعى أن أتبادل معك كلمة بصورة غير رسمية".

أجابه دو كوبرتين: "هذا المصطلح ليس موجودًا فى قاموسنا نحن السويسريين".

"إذن بناء على رعايتى لمصالح الراحل سير آلكسندر مونكريف وعقاراته هل لى أن أطلب إرشادًا منك".

أجاب دو كوبرتين: "سأبذل قصارى جهدى، ولكننى لن

أخالف قواعد الخصوصية والسرية لعملائنا تحت أية ظروف، وهذا سار بالدرجة نفسها سواء كان العميل حيًا أو ميتًا".

قال مونرو: "أتفهم موقفك تمامًا. لدى سبب يجعلنى أظن أنك تلقيت زيارة من السيد هوجو مونكريف قبل أن ترى السير نيكولاس، وبالتالى لابد أنك اطلعت على الوثائق التى تعد هى الأدلة الخاصة بتلك القضية". لم يرد دو كوبرتين بأى رأى. "هل يمكننى أن أفترض أن صمتك هذا معناه عدم النفى؟"، ولم يجد دو كوبرتين جوابًا فتابع مونرو: "كان من بين تلك المستندات نسخ من وصيتى السير آلكسندر، وصحة إحدى الوصيتين سوف تقرر نتيجة هذه القضية"، ومن جديد لم يجد السيد دو كوبرتين جوابًا، مما جعل مونرو يتساءل إن كان الخط قد انقطع بينهما. تساءل: "هل مازلت معى يا سيادة المدير؟".

أجاب دو كوبرتين: "نعم، أنا معك".

"بما أنك كنت مستعدًا للقاء السير نيكولاس بعد لقائك بالسيد هوجو مونكريف، فلا يمكن لى إلا أن أفترض أنك رفضت دعوى عمه، لأن البنك مثلى تمامًا غير مقتنع بصحة الوصية الثانية، وهكذا ليس هناك أى سوء تفاهم بيننا"، ثم أضاف مونرو: "فلابد أن بنككم قد توصل إلى أنها غير صحيحة". أمكن لمونرو الآن أن يسمع صوت أنفاس السيد دو كوبرتين فواصل: "وهكذا، علىّ أن أسألك باسم العدالة عما جعلكم تقتنعون بأن الوصية الثانية غير صحيحة، لأننى لم أتمكن من وضع يدى على هذا الأمر".

"أخشى أننى غير قادر على مساعدتك يا سيد مونرو، لأن هذا سيكون خرقًا لخصوصية عملائنا".

أكد مونرو ملحًا: "هل هناك أى شخص آخر غيرك يمكننى اللجوء إليه لطلب النصيحة فى هذا الشأن؟".

مرَّ صمت طويل بينهما، قبل أن يقول دو كوبرتين أخيرًا:

"تماشيًا مع سياسة البنك، فقد سعينا لطلب رأى آخر من مصدر خارجى".

"وهل يمكنك أن تفشى لى اسم مصدركم؟".

أجاب دو كوبرتين: "كلا، لا يمكننى ذلك، بقدر ما أود أن أفعل هذا، فهذا أيضًا سيكون منافيًا لسياسة البنك فى مثل تلك الحالات".

شرع مونرو يقول: "ولكن...".

واصل دو كوبرتين قائلاً، ومتجاهلاً للمقاطعة: "وعلى الرغم من ذلك، فإن السيد المحترم الذى تلقينا مشورته يعد مصدرًا موثوقًا به دون أى شك فى مجال خبرته، كما أنه لم يغادر جينيف بعد ليعود إلى بلده".

عندما دقت الساعة الثانية عشرة تمامًا، نادى حاجب قاعة المحكمة: "فلينهض الجميع". بينما عاد القاضى السيد كالاجان إلى منصة المحكمة.

ابتسمت سارة نحو دانى مشجعة، كان مازال يقف بقفص الاتهام، وعلى وجهه نظرة تسليم. ما إن استقر القاضى فى مقعده حتى نظر نحو مقعد الدفاع، وقال: "لقد فكرت مليًا فى مطلبك يا آنسة دافنبورت، وعلى الرغم من هذا، يجب أن تدركى أن مسئوليتى هى التأكد من السجناء مدركون تمامًا أنهم خلال فترة مراقبتهم، بعد إطلاق السراح المشروط، فإنهم مازالوا ينفذون فترة عقوبتهم، وأنهم إذا ما أخفقوا فى تنفيذ تلك الشروط التى وضعتها لجنة إطلاق السراح، فإنهم بهذا يخرقون القانون".

واصل قائلاً: "بالطبع لقد نظرت بعين الاعتبار إلى سجل موكلك إجمالاً منذ إطلاق سراحه، بما فى ذلك جهوده للحصول على درجة جامعية، وهذا كله محفز للغاية، لكنه لا

ينفى حقيقة أنه أساء استغلال الثقة الممنوحة له، وبناء على ذلك يجب معاقبته". أحنى دانى رأسه. قال القاضى، موجهًا حديثه له: "مونكريف، سوف أوقع أمرًا قضائيًا اليوم ينص على أنه سوف تسجن لمدة أربع سنوات أخرى فى حالة إن خرقت مرة ثانية شروط إطلاق سراحك مستقبلاً. خلال فترة مراقبتك لن يكون بوسعك تحت أية ظروف السفر للخارج، وسوف تستمر فى المثول أمام مسئولة مراقبتك مرة كل شهر".

رفع القاضى نظارته: "مونكريف، لقد كنت محظوظًا كل الحظ هذه المرة، وما رجح كفتك أمام المحكمة حقيقة أنك سافرت فى رحلتك المتهورة إلى الخارج بصحبة عضو بارز فى مهنة المحاماة بأسكتلندا". ابتسمت سارة. كان القاضى كالاجان بحاجة لإجراء اتصال هاتفى أو اثنين، ليتأكد من أمر كانت سارة تعرفه من قبل. كانت آخر عبارة نطق بها السيد كالاجان هى: "أنت حر، تستطيع مغادرة المحكمة الآن".

نهض القاضى من مكانه، انحنى وغادر القاعة. لبث دانى فى قفص الاتهام، على الرغم من حقيقة أن الشرطيين اللذين كانا يحرسانه قد اختفيا ونزلا للدور السفلى. بعد أن فتح الحاجب الباب الصغير ليسمح له بالخروج من القفص إلى ساحة قاعة المحكمة، سارت سارة نحوه.

سألها: "هل تتناولين الغداء معى؟".

قالت سارة وهى تغلق هاتفها المحمول: "كلا، لقد أرسل لى السيد مونرو رسالة قصيرة يقول فيها إنه يريدك أن تأخذ الرحلة التالية إلى إدينبيرج – ويرجوك أن تتصل به وأنت فى طريقك للمطار".

٥٠

لم يسمع دانى من قبل مصطلح "الجلسة السرية". فشرح له السيد مونرو بأدق التفاصيل لماذا اتفق هو والسيد ديزموند جالبريث على هذه الطريقة فى حسم النزاع بين الطرفين.

اتفق كلا الطرفين على أنه لن يكون من الحكمة فى شىء إعلان الخلافات العائلية على الملأ. بل إن جالبريث أقر بأن موكله لديه نفور من الصحافة، وكان مونرو قد حذر السير نيكولاس من قبل أنه إذا كانت جلسة النزاع علنية، فإن الصحافة سوف تنشغل بالفترة التى قضاها فى السجن أكثر بكثير مما ستنشغل بوصية جده.

وقد قبل كلا الطرفين كذلك أن القضية لابد وأن تنظر أمام قاضى المحكمة العليا، وأن قراره سيكون نهائيًا وملزمًا: فبمجرد أن يعلن القاضى حكمه، لن يكون هناك فرصة أمام أى من الطرفين لرفع استئناف للحكم. وقد وقع كل من السير نيكولاس والسيد هوجو اتفاقًا ينص على ذلك قبل أن يوافق القاضى على نظر الدعوى.

جلس دانى إلى جانب السيد مونرو فى أحد جانبى الغرفة، فى حين جلس كل من هوجو ومارجريت إلى جانب السيد ديزموند جالبريث على الجانب الآخر. اتخذ القاضى السيد ساندرسون مجلسه إلى مكتبه فى مواجهتهم. لم يرتد أى

من موظفى المحكمة الثياب الرسمية مما أضفى مزيدًا من جو الاسترخاء على الجلسة. بدأ القاضى الإجراءات بتذكير كل من الطرفين بأنه على الرغم من أن القضية لن تكون علنية، فإن الحكم سيكون ملزمًا قانونيًا. وسره أن يرى كلا من المحاميين يومئان بالموافقة.

أثبت القاضى ساندرسون أنه مقبول من كلا الطرفين، ليس هذا وحسب، بل أثبت أنه، وبتعبير السيد مونرو "ثعلب عجوز حكيم".

بدأ قائلاً: "أيها السادة، بعد أن اطلعت على خلفية تلك القضية، أدرك مدى أهميتها لكلا الطرفين. وقبل أن أبدأ علىّ أن أسأل إن كانت هناك أية محاولة للتوصل إلى تسوية؟".

قام السيد ديزموند من مكانه وأقر بأن السير آلكسندر قد كتب رسالة لا لبس فيها، توضح أنه شاء أن يحرم حفيده من الميراث بعد أن تمت محاكمته عسكريًا، وأن موكله، السيد هوجو مونكريف، لا يريد أكثر من تنفيذ رغبة أبيه المتوفى.

وقام السيد مونرو من مكانه ليقول إن موكله لم يكن هو المبادر بإقامة دعوى قضائية فى المقام الأول، وأنه لم يسع إلا هذا النزاع، ولكنه شأنه شأن السيد هوجو مونكريف لا يرغب إلا فى تنفيذ وصية جده، توقف قليلاً، ثم أضاف: "بالحرف الواحد".

رفع القاضى منكبيه مسلمًا بأنه غير قادر على التوصل إلى أية تسوية بين الطرفين. قال: "إذن فلنمض فى هذا، لقد اطلعت على جميع الوثائق التى أتت إلىّ كما أننى راجعت أى أقوال إضافية جاءت من كلا الطرفين باعتبارها دليلاً. ومع وضع هذا كله فى الاعتبار، أنوى أن أوضح من البداية ما أراه متعلقًا بالقضية وما أراه غير ذى صلة. لا يوجد بين الطرفين من يختلف على أن السير آلكسندر مونكريف قد حرر وصية بتاريخ السابع عشر من يناير عام ١٩٩٧، وترك فيها أغلب

ممتلكاته لحفيده نيكولاس، والذى كان ضابطًا يخدم فى كوسوفو فى ذلك الحين". رفع بصره طلبًا للتأكيد على حديثه، وأومأ كلا المحاميين بالموافقة.

"ورغم ذلك، فإن ما يزعمه السيد جالبريث، بالنيابة عن موكله السيد هوجو مونكريف، أن تلك الوثيقة لم تكن هى الوصية الأخيرة للسير آلكسندر، وأن هناك وصية بعدها..". نظر القاضى إلى ملاحظاته وأضاف: "حررت بتاريخ الأول من نوفمبر عام ١٩٩٨، وفى الوصية الثانية ترك السير آلكسندر جميع ممتلكاته لابنه آنجوس، وقد توفى السير آنجوس فى العشرين من مايو عام ٢٠٠٢، وفى وصيته الأخيرة ترك كل ممتلكاته لأخيه الأصغر هوجو".

"كما قدم السيد جالبريث كدليل، نيابة عن موكله، رسالة موقعة من السير نيكولاس ينص فيها على أسبابه الخاصة وراء تغيير رأيه، ولم يشكك السيد مونرو فى صحة التوقيع على الصفحة الثانية من هذه الرسالة، لكنه اقترح أن الصفحة الأولى فى الحقيقة قد نزعت فى وقت سابق، ويقول إنه لن يتقدم بأى دليل ليدعم دعواه، وعلى الرغم من هذا فإن الحقيقة سوف تنجلى تلقائيًا عند إثبات أن الوصية الثانية غير صحيحة.

"كما أعلم السيد مونرو المحكمة أنه لن يدعى أن السير نيكولاس، بتعبير قانونى، لم يكن فى كامل قواه العقلية عندما حرر الوصية الثانية محل النزاع. بل على العكس، فقد قضيا أمسية معًا قبل أسبوع واحد من رحيل السير آلكسندر، وبعد العشاء قد هزمه السير نيكولاس فى مباراة شطرنج هزيمة لا تأتى إلا من رشيد.

"وهنا ينبغى علىَّ أن أقول إن النزاع الوحيد بين الطرفين هو إثبات صحة إلوصية الثانية من عدمه، التى يزعم السيد جالبريث بالنيابة عن موكله أنه الوصية الأخيرة للسير

آلكسندر مونكريف، بينما يدعى السيد مونرو إنها مزيفة، دون أن يقولها صراحة. أتمنى أن يعتبر الطرفان ما عرضته هو التقييم الدقيق للوضع الحالى. إذا كان هذا صحيحًا، فإننى أرجو من السيد جالبريث أن يعرض القضية بالنيابة عن السيد هوجو مونكريف".

نهض السيد ديزموند جالبريث من موضعه وقال: "سيدى القاضى، أنا وموكلى من جانبنا نتقبل أن النزاع الوحيد ما بين الطرفين هو مسألة الوصية الثانية، والتى تفضلت سيادتكم بالقول إننا لا نشك أبدًا فى كونها الوصية الأخيرة للسير آلكسندر. إننا نقدم الوصية مرفقًا بها رسالة كدليل على إدعائنا، كما أننا نود أن نقدم شاهدًا نظن أنه سوف يحسم الموقف تمامًا".

قال القاضى ساندرسون: "بكل ترحيب، فلتدع شاهدكم".

قال جالبريث وهو ينظر نحو باب الغرفة: "أدعو البروفيسور نيجل فليمنج".

انحنى دانى وسأل مونرو إن كان يعرف البروفيسور. فأجابه مونرو: "أعرفه باسمه فقط". وهنا دخل الغرفة رجل طويل وأنيق الهندام، رأسه مغطاة بشعر رمادى، وبينما كان يتلو القسم، ذكر دانى بالمسئولين رفيعى المستوى الذين كانوا يأتون إلى مدرسة كليمنت آتلى الشاملة مرة فى العام لتوزيع الجوائز، ولكن هذا الرجل لم يأت ليمنح دانى جائزة بكل تأكيد.

قال القاضى ساندرسون: "تفضل بالجلوس بروفيسور فليمنج".

بقى جالبريث واقفًا وقال: "بروفيسور، أرى أنه من المهم أن تطلع المحكمة على خبرتك ومرجعيتك فى مجالك، لذا أرجو أن تتسامح معى إذا سألت بضعة أسئلة تتعلق بعلمك وخبرتك".

انحنى البروفيسور انحناءة بسيطة.

"ما منصبك الحالى؟".

"أشغل منصب أستاذ جامعى للكيمياء غير الحيوية بجامعة إدينبيرج".

"وهل قمت بتأليف كتاب حول علاقة هذا المجال بالجريمة، والذى أصبح مرجعًا فى هذا الشأن وجرى تدريسه كجزء من المناهج القانونية المقررة فى أغلب الجامعات؟".

"لا يمكننى أن أقول أغلب الجامعات يا سيد جالبريث، ولكنه كذلك على التحديد فى حالة إدينبيرج".

"هل قمت فيما مضى بتقديم أدلة عديدة بالمحكمة فى نزاعات تتعلق بهذا المجال؟".

"لا أرجو أن أبالغ فى تقدير خبرتى يا سيد جالبريث. لقد تم استدعائى من قبل الحكومة فى ثلاث مناسبات لتقديم المشورة حول صحة مستندات عند نشوء نزاع بين دولتين أو أكثر حول صحتها".

" عظيم جدًا. إذن اسمح لى أن أسألك يا بروفيسور إذا سبق لك أن قدمت دليلاً أمام المحاكم عند نشوء نزاع حول صحة إحدى الوصايا؟".

"نعم فعلت يا سيدى، فى سبع عشرة مناسبة منفصلة".

"وهل لك أن تخبر المحكمة فى كم من تلك القضايا انتهت المحكمة للأخذ برأيك؟".

" لا أزعم ولو للحظة أن حكم المحلفين فى تلك القضايا استند أولاً وأخيرًا إلى رأيى".

قال القاضى بابتسامة استياء: "قول لطيف منك. ومع ذلك يا بروفيسور، فالسؤال هو كم من تلك المرات السبع عشرة اتفق حكم المحلفين مع رأيك؟".

أجاب البروفيسور: "ست عشرة يا سيدى".

قال القاضى: "استمر رجاء يا سيد جالبريث".

"بروفيسيور، هل أتيحت لك الفرصة لفحص الوصية الأخيرة للسير مونكريف، وهى مركز النزاع فى هذه القضية؟".

"لقد فحصت الوصيتين".

"هل يمكننى أن أسألك عن الوصية الثانية؟" أومأ البروفيسور ليواصل جالبريث: "هل الورق الذى كتبت عليه كان متوفرا فى ذلك الحين؟".

سأل القاضى: "ما ذلك الحين على وجه التحديد يا سيد جالبريث؟".

"نوفمبر ١٩٩٨ يا سيدى".

أجاب البروفيسيور: "نعم، كان متوفرًا. فى اعتقادى، وبناء على البرهان العلمى، أن الورق كان من الصنف نفسه المستخدم فى الوصية الأولى والتى حررت فى ١٩٩٧".

رفع القاضى حاجبه، لكنه لم يقاطعهما. سأل جالبريث: "وهل الشريط الأحمر المرفق بالوصية الثانية من الصنف نفسه؟".

"نعم، لقد قمت باختبار على كل من الشريطين، وقد تبين أنهما مصنوعان فى الوقت نفسه".

"وهل يمكنك أيها البروفيسيور أن تتوصل إلى أية نتيجة فيما يتعلق بتوقيع السير آلكسندر كما يظهر فى الوصيتين؟".

"قبل أن أجيب عن هذا السؤال يا سيد جالبريث، لابد أن تفهم أننى لست خبيرًا فى خطوط اليد، ولكن يمكننى أن أقول لك أن الحبر الأسود المستخدم فى التوقيع كان مصنوعًا فى الوقت نفسه فى عام ١٩٩٠".

سأل القاضى: "هل تقول للمحكمة أنك قادر على تحديد تاريخ صنع زجاجة من الحبر فى حدود العام الذى أنتجت فيه؟".

قال البروفيسيور: "وأحيانًا أحدد الشهر الذى صنعت فيه، فى الحقيقة إننى أؤكد أن الحبر المستخدم للتوقيع فى كلا الوصيتين كان من زجاجة واحدة ماركة ووترمان التى ترجع لعام ١٩٨٥".

قال جالبريث: "والآن أود أن أرجع لماكينة الآلة الكاتبة المستخدمة لكتابة الوصية الثانية. أى نوع هى ومتى ظهرت فى الأسواق أول مرة؟".

"إنها ماركة رمنجتون إنفوى الثانى، وقد ظهرت فى الأسواق أول مرة عام ١٩٦٥".

أضاف جالبريث: "إذن على سبيل التأكيد وحسب، فإن الورق والحبر والشريط وماكينة الآلة الكاتبة جميعها كانت موجودة قبل تاريخ نوفمبر ١٩٩٨".

قال البروفيسيور: "بلا أدنى شك، فى تقديرى".

"شكرًا لك يا سيادة البروفيسيور. هلا تلطفت بالانتظار قليلاً، لدى إحساس بأن السيد مونرو لديه بضعة أسئلة ليوجهها لك".

نهض مونرو ببطء من مكانه وقال: "ليس لدى أية أسئلة أوجهها لهذا الشاهد يا سيدى القاضى".

لم يبد القاضى أى رد فعل، ومع ذلك، فقد بدا العكس تمامًا على السيد جالبريث، الذى حدق بغير تصديق إلى محامى الخصم. طلب هوجو مونكريف من مارجريت أن تفسر له كلمات مونرو، بينما نظر دانى أمامه مباشرة، دون أن يظهر عليه أى انفعال، تمامًا كما نصحه السيد مونرو أن يفعل.

سأل القاضى: "هل لديك أى شهود آخرين يا سيد جالبريث؟".

"كلا يا سيدى، لا يمكننى إلا أننى أفترض أن رفض زميلى المحامى لاستجواب شاهدى البروفيسيور فليمنج يعنى أنه يتقبل رأيه وما توصل إليه". توقف قليلاً ثم أضاف: "بلا أى شك".

لم يبد على مونرو أى تعبير.

قال القاضى: "سيد مونرو، هل تود أن تقدم مرافعة؟".

قال مونرو: "باختصار إذا شئت سيادتك. لقد أكد البروفيسيور فليمنج أن الوصية الأولى للسير آلكسندر، والتى حررها لصالح موكلى، صحيحة صحة لا خلاف عليها، ونحن نقبل حكمه فى هذا الشأن، وكما قلت حضرتك فى مستهل الجلسة، فإن النزاع الوحيد بين الطرفين فى هذه القضية يتعلق بصحة الوصية الثانية من عدمِ صحتها، وهو أمر..".

وثب جالبريث من مكانه قائلاً: "سيدى القاضى، هل يوحى السيد مونرو للمحكمة بأن حكم الخبير البروفيسيور يصدق فقط على الوصية الأولى ولكنه لا يصدق على الوصية الثانية؟".

قال مونرو: "كلا سيدى القاضى، إذا تحلى زميلى المحامى بقليل من الصبر، لاكتشف أن هذا ليس ما كنت أنوى اقتراحه. لقد أخبر البروفيسيور المحكمة بأنه ليس خبيرًا يمكن الرجوع له فى الحكم على التوقيعات...".

قال جالبريث واثبًا من على مقعده من جديد: "لكنه شهد أيضًا يا سيدى القاضى بأن كلتا الوصيتين كتبتا بالحبر نفسه، ومن الزجاجة نفسها".

قال مونرو: "ولكنهما لم تكتبا باليد نفسها، إذا كان لى أن أقترح".

سأل القاضى: "هل سوف تستدعى خبير خطوط؟".

"كلا يا سيدى لن أفعل".

"هل لديك أى دليل تقدمه على أن التوقيع مزيف؟".

كرر مونرو: "كلا يا سيدى، ليس لدى".

هذه المرة رفع القاضى حاجبه، وقال: "هل لديك أى شهود تستدعيهم لدعم موقفك فى القضية يا سيد مونرو؟".

"نعم يا سيدى. مثل زميلى المبجل، سوف أستدعى شاهدًا".

توقف مونرو لبرهة من الزمن، مدركًا أنه باستثنائه هو ودانى الذى لم يطرف له جفن، فإن جميع من بالغرفة يتحرقون شوقًا لمعرفة من قد يكون هذا الشاهد.

"إننى أستدعى السيد جين هانساكر".

فتح الباب، ودخل منه ابن تكساس ضخم الجثة وتهادى ببطء إلى داخل الغرفة. شعر دانى بأن شيئًا ما على غير ما يرام فيه، ثم أدرك أنها المرة الأولى التى يرى فيها هانساكر من غير سيجاره الشهير.

تلا هانساكر القسم، وتردد صوته الجهورى فى أرجاء الغرفة الصغيرة.

قال القاضى: "اجلس رجاءً يا سيد هانساكر. بما أننا مجموعة صغيرة هنا اليوم، فربما نخاطب بعضنا البعض بقدر من عدم التكلف".

قال هانساكر: "آسف لصوتى المرتفع يا سيدى القاضى".

قال القاضى: "لا داعى للاعتذار، تابع عملك رجاء يا سيد مونرو".

نهض مونرو من مقعده وابتسم لهانساكر وقال له: "فقط للتسجيل، هلا تلطفت وقلت اسمك وعملك؟".

"اسمى جين هانساكر الثالث، وأنا متقاعد".

سأل القاضى: "وماذا كان عملك قبل أن تتقاعد يا سيد هانساكر؟".

"ليس بالأمر الجلل. كان أبى ، شأنه شأن جدى من قبله، من أصحاب مزارع الماشية، لكننى أنا شخصيًا لم أعمل بهذا، وخصوصا بعد اكتشاف البترول فى أرضى".

قال القاضى: "إذن فأنت من رجال البترول".

"ليس تمامًا يا سيدى، لأننى قمت ببيع الأرض، وأنا فى السابعة والعشرين من عمرى، للشركة البريطانية (بريتيش بيتروليوم)، وأمضيت ما تبقى من حياتى فى مواصلة هوايتى الأثيرة".

شرع القاضى يقول: "يا له من أمر مثير للاهتمام، هل لى أن أسألك ما هى ..".

قال مونرو بحزم: "سوف نأتى إلى هوايتك بعد قليل يا سيد هانساكر، غاص القاضى فى مقعده، وعلى وجهه نظره اعتذار. "السيد هانساكر هل قلت إنك حصلت على ثروة محترمة بعد أن قمت ببيع أرضك لشركة بريتش بيتروليوم، وأنك لم تعد تعمل فى مجال البترول".

"هذا صحيح يا سيدى".

"أود أيضًا أن أوضح لهيئة المحكمة ما هى المجالات الأخرى التى لست خبيرًا فيها. فمثلاً هل أنت خبير بمجال الوصايا؟"

"كلا، لست خبيرًا به".

"هل أنت خبير بمجال الحبر والأوراق؟".

"كلا، يا سيدى".

"هل أنت خبير بالشرائط؟".

قال جين: "كنت أحاول أن أفكها من ضفائر البنات الصغيرات وأنا صبى يافع، لكننى لم أكن ماهرًا فى ذلك حتى".

انتظر مونرو حتى يهدأ الضحك، قبل أن يواصل: "إذن ربما تكون خبيرًا فى مجال الآلات الكاتبة؟".

"كلا يا سيدى".

"فى مجال التوقيعات؟".

"كلا يا سيدى".

قال مونرو: "ومع ذلك، هل أكون محقًا إذا قلت إنك تعد المرجع الأول والأهم فى العالم كله فى مجال طوابع البريد؟".

"يمكننى أن أقول بأمان إن هذا الوصف إما ينطبق على أو على السيد تomوجى واتانابى، وفقًا لمن تتحدث معه".

لم يعد القاضى يستطيع احتمال المزيد من ذلك، فقال: "سيد هانساكر، هل يمكن لك أن تفسر ما تقصده بقولك هذا؟".

"كل منا من جامعى الطوابع النادرة منذ ما يزيد على الأربعين عامًا، يا سيادة القاضى. مجموعتى الخاصة أكبر من مجموعته، ولكن لكى أكون منصفًا مع السيد تو موجى، فمن الممكن أن يرجع ذلك لأننى أثرى منه بما لا يقارن، ودائمًا ما أفوز على هذا اليابانى المسكين فى المزادات التى نحضرها معًا". حتى مارجريت لم تتمكن من كتم ضحكتها هذه المرة ليواصل هانساكر: "أقدم نصائحى لمجلس إدارة دار سوذيبيز للمزادات، وهو يقدم مشورته لدار فيليبس. عرضت مجموعتى الخاصة فى هيئة سميثسونيان بواشنطون العاصمة، أما مجموعته الخاصة فقد عرضت فى المتحف الامبريالى بطوكيو، لذا لا يمكننى أن أحدد من منا هو المرجعية رقم واحد فى هذا المجال، ولكنَ أيًا منا يعد رقم واحد فإن الآخر ولا شك سيكون هو الثانى مباشرة".

قال القاضى: "شكرًا لك يا سيد هانساكر، أنا راضٍ تمامًا عن أن شاهدك خبير فى مجاله يا سيد مونرو".

قال مونرو: "شكرًا لك يا سيدى، سيد هانساكر، هل فحصت كلتا الوصيتين المتعلقتين بهذه القضية؟".

"نعم، فعلت يا سيدى".

"وما رأيك، رأيك المهنى المحترف، فى الوصية الثانية، تلك التى يترك فيها السير آلكسندر كل ثروته لابنه آنجوس؟".

"إنها مزيفة".

نهض ديزموند جالبريث واقفًا فى الحال. قال القاضى: "اهدأ، اهدأ يا سيد جالبريث". ولوح له ليعود إلى مكانه: "أتمنى يا سيد هانساكر أن تقدم للمحكمة دليلا ملموسا على إدعائك هذا، وأنا لا أعنى بقولى "دليلاً ملموسًا" جرعة أخرى

من فلسفتك الخاصة فى الحياة".

ظهرت على وجه هانساكر ابتسامة فرحة. انتظر لبعض الوقت قبل أن يقول: "سوف أقدم دليلاً، يا سيادة القاضى، أعتقد أنه يمكن لهذه المحكمة أن تصفه بأنه لا يقبل الشك، يثبت أن الوصية الثانية للسير آلسكندر مزيفة، ولكى أفعل هذا، سوف أطلب من سيادتك أن تطلع على الوثيقة الأصلية". التفت القاضى ساندرسون إلى جالبريث، الذى هز منكبيه ونهض من مكانه وأسلم الوصية الثانية للقاضى. قال هانساكر: "والآن يا سيدى القاضى، إذا تفضلت بأن تقلب الصفحة الثانية من الوثيقة، سوف ترى أن توقيع السير آلكسندر مكتوب على طابع بريد".

قال القاضى: "هل توحى بأن طابع البريد مزيف؟".

"كلا يا سيدى، ليس كذلك".

"ولكن كما قلت سابقًا يا سيد هانساكر فأنت لست خبيرًا فى التوقيعات. فما الذى تقترحه على التحديد؟".

قال هانساكر: "الأمر واضح كالشمس يا سيدى، مادمت تعرف ما الذى تنظر إليه تحديدًا".

قال القاضى بنبرة فيها قدر من الغضب: "أرجو أن تنور المحكمة".

قال هانساكر: "عندما اعتلت جلالة الملكة العرش فى الثانى من فبراير عام ١٩٥٢، وتم تتويجها فى ويستمنستر آبى فى يونيه ١٩٥٣. وأصدرت هيئة البريد الملكية طابعًا للاحتفال بهذه المناسبة – الحق أن لى الفخر بامتلاك صفحة كاملة من الطبعة الأولى منه. كان هذا الطابع يقدم الملكة كامرأة شابة، ولكن نظرًا للفترة الطويلة لحكم جلالة الملكة، كان على هيئة البريد الملكية أن تصدر طبعة ثانية من الطابع نفسه كل بضعة أعوام لتعكس تقدم العمر بجلالتها، والطابع الملصق على الوصية يعود إلى تاريخ مارس ١٩٩٩". دار هانساكر بمقعده

قليلاً من أجل أن ينظر نحو هوجو مونكريف، متسائلاً إلى أى مدى أثرت فيه كلماته. لم يلمح أثـرًا واضحا، على الرغم من أن الشئ نفسه لم يصدق على مارجريت، التى راحت تطلق اللعنات من بين شفتيها، فى حين غاض الدم من وجهها على الفور.

قال هانساكر: "سيادة القاضى، لقد توفى السير آلكسندر مونكريف فى ١٧ ديسمبر عام ١٩٩٨ — أى قبل ثلاثة شهور من صدور هذا الطابع. لذا فهناك أمر واحد مؤكد: أن هذا التوقيع المرسوم على وجه جلالتها لا يمكن أن يكون توقيعه هو".

الكتاب الرابع

الانتقام

٥١

"الانتقام صنف من الطعام من الأفضل أن يقدم باردا".

أعاد دانى رواية علاقات خطرة إلى حقيبة أوراقه بينما بدأت الطائرة هبوطها عبر ركام من سحب داكنة معلقة فى سماء لندن. كانت لديه النية فى الانتقام على مهل من الرجال الثلاثة جميعهم المسئولين عن موت أعز أصدقائه، وعن منعه من الزواج من بيث، ومن حرمانه من قدرته على تربية ابنته كريستى، وألقوا به وراء القضبان ليعاقب عن جريمة لم يقترفها.

صار تحت تصرفه الآن الموارد المالية التى تتيح له أن ينفذ انتقامه ببطء، سينتقم منهم واحدًا بعد الآخر، وكان فى نيته أيضًا أنه عندما يتم انتقامه سيفضل الرجال الثلاثة الموت على الحياة.

"هلا تفضلت بربط حزام الأمان يا سيدى، سوف نهبط فى مطار هيثرو فى غضون دقائق قليلة".

ابتسم دانى للمضيفة التى قاطعت تسلسل أفكاره. لم تتح للقاضى ساندرسون الفرصة لأن يصدر حكمًا فى قضية آل مونكريف، بما أن أحد الطرفين قد سحب دعواه ما إن غادر السيد هانساكر الغرفة.

على مائدة العشاء فى نادى نيو كلاب بإدينبيرج، شرح

السيد مونرو لنيك أنه إذا ما ارتأى القاضى أن هناك جريمة تم ارتكابها، فلن يكون أمامه خيار آخر إلا أن يرسل جميع المستندات المتعلقة بالقضية إلى المدعى العام، وفى الوقت نفسه بمكان آخر من المدينة كان المحامى السيد ديزموند جالبريث يخبر موكله بأنه إذا كان قد وقع هذا، فقد لا يكون ابن أخيه نيك هو الشخص الوحيد من آل مونكريف الذى سيجرب حبسة الزنزانة.

ونصح مونرو السير نيكولاس بألا يرفع دعوى تزوير على عمه، على الرغم من أن دانى لم يكن لديه أدنى شك من أنه عمه هو المسئول عن رجال الشرطة الثلاثة الذين كانوا بانتظاره فى مطار هيثرو، وأضاف مونرو فى إحدى تلك اللحظات النادرة التى يخفف فيها من تكلفه: "أما إذا تسبب لك عمك هوجو فى أى مشكلات بالمستقبل فليرض بما سيجده منا".

حاول دانى بإخلاص أن يشكر مونرو على كل ما قدمه على مدى سنوات - يفكر مثل نيك - واندهش من جواب مونرو الذى كان :"لست متأكدًا أيهما أنا سعيد بهزيمته بدرجة أكبر هل هو عمك هوجو، أم هو المغرور ديزموند جالبريث". بلا تكلف من جديد. رأى دانى على الدوام أنه كان محظوظًا لأن السيد مونرو يقف فى صفه، ولكنه مؤخرًا فقط أدرك ما كان له أن يلقاه منه لو أنه كان خصمًا له.

عند تقديم القهوة بعد العشاء، طلب دانى من فريزر مونرو أن يكون القيم الرسمى على ممتلكات العائلة بالإضافة إلى وضعه كمستشاره القانونى. انحنى مونرو وقال: "إن كانت تلك هى رغبتك يا سير نيكولاس". كما أوضح دانى أنه يرغب فى تقديم قصر دانبروث والأراضى المحيطة به إلى مؤسسة صيانة التراث فى أسكتلندا، وأنه ينوى دفع كل الأموال اللازمة لصيانة ورعاية الملكية.

قال مونرو: "هذا هو تمامًا ما كان يتخيله جدك، مع أننى

ليس لدى أدنى شك فى أن عملك هوجو وبمساعدة السيد جالبريث، سوف يجدان طريقة بارعة للتملص من هذا الالتزام".

بدأ دانى يتساءل إذا كان مونرو معاقراً للشراب. لم يستطع أن يتخيل كيف سيكون رد فعل الرجل العجوز إذا ما اكتشف ما يخطط له دانى تجاه ابن موقر من أبناء مهنته.

حطت الطائرة على أرض مطار هيثرو بعد الحادية عشرة بقليل، كان من المفترض أن يلحق دانى برحلة الساعة الثامنة وأربعين دقيقة، ولكن النوم غلبه للمرة الأولى من أسابيع، وفاته موعد الطائرة.

نحى سبنسر كريج عن عقله عندما توقفت الطائرة عند البوابة المحددة، فك حزام الأمان وانضم للمسافرين الآخرين الواقفين فى الممر بين المقاعد بانتظار أن يفتح باب الطائرة. هذه المرة لم يكن هناك أى رجال شرطة بانتظاره خارج الطائرة. بعد أن انتهت القضية مبكرًا عن موعدها المتوقع، ربت هانساكر على ظهر القاضى بمودة وعرض عليه تدخين سيجار. لم يجد القاضى ساندرسون ما يرد عليه به للحظات، ولكنه نجح أخيرًا فى الابتسام له وأن يرفض عرضه بطريقة مهذبة.

أوضح دانى لهانساكر أنه لو أنه كان انتظر فى جينيف لكان بوسعه كذلك أن يحصل على مجموعة الطوابع النادرة للسير آلكسندر، لأن هوجو كان سيسعده أن يبيعها له وعلى الأغلب بثمن أقل.

أجابه هانساكر: "ولكننى فى هذا الحال لن أكون وفيًا لدين جدك. أما الآن فقد فعلت شيئًا لأرد بعضًا من عطفه وطيبته معى والنصائح التى أسداها لى على مدار سنوات عديدة".

رحل جين إلى تكساس بعد ساعات قليلة من ذلك فى طائرته الخاصة، ومعه ١٣٧ ألبومًا مغلفًا بالجلد، كان دانى يعرف أنه سوف ينهمك ويستغرق فيها طوال الرحلة، وربما

طوال ما تبقى من حياته.

عندما استقل دانى قطار هيثرو اكسبريس، عادت أفكاره من جديد إلى بيث. كان يشعر بحاجة ماسة لرؤيتها مرة أخرى. كان الروائى موباسان قد لخص مشاعر دانى على خير نحو، حين قال: "ما جدوى النصر إن لم تجد شخصًا إلى جانبك تتقاسمه معه؟"، ولكنه يمكنه الآن أن يسمع صوت بيث تقول: "ما جدوى الانتقام الآن ولديك ما تهب له حياتك؟"، لو قالت ذلك لذكرها أولاً بشقيقها بيرنى، ثم نيك، الذى كان هو الآخر لديه الكثير ليهب له حياته، ولجعلها تدرك أن المال فى حد ذاته لا يعنى أى شىء بالنسبة له، وأنه على استعداد أن يتخلى عن كل بنس من المال مقابل.....

ليته يستطيع إرجاع عقارب الساعة للوراء.....

ليته يستطيع الرجوع إلى حى الويست إند فى المساء التالى...

ليته لم يذهب إلى ذلك المقهى....

ليتهم خرجوا من باب المقهى الأمامى....

ليت، وليت....

بعد سبع عشرة دقيقة توقف القطار فى محطة بادينجتون. تفقد دانى ساعة يده؛ مازالت لديه بضع ساعات قبل موعد لقائه بالآنسة بينيت، مسئولةالمراقبة الخاصة به. سوف يذهب هذه المرة مستقلاً سيارة أجرة، وسوف يكون بانتظارها بالاستقبال قبل الموعد بوقت طويل. مازالت كلمات القاضى تطن فى أذنيه: "سوف أوقع أمرًا قضائيًا اليوم ينص على أنه سوف تسجن لمدة أربع سنوات أخرى فى حالة إن خرقت مرة ثانية شروط إطلاق سراحك مستقبلاً".

فعلى الرغم من أن تسوية الحساب مع الفرسان الثلاثة بقيت هى الأولوية الأولى لدانى؛ إلا أنه لابد أن يخصص وقتًا كافيًا من أجل المذاكرة للحصول على درجته الجامعية، وأن يفى

بوعده لنيك. لقد بدأ يتساءل إن كان لسبنسر كريج أى دور فى مقتل نيك، كما أوحى آل الضخم، قتل الرجل غير المقصود؟

توقفت السيارة الأجرة أمام منزله فى بولتونز. للمرة الأولى شعر دانى بأنه منزله حقًا. دفع الأجرة، وفتح البوابة فوجد متشردًا راقدًا على عتبة الباب.

أخرج دانى محفظته وهو يقول: "لابد أن هذا هو يوم سعدك". كان الجسد الغافى يرتدى قميصًا بلا ياقة مقلمًا بالأبيض والأزرق، وسروالاً من الجينز المهلهل، وحذاءً أسود لابد أنه تم تلميعه هذا الصباح. تقلب الغافى ورفع رأسه.

"مرحبًا يا نيك".

ألقى دانى بذراعيه حوله، فى الوقت نفسه الذى كانت مولى تفتح فيه الباب. وضعت يديها على خصرها وهى تقول: "لقد قال إنه صديق لك، ولكنى قلت له إن عليه الانتظار بالخارج".

قال دانى: " إنه صديقى حقًا، أقدم لك آل الضخم يا مولى".

كانت مولى قد أعدت من أجل نيك أكلة الخضراوات واللحم على الطريقة الأيرلندية، ولأنها كانت دائمًا ما تطبخ بمقادير كبيرة، فقد كان هناك أكثر مما يكفى لكليهما.

قال دانى ما إن جلسا إلى طاولة المطبخ: "احكى لى كل شىء".

قال آل الضخم وهو يتناول الطعام:"ليس هناك الكثير لأحكيه، لقد تم إطلاق سراحى مثلك بعد انتهاء نصف المدة. وشكرًا على أنهم رحلونى إلى سجن آخر، وإلا لبقيت فى السجن لآخر يوم من حياتى". وضع ملعقته فى الطبق بعد تردد، وأضاف مبتسمًا:"وأعرف من كان مسئولاً عن ترحيلى".

سأل دانى: "وما خططك إذن؟"

"لا شىء فى الوقت الحاضر، ولكنك قلت تعال وزرنى ما إن تخرج من السجن". توقف قليلاً ثم قال: "أرجو أن تسمح لى

بالبقاء هذه الليلة".

قال دانى: "ابق كما تشاء". ثم أضاف مبتسمًا: "سوف تعد لك مديرة منزلى غرفة الضيوف".

قالت مولى فى صرامة: "أنا لست مديرة منزلك، أنا عاملة تنظيف أطبخ لك من وقت لآخر".

"لم يعد هذا هو الوضع الحالى يا مولى، أنت الآن مديرة المنزل، وطاهية أيضًا، مقابل عشرة جنيهات عن الساعة". لم تجد مولى ما تقوله. استغل دانى هذا الوضع، وأضاف قائلاً: "والأكثر من ذلك، أنك ستحتاجين لتوظيف عاملة تنظيف لمساعدتك بما أن آل الضخم انضم إلينا الآن".

قال آل الضخم: "كلا، كلا. سوف أغادركم ما إن أحصل على عمل".

سأله دانى: "ألم تكن سائقًا فى الجيش؟".

همس آل الضخم وهو يؤمئ برأسه نحو مولى: "لقد كنت سائقك لمدة خمسة أعوام".

قال دانى: "إذن فقد استعدت وظيفتك القديمة".

ذكرته مولى قائلة: "ولكنك لا تملك سيارة".

قال دانى: "إذن لابد أن أشترى واحدة. ومن أفضل شخص يقدم لى النصح فى هذا؟" وهو يغمز بعينه لآل الضخم وأضاف: "لقد أردت دائمًا امتلاك سيارة بى إم دابليو، وبما أننى عملت سابقًا فى ورشة سيارات فإننى أعرف الموديل المحدد الذى...".

وضع آل الضخم إصبعا على فمه.

أدرك دانى أن آل الضخم على حق. لابد أن نصر أمس قد أدار رأسه قليلاً، وعاد يتصرف مثل دانى - إنه خطأ لا يستطيع تحمل عواقب تكراره كثيرًا. فكر مثل نيك، وتصرف مثل نيك. عاد من جديد إلى عالمه غير الحقيقى.

قال آل الضخم: "ولكن أولاً من الأفضل أن تشترى لك بعض الثياب، قبل أن نفكر حتى فى أمر السيارة".

قالت مولى وهى تملأ طبق آل الضخم للمرة الثالثة: "وبعض الصابون".

"حتى يمكن لمولى أن تفرك لك ظهرك".

قالت مولى: "لن أفعل شيئًا كهذا، لكن من الأفضل أن أذهب لأعد إحدى غرف الضيوف مادام السيد آل الضخم سوف يقيم معنا - لبضعة أيام". ضحك دانى وآل الضخم بينما خلعت مريول المطبخ وغادرتهما.

ما أن أغلق الباب حتى انحنى آل الضخم عبر الطاولة، وقال: "أمازلت تخطط للانتقام من الأوغاد...".

قال دانى بهدوء، "نعم، مازلت، وقد أتيت إلى فى الوقت المناسب تمامًا".

"متى سوف نبدأ إذن؟".

"سوف تبدأ بأن تأخذ حمامًا، وأن تذهب لشراء بعض الملابس لنفسك". وأخرج حافظة نقوده لمرة ثانية.

"وفى هذه الأثناء، فإن لدى موعدًا مع مسئولة المراقبة".

⊸○⊷

كان السؤال الأول الذى طرحته الآنسة بينيت هو: "وكيف قضيت الشهر الماضى يا سيد نيكولاس؟".

حاول دانى أن يحتفظ بتعبير جاد على وجهه.أجابها: "انشغلت بتسوية المشكلات العائلية التى ذكرتها لك فى اللقاء الأخير".

"وهل يجرى كل شىء كما خططت له؟".

"نعم، شكرًا لك آنسة بينيت".

"هل عثرت على عمل؟".

"كلا يا آنسة بينيت. إننى أركز الآن على الحصول على درجة جامعية فى إدارة الأعمال من جامعة لندن".

" آه، نعم، أتذكر هذا، ولكن لا شك أن مال المنحة ليس كافيًا

لأن تتعيش منه".

قال دانى: "أستطيع أن أتدبر أمورى".

عادت الآنسة بينيت إلى قائمة أسئلتها: "أمازلت تعيش فى المنزل نفسه؟".

"نعم".

"حسنًا. أعتقد أننى ربما آتى وأتفقد المنزل فى وقت ما، فقط لأتأكد أنه مستوفٍ للحدود الدنيا من معايير وزارة الداخلية".

"على الرحب والسعة، أنتظر زيارتك فى الوقت الذى يناسبك".

ثم قرأت السؤال التالى: "هل اتصلت بأى من السجناء السابقين ممن تعرفت بهم خلال سجنك؟".

قال دانى: "نعم". مدركا أن إخفاء أى شىء عن ضابط المراقبة يعد خرقًا لشروط إطلاق السراح وأضاف: "إنه سائقى السابق تم إطلاق سراحه قريبًا، وهو يقيم معى حاليًا".

"هل هناك مساحة كافية لكل منكما فى المنزل؟".

"أكثر مما يكفينا بكثير، شكرًا لك يا آنسة بينيت".

"وهل لديه وظيفة؟".

"نعم، سيكون سائقى الخاص".

"أظن أن لديك من المشاكل ما فيه الكفاية يا نيكولاس، بدون أن تضيف إليها الميل للمزاح".

" لم أقل شيئًا غير الحقيقة المؤكدة يا آنسة بينيت. لقد ترك لى جدى مالاً كافيًا بما يسمح لى أى أعين لدى سائقًا خاصًا".

عادت الآنسة بينيت بنظرها نحو قائمة الأسئلة التى تتوقع منها وزارة الداخلية أن تطرحها فى لقاءات شهرية منتظمة. لم تجد فيها أى شىء يتعلق بتوظيف سائق خصوصى. حاولت مجددًا.

"هل وقعت تحت إغـراء ارتكـاب جـريمـة مـنـذ لقائنا السابق؟"

"لا يا آنسة بينيت".

"هل تعاطيت أية مخدرات؟".

"لا يا آنسة بينيت".

"هل تتلقى حاليا معونة بطالة؟".

"لا يا آنسة بينيت".

"هل تطلب أى مساعدة أخرى من هيئة إطلاق السراح المشروط؟".

"لا، وإننى أشكرك يا آنسة بينيت".

انتهت الآنسة بينيت من قائمة أسئلتها، ولكنها لم تمض إلا نصف الوقت المخصص لكل فرد، فسألته فى إحباط: "لماذا لم تخبرنى ما الذى كنت تفعله خلال الشهر الماضى؟".

قالت بيث، وهى تستعير القناع الحزين الذى يضعه على الدوام رئيسها السيد توماس كلما اضطر لتسريح واحد من فريق العمل: "سوف أضطر للاستغناء عنك".

سأل تريفور ساتون: "تسغنين عنى بمن؟ إذا ذهبت لن يكون لديك مدير للورشة. إلا إذا كان لديك شخص آخر جاهز ليحل محلى".

قالت بيث: "ليس لدى أى خطط لأن أحل شخصًا آخر محلك. ولكن منذ وفاة أبى والورشة تخسر النقود بصورة ثابتة. ولا يمكننى تحمل استمرار الوضع القائم وقتًا أطول من ذلك". كانت بذلك تردد النص المتفق عليه بينها وبين السيد توماس.

اعترض تريفور قائلاً: "ولكنك لم تمنحينى الوقت الكافى لإثبات نفسى".

تمنت بيث لو أن دانى هو من يجلس مكانها الآن- ولكن إن كان دانى مازال موجودًا لما نشأت مثل تلك المشكلة من الأصل.

قالت بيث: "لو مر بنا ثلاثة أشهر أخرى مثل الأشهر الماضية لأشهرنا إفلاسنا".

سألها تريفور وهو ينحنى للأمام واضعًا مرفقيه على الطاولة: "وماذا تتوقعين منى أن أفعل؟ فأنا لا أعرف إلا شيئًا واحدًا، أن صاحب الورشة ما كان ليعاملنى هذه المعاملة".

شعرت بيث بالغضب لذكره والدها، غير أن السيد توماس كان قد نصحها بأن تحاول أن تضع نفسها مكان تريفور، وأن تتخيل طبيعة موقفه وشعوره، وخاصة لأنه لم يعمل أبدًا فى مكان آخر غير الورشة منذ أن ترك مدرسة كليمنت آتلى الشاملة.

قالت بيث، وهى تحاول أن تحتفظ بهدوئها: "لقد تحدثت إلى مونتى هيوز، وقد أكد لى أنه يستطيع أن يجد لك مكانا فى فريق عمله". لم تذكر أن السيد هيوز ليس لديه مكان شاغر إلا لوظيفة مساعد ميكانيكى، مما يعنى انخفاضًا كبيرًا فى راتب تريفور.

قال غاضبًا: "هذا كله حسن جدًا، ولكن ماذا عن مكافأة نهاية الخدمة؟ أنا أعرف حقوقى خير معرفة".

قالت بيث: "سوف أدفع لك راتب ثلاثة شهور، كما سوف أمنحك رسالة توصية تقول بأنك كنت من بين أخلص العاملين وأكثرهم اجتهادًا". أضاف مونتى هيوز عندما استشارته بيث: "وأكثرهم حماقة كذلك". بينما انتظرت جواب تريفور، تذكرت كلمات دانى، ولكن تريفور لا يمكنه جمع عددين بصورة صحيحة. فتحت بيث الدرج، وأخرجت مجموعة ضخمة ملفوفة وصفحة واحدة من الورق. فتحت المجموعة ووضعت محتوياتها على سطح المكتب. حدق ساتون إلى مجموعة النقود فئة الخمسين جنيهًا للورقة ولعق شفتيه وهو يحاول

أن يحسب كم مجموع المال الذى وضعته بيث على سطح المكتب. وعبر المكتب مررت بيث العقد الذى أعده لها السيد توماس فى المساء السابق. قالت له وهى تضع إصبعها على السطر الأخير: "ما عليك إلا أن توقع هنا وتصير السبعة آلاف جنيه من نصيبك". تردد تريفور، وبدا أن دهرًا مر قبل أن يتناول القلم الممدود له ويكتب الكلمتين الوحيدتين اللتين يمكنه كتابتهما دون أخطاء فى الحروف، وفجأة جمع المال، دون أن ينطق بكلمة واحدة أخرى، وأدار ظهره لبيث، وخطا خارجًا من الغرفة.

ما إن صفق تريفور الباب من ورائه حتى تنفست بيث الصعداء، لأنه لم يشك فى أنه يمكنه أن يطالب بأكثر من هذا المبلغ بكثير، ومع ذلك، فإن سحب بيث لهذا المبلغ كاد يأتى على رصيد الورشة كاملاً. كل ما تبقى لبيث لتفعله الآن هو أن تبيع العقار بمحتوياته بأسرع وقت ممكن.

وكيل العقارات الشاب الذى ألقى نظرة على العقار أكد لها أن الورشة تبلغ قيمتها مائتى ألف على أقل تقدير. فعلى كل حال، الورشة فى موقع للملكيات الخاصة، وتقع فى مكان ممتاز سهل الوصول منه إلى المدينة. إن مبلغ مائتى ألف جنيه يمكنه أن يحل كل مشكلات بيث المالية، ويعنى أن هناك فائضًا كافيًا لضمان مصاريف التعليم اللائق لكريستى، وهو ما كانت تخطط له دائمًا مع دانى.

٥٢

كان دانى يقرأ مؤلف ميلتون فريدمان بعنوان نظام الضرائب، التضخم ودور الحكومة، ويدون ملاحظات على الفصل الخاص بدورة الممتلكات والعقارات وتأثيرات امتلاك أسهم الملكية الخاصة السلبية عندما رن جرس الهاتف. بعد ساعتين من المذاكرة بدأ يشعر أن أى شىء غير البروفيسيور فريدمان سيكون تغييرًا جيدًا. التقط الهاتف فسمع صوت امرأة.

"مرحبًا يا نيك. إنه صوت من الماضى".

قال دانى وهو يحاول يائسًا أن يتذكر اسمها: "مرحبًا يا صوت الماضى".

"لقد قلت إنك ستأتى وترانى بينما أنا فى رحلة عرض المسرحية. حسن، ظللت أبحث عنك وأنتظرك بين الجمهور، لكن لم تظهر قط".

سأل دانى، وهو مازال يفتش فى عقله دون أن يهب الاسم لنجدته: "إذن أين تعرضين فى هذه اللحظة؟".

"فى كامبريدج، على مسرح الفنون".

"عظيم، أى مسرحية؟".

"امرأة بلا أهمية".

قال دانى وقد أدرك أنه سينكشف بعد قليل: "أوسكار وايلد

من جديد".

" نيك، إنك حتى لا تتذكر اسمى، أليس كذلك؟".

قال فى الوقت المناسب تمامًا: "لا تكونى سخيفة يا كاتى، كيف يمكننى أن أنسى اسم الممثلة البديلة المفضلة لدى؟".

"حسن، لقد صرت ممثلة أساسية الآن، وكنت آمل أن تأتى وتشاهدنى".

قال دانى: "يبدو هذا جيدًا"، وراح يقلب صفحات دفتر مواعيده، رغم أنه يعرف أنه بلا أى التزامات تقريبًا طوال الأمسيات وسألها: "ما رأيك فى يوم الجمعة؟".

"هذا أفضل اختيار، فيمكننا أن نمضى إجازة نهاية الأسبوع معًا".

قال دانى وهو ينظر إلى صفحة بيضاء فى دفتره: "سيكون على أن أعود إلى لندن من أجل اجتماع فى صباح السبت".

قالت كاتى: "إذن ستكون ليلة أخرى عابرة. سأرضى بهذا".

لم يجب دانى بشىء فواصلته: "يرفع الستار فى السابعة والنصف. سوف أترك لك تذكرة فى شباك التذاكر. وتعال وحدك، لأننى لا أنوى أن أتقاسمك مع أى شخص".

وضع دانى سماعة الهاتف وحدق إلى صورة بيث الفوتوغرافية المحاطة بإطار فضى والموضوعة على حافة المكتب.

٥

قالت مولى وهى تنظر عبر نافذة المطبخ: "هناك ثلاثة رجال فى طريقهم للمنزل، يبدو أنهم أجانب".

طمأنها دانى قائلاً: "إنهم غير مؤذين، أدخليهم غرفة الجلوس وأخبريهم بأننى سأكون معهم خلال دقيقة واحدة".

ركض دانى السلالم إلى غرفة المكتب وتناول الملفات الثلاثة التى أعدها استعدادًا لهذا اللقاء، ثم عاد من جديد بسرعة

نزولاً على السلالم.

بدا الرجال الثلاثة الذين كانوا ينتظرونه متطابقين فى كل شىء عدا عمر كل منهم. ارتدى ثلاثتهم حُللا زرقاء داكنة جيدة التفصيل، وقمصانًا بيضاء، وأربطة عنق بلا رسوم أو زركشة، وحمل كل منهم حقيبة أوراق جلدية سوداء. يمكن للمرء أن يمر بهم فى الشارع دون أن يلحظهم - وهو أمر قد يسرهم.

قال دانى: "كم هو لطيف أن أراك من جديد سعادة البارون".

أحنى دو كوبرتين رأسه وقال: "نحن ممتنون لأنك دعوتنا إلى منزلك الجميل يا سير نيكولاس. دعنى أقدم لك مسيو بريسون، المدير التنفيذى للبنك، ومسيو سيجات، والذى يدير حساباتنا الضخمة". صافح دانى الرجال الثلاثة بينما ظهرت مولى من جديد وهى تحمل صينية محملة بالشاى والبسكويت.

قال دانى وهو يجلس: "السادة المهذبين، لعلنى بوسعى أن أشرع فى أن أطلب منكم أن تطلعونى على المستجد بشأن الوضع الحالى لحسابى المصرفى".

قال السيد بريسون، وهو يفتح ملفًا بنى اللون لا يحمل كتابة على غلافه: "حسابك رقم واحد يظهر رصيدًا يتجاوز سبعة وخمسين مليون دولار، وهو يحصل حاليًا فائدة بمعدل ٢,٧٥ بالمائة سنويا". واصل قائلا: "أما حسابك رقم اثنان فهو يتجاوز المليون دولار. هذا الحساب يعرف فى البنك باسم حساب جدك الخاص بشراء الطوابع، والذى كان يستخدمه كلما أراد أن يضيف شيئًا إلى مجموعته على نحو سريع".

قال دانى: "يمنكم أن تدمجا الحسابين بما أننى لن أشترى أى طوابع". أومأ بريسون وأضاف دانى "وعلى أن أقول أيضًا يا مسيو بريسون أننى أجد نسبة ٢,٧٥ بالمائة فائدة لرأسمالى

أمرًا غير مقبول، وأننى فى المستقبل سوف أستغل أموالى على نحو أفضل".

سأله سيجات: "هلا أخبرتنا ما تنويه؟".

قال دانى: "نعم، سوف أقوم بالاستثمار فى ثلاث قطاعات - العقارات، والبورصة والأسهم، وربما السندات، والتى بالمناسبة تدر فائدة قميتها ٧,١٢ بالمائة على وجه العموم/ كما أننى سأضع جانبًا مقدارًا صغيرًا، لا يزيد على عشرة بالمائة من إجمالى رأس المال، من أجل أى مضاربات محتملة".

قال سيجات: "إذن لعلى أقترح عليك فى الظروف الحالية أن تنقل أموالك إلى ثلاثة حسابات مختلفة لا يمكن تتبعك من خلالها، بينما نعين مدراء رسميين كممثلين لك".

سأل دانى: "ماذا تقصد بالظروف الحالية؟".

"منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر وكل من الأمريكيين والبريطانيين يهتمون كل الاهتمام بأى شخص ينقل مبالغ مالية ضخمة من هنا إلى هناك. ولن يكون من الحكمة أن يظهر اسمك المرة تلو الأخرى على أجهزة الرصد الخاصة بهم".

قال دانى: "تفكير صائب".

أضاف بريسون: "بافتراض أنك وافقت على عمل تلك الحسابات، هل لى أن أسألك إن كنت ترغب فى الاستفادة الإضافية من خبرة البنك فى إدارة استثماراتك؟ أذكر هذا، لأن قسم الاستثمار فى العقارات على سبيل المثال، يوظف أكثر من أربعين متخصصًا فى هذا المجال - سبعة منهم فى لندن - وهم حاليا يديرون حافظة سندات تقل قيمتها بقليل عن مائة مليار دولار، وقسم الاستثمار الخاص بنا أكبر من هذا بكثير".

قال دانى: "سوف أنتفع بكل ما تقدمونه لى، ولا تتردد فى أن تعلمنى إذا رأيت أننى أتخذ قرارًا خاطئًا، ومع ذلك فإننى خلال العامين الماضيين قد أنفقت قدرًا كبيرًا من الوقت أتتبع

ثروات واستثمارات ثمانى وعشرين شركة بعينها وقد قررت أن أستثمر بعضًا من رأسمالى فى إحدى عشرة شركة منها".

سأله سيجات: "وماذا ستكون سياستك عندما يحين وقت شراء الأسهم فى تلك الشركات؟".

"أرغب فى أن أشترى حصصًا صغيرة كلما طرحت أسهمها فى السوق - ولكن دون تسرع أو بكميات كبيرة، فلا أرغب أن أكون مسئولاً عن قلب موازين السوق بأية طريقة. وكذلك لا أرغب أبدًا أن أمتلك أكثر من اثنين بالمائة من أى شركة منفردة". ناول دانى بريسون قائمة بالشركات التى ظل يراقب تقدمها قبل هروبه من السجن بفترة طويلة.

مرّ بريسون بإصبعه على أسماء الشركات وابتسم قائلاً: "لقد راقبنا نحن أنفسنا شركات عديدة من هذه القائمة، لكن يأسرنى أنك وضعت يدك على شركة أو اثنتين لم نفكر بهما من قبل".

"إذن فأرجو منك أن تتأكد جيدًا منها، وأخبرنى إذا راودتك أية شكوك حيالها". التقط دانى واحدًا من ملفاته وأكمل: "أما بالنسبة لسوق العقارات، فإننى أنوى أن أتصرف بقوة وبمبالغ ضخمة، وسوف أتوقع منكم التحرك بسرعة إذا كان الدفع الفورى يؤمن لنا سعرًا معقولاً".

أعطاه بريسون بطاقة تعريف شخصية. لم يكن عليها اسم ولا عنوان، فقط رقم هاتف نقش باللون الأسود وقال له: "هذا هو الخط الخاص بى. يمكننا أن نحول أى مقدار من النقود إلى أى بلد على وجه الأرض بضغطة زر واحدة. وعندما تتصل ليس عليك أن تقول اسمك لأن الخط يعمل بنبرة الصوت".

وضع دانى البطاقة فى جيبه الداخلى وقال: "شكرًا لك، إننى أحتاج لنصحكم كذلك فى أمر أكثر إلحاحًا، وهو نفقاتى اليومية. لا أرغب فى أن يتطفل رجال الضرائب على أمورى الشخصية، وبما أننى أقيم فى هذا المنزل وأوظف مدبرة منزل

وسائق خاص، فى حين أننى فى الظاهر ليس لدى شىء أكثر من منحة دراسية كطالب، فقد يكون جهاز رصد الضرائب العامة هو ما سيظهر فيه اسمى مرارًا وتكرارًا".

قال دو كوبرتين: "إذا أمكن لى أن أقدم اقتراحًا؟ اعتدنا أن نحول مائة ألف جنيه شهريًا لحساب فى لندن باسم جدك. وهو يخرج من وديعة أعددناها نيابة عنه. كان يدفع الضرائب عن هذا الدخل كاملة، بل إنه حتى نفذ بعض تعاملاته المالية الصغيرة من خلال شركة مسجلة فى لندن".

قال دانى: "علىّ أن أطلب منكم أن تستمروا فى هذا الإجراء، كيف يمكننى القيام بهذا؟".

أخرج دو كوبرتين ملفًا رفيعًا من حقيبة أوراقه، وأخرج صفحة مفردة من الورق وقال وهو يشير للسطر الأخير: "إذا ما وقعت هنا يا سير نيكولاس يمكننى أن أؤكد لك أن كل شىء سيتم إعداده وإدارته على النحو الذى يرضيك. كل ما سأحتاج إليه أن أعرف على أى بنك نحول لك المال؟".

قال دانى: "كاتوس آند كو، فى شارع ستراند".

قال مدير البنك: "تمامًا مثل جدك".

بعد دقائق من رحيل رجال المصرف السويسرى سأل دانى آل الضخم: "كم يلزمنا للوصول إلى كامبريدج؟".

"ساعة والنصف تقريبًا. لذا علينا أن نتحرك بسرعة يا زعيم".

قال دانى: "عظيم، سأذهب لأغير ملابسى وأعد حقيبة لقضاء ليلة واحدة".

قال آل الضخم: "لقد أعدتها مولى بالفعل، ووضعتها فى صندوق السيارة".

كان المرور فى مساء يوم الجمعة مزدحمًا، ولم يتمكن آل

الضخم من الانطلاق على الطريق ويتجاوز سرعة الثلاثين ميلاً فى الساعة إلا بعد أن تجاوز طريق إم ١١. السريع وصلت السيارة إلى كينجز باراد قبل دقائق معدودة من رفع الستار.

خلال الأسابيع الماضية كان دانى شديد الانشغال أن هذه ستكون المرة الأولى التى يتردد فيها على المسرح منذ مشاهدته لمسرحية أهمية أن تكون إرنست.

لورانس دافنبورت. على الرغم من أن دانى قد بدأ يضع الخطط من أجل الانتقام من كل واحد من خصومه الثلاثة، فإنه كلما فكر فى دافنبورت تذكر سارة. إنه يدرك أنه كان من الممكن به الأمر بالعودة إلى سجن بيلمارش لولاها هى، ويدرك أيضًا أنه سيحتاج لرؤيتها من جديد، لأن بوسعها أن تفتح له أبواب لا يملك مفتاحها.

أوقف آل الضخم السيارة أمام المسرح وقال: "متى سترغب فى العودة إلى لندن يا زعيم؟".

قال دانى: "لم أقرر بعد، ولكن ليس قبل منتصف الليل".

أخذ تذكرته من شباك التذاكر، ودفع ثلاثة جنيهات ثمنًا لبرنامج السهرة، وتبع مجموعة من الواصلين متأخرًا إلى المقاعد الأمامية فى الصالة. ما إن عثر على مقعده حتى بدأ يقلب صفحات البرنامج. كان قد نوى أن يقرأ نص المسرحية قبل هذه الأمسية، غير أنها بقيت على المكتب دون أن يفتحها بينما يحاول أن يركز مع مؤلف السيد ميلتون فريدمان.

توقف دانى أمام إحدى الصفحات التى تعرض صورة فوتوغرافية كبيرة ومشرقة لوجه كاتى بينسون. على خلاف ممثلات كثيرات، لم تكن صورة التقطت منذ بضعة أعوام. قرأ سيرتها الذاتية القصيرة، من الواضح أن مسرحية امرأة بلا أهمية هى دورها الأكثر تميزًا حتى الآن خلال مسيرتها الفنية القصيرة.

عندما ارتفع الستار تاه دانى فى عالم آخر، وأقر عزمه على

أن يتردد على المسرح فى المستقبل بانتظام. كم تمنى أن تكون بيث جالسة إلى جواره وتقاسمه متعته. كانت كاتى تقف على خشبة المسرح تنسق بعض الزهور فى إناء، غير أن كل ما ملك عليه عقله هو تفكيره فى بيث، ولكن كلما تقدمت المسرحية صار عليه أن يقر بأن كاتى تقدم أداء متقنًا، وسرعان ما اندمج فى قصة امرأة تشك فى خيانة زوجها لها.

خلال الاستراحة اتخذ دانى قرارًا، وعندما نزل الستار كان المؤلف السيد وايلد هو من أوضح من خلال مسرحيته له كيف ينفذ قراره. انتظر حتى خلا المسرح ثم شق طريقه إلى باب خشبة المسرح. رمقه حارس الباب بنظرة مستريبة فطلب دانى مقابلة الآنسة بينسون.

سأله الحارس وهو يتفقد أوراقه: "ما اسمك؟".

"نيكولاس مونكريف".

"نعم. إنها تنتظرك. غرفة تغيير الملابس رقم سبعة، بالطابق الأول".

صعد دانى السلالم ببطء وعندما وصل للغرفة رقم سبعة انتظر لحظات ثم طرق الباب.

تناهى إليه صوت يتذكره: "ادخل".

فتح الباب فوجد كاتى تجلس أمام مرآة وهى لا ترتدى إلا ملابس داخلية سوداء. كانت تزيل مساحيق الزينة الخاصة بالعرض عن وجهها.

سأل: "هل أنتظرك بالخارج؟".

" لا تتصرف بسخافة يا عزيزى، لن ترى شيئًا جديدًا عليك، وعلى كل حال فكم أرجو أن يذكرك هذا بالمرة السابقة". والتفتت نحوه.

نهضت واقفة وارتدت ثوبًا أسود زادها فتنة تماماً. قال لها على نحو غير مقنع: "لقد كنت رائعة".

سألته وهى تنظر نحوه نظرة أكثر تفحصًا: "أمتأكد أنت يا

حبى؟ لا تبدو مقتنعًا بهذا الرأى تمام الاقتناع".

قال دانى: "بل نعم، لقد استمتعت حقًا بالمسرحية".

حدقت كاتى فيه وقالت له: "أهناك ما يسوء؟".

"علىَّ أن أعود إلى لندن. لدى عمل عاجل هناك".

"ليلة الجمعة؟ يا نيك، يمكنك أن تجد ذريعة أفضل".

"الأمر أنه..."..

"أنه هناك امرأة أخرى، أليس كذلك؟".

أقر دانى: "بلى".

قالت فى غضب، وهى تدير ظهرها إليه: "إذن لماذا تجشمت عناء المجىء من الأصل؟".

"أنا آسف. أنا أسف جدًا".

"لا داعى لاعتذارك يا نيك. لقد أوضحت لى تمامًا بما لا يدع مجالاً للشك أننى امرأة بلا أهمية".

٥٣

قال آل الضخم وهو ينهى شطيرة اللحم بسرعة: "آسف يا زعيم، لكننى اعتقدت أنك قلت ليس قبل منتصف الليل".

"غيرت رأيى".

"اعتقدت أن تغيير الرأى حق مقصور على النساء فقط".

قال دانى: "وهى أيضًا غيرت رأيها".

بعد ربع ساعة عندما وصلا إلى طريق إم ١١، استغرق دانى فى النوم. لم يصح إلا عندما توقفت السيارة فى إشارة مرور عند طريق مايل إند رود. لو أن دانى كان قد استيقظ قبل ذلك بقليل لطلب من آل الضخم أن يتخذ مسارًا آخر.

تغير ضوء الإشارة، وتوقفا فى إشارة مرور تلتها إشارة مرور أخرى ثم أخرى، كما لو أن شخصًا ما كان يعرف أن دانى ما كان ينبغى له أن يكون هناك. انحنى للخلف وأغمض عينيه، على الرغم من أنه كان يعرف أن هناك معالم لا يستطيع أن يتجاوزها دون نظرة عابرة على الأقل: مدرسة كليمنت آتلى الشاملة، دار العبادة القديمة، وبالطبع ورشة ويلسون للسيارات.

فتح عينيه، وتمنى لو أن بوسعه أن يغلقهما. قال:"لا يمكن أن يكون هذا ممكنًا، توقف هنا يا آل".

أوقف آل الضخم السيارة، ونظر للخلف ليتأكد أن رئيسه

على ما يرام. كان دانى يحدق عبر الطريق بغير تصديق. حاول آل الضخم أن يكتشف ما الذى كان دانى يحدق إليه، غير أنه لم يتمكن من رؤية أى شىء غير مألوف.

قال دانى: "انتظر هنا"، وفتح الباب الخلفى وقال له: "لن أغيب أكثر من لحظات".

قطع دانى الشارع، وتوقف على الرصيف وحدق إلى لافتة كانت معلقة على الجدار. تناول قلمًا وورقة من جيبه الداخلى ودون الرقم المسجل تحت كلمة للبيع، وعندما رأى بعض سكان المنطقة يخرجون من مقهى قريب عاد يقطع الطريق مسرعًا ولحق بآل الضخم فى مقدمة السيارة.

قال دون أى تفسير: "دعنا نخرج من هنا".

فكر دانى فى أن يطلب من آل الضخم أن يعود به إلى إيست إند صباح يوم السبت بحيث يمكنه أن يلقى نظرة أخرى، غير أنه كان يعلم أنه لا يستطيع تحمل مجازفة أن يعتقد أحدهم أنه تعرف عليه.

راح عقله يضع خطة بالتدريج، وبحلول مساء يوم الأحد كانت قد اكتملت تقريبًا. لابد من إنجاز كل تفصيل صغير على أكمل وجه. خطأ واحد صغير وسيعرف الرجال الثلاثة ما يخطط له من أجلهم، ولكن قبل أن يدخل الممثلون الثلاثة الرئيسيون إلى خشبة المسرح بوقت طويل لابد أن يكون الممثلون الثانويون والاحتياطيون قد اتخذوا أماكنهم.

عندما استيقظ دانى صباح يوم الاثنين وذهب لتناول الإفطار، ترك صحيفة التايمز على مائدة الإفطار دون أن يفتحها وراح يراجع فى عقله ما يتوجب عليه القيام به. ذلك لأنه لا يمكنه أن يخاطر بوضع أى شىء على الورق. إذا سأله ممثل الادعاء آرنولد بيرسون بينما يغادر المطبخ عن الإفطار

الذى قدمته له مولى هذا الصباح لما كان قادرًا على إجابته. عاد إلى غرفة مكتبه، أغلق عليه الباب وجلس إلى مكتبه. تناول سماعة الهاتف وطلب الرقم المسجل على البطاقة.

قال: "سأحتاج إلى أن أحول مبلغًا صغيرًا من المال فى وقت ما هذا اليوم، وبسرعة شديدة".

"مفهوم".

"كما أننى سأحتاج أيضًا إلى شخص ما لاستشارته حول التعامل فى العقارات".

"سيتصلون بك فى وقت ما خلال هذا اليوم".

أعاد سماعة الهاتف وتفقد ساعة يده. لن يكون أحد موجود على مكتبه قبل تمام التاسعة. راح يذرع الغرفة جيئة وذهابًا، مستغلاً الوقت فى التدرب على الأسئلة التى سيطرحها، الأسئلة التى لابد أن تبدو عفوية وغير معدة سلفًا. بعد دقيقة واحدة من تمام التاسعة أخرج من جيبه قطعة الورق الصغيرة واتصل بالرقم.

قال صوت شخص مستيقظ لتوه: "دوجلاس آلين سبيرو".

قال دانى: "الديكم لافتة للبيع موضوعة أمام أحد العقارات على طريق المايل إند رود".

"سوف أوصلك بالسيد باركر، إنه المسئول عن المعاملات العقارية فى تلك المنطقة".

سمع دانى طقطقة وجاءه صوت يقول: "روجر باركر".

كرر دانى قائلاً: "الديكم علامة للبيع موضوعة أمام أحد العقارات على طريق المايل إند رود".

"لدينا الكثير من العقارات المعروضة للبيع فى تلك المنطقة يا سيدى. أمكنك أن تكون أكثر تحديدًا؟".

"ورشة سيارات ويلسون".

"نعم، إنه عقار من الفئة الأولى، حيازة مطلقة. لقد امتلكته

العائلة نفسها على مدى أكثر من مائة عام".

"منذ متى وهو مطروح فى السوق؟".

"ليس لفترة طويلة، وقد تلقينا الكثير من الطلبات المهتمة بالشراء".

كرر دانى: "منذ متى؟".

أقر باركر: "خمسة شهور، وربما ستة".

ردد دانى لعنة بينه وبين نفسه عندما فكر فى حجم التوتر والقلق الذى عانته أسرة بيث، دون أن يفعل أى شىء لمساعدتهم. كان يرغب فى طرح الكثير والكثير من الأسئلة التى لا يملك لها السيد باركر أية أجوبة فسأله: "ما السعر المطلوب؟".

قال باركر: "مائتا ألف، أو أقرب عرض لهذا السعر، مما يشتمل بالطبع على التجهيزات والمعدات. هل يمكننى أن آخذ اسمك يا سيدى؟".

وضع دانى سماعة الهاتف. نهض وسار نحو الرف الذى وضع عليه الملفات الثلاثة المكتوب عليها أسماء كريج، ودافنبورت، وبين. تناول ملف جيرالد بين وتفقد رقم هاتف أصغر الشركاء فى تاريخ شركة بيكر آند تريمليت آند سمايثيز، كما تفضل السيد آرنولد بيرسون وذكر لهيئة المحكمة. غير أن دانى لم يكن لديه أية نوايا للتحدث إلى بين اليوم. كان على بين أن يأتى، وكله رغبة فى التعامل معه. طلب الرقم.

"شركة بيكر آند تريمليت آند سمايثيز".

"أنا أفكر فى شراء أحد العقارات بطريق المايل إند رود".

"سوف أوصلك بالقسم الذى يتعامل مع شرق لندن".

صدر صوت طقطقة من الطرف الثانى للخط. أيًا كان الشخص الذى سيلتقط الهاتف فقد تم اختياره عشوائيًا ليلعب دور حامل الرسالة ولا يجب أن يلقى عليه أى لوم فيما بعد عندما تثور البراكين والزلازل جاءه صوت يقول: "جارى هول معك. كيف يمكننى أن أساعدك؟".

"سيد هول، اسمى سير نيكولاس مونكريف وإننى أتساءل - "تكلم ببطء، ببطء شديد". - إذا كنت أتحدث إلى الشخص المناسب".

"أخبرنى بحاجتك يا سيدى وسوف أرى إن كان بوسعى مساعدتك".

"هناك عقار معروض للبيع على طريق المايل إند رود أود شراءه، ولكننى لا أرغب فى التعامل مباشرة مع وكالة بيع العقارات".

"أفهم مقصدك يا سيدى، يمكنك أن تأتمنى على خصوصياتك". قال دانى فى نفسه إنه يطمح إلى العكس، سأله هول: "ما رقم العقار الموجود فى طريق المايل إند ورد؟".

أجاب دانى: "واحد أربعة ثلاثة، إنه ورشة سيارات – ورشة ويلسون".

"من وكيل البيع؟".

"دوجلاس آلين سبيرو".

قال هول: "سأتحدث إلى الموظف المسئول هناك وأعرف التفاصيل كافة، ربما يمكنك أن تنضم إلى لنحتسى فنجانًا من القهوة معًا".

قال دانى: "سأكون بالقرب من منطقتكم اليوم، ربما يمكننى دعوتك إلى القهوة".

"بالطبع يا سير نيكولاس. أين تود منى أن ألتقى بك؟".

لم يخطر لدانى إلا مكان واحد يعرفه بالقرب من مقر شركة بيكر آند تريمليت آند سمايثيز. قال: "فندق دور تشيستر، هل نلتقى فى الثانية عشرة ظهرًا؟".

"سأراك هناك فى الثانية عشرة ظهرًا يا سير نيكولاس".

بقى دانى جالسا إلى مكتبه. وضع ثلاث علامات صح فى قائمة موضوعة أمامه، ولكنه كان مازال بحاجة إلى وجود لاعبين آخرين فى أماكنهم قبل منتصف النهار إذا كان عليه أن

يكون مستعدًا للقاء السيد هول. بدأ هاتف مكتبه يرن، فالتقط داني سماعته.

صدر صوت: "طاب صباحك يا سير نيكولاس، إنني أدير قسم العقارات للبنك في لندن".

-o-

قاد آل الضخم سيارة داني إلى شارع بارك لين، وتوقف بها خارج رواق المدخل الخاص بفندق دورتشيستر بعد الحادية عشرة والنصف بقليل. نزل أحد البوابين على السلالم مسرعًا وفتح باب السيارة الخلفي. نزل داني منها.

قال للبواب وهو يصعد الدرج الخارجي للفندق: "اسمي سير نيكولاس مونكريف، أتوقع أن ينضم إلى ضيف حوالي الساعة الثانية عشرة - السيد هول. أيمكنك أن تبلغه أنني سأكون في ردهة الاستقبال؟" وأخرج محفظته وأعطى للبواب ورقة بعشرة جنيهات.

قال البواب وهو يرفع قبعته: "سأحرص على ذلك دون شك سعادة السير".

سأل داني: "وما اسمك؟".

"جورج".

قال داني قبل أن يمر بالأبواب الدوارة إلى داخل الفندق: "شكرًا لك يا جورج".

توقف في ردهة الاستقبال، وقدم نفسه لرئيس الحرس. وبعد محادثة صغيرة مع والتر، أعطاه عشرة جنيهات أخرى.

عملاً بنصيحة والتر شق داني طريقه نحو ردهة الاستقبال وانتظر مجيء رئيس الندل إلى مكانه، وهذه المرة أخرج داني العشرة جنيهات من محفظته قبل أن يعلن عن طلبه.

"لماذا لا تسمح لي أن أصحب سيادتك إلى إحدى أماكن الجلوس الخاصة الصغيرة يا سير نيكولاس؟ وسوف أحرص

على اصطحاب السيد هول إليك لحظة وصوله. هل تود أن تأخذ أى شىء بينما تنتظر؟".

قال دانى: "نسخة من صحيفة التايمز وشيكولاتة ساخنة".

"بكل تأكيد سير نيكولاس".

سال دانى: "وما اسمك؟".

"ماريو يا سيدى".

صار كل من جورج ووالتر وماريو دون أن يعملوا أعضاء فى فريقه الخاص، بتكلفة ثلاثين جنيهًا فقط. تطلع دانى نحو القسم الخاص بالمال والاستثمار من صحيفة التايمز ليتفقد حال استثماراته بينما ينتظر وصول السيد هول البرىء. قبل تمام الثانية عشرة بدقيقتين، وجد ماريو يقف إلى جانبه ويقول: "لقد وصل ضيف سعادتك يا سير نيكولاس".

قال دانى بنبرة الزبون الدائم: "شكرًا لك يا ماريو".

قال هول وهو يجلس قبالة دانى: "إنه لشرف لى أن ألتقى بك يا سير نيكولاس".

قال دانى: "ماذا تود أن تشرب يا سيد هول؟".

"فقط قهوة، وشكرًا لك".

"قهوة ومشروبى المعتاد من فضلك يا ماريو".

"بكل تأكيد يا سير نيكولاس".

كان الشاب الذى انضم لمجلس دانى يرتدى سترة لونها بيج وقميصًا أخضر ورابطة عنق صفراء. ما كان جارى هول أن يحصل أبدًا على وظيفة فى بنك دو كوبرتين. فتح حقيبة أوراقه وتناول منها ملفًا. قال هول وهو يفتح الملف: "أعتقد أننى حصلت على جميع المعلومات التى تحتاج إليها يا سير نيكولاس. العقار رقم ١٤٣ بطريق مايل إند رود - كان يستخدم كورشة سيارات، ويمتلكه السيد جورج ويلسون، الذى توفى مؤخرًا". غاض الدم من وجه دانى وقد أدرك إلى أى مدى

ذهبت عواقب وفاة بيرنى: مجرد حدث واحد استطاع أن يغير حياة الكثيرين.

تساءل هول وهو يبدو مهتمًا فعلاً: "هل أنت على ما يرام يا سير نيكولاس؟".

قال دانى مستعيدًا نفسه على الفور: "نعم، أنا بخير، بخير تمامًا، ماذا كنت تقول؟" بينما يضع النادل قدح الشيكولاتة الساخنة أمامه.

"بعد تقاعد السيد ويلسون أدار العمل بالورشة لمدة عامين..". رجع هول إلى ملفه، بحثًا عن الاسم الذى يمكن لدانى أن يخبره به فأضاف: "تريفور ساتون. ولكن خلال تلك الفترة تراكمت الديون على الورشة، وهكذا قررت المالكة أن توقف الخسائر وأن تبيعها".

"المالكة؟".

"نعم، فالمكان مملوك حاليًا لـ ...". وعاد من جديد إلى ملفه – قبل أن يضيف: "الآنسة إليزابيث ويلسون، ابنة المالك السابق".

قال دانى: "ما السعر المطلوب؟".

"إن مساحة العقار تقريبًا تبلغ خمسة آلاف قدم مربع، ولكن إن كنت تفكر فى تقديم عرض شراء، فيمكننى أن أقوم بمسح وأن أتأكد من المساحة بالضبط". كان بوسع دانى أن يخبره بأن المساحة بالضبط هى ٤٧٨٩ قدمًا مربعًا، وواصل هول: "على أحد جانبى العقار يوجد محل رهونات، وعلى الجانب الآخر مستودع للسجاد التركى".

كرر دانى سؤاله: "ما السعر المطلوب؟".

"نعم. آسف، مائتا ألف، بما فى ذلك التجهيزات والمعدات، لكننى واثق تمامًا من أنك يمكنك شراؤه بمائة وخمسين. فلم يبد الكثيرون اهتمامهم بالعقار، كما أن هناك ورشة سيارات على الجانب الآخر من الطريق أكثر نجاحًا بكثير".

قال دانى: "ليس لدى أى وقت أضيعه فى المساومة، لذا استمع إلىّ جيدًا. إننى مستعد لدفع السعر المطلوب، كما أننى أريدك أن تبحث عن مالكى كل من محل الرهونات ومستودع السجاد، لأننى أنوى أن أتقدم بعرض لشراء عقاريهما".

قال هول وهو يدون كل كلمة من كلمات دانى: "نعم، نعم، بكل تأكيد يا سيدى". تردد للحظات ثم أضاف: "سأحتاج إلى إيداع مبلغ عشرين ألفًا قبل أن أشرع فى التحرك".

"عندما تعود إلى مكتبك يا سيد هول سيكون هناك مبلغ مائتى ألف تم إيداعه فى حساب العملاء الخاص بكم". لم يبد الاقتناع على السيد هول، غير أنه نجح فى إظهار ابتسامة باهتة ليواصل دانى: "وما إن تعرف من هما مالكا العقارين الآخرين أرجو أن تتصل بى".

"بالطبع يا سير نيكولاس".

قال دانى: "وعلىّ أن أؤكد نقطة مهمة، لابد ألا تعرف المالكة أبدًا من الذى اشترى عقارها".

"يمكنك أن تثق فى ذلك يا سير نيكولاس".

قال دانى: "أتمنى ذلك، لأنه لم يكن هناك حرص على خصوصيتى فى آخر شركة تعاملت معها، ولهذا خسروا التعامل معى".

قال هول: "أفهم هذا، كيف يمكننى أن أتصل بك؟".

أخرج دانى محفظته وأعطاه بطاقة تعريف مطبوعة حديثًا. "وأخيرًا هل لى أن أسألك يا سير نيكولاس عن المحامى الذى سوف يمثلك فى هذا التعاملات؟".

كان هذا هو السؤال الوحيد الذى لم يتوقعه دانى. ابتسم وقال: "مونرو، شركة مونرو آند كارمايكل. عليكم أن تتعاملوا فقط مع السيد فريزر مونرو، الشريك الأول، الذى يضطلع بجميع شئونى الشخصية".

قال هول: "بكل تأكيد يا سير نيكولاس"، ونهض من مكانه

بعد أن دون اسم المحامى وقال: "من المستحسن أن أعود مباشرة إلى المكتب، للتحدث إلى وكلاء البيع العقارى".

راقب دانى هول وهو يهرول مبتعدًا، دون أن يمس قهوته. كان واثقًا أنه بعد ساعة واحدة ستكون الشركة كلها قد سمعت عن غريب الأطوار السير نيكولاس مونكريف، والذى لا يعرف بكل وضوح ماذا يفعل بأمواله، ولعلهم سوف يسخرون من الشاب هول لأنه قد بدد صباحه معه، إلى أن يكتشفوا أن مبلغ المائتى ألف قد تم تحويله إلى حساب العملاء.

فتح دانى هاتفه المحمول وطلب رقمًا. سمع صوتًا: "نعم".

"أريد تحويل مبلغ مائتى ألف جنيه إلى حساب العملاء لشركة بيكر، تريمليت آند سمايثيز فى لندن".

"مفهوم".

أغلق دانى الهاتف وفكر فى الشاب جارى هول. بأى سرعة سيكتشف أن السيدة إيزاكس أرادت أن يبيع زوجها محل الرهونات منذ أعوام، وأن مستودع السجاد التركى يوشك على الإفلاس، وطالما تمنى كل من السيد كمال وحرمه أن يتقاعدا ويسافرا إلى أنقرة، ليقضيا المزيد من الوقت مع ابنتهما وأحفادهما هناك؟

بكل احترام وضع ماريو الفاتورة على الطاولة إلى جانبه. ترك دانى إكرامية كبيرة. إنه يريد أن يتذكروه هناك. وبينما يمر بالاستقبال توقف ليشكر رئيس الحرس.

"أنا فى خدمتك يا سير نيكولاس. أرجو أن تأمرنى بأى شىء تحتاج إليه فى المستقبل".

"شكرًا لك يا والتر. سأكون على اتصال بك".

شق دانى طريقه خلال الأبواب الدوارة وسار نحو المدخل. هرع جورج ليفتح له باب السيارة المنتظرة. أخرج دانى ورقة أخرى بعشرة جنيهات.

"شكرًا لك يا جورج".

جورج، ووالتر، وماريو هم الآن أعضاء مدفوعو الأجر من ممثلى المسرحية التى لم ينقض منها حتى الآن إلا مشهدها الأول.

٥٤

تناول دانى الملف المسمى دافنبورت من على الرف ووضعه على المكتب. قلب الصفحة الأولى.

لورانس دافنبورت ممثل - الصفحات من ٢ إلى ١١

سارة دافنبورت شقيقته، محامية - الصفحات من ١٢ إلى ١٦

تشارلى دانكان منتج - الصفحات من ١٧ إلى ٢٠

قلب الصفحات حتى صفحة ١٧. إنه ممثل ثانوى آخر عليه أن يشارك فى العرض الجديد للورانس دافنبورت. طلب دانى رقمه.

"شركة إنتاج تشارلز دانكان".

"السيد دانكان من فضلك".

"من يرغب فى محادثته؟".

"نيك مونكريف".

"سأوصلك به سيد مونكريف".

تناهى إليه صوت آخر على الخط: "إننى أحاول أن أتذكر

أين التقيت بك".

"فى فندق دورتشيستر. ليلة حفل ختام لمسرحية أهمية أن تكون إرنست".

تساءل بصوت يحمل ريبة: "آه، نعم، أتذكر الآن، إذن ما الذى يمكننى تقديمه لك؟".

قال دانى: "إننى أفكر فى الاستثمار فى عرضك القادم، لقد وضع صديق لى بعض آلاف فى مسرحية إرنست وأخبرنى بأنه حقق ربحًا طيبًا، لذا فكرت فى أن هذا قد يكون الوقت المناسب لكى...".

قال دانكان: "لا يمكن أن تتصل فى وقت أنسب من هذا، إن لدى ما تبحث عنه تمامًا أيها الفتى العجوز. لماذا لا تنضم إلى فى مطعم آيفى لنتناول الغداء فى وقت ما لنناقش الأمر؟".

فكر دانى هل يمكن لأى شخص أن تنطلى عليه حقًا تلك الحيلة. إذا كان الأمر كذلك، فإنه سيكون أسهل كثيرًا مما تخيل. قال دانى: "كلا، دعنى أدعوك إلى الغداء، لابد أنك ستكون منشغلاً إلى أقصى حد، لذا أرجو أن تطلبنى عندما تجد فرصة طيبة فى أقرب وقت".

قال دانكان: "حسن، الأمر غريب حقًا، فلدى موعد تم إلغاؤه غدا، إذا كنت بالمصادفة غير مشغول".

قال دانى قبل أن يحكم الفخ: "نعم، لست مشغولا، لم لا تنضم إلى فى مكانى الخاص؟".

قال دانكان والذى لم يكن شديد الحماس: "مكانك الخاص؟".

"نعم، قاعة بالم كورت روم فى فندق دورتشيستر. هل نقول فى الساعة الواحدة بعد الظهر؟".

"آه، نعم، بالطبع. أراك هناك فى الواحدة تمامًا، سير نيكولاس أليس كذلك؟".

قال دانى: "نيك فقط تكفى". ثم وضع السماعة وكتب

موعدًا فى دفتر مواعيده.

ابتسم البروفيسيور أميرخان مورى بسماحة وطيبة ناظرًا نحو قاعة المحاضرات الممتلئة عن آخرها. دائمًا ما يجد حضورًا طيبًا فى محاضراته، ليس فقط لمقدار الحكمة والمعرفة الذى يقدمه لطلبته، ولكن لأنه ينجح كذلك فى تقديمها بروح من الدعابة وخفة الظل. احتاج دانى إلى بعض الوقت حتى يكتشف أن البروفيسيور يحب أن يثير نقاشًا وجدلاً من خلال التصريح بجمل فظيعة وصادمة ليرى أى رد فعل يستثيره من طلبته.

"لو لم يولد المدعو ماينارد كينيس لكان فى ذلك الخير كل الخير للاستقرار الاقتصادى لبلادنا. لا يمكننى أن أجد شيئًا واحدًا له قيمته استطاع أن يحققه خلال حياته". ارتفعت فى الهواء عشرون يدًا.

قال البروفيسيور: "أنت يا مونكريف، ما المثال الذى لديك على الإرث على ما حققه كينيس؟".

قال دانى، طامحًا أن تكون له حظوة لدى البروفيسيور: "لقد أسس مسرح فنون كامبريدج".

قال البروفيسيور مورى: "كما أنه لعب شخصية أورزينو فى مسرحية الليلة الثانية عشرة عندما كان طالبًا بجامعة كينجيز كوليج، لكن ذلك كان قبل وقت طويل من أن يثبت للعالم أنه من المصلحة الاقتصادية للدول الغنية أن تستثمر أموالها فى الدول النامية". دقت الساعة المعلقة على الجدار من خلفه تمام الواحدة. قال البروفيسيور: "لقد اكتفيت منكم اليوم". ثم نزل عن المنصة واختفى وراء الأبواب الدوارة وسط الضجيج والضحكات.

كان دانى يعرف أنه ليس لديه أى وقت ليتناول غداء سريعا فى المقصف إن كان يرغب فى عدم التأخر على لقائه بمسئولة

المراقبة الخاصة به، ولكن بينما كان يندفع خارجًا من قاعة المحاضرات وجد البروفيسور مورى بانتظاره فى الممر.

"ترى هل لى بكلمة معك يا مونكريف"، ثم سار فى الممر دون أن ينتظر ردًا من دانى. تبعه دانى إلى مكتبه وهو يستعد للدفاع عن وجهة نظره حول ميلتون فريدمان، لأنه كان يعلم أن آخر مقال كتبه حوله لم يكن متفقًا مع آراء البروفيسور التى كثيرًا ما أعرب عنها فى هذا الموضوع.

قال مورى: "اجلس يا بنى العزيز، كنت أود أن أقدم لك شرابًا ولكن ليس عندى أى شىء يستحق الشرب. ولكنَّ هناك أمرًا أهم. أردت أن أعرف إن كنت فكرت فى الاشتراك فى مسابقة جائزة جينى لى لكتابة المقال".

أقر دانى: "لم أفكر بالأمر".

فقال بروفيسور مورى: "إذن فعليك أن تفكر. أنت حتى الآن أذكى طالب فى دفعتك، وهو ما لم أقله كثيرًا، ومازلت أعتقد أن بوسعك الفوز بالجائزة. إن كان لديك الوقت الكافى فلابد أن تفكر فى الأمر جديًا".

تساءل دانى الذى تأتى الدراسة فى المركز الثانى على قائمة أولوياته: "وأى التزامات تتطلبها تلك المسابقة منى؟".

تناول البروفيسور كراسًا صغيرًا كان موضوعًا على مكتبه، وقلب الصفحة الأولى وبدأ يقرأ بصوت مسموع. "يجب ألا يكون المقال أقل من عشرة آلاف كلمة ولا يزيد على عشرين ألفًا، والموضوع من اختيار المتسابق، ويجب تسليم المقالات عند نهاية الفصل الدراسى الحالى".

قال دانى: "إن ظنك بى أننى مؤهل للمسابقة لهو إطراء لى".

"ما يدهشنى حقًا هو أن أساتذتك فى مدرسة لوريتو لم ينصحونك بالذهاب إلى جامعة إدينبيرج أو أوكسفورد بدلاً من الالتحاق بالجيش".

كان بود دانى أن يخبر البروفيسيور أنه ما من أحد فى مدرسة كليمنت آتلى الشاملة قد التحق بأكسفورد، بما فى ذلك ناظر المدرسة نفسه.

قال البروفيسيور: "لعلك تحتاج لأن تمنح الأمر بعض التفكير. أعلمنى عندما تتوصل إلى قرار".

قال دانى وهو ينهض ليغادر: "سأفعل بلا شك. شكرًا لك يا بروفيسيور".

ما إن عاد إلى الممر، حتى شرع دانى فى الجرى نحو المدخل. بينما يندفع عبر الأبواب الأمامية شعر بالارتياح عندما رأى آل الضخم بانتظاره فى السيارة.

راح دانى يتفكر فى كلمات البروفيسيور مولى بينما قاد آل الضخم السيارة على طول طريق ستراند وعبر شارع مول فى طريقه نحو مخرج نوتينج هيل. راح آل الضخم يكسر حدود السرعة المسموح بها مرارًا وتكرارًا، لأنه لم يكن يريد أن يصل رئيسه متأخرًا عن موعده، وقد أوضح له دانى استعداده أن يدفع مخالفة مرور بدلاً من أن يقضى أربعة أعوام فى سجن بيلمارش. كان من سوء الحظ أن آل الضخم وصل بالسيارة أمام مقر مكتب إطلاق السراح المشروط فى اللحظة نفسها التى نزلت فيها الآنسة بينيت من الأتوبيس. حدقت إلى زجاج السيارة بينما حاول دانى أن يتوارى خلف الهيكل الضخم لآل الضخم.

قال آل الضخم: "أغلب الظن أنها تعتقد الآن أنك قد سطوت على بنك، وأننى كنت سائق سيارة الهرب".

ذكره دانى قائلاً: "ولكننى سطوت بالفعل على بنك دون أن أضطر للهرب".

ترك دانى منتظرًا فى الاستقبال لفترة أطول من المعتاد قبل أن تظهر من جديد الآنسة بينيت وتصحبه إلى مكتبها. ما إن اتخذ مجلسه على مقعد بلاستيكى فى الجانب المقابل

لطاولة لدائن الفورمايكا حتى قالت: "قبل أن أبدأ يا نيك لعلك تستطيع أن تفسر لى لمن السيارة التى أتيت بها هذا المساء؟".

أجاب دانى: "إنها لى".

سألت الآنسة بينيت: "ومن السائق؟".

"إنه سائقى الخاص".

سألته: "كيف يمكنك أن تؤمن ثمن سيارة بى إم دابليو وأجرة سائق خصوصى فى حين أنك بلا دخل منتظم عدا منحة طالب؟".

"ترك لى جدى وديعة ائتمان تدر علىّ دخلاً شهريًا بقيمة مائة ألف جنيه و ...".

قالت الآنسة بينيت فى حدة: "نيكولاس، إن الهدف من تلك اللقاءات هو إتاحة الفرصة لك لتكون صريحًا وأمينًا بشأن أى مشكلات تواجهها، بحيث يمكننى أن أقدم لك النصح والمساعدة. سوف أتيح لك فرصة أخرى لتجيب عن أسئلتى بصراحة. إذا واصلت التصرف على هذا النحو العابث فلن يكون أمامى أى خيار آخر سوى أن أذكر هذا فى تقريرى التالى إلى وزارة الداخلية، وكلانا يعلم ما العواقب الناجمة عن ذلك. هل أنا واضحة بما يكفى؟".

قال دانى: "نعم آنسة بينيت". وتذكر ما قاله له آل الضخم الذى واجه المشكلة نفسها مع مسئولة المراقبة الخاصة به. قال له: "أخبرهم بما يريدون سماعه يا زعيم. فهذا يجعل حياتك أسهل وأهدأ".

"دعنى أسألك مرة أخرى. من يمتلك السيارة التى أتيت بها هذا المساء؟".

قال دانى: "الرجل الذى كان يقودها".

"وهل هو صديق لك؟ أم أنك تعمل عنده؟".

"كنت أعرفه عندما كنت ضابطًا بالجيش، ولأننى كنت

متعجلاً خشية التأخر على الموعد فقد عرض علىّ توصيلى بسيارته".

"وهل يمكنك أن تخبرنى إن كان لديك أى دخل آخر غير المنحة الدراسية التى تتلقاها؟".

"كلا يا آنسة بينيت".

قالت الآنسة بينيت: "هكذا الأمر إذن، أرأيت كيف تمضى الأمور كلها بمرونة ويسر عندما تتعاون؟ والآن، هل هناك أى شىء آخر تود مناقشته معى؟".

شعر دانى برغبة فى أن يخبرها عن لقائه برجال البنك السويسريين الثلاثة، وأن يشرح لها صفقة العقارات التى يرتب لأن يضمها لبعضها البعض، أو أن يدعها تعلم بما يخطط له بشأن تشارلى دانكان. لكنه استقر على أن يقول لها: "يريد منى البروفيسور الخاص بى فى الجامعة أن أشترك فى مسابقة جائزة جينى لى لكتابة المقال، وكنت أتساءل عما تنصحيننى به فى هذا الأمر؟"

ابتسمت الآنسة بينيت: "أتعتقد أن هذا سوف يعزز من فرصك فى أن تصير معلمًا؟".

قال دانى: "نعم، أظنه كذلك".

"إذن فإننى أنصحك أن تدخل المسابقة".

"إننى فى غاية الامتنان يا آنسة بينيت".

أجابته قائلة: "لا عليك، فعلى كل حال هذه هى وظيفتى".

-٥-

زار دانى طريق المايل إند رود فى وقت متأخر من الليل دون أن يرتب مسبقًا لذلك، وقد أضرمت تلك الزيارة بداخله بالنيران الجذوات الملتهبة التى كان يطلق عليها السجناء مدى الحياة قرناءهم. كانت العودة إلى منطقة أولد بيلى فى وضح النهار لا تعنى إلا ضرورة مواجهته لتحد أكثر ضخامة.

اندفع آل الضخم بالسيارة إلى باحة سانت بول، تطلع دانى نحو التمثال الذى يعلو مبنى المحكمة الجنائية المركزية: كان تمثالاً يصور امرأة تحاول أن توازن كفتى ميزان. عندما قلب دانى صفحات دفتر مواعيده ليرى إن كان لديه وقت متاح لتناول الغداء مع تشارلى دانكان تذكر كيف كان ينوى أن يقضى هذا النهار. قاد آل الضخم السيارة عبر المدخل العام، وانعطف يمينًا عند نهاية الطريق وشق طريقه نحو خلفية المبنى، حيث أوقف السيارة أمام باب عليه اسم مدخل الزوار.

بعد أن مرّ دانى بأجهزة الأمن شرع يصعد الدرجات الحجرية للسلالم المؤدية إلى الأروقة المطلة على قاعات المحكمة المختلفة. عندما بلغ الطابق الأخير، سأله واحد من المسئولين الرسميين للمحكمة يرتدى عباءة سوداء تشبه عباءة ناظر المدرسة أى القاعات يرغب فى حضور جلستها.

قال للمسئول: "رقم أربعة"، فأشار له إلى الباب الثانى إلى اليمين. تبع دانى توجيهاته وشق طريقه للمقصورة العامة الخاصة بالحضور. كان هناك حفنة من المتفرجين – عائلة وأصدقاء المتهم، وقليل من الفضوليين – كانوا يجلسون على مقعد مستطيل قبالة الصف الأمامى محدقين إلى ما يجرى بالمحكمة. لم يجلس بجانبهم.

لم يكن لدى دانى أى اهتمام بالمتهم فى القضية المنظورة. لقد أتى ليشاهد خصمه وهو يقدم أداءه على أرض ملعبه. تسلل إلى موضع فى الركن بالصف الأخير، ومثل قناص بارع، كانت لديه رؤية واضحة لعدوه بينما مضى الأخير فى عمله، ولكى يراه كان على سبنسر كريج أن يستدير وينظر للأعلى، وحتى عندئذٍ سيتراءى له دانى مثل نقطة صغيرة لا صلة لها بأى شىء فى محيط رؤيته.

راقب دانى كل حركة من حركات كريج تماما كما يدرس ملاكم حركات خصمه الخطير، باحثًا عن عيوب، مفتشًا عن

نقاط الضعف. ولم يظهر كريج أى نقاط ضعف للعين غير المدربة. فبينما تقدمت الجلسة خلال ذلك الصباح، صار واضحًا أنه كان بارعًا، وماكرًا ولا يعرف الشفقة، يملك جميع الأسلحة من الترسانة اللازمة فى مجاله؛ لكنه بدا أيضًا مستعدًا لأن يتلاعب بالقانون إلى أقصى مدى إذا كان من شأن هذا أن يدفع بالقضية لصالحه، كما تعلم تمامًا دانى خلال قضيته هو. كان يعلم أنه عندما يحين وقت مواجهة كريج، فإن عليه أن يكون فى أكثر حالاته حدة وشراسة، لأن هذا الخصم لن يرقد أرضًا حتى يسلم النفس الأخير بعد أن يشبعه دانى لكمًا وركلاً.

شعر دانى بأنه الآن يكاد يعرف كل شىء يحتاج لمعرفته عن سبنسر كريج، وهو ما يجعله أكثر حذرًا لا أكثر. فى حين كان دانى لديه ميزة الاستعداد حتى يمتلك عنصر المفاجأة، فإن لديه أيضًا نقطة قصور بسبب رعبه من الدخول إلى الحلبة التى يعتبر كريج نجمها الأول دون منافس، فى حين لم يمر بها دانى نفسه إلا بضعة شهور بصفته متهمًا. ومع كل يوم يمر يلعب فيها دوره يصير هذا الدور حقيقيًا وواقعيًا بدرجة أكبر، بحيث إنه الآن، لا أحد ممن قد يمر به قد يشك أهون شك فى أنه السير نيكولاس مونكريف، ولكن دانى تذكر أن نيك قد كتب فى مذكراته أن على المرء كلما واجه عدوًا بارعًا أن يجره خارج ملعبه، بحيث لا يفقد شعوره بالألفة والراحة، لأنه فى ذلك الحين تتاح للمرء خير فرصة لأخذه على حين غرة.

كان دانى يختبر مهاراته يومًا بيوم، لكن حصوله على دعوة لحضور حفل ختام عرض مسرحى، أو إعطاء الانطباع بأنه زبون دائم فى فندق دور تشيستر، وخداع وكيل عقارات شاب متلهف على إتمام صفقة، وإقناع منتج مسرحى بأنه قد يستثمر فى أحدث عروضه، كانت كلها ببساطة مجرد جولات افتتاحية للصراع الطويل الذى وضع سبنسر كريج بلا شك

بذرته الأولى. إذا ما تراخى أو سها دانى ولو للحظة واحدة، فإن الرجل الذى يتبختر متباهيًا الآن بقاعة المحكمة لن يتردد عن التهامه حيًا، وفى هذه المرة سوف يحرص على أن يعود دانى إلى سجن بيلمارش لبقية عمره.

كان عليه أن يستدرج هذا الرجل إلى مستنقع لا يجد له فيه مهربًا. قد يساعده تشارلز دانكان على أن يحرم لورانس دافنبورت من معجبيه الوالهين؛ وجارى هول قد يساعده فى التسبب لجيرالد بين بأن يمتهن ويذل فى أعين زملائه وأصدقائه؛ لكن الأمر سيكون أكثر صعوبة حينما يتعلق بانتهاء المسار المهنى القانونى لسبنسر كريج، بحيث لا تنتهى مهنة المحاماة بصعوده إلى منصة القضاة، واضعًا على رأسه الشعر المستعار ومرتديًا العباءة الحمراء المميزة لهم، فى حين يخاطبه الآخرون بلقب سيادة القاضى، ولكن يجب أن ينتهى مساره المهنى واقفًا فى قفص الاتهام وقد اقتنع المحلفون من المواطنين الصالحين بأنه مذنب فى جريمة قتل.

٥٥

فتح بواب الفندق الباب الخلفى للسيارة، فقال له دانى: "صباح الخير يا جورج".

"صباح الخير يا سير نيكولاس".

سار دانى لداخل الفندق ولوح لوالتر بينما يمر بباحة الاستقبال. أضاء وجه ماريو لحظة وقعت عيناه على زبونه المفضل.

سأل ما إن رأى دانى قد استقر بخلوته الصغيرة بردهة الاستقبال: "هل أجلب لك شيكولاتة ساخنة وصحيفة التايمز يا سير نيكولاس؟".

"شكرًا لك يا ماريو. سأطلب أيضًا طاولة غداء غدًا فى الواحدة بعد الظهر، فى مكان يصون خصوصية حديثنا".

"لا توجد أى مشكلة فى هذا يا سير نيكولاس".

اضطجع دانى وفكر فى اللقاء الوشيك. اتصل به مستشاروه فى قسم العقارات ببنك دو كوبرتين ثلاث مرات خلال الأسبوع الماضى: دون ذكر أسماء، ودون أية محادثات فرعية شخصية، فقط حقائق ونصائح مهمة. لقد توصلوا للسعر المعقول لكل من محل الرهونات ومستودع السجاد، ليس هذا وحسب بل إنهم أيضًا لفتوا انتباهه إلى قطعة الأرض القاحلة التى تقع خلف العقارات الثلاثة ويمتلكها المجلس المحلى. لم يخبرهم

دانى بأنه حين كان صبيًا اعتاد أن يلعب كرة القدم مع بيرنى، حيث بيرنى كان يقف حارس مرمى وهو يلعب مهاجمًا فى نهائى كأس المنطقة الخاص.

كان بوسعهم أيضًا أن يطلعوه على أن لجنة المجلس المحلى كانت تخطط على مدى بضعة أعوام لبناء "مساكن اقتصادية" فى ذلك الموقع على التحديد، ولكن مع وجود ورشة السيارات بهذا القرب من الموقع، فإن لجنة الصحة والأمان قد اعترضت على الفكرة. ووصلت إليه عن طريق البريد فى مظروف بنى فى الصباح التالى تفاصيل جلسات لجنة المجلس فيما يخص هذا الشأن، وكانت لدى دانى خطط لحل مشكلتهم.

"صباح الخير يا سير نيكولاس".

رفع بصره عن صحيفته. قال بينما يتخذ الشاب مجلسه أمامه: "صباح الخير سيد هول". فتح هول حقيبة أوراقه وتناول ملفًا سميكًا تحت اسم مونكريف، ثم أخرج منه وثيقة وسلمها لدانى.

شرح قائلاً: "تلك هى العقود الخاصة بورشة سيارات ويلسون، وقد تم تبادل العقود عندما التقيت بالآنسة ويلسون هذا الصباح". شعر دانى بأن قلبه توقف عن الخفقان ليواصل هول: "كم هى شابة ساحرة بدت؛ وتنفست الصعداء عندما أزاحت مشكلة الورشة عن كاهلها".

ابتسم دانى. سوف تودع بيث مبلغ المائتى ألف فى الفرع المحلى لبنك إتش إس بى سى، راضية بأن تكسب منه فائدة سنوية تقدر ب ٤,٥ بالمائة، على الرغم من أنه يعلم تمام العلم من الذى سينتفع بهذا الربح المفاجئ.

سأل دانى: "وماذا عن المبنيين الآخرين على كلا الجانبين؟ هل أحرزت أى تقدم بخصوصهما؟".

قال هول: "ما أثار دهشتى هو أننا نستطيع أن نتوصل لاتفاق بشأن كلا الموقعين". لم يثر هذا الكلام أى دهشة

لدى دانى فواصل هول: "السيد إيزاكس يقول إنه سيترك محل الرهونات مقابل مائتين وخمسين ألفًا، فى حين يطلب السيد كمال مبلغ ثلاثمائة وستين ألفًا مقابل متجر السجاد. وهما معًا يبلغان ضعف حجم ممتلكاتك، وخبراء الاستثمار لدينا يقدرون هذا الضم للعقارات الثلاثة فقط بضعف المبالغ الأصلية المدفوعة".

"ادفع للسيد إيزاكس السعر الذى طلبه. واعرض على السيد كمال ثلاثمائة ألف وإذا رفض ارفع المبلغ حتى ثلاثمائة وعشرين لا أكثر".

قال هول: "ولكننى مازلت أعتقد أن بوسعك التوصل لاتفاقات أفضل".

قال دانى: "لا تفكر فى ذلك حتى، أريدك أن تنهى الصفقتين فى اليوم نفسه، لأن السيد كمال لو علم ما أنوى القيام به سيطالب بثمن أكبر بكثير".

قال هول مواصلا تدوين تعليمات دانى: "مفهوم".

"عندما تنهى الصفقتين أبلغنى على الفور بحيث أستطيع أن أبدأ مفاوضاتى مع لجنة المجلس المحلى بشأن قطعة الأرض التى تقع خلف العقارات الثلاثة".

قال هول: "يمكننا أيضًا أن نزودك ببعض المخططات الموجزة قبل أن تتعامل معهم، قد يكون الموقع بكامله مثاليًا لبناء مبنى إدارى ومكتبى، وحتى سوبرماركت".

قال دانى بحزم: "كلا، لا يمكن له أن يكون أيًا من هذا يا سيد هول، إذا قمت بهذا فإنك تبدد وقتك وتهدر مالك". ظهر الإحراج على هول فواصل دانى: "فهناك فرع من محلات سنسبرى على مبعدة مائة ياردة فقط من الموقع، وإذا راجعت خطة التنمية الخاصة بالمجلس المحلى خلال الأعوام العشرة الماضية من أجل المنطقة ستدرك أن المشروع الوحيد الذى كانوا يخططون له هو إنشاء مساكن اقتصادية، وتخبرنى تجربتى

بأننا إذا تمكنا من أن نقنع المجلس بشىء كان فكرتهم هم فى الأصل، فستكون فرصتنا أفضل بكثير فى إتمام صفقة طيبة. لا تكن طماعًا يا سيد هول. وتذكر، فقد كان هذا خطأ آخر ارتكبه وكيلى السابق".

قال هول: "سأتذكر".

كان مستشارو دانى فى بنك دو كوبيرتين قد أنجزوا أعمالهم التحضيرية على خير ما يرام بحيث لم يجد دانى أى صعوبة فى أن يسبق السيد هول ويربكه.

"فى هذه الأثناء، سوف أودع مبلغ خمسمائة وسبعين ألفًا فى حساب العملاء الخاص بكم اليوم، بحيث يمكنك أن تنهى الصفقتين فى أقرب وقت ممكن – ولكن لا تنس، لابد أن تقوم بهذا فى اليوم نفسه، ودون أن يعرف أى من الجانبين بالصفقة الأخرى وبلا شك دون أن يدركا شخصية المشترى".

قال هول: "لن أخذلك بالمرة".

قال دانى: "أتمنى ذلك، لأنك إذا نجحت فى هذه السمسرة الصغيرة فإننى أستعد لأمر أكثر إثارة، ولكن بما أن هناك عنصر مجازفة فيه فسيكون من الأفضل الرجوع إلى واحد من الشركاء الأساسيين لديكم، ومن الأفضل أن يكون حديث السن نسبيًا، لديه شجاعة وخيال للمغامرة".

قال هول: "إننى أعرف الشخص المناسب لذلك تمامًا".

لم يهتم دانى بأن يقول له إنه أيضًا يعرفه.

٥

نهض المحامى الشاب آليكس ردماين من خلف مكتبه، وقال: "كيف حالك يا بيث؟" وأشار لها لتجلس نحو مقعد مريح جانب المدفأة.

"أنا بخير، شكرًا لك يا آليكس".

ابتسم آليكس وهو يجلس إلى جوارها وقال: "لم أستطع

مطلقًا أن أجعل دانى ينادينى باسم آليكس دون ألقاب، على الرغم من أنه يسرنى أن أحسب أننا صرنا قرب نهاية القضية صديقين. ربما سأكون أنجح معك أنت".

"الحقيقة يا سيد ردماين أن دانى كان خجولاً أكثر منى، خجولاً ولكن عنيدًا. إياك أن تظن أنكما لم تكونا صديقين لمجرد أنه لم ينادك باسمك الأول مجردًا".

قال آليكس: "كم كنت أتمنى لو أنه هو الذى يجلس أمامى ويخبرنى بذلك الآن، ومع ذلك سعدت للغاية عندما كتبت لى تطلبين مقابلتى".

قالت بيث: "أردت طلب نصحك، ولكن حتى وقت قريب لم أكن فى وضع يسمح لى بذلك".

انحنى آليكس للأمام وتناول يدها. ابتسم عندما رأى خاتم الخطبة، والذى لم تكن تضعه فى آخر مرة رآها: "كيف يمكننى أن أساعدك؟".

"كل ما هنالك أننى أردت أن أطلعك على أمر غريب جرى عندما ذهبت إلى سجن بيلمارش لآخذ متعلقات دانى الشخصية".

قال آليكس: "لابد أنها كانت تجربة رهيبة".

أجابته بيث: "على نحو ما كانت أسوأ حتى من الجنازة نفسها، ولكن بينما أغادر تقابلت مع السيد باسكو".

قال آليكس: "تقابلت معه بالمصادفة أم أنه كان بانتظارك هناك ليراك؟".

"قد يكون انتظرنى، ولكننى لست واثقة من هذا. هل يمثل هذا أى فارق؟"

قال آليكس: "فارق وأى فارق! إن راى باسكو سيد مهذب وعادل، ولم يشك بالمرة فى براءة دانى. وقد أخبرنى ذات مرة بأنه التقى بمئات المجرمين خلال حياته، وأن دانى ليس واحدًا من هؤلاء. إذن ما الذى قاله لك؟".

قالت بيث: "ذلك أمر غريب، لقد قال لى إن لديه إحساسًا بأن دانى يود أن يطهر اسمه وسمعته، لم يقل إن دانى كان يود لو ذلك يحدث، ألا تجد ذلك أمرًا غريبًا؟".

قال آليكس: "لعلها زلة لسان، هل استفسرت منه عن هذه النقطة؟".

قالت بيث: "كلا، فعندما فكرت فى تعبيره كان قد ذهب".

لم يتحدث آليكس لبعض الوقت بينما راح يتأمل دلالات عبارة باسكو وقال لها: "لا يوجد إلا مسعى قانونى وحيد متاح لك إذا كنت ترغبين فى تطهير اسم دانى، وهو أن تقدمى التماسًا لجلالة الملكة بإصدار عفو ملكى".

"عفو ملكى؟".

"نعم. فإذا ما اقتنع مجلس اللوردات الخاص بالشئون القانونية بأن هناك ظلم قد وقع عليه، فمن الممكن لرئيس مجلس اللوردات أن يوصى الملكة بإلغاء قرار المحكمة. وكان هذا أمرًا شائعًا للغاية خلال فترة تنفيذ عقوبة الإعدام، ومع ذلك فقد صار اللجوء إليه حاليًا أقل وأندر".

سألت بيث: "وما احتمالات أن يعاد النظر فى قضية دانى؟".

"من النادر أن يتم التصديق على التماس بالعفو، ومع ذلك فهناك الكثيرون، وبعضهم فى مناصب رفيعة، يرون أن دانى كان ضحية ظلم فادح – بمن فيهم أنا شخصيًا".

"يبدو أنك تنسى يا سيد ردماين أننى كنت فى ذلك المقهى عندما أثار كريج ذلك الشجار، وأننى كنت فى الزقاق عندما هاجم دانى، وأننى احتضنت بيرنى بين ذراعى عندما أخبرنى بأن كريج طعنه. ولم تتذبذب أو تتخلخل قصتى أبدًا - ولا يرجع هذا كما اقترح السيد بريسون إلى أننى قد أعددت كل كلمة قبل المحاكمة، ولكن لأننى كنت أقول الحقيقة. وهناك ثلاثة أشخاص آخرين يعلمون بأننى كنت أقول الحقيقة، ورابعهم

- توبى مورتيمر - الذى أكد أقوالى قبل أيام معدودة من انتحاره، ولكن على الرغم من جهودك فى جلسة الاستئناف، لم يسمح القاضى بالاستماع إلى شريط التسجيل. لماذا سيكون الأمر مختلفًا هذه المرة؟".

لم يجد آليكس جوابًا فى الحال، لزمه برهة من الوقت حتى يستفيق من لوم بيث وتوبيخها. نجح أخيرًا فى أن يقول: "إن كان بمقدورك أن تذكى جذوة حملة بين أصدقاء دانى، مثل تلك الحملة التى قدتها بينما كان مازال حيًا، فستكون هناك صيحة احتجاج إن لم يوافق مجلس اللوردات على إعادة فتح القضية. ولكن"، وواصل قائلاً: "إذا قررت أن تواصلى السير فى هذا الطريق تحديدًا يا بيث ستكون رحلة طويلة وشاقة، ومع أننى سيسعدنى أن أقدم خدماتى دون أى مقابل، فسوف تكون رحلة مكلفة النفقات رغم هذا".

قالت بيث فى ثقة: "لم يعد المال مشكلة بالنسبة لى، لقد نجحت مؤخرًا فى بيع ورشة السيارات مقابل مبلغ أكثر مما توقعته. وقد أودعت نصف المبلغ وديعة من أجل ضمان تعليم كريستى، لأن دانى أراد لها أن تحظى ببداية أفضل فى الحياة مما حظى هو بها، وسوف يسعدنى أن أنفق النصف الثانى فى محاولة أن أعيد فتح القضية من جديد إن كنت ترى أن هناك ولو أضعف الاحتمالات فى إثبات براءته وتطهير اسمه".

انحنى آليكس مرة أخرى للأمام وتناول يدها وقال: "بيث، هل لى أن أطلب منك مطلبًا شخصيًا؟".

"أى مطلب. عندما كان دانى يتحدث عنك كان يقول دائمًا: "إنه جوهرة نادرة، يمكنك أن تثقى فيه تمام الثقة""..

"أرى ذلك مجاملة كبيرة يا بيث. مما يمنحنى الثقة لأن أطلب منك شيئًا ظل يفترس عقلى لفترة طويلة". رفعت بيث بصرها نحوه، وشعرت إلسنة اللهب تكسب وجنتيها حرارة وقال لها: "أنت امرأة شابة وجميلة يا بيث، تتحلين بخصال

نادرة كان دانى يعرفها ويقدرها. ولكن ألا تعتقدين أن الوقت قد حان لتتجاوزى المحنة وتواصلى حياتك؟ لقد مرت ستة شهور منذ وفاة دانى".

قالت بيث وهى تخفض رأسها: "بل سبعة شهور وأسبوعان وخمسة أيام".

"وبالتأكيد لم يكن يريد لك أن تقضى بقية حياتك فى حداد عليه".

قالت بيث: "كلا، لم يكن يريد لى هذا، بل إنه حاول أن ينهى علاقتنا بعد رفض الاستئناف، لكنه لم يكن يقصد ذلك حتى يا سيد ردماين".

سأل آليكس: "كيف يمكنك أن تثقى فى هذا؟".

فتحت حقيبة يدها، وأخرجت الخطاب الأخير الذى أرسله لها دانى ،ناولته لآليكس.

قال: "يكاد يكون من المستحيل قراءته".

"ولماذا ذلك؟".

"إنك تعرفين الجواب تمام المعرفة يا بيث، إنها دموعك..".

"كلا يا سيد ردماين، إنها ليست دموعى، على الرغم من أننى ظللت أقرأ ذلك الخطاب كل يوم خلال الشهور الثمانية الماضية، لم أكن أنا من سفح تلك الدموع، ولكنه الرجل الذى كتب الخطاب. كان يعلم كم كنت أحبه. كنا نستطيع أن نمضى حياتنا معًا حتى ولو لم يكن بوسعنا إلا أن نلتقى يومًا واحدًا كل شهر. كنت سأكون سعيدة لو اضطررت للانتظار عشرين عامًا، وأكثر من عشرين، على أمل أن يتاح لى فى النهاية أن أمضى ما تبقى من عمرى مع الرجل الوحيد الذى أحببته على الإطلاق. لقد عشقت دانى من أول يوم رأيته فيه، ولن يأخذ مكانه أى شخص آخر. أعلم أننى لا أستطيع استعادته من الموت، ولكن إذا أمكننى إثبات براءته أمام بقية العالم، فسيكون

هذا كافيًا، كافيًا تمامًا".

نهض آليكس واقفًا، خطا نحو مكتبه والتقط ملفًا. لم يرغب أن ترى بيث الدموع التى انحدرت على وجنتيه. تطلع من النافذة نحو تمثال المرأة معصوبة العينين الذى يعلو المبنى، وهى تحمل كفتى ميزان حتى يراها العالم كله. قال فى هدوء: "سأكتب رسالة إلى رئيس مجلس اللوردات اليوم".

"شكرًا لك يا آليكس".

٥٦

كان دانى جالسًا إلى مائدة فى الركن قبل وصول تشارلى دانكان بربع الساعة. اختار له ماريو البقعة المثالية بحيث لا يمكن أن يسمع حديثهما أحد. كانت هناك أسئلة كثيرة للغاية يحتاج دانى لطرحها، وقد نسقها واختزنها فى ذاكرته.

راجع دانى قائمة الطعام بحيث يكون على اطلاع بها قبل وصول ضيفه. توقع أن يصل تشارلى فى موعده، فعلى كل حال فهو متلهف لأن يستثمر دانى فى آخر عروضه. ربما فى وقت ما فى المستقبل قد يكتشف دانكان السبب الحقيقى وراء دعوة دانى له على الغداء.

قبل الواحدة تمامًا بدقيقتين دخل تشارلى دانكان إلى مطعم بام كورت مرتديًا قميصًا مفتوح الياقة ويدخن سيجارًا - كان فى مشيته وملبسه يشبه شخصية كارتونية. تبادل معه رئيس الندل كلمة متكتمة وحذرة قبل أن يقدم له علبة سجائر. دعس تشارلى سيجاره بينما فتح رئيس الندل درجًا فى مكتبه وأخرج منه ثلاث رابطات عنق مقلمة ولا واحدة منها تتوافق مع قميص دانكان بلونه الوردى الفاتح. كبت دانى ابتسامته. لو كانت هذه مباراة تنس فإن دانى قد افتتحها برمية قوية. اصطحب رئيس الندل دانكان عبر الغرفة إلى مائدة دانى. ذكر دانى نفسه أن يضاعف له إكراميته.

نهض دانى وصافح دانكان، كانت وجنتا الضيف فى مثل لون قميصه الآن من الخجل.

قال دانكان وهو يتخذ مجلسه: "من الواضح أنك زبون دائم هنا، يبدو وكأن الجميع يعرفونك خير المعرفة".

قال دانى: "اعتاد كل من أبى وجدى أن يقيما هنا على الدوام كلما أتيا من أسكتلندا، إنه تقليد عائلى إلى درجة ما".

سأل دانكان وهو يلقى نظرة إلى قائمة الطعام: "إذن، ما عملك يا نيك؟ إننى لا أتذكر أننى رأيتك فى المسرح من قبل".

أجاب دانى: "لقد كنت أخدم بالجيش، ولذا كنت خارج البلاد لفترة طويلة من الوقت. ولكن منذ وفاة أبى، تحملت مسئولية إدارة ممتلكات العائلة".

بينما يعرض النادل على دانى زجاجة من الشراب الفاخر، سأله دانكان: "إذن فأنت لم تستثمر من قبل فى عالم المسرح؟" فحص دانى العلامة الملصوقة على الزجاجة للحظات، ثم أومأ إيجابًا.

سأل ماريو: "وما ستتناول اليوم يا سير نيكولاس؟"

قال دانى: "سآخذ طبقى المعتاد، واتركه قليلاً على نيران هادئة". هكذا أضاف، مستعيرًا جملة قالها نيك للسجناء الذين كانوا يخدمون بمطبخ السجن. لقد نتج عن جملة نيك قدر كبير من الضحك حتى أوشك الحراس أن يرفعوا عنه تقريرًا. صب النادل فى كأس دانى قدرًا قليلاً من الشراب، فشم دانى رحيق الشراب قبل أن يتذوقه، ثم أومأ برأسه من جديد علامة القبول - وهو شىء آخر من بين ما علمه له نيك مستخدمًا الماء وقدحًا بلاستيكيًا لصب السائل فيه.

قال دانكان: "سأتناول الطبق نفسه". وأغلق القائمة وأعادها لرئيس الندل، "ولكن اجعله متوسط الطهو".

قال دانى: "إجابة سؤالك هى لا، لم يسبق لى أن استثمرت فى إنتاج مسرحية من قبل. لذا أتشوق لأن أعرف كيف تجرى

الأمور فى عالمكم".

قال دانكان: "أول شيء على المنتج القيام به هو أن يحدد مسرحية ما، إما واحدة جديدة، و يفضل أن تكون مسرحية مكتوبة جيدًا، أو إعادة إنتاج لمسرحية من الأعمال الكلاسيكية المعروفة. أما مشكلتك التالية فهى العثور على نجم".

قال دانى وهو يملأ كأس دانكان: "مثل لورانس دافنبورت".

"كلا، كان هذا استثناء. لارى دافنبورت ليس واحدا من نجوم المسرح. يمكنه أن يؤدى أداء لا بأس به فقط فى أعمال الكوميديا الخفيفة طالما كان مدعومًا بفريق من الممثلين الأقوياء".

"ولكنه مع ذلك بوسعه أن يؤمن جمهورًا لحفلة مسرحية كاملة؟".

أقر دانكان قائلاً: "مع اقتراب نهاية موسم العرض كنا بدأنا نفتقد امتلاء المسرح، ما إن انتهى جمهوره من المعجبين والمعجبات بشخصية د. بيريزفورد، وبصراحة، إن لم يعد بعمل تليفزيونى قريبًا جدًا لن يكون بمقدوره أن يملأ كابينة هاتف عمومى بأى جمهور".

سأل دانى وقد تلقى أجوبة عن ثلاثة من أسئلته بالفعل: "إذن كيف تجرى الأمور المالية؟".

"لكى تنتج مسرحية على أحد مسارح الويست إند فى هذه الأيام يكلفك هذا من أربعمائة إلى خمسمائة ألف جنيه. وهكذا ما أن يستقر المنتج على النص المسرحى، ويوقع عقدًا مع النجم ويحجز المسرح - وهو ما قد لا يتأتى، دائمًا فى التوقيت نفسه - فإنه بعد ذلك يعتمد على الأشقاء المخلصين له فى توفير الدعم المالى".

سأل دانى: "وكم عدد الأشقاء المخلصين للمنتج عادة؟".

قال دانى بينما توضع أمامه قطعة اللحم: "لدى كل منتج

قائمته الخاصة من الأشقاء، وهو يحمى قائمته وكأنها جواهر التاج. لدى شخصيًا حوالى سبعين شقيقًا مخلصًا عادة ما يستثمرون فى العروض التى أنتجها".

سأل دانى وهو يملأ كأسًا آخر لدانكان: "وبكم يستثمر كل منهم فى المتوسط؟".

"فى إنتاج عمل عادى تبدأ المشاركات بحوالى عشرة آلاف جنيه".

"إذن فأنت بحاجة لخمسين شقيقًا على الأقل لكل مسرحية".

قال دانكان وهو يقطع قطعة لحمه: "لك ذهن حاد فيما يتعلق بالأرقام، أليس كذلك؟".

نقم دانى على نفسه، فلم يقصد أن يتيح لدانكان وقتًا لتجميع أفكاره، وعلى الفور مضى قدمًا قائلاً: "وهكذا فكم يكسب الشقيق المخلص، المغامر؟".

"إن ظل المسرح ممتلئًا بنسبة ٦٠ بالمائة طوال موسم العرض فلن يخسر قرشًا وسوف يسترد ماله. وفوق هذا المبلغ يمكنه أن يجنى ربحًا لا بأس به. أما تحت الستين بالمائة فيكمنه أن يخسر حتى ثيابه".

سأل دانى: "وكم يتلقى النجوم أجرًا؟".

"الإجابة بمعايير النجوم الخاصة أن أجورهم فى المسرح متدنية للغاية. تصل أحيانًا إلى خمسمائة جنيه أسبوعيًا. وهذا هو سبب تفضيل الكثيرين منهم العمل فى التليفزيون، أو فى الإعلانات التجارية، أو حتى فى الأداء الصوتى فقط لبعض الأفلام بدلاً من أن يتورطوا فى العمل الحقيقى على خشبة المسرح. إننا لم ندفع للورانس دافنبورت إلا ألف جنيه".

قال دانى: "ألف أسبوعيا؟ إننى مندهش لأنه كان يغادر فراشه مقابل ذلك المبلغ".

أقر دانكان قائلاً: "ونحن كذلك اندهشنا"، بينما كان

النادل يصب القطرات بزجاجة الشراب يستبدل بزجاجة الشراب. أومأ له دانى بالإيجاب عندما رفعها متسائلاً إن كان يحضر أخرى أم لا.

قال دانكان: "شراب فاخر". ابتسم دانى. واصل دانكان: "مشكلة لارى أنه لم يتلق عروضًا بالعمل كثيرًا مؤخرًا، وعلى الأقل مسرحية أهمية أن تكون إرنست أبقت اسمه على لوحات الدعاية والإعلان لبضعة أسابيع أخرى. إن نجوم المسلسلات التليفزيونية شأنهم شأن لاعبى كرة القدم سرعان ما يعتادون إنفاق ألف جنيه فى الأسبوع، ناهيك عن نمط الحياة الذى يعتادون عليه. ولكن ما إن ينضب المعين، وحتى إن كانوا قد ادخروا بعض الممتلكات خلال مسارهم المهنى، فقد يفلسون سريعًا. إنها المشكلة نفسها لكثير من الممثلين، وخاصة أولئك الذين يؤمنون بشعبيتهم ولا يدخرون أى مال للأيام الصعبة، ثم يجدون أنفسهم فى مواجهة فاتورة ضرائب باهظة".

هذا هو سؤال آخر تمت الإجابة عنه. سأل دانى، غير راغب أن يبدى اهتمامًا زائدًا عن اللازم نحو لورانس دافنبورت لكى لا تثور شكوك دانكان: "إذن فما العرض الذى تخطط لتقديمه المرة القادمة؟".

"سأنتج عملاً بقلم كاتب مسرحى جديد اسمه أنطون كازوباوسكى. لقد فاز بجوائز عديدة فى مهرجان إدينبيرج العام الماضى. العرض بعنوان كنوز ومجوهرات، ولدى إحساس بأن هذا هو ما تتطلع إليه مسارح الويست إند على التحديد، وقد أبدى العديد من الأسماء الكبيرة اهتمامهم بالفعل وما إن أقرر من سيلعب دور البطولة فسوف أبلغك على الفور". تلاعب بكأسه ثم. سأل قائلاً: "ما حجم المبلغ الذى تفكر فى استثماره؟".

قال دانى: "سأبدأ بمبلغ صغير، لنقل عشرة آلاف. وإذا نجح الأمر سأكون مستثمرًا منتظمًا فى المسرح".

قال دانكان وهو يأتى على ثمالة كأسه: "إننى أستطيع مواصلة الحياة بالاعتماد على المستثمرين المنتظمين، سأتصل بك ما إن أوقع مع ممثل رئيسى. وبالمناسبة فإننى دائمًا ما أنظم حفلات شراب صغيرة للمستثمرين كلما بدأت إنتاج عمل جديد، مما يجذب بالطبع بعض النجوم للحضور. سيكون بمقدورك أن ترى لارى مرة أخرى، أو شقيقته، تبعًا لتفضيلك الخاص".

سأل رئيس الندل: "أى شىء آخر سير نيكولاس؟"

كان يمكن لدانى أن يطلب زجاجة ثالثة، ولكن تشارلى دانكان كان قد أجاب بالفعل عن جميع أسئلته فقال: "الفاتورة وحسب، شكرًا لك يا ماريو".

⊸o⊷

بعد أن أعاده آل الضخم إلى منطقة بولتونز، مضى دانى مباشرة إلى غرفة مكتبه وتناول ملف دافنبورت من على الرف. أمضى نصف الساعة يدون الملاحظات. وما إن دون كل شىء مهم مما أخبره به دانكان، أعاد الملف بين ملفى كريج وبين وعاد لمكتبه.

شرع يقرأ محاولته لكتابة مقال من أجل المسابقة، وبعد فقرات قليلة كتبها تأكدت شكوكه من أن ما يكتبه ليس جيدًا بما فيه الكفاية لأن يكسب إعجاب البروفيسور مورى، ناهيك عن لجنة تحكيم المسابقة. كان الأمر الطيب الوحيد بشأن الوقت الذى كان يقضيه فى كتابة المقال هو أنه يشغل الساعات اللانهائية لانتظاره قبل أن يستطيع اتخاذ خطوته الثانية. كان عليه أن يتجنب إغراء التسرع، مما يمكن أن يؤدى به إلى خطأ فتاك.

مرت بضعة أسابيع قبل أن يتمكن جارى هول من إتمام صفقتى شراء العقارات فى طريق المايل إند رود، دون أن

يدرك أى من البائعين ما كان دانى يخطط له. تصرف دانى مثل صياد سمك بارع، إنه لا يلقى بالطعم ليصطاد الأسماك الصغيرة على شاكلة هول الموجودة بوفرة على سطح المياه، بل إغراء السمك الأكبر حجمًا، مثل جيرالد بين، لأن يثبوا خارج المياه.

كما كان عليه أن ينتظر حتى يجد تشارلى دانكان نجمًا لعرضه الجديد قبل أن يمكنه أن يلتقى بدافنبورت فى ظروف طبيعية من جديد، كما عليه أن ينتظر حتى - رن جرس الهاتف. تناول دانى سماعة الهاتف. سمع صوتًا يقول: "بخصوص المشكلة التى طرحتها. أعتقد أننا توصلنا لحل لها. علينا أن نرتب لقاء". انقطع الخط. كان دانى قد بدأ يدرك سبب مواصلة احتفاظ البنوك السويسرية بأرصدة الأثرياء الذين يفضلون السرية والخصوصية.

تناول قلمه، وعاد لمقاله وحاول أن يعثر على فقرة افتتاحية أكثر جاذبية. لا شك أن جون مايناردكينيس كان يعرف أغنية "ألم نمرح ونفرح" بجملتها التى تدين الوضع القائم وتقول: "ليس ما هو أكثر تأكيد من هذا، الأغنياء يزدادون غنى، والفقراء يزدادون تناسلاً"! وقد يكون تأملها جيدًا وفكر فى تطبيقها على البلدان جنبًا إلى جنب الأفراد...

٥٧

"أعشاب العقدة اليابانية؟!".

قال بريسون: "نعم، نعتقد أن عشب العقدة اليابانى هو الحل، ومع ذلك ينبغى على أن أقول إن كلينا قد احتار بشأن المسألة".

لم يحاول دانى أى محاولة لأن يفسر ويشرح لهم أهدافه الخاصة، ذلك لأنه بدأ يتعلم كيف يمارس اللعبة الخاصة بالمصرفيين السويسريين. سأله: "ولماذا تعتقدون أن هذا هو الحل؟".

"إذا تم اكتشاف أعشاب العقدة اليابانية فى أى موقع بناء، يتم سحب وتأجيل تصريح البناء لمدة عام على الأقل، وما إن يتم اكتشافه لابد من إحضار الخبراء لاجتثاث الأعشاب وتدميرها، ولا يمكن الشروع فى البناء حتى تقيّم لجنة الصحة والأمان الموقع وتجرى الاختبارات اللازمة كلها".

سأل دانى: "وإذن كيف يمكنكم أن تتخلصوا من أعشاب العقدة اليابانية؟".

"تحضر شركة متخصصة وتضرم النيران فى الموقع بكامله. ثم يكون عليك أن تنتظر ثلاثة أشهر أخرى للتأكد من اجتثاث أصغر الجذور والسوق قبل أن تستطيع طلب تصريح البناء مرة أخرى".

"لن تكون كلفة هذا قليلة؟".

"كلا، لا تكون الكلفة قليلة بالنسبة لمالك الأرض دون شك، وقد مررنا من قبل بنموذج مشهور لهذا فى ليفربول". أضاف سيجات قائلاً: "اكتشف مجلس المدينة وجود أعشاب العقدة اليابانية فى موقع مساحته ثلاثون فدانًا تم منحه بالفعل تصريحًا ببناء مائة وحدة سكنية تؤجر بتكلفة بسيطة، واقتضى الأمر أكثر من عام لإزالتها بتكلفة تجاوزت ثلاثمائة ألف جنيه. وعندما تم بناء المساكن كان من حظ المقاول أن يخرج بلا خسائر وبلا أرباح".

سأل دانى: "ولماذا تعتبر تلك الأعشاب خطيرة لهذه الدرجة؟".

قال بريسون: "إن لم يتم تدمير تلك الأعشاب فإنها تشق طريقها بداخل الأساسات فى أى مبنى، حتى بداخل الخرسانة المسلحة، وبعد مرور عشرة أعوام، وبلا سابق إنذار، ينهار الصرح بأكمله رأسًا على عقب، تاركًا لك فاتورة تأمين يمكنها أن تفلس أكبر الشركات. فى أوساكا، دمرت أعشاب العقدة اليابانية مجمعًا سكنيًا بكامله، ومن هنا اتخذ العشب اسمه".

سأل دانى: "إذن كيف يمكننى أن أحصل على بعض منها؟".

قال بريسون: "حسن، بكل تأكيد لن تجد عبوة مغلفة على أرفف متجر أدوات العناية بالحدائق المجاور، ومع ذلك، أظن أن أى شركة متخصصة فى تدميرها يمكنها أن ترشدك للاتجاه المناسب". توقف بريسون لبرهة ثم قال ناظرًا نحو دانى مباشرة : "سيكون الأمر بطبيعة الحال غير قانونى أن تزرع تلك الأعشاب فى أرض شخص ما".

أجابه دانى: "ولكن لن يكون غير قانونى إن كانت هذه الأرض أرضك" وهكذا ألجم رجال المصرف فواصل دانى: "هل توصلتم لحل فيما يتعلق بالنصف الثانى من المشكلة؟".

كان سيجات هو من أجاب عن هذا السؤال قائلاً: "مرة أخرى كان مطلبك غير معتاد على أقل تقدير، وهو بلا شك يقع تحت فئة المخاطرة العالية، ومع ذلك، رأى فريق العمل الخاص بى أن بوسعهم تحديد قطعة أرض فى شرق لندن تنطبق عليها تحت". تذكر دانى نيك وهو يصحح له هذه الكلمة إلى معاييرك، غير أنه قرر ألا يصحح الكلمة لسيجات. واصل سيجات قائلاً: "إن لندن، كما تعرف جيدًا، تحاول أن تستضيف الألعاب الأوليمبية لعام ٢٠١٢ ، وما يصاحبها من الترتيبات الكبرى التى يخطط لها مؤقتًا فى ستراتفور بشرق لندن، على الرغم من أن إخفاق أو نجاح هذه المناقصة لم يتحدد بعد، فقد خلق هذا بالفعل توقعات كبيرة فى السوق بخصوص تلك المواقع فى هذه المنطقة، ومن بين تلك المناطق التى تفكر بشأنها حاليًا لجنة الأوليمبياد هو موقع من أجل الصالات المغطاة والذى سيستضيف الأحداث الرياضية التى لا تجرى فى الهواء الطلق. وقد أعلمنى المقاولون التابعون لى أن هناك ستة مواقع محتملة يتم التفكير فيها حاليًا، ومنها اثنان فقط قد يتم تصعيدهما لقائمة الاختيار القصيرة، وستكون سعيد الحظ إن أمكنك شراء الموقعين، وعلى الرغم من أنك أولا سيكون عليك أن تدفع مبلغًا طائلاً، فمازال هناك فرصة لربح رائع".

سأل دانى: "مبلغ طائل إلى أى حد؟".

قال بريسون: "لقد قدرنا قيمة الموقعين بنحو مليون جنيها لكل منهما، ولكنَّ كل من المالكين الحاليين يطل مليونًا والنصف. ولكن إذا صعد كلا الموقعين لقائمة الاختيار النهائية فقد تصل قميتهما إلى ستة ملايين. وإذا تم اختيار أحد الموقعين باعتباره الفائز باستضافة أحداث الدورة قد يتضاعف هذا الرقم".

قال دانى: "ولكن إن لم يتم اختياره سأخسر الملايين

الثلاثة". توقف لبرهة ثم قال: "علىَّ أن أفكر فى تقريركم بكل عناية قبل أن أكون مستعدًا لهذه المجازفة".

قال بريسون: "لن يتاح لك إلا شهر واحد لتتخذ فيه قرارًا، لأنه حينئذٍ سيتم إعلان القائمة النهائية، وإذا كان كلا الموقعين بها فلن يكون بمقدورك شراؤهما بهذا الثمن".

قال سيجات وهو يعطى دانى ملفين: "ستجد هنا كل المعلومات التى تحتاج إليها لاتخاذ قرارك".

قال دانى: "شكرا لك. سأبلغكم بقرارى عندما أتخذه نهاية هذا الأسبوع". أومأ سيجات فقال دانى: "والآن، أود أن أطلع على المستجدات بشأن مدى تقدم مفاوضاتكم مع مجلس بلدية تاور هاملتس حول موقع ورشة سيارات ويلسون بطريق المايل إند رود".

قال سيجات: "رتب محامينا فى لندن لقاء مع رئيس مكتب التخطيط بالمجلس فى الأسبوع الماضى فى محاولة لأن يكتشف ماذا ستكون وجهة نظر اللجنة إذا ما تقدمت بطلب لتصريح بناء. لقد كان المجلس دائمًا ما ينوى بناء مجمع سكنى للشقق الاقتصادية على تلك الرقعة من الأرض، ولكنهم يتقبلون أن أى مقاول لابد وأن يحقق ربحًا. وقد توصلوا لعرض مفاده أنه إذا تم بناء سبعين شقة بالموقع، فلابد أن يكون ثلثها من فئة المساكن الاقتصادية".

قال دانى: "هذا غير ممكن حسابيًا".

ابتسم سيجات لأول مرة وقال: "لم نر أنه من الحكمة أن ننبه إلى أنه يجب أن يكون عدد الشقق تسعًا وستين أو اثنتين وسبعين شقة سكنية، مما يتيح لنا بعض المساحة للتفاوض، ومع هذا إن وافقنا مبدئيًا على اقتراحهم، سيبيعون لنا الأرض مقابل أربعمائة ألف جنيه، ويمنحونا تصريح بناء أولى فى الحين نفسه وعلى هذا الأساس نوصى بأن تقبل سعرهم، ولكن تحاول أن تجعل المجلس يوافق على بناء تسعين شقة. شعر مدير

مكتب التخطيط بأن هذا سوف يثير جدالًا ملتهبًا بالمجلس، ولكن إن استطعنا أن نرفع عرضنا، لنقل إلى خمسمائة ألف، فقد يجد سبيلاً لأن يوصى المجلس بقبول عرضنا".

قال بريسون: "إذا وافق المجلس على هذا العرض فسوف تمتلك الموقع بأكمله مقابل مبلغ يتجاوز المليون جنيه بقليل".

"إذا نجحنا فى القيام بهذا فماذا تقترحون أن تكون خطوتنا التالية؟".

قال بريسون: "سيكون أمامك خياران، إما أن تبيع الأرض لمقاول، أو يمكنك أن تبنى وتدير المشروع بنفسك".

قال دانى: "ليست لدى أية نية فى أن أقضى الأعوام الثلاثة التالية فى موقع بناء، على هذا الأساس فما أن نصل لاتفاق ويتم منحنا تصريح البناء فلنقم ببيع الموقع لأفضل سعر يعرض علينا".

قال سيجات: "أوافق على أن هذا هو الحل الأمثل، وأنا واثق أنك ستظل مع هذا قادرًا على مضاعفة ربح استثمارك فى مدى قصير".

قال دانى: "لقد قمتم بعملكم على خير ما يرام".

قال سيجات: "ما كان لنا أن نتحرك بهذه السرعة دون معرفتك بالموقع وبتاريخه القديم".

لم يستجب دانى لما بدا أنه طعم صيد. قال: "وأخيرًا لعلكم تستطيعون أن تطلعونى على آخر ما استجد بشأن وضعى المالى الحالى".

قال بريسون وهو يخرج ملفًا آخر من حقيبة أوراقه: "بلا شك، لقد قمنا بدمج حسابيك المصرفيين كما طلبت وأسسنا ثلاث شركات تجارية، ولا واحدة منها باسمك. يبلغ حسابك المصرفى حاليًا مبلغ ٥٥,٣٧٣,٨٧١ دولارًا، أقل قليلاً مما كان عليه منذ ثلاثة أشهر. ورغم أنك قمت ببعض الاستثمارات خلال تلك الفترة، مما سينتج عنه بلا شك ربح لا بأس به،

كما أننا اشترينا نيابة عنك بعض الأسهم مما حددتها فى لقائنا الأخير، مما يعد استثمارًا آخر يقدر بأكثر من مليونى جنيه - وسوف تجد تفاصيل هذا فى الصفحة رقم تسعة بالملف الأخضر. ومن جديد، وتبعا لتعليماتك، قمنا بإيداع أى نقود سائلة فائضة فى مؤسسات التريبل إيه بأسواق الصرف التى تعمل خلال الأربع والعشرين ساعة، مما يسفر عن فائدة سنوية تقدر بنحو أحد عشر بالمائة".

قرر دانى ألا يعلق على الفارق ما بين نسبة ٢,٧٥ بالمائة التى يدفعها البنك فى الأصل ونسبة ١١ بالمائة التى يجنيها الآن. وقال: "شكرًا لكم. ربما يمكننا الالتقاء مرة أخرى بعد شهر". أومأ كل من سيجات وبريسون وشرعا يجمعان ملفاتهما. نهض دانى عن مقعده وصحبهما إلى الباب الأمامى فى صمت، مدركًا أنه لا أحد من المصرفيين السويسريين يميل للمحادثات الجانبية الشخصية.

قال: "سأعاود الاتصال بكم ما أن أتوصل إلى قرار بشأن موقعى الألعاب الأوليمبية".

بعد أن غادرا المنزل، صعد دانى إلى غرفة مكتبه، تناول ملف جيرالد بين من على الرف، ووضعه على مكتبه وأمضى بقية النهار ينقل جميع التفاصيل التى قد تساعده فى خطته لتدميره. إذا كان سيشترى الموقعين فسيكون عليه إذن أن يلتقى ببين وجهًا لوجه. ترى هل سبق لجيرالد بين أن سمع بأعشاب العقدة اليابانية؟

-٥-

ترى هل يتحلى جميع الآباء والأمهات بطموح وأمانى نحو أطفالهم أكثر مما يتمنون لأنفسهم مثلها، هكذا تساءلت بيث وهى تدخل غرفة مديرة المدرسة.

نهضت الآنسة سوزلاند من وراء مكتبها وصافحت بيث.

لم تبتسم المديرة وهى تشير إلى مقعد ثم تعيد قراءة طلب الالتحاق الذى ملأته بيث. حاولت بيث أن تخفى توترها.

قال المديـرة: "ما أفهمه يا آنسة ويلسون." وضغطت على كلمة آنسة، "أنك ترجين أن تلتحق ابنتك بصف ما قبل المدرسة. فى الفصل الدراسى القادم بمدرستنا سانت فيرونيكا، هل هذا صحيح؟".

أجابت بيث: "نعم، صحيح، أرجو هذا. أعتقد أن كريستى سوف تستفيد استفادة كبرى من المزايا التى تقدمها مدرستكم".

قالت المديرة وهى تنظر نحو أوراق الالتحاق الخاصة بكريستى: "ليس لدى أدنى شك فى أن ابنتك تسبق سنها بمستواها، ومع ذلك أنا متأكدة أنك ستقدرين أنه علىّ أن أضع مسائل أخرى فى الاعتبار قبل أن تتمكن ابنتك من الالتحاق بمدرستنا".

قالت بيث وهى تخشى أسوأ الاحتمالات: "أمر طبيعى".

"على سبيل المثال، لا أجد فى طلب الالتحاق أى ذكر لوالد الطفلة".

قالت بيث: "لا، لقد توفى العام الماضى".

قالت المديرة: "يؤسفنى أن أسمع هذا"، دون أن يبدو عليها أى أسف على الإطلاق وسألتها: "هل لى أن أتساءل عن سبب وفاته؟".

ترددت بيث، وكانت دائمًا ما تجد صعوبة فى نطق تلك العبارة: "لقد انتحر".

قالت المديرة: "أفهم هذا، ومتى تزوجته؟".

أقرت بيث: "كلا، لقد كنا مخطوبين".

"يؤسفنى أن أطرح عليك هذا السؤال يا آنسة ويلسون، ما هى ظروف وفاة خطيبك؟".

قالت بيث بصوت مبحوح: "كان سجينا فى ذلك الوقت".

قالت الآنسة سوزلاند: "أفهم هذا، هل لى أن أسأل عن سبب دخوله للسجن؟".

قالت بيث، وهى تدرك الآن أن المديرة كانت تعرف من قبل إجابة كل سؤال من أسئلتها: "جريمة قتل".

"إننى واثقة أنك تعلمين تمام العلم يا آنسة ويلسون أنه من الناحية الدينية الصرفة فإن كلاً من القتل والانتحار يعد من كبائر الذنوب". لم تنبس بيث ببنت شفة، واصلت مديرة المدرسة تقول: "وأظن أيضًا أنه من واجبى أن أشير إلى أنه لا يوجد أى أطفال غير شرعيين مسجلين بمدرستنا الدينية فى الوقت الحالى. ومع ذلك فسوف أفكر فى طلب التحاق ابنتك تفكيرًا جديًا، وسوف أبلغك بقرارى خلال الأيام القليلة القادمة".

فى تلك اللحظة، شعرت بأن فرصة مجرمى الحرب من أمثال سلوبودان ميلوسيفيتش فى نيل جائزة نوبل للسلام أفضل كثيرًا من فرصة ابنتها كريستى فى الالتحاق بتلك المدرسة.

نهضت مديرة المدرسة من خلف مكتبها، وسارت بالغرفة وفتحت بابها.

" إلى اللقاء يا آنسة ويلسون".

ما إن أغلق الباب وراءها حتى انهمرت الدموع من عينى بيث، لماذا يجب على الأبناء أن يدفعوا ثمن أخطاء لم يرتكبوها هم، ولا حتى ارتكبها آباؤهم؟

٥٨

تساءل دانى كيف سيكون رد فعله حينما يلتقى بجيرالد بين. لا يمكنه أن يتحمل عاقبة إظهار أى انفعال، وخصوصًا أنه بلا شك إذا كان سيفقد أعصابه فإنه سيبدد كل الساعات التى أمضاها فى التخطيط لدمار بين.

توقف آل الضخم أمام شركة بيكر، تريمليت آند سمايثنز قبل الموعد المحدد بدقائق قليلة، ولكن حين مر دانى من الأبواب الدوارة ودخل بهو الاستقبال وجد جارى هول واقفًا بمكتب الاستقبال بانتظاره ليقدم له التحية.

قال هول بحماس بينما يتوجهان نحو مجموعة من المصاعد: "إنه رجل استثنائى تمامًا. أصغر شريك فى تاريخ الشركة". وضغط على زر فأخذهم المصعد إلى الطابق الأعلى، "ومن وقت قريب للغاية فاز بمقعد دائم فى البرلمان، لذا أظن أنه لن يبقى معنا طويلاً".

ابتسم دانى. كانت خطته هى أن يتم طرد بين من الشركة، ولو خسر مقعده البرلمانى أيضا ستكون تلك ميزة إضافية جيدة.

عندما خرجا من المصعد، قاد هول أهم عملائه نحو ردهة تقود لمكاتب الشركاء حتى توقفا أمام باب كتب عليه جيرالد بين بحروف مذهبة. طرق هول الباب بخفة، وفتحه وتنحى

جانبًا حتى يسمح لدانى بالدخول. نهض بين من وراء مكتبه وحاول أن يغلق أزرار سترته بينما يسير نحو دانى، ولكن كان من الواضح أنه بحاجة لوقت أطول لكى يتم إغلاق جميع الأزرار. مد يده وصافح دانى مبتسمًا. حاول دانى أن يرد له الابتسامة بمثلها دون أن يفلح فى ذلك.

سأل بين وهو ينظر نحو دانى نظرة أكثر قربًا: "هل التقينا قبل هذا؟".

قال دانى: " نعم، فى حفل العرض الختامى لمسرحية لورانس دافنبورت".

قال بين، قبل أن يدعو دانى لأن يتخذ مقعدًا على الجانب المواجه من المكتب: "آه، نعم، بالطبع". ظل جارى هول واقفًا.

"دعنى أبدأ يا سير نيكولاس...".

قال دانى: "يكفى نيك...".

قال بين: "وأنا جيرالد". فأومأ دانى برأسه.

"كما كنت أقول دعنى أبدأ بالتعبير عن إعجابى بصفقتك الناجحة مع المجلس المحلى لمنطقة تاور هاملتس حول الأرض التى تقع فى منطقة بو – إنها صفقة، فى رأيى، ستجلب لك ضعف ما دفعته خلال أقل من عام".

قال دانى: "لقد قام السيد هول بالجانب الأكبر من العمل التمهيدى والشاق من المهمة، أخشى أننى كنت منشغلاً بأمر أكثر إلحاحًا".

انحنى بين للأمام وتساءل: "وهل تنوى أن تشرك شركتنا فى صفقتك الجديدة؟".

قال دانى: "بكل تأكيد، فى المراحل الأخيرة لها، على الرغم من أننى قد أنهيت أغلب أعمال البحث والاستطلاع، فإننى مازلت بحاجة إلى شخص ليمثلنى عندما نصل لتقديم عرض بشراء الموقع".

قال بين وقد عادت الابتسامة لتكسو وجهه: "سوف

يسعدنا أن نقدم لك العون على أى نحو كان. ثم أضاف: "هل سيكون بمقدورك أن تثق بنا وتطلعنا على الصفقة فى هذه المرحلة؟".

سر دانى أن يجد بين يهتم اهتمامًا واضحًا بما قد يفيده وحسب فى المسألة. ورد له الابتسامة بمثلها هذه المرة، وقال دانى: "يعرف الجميع أن لندن إن نجحت فى استضافة دورة الألعاب الأوليمبية لعام ٢٠١٢، فإن هناك قدر كبير من المال يمكن ربحه خلال مرحلة الإعداد للحدث. بميزانية متاحة تقدر بعشرة مليارات فلابد أنه يجرى قدرًا كافيًا من الربح لنا جميعًا".

قال بين، وقد خاب أمله بعض الشىء: "كنت لأتفق معك عادة ولكن ألا تعتقد أن السوق فيما يخص هذا الحدث مزدحم أكثر من اللازم؟".

قال دانى: "نعم، أعتقد هذا، فقط فى حالة إذا كان عقلك لا يركز إلا على الاستاد الرئيسى أو حمامات السباحة أو قاعة الألعاب الرياضية أو القرية الرياضية أو حتى مركز سباقات الخيل. لكننى وضعت يدى على فرصة لا تلفت انتباه الصحافة أو أية من اهتمام وسائل الإعلام الأخرى".

انحنى بين للأمام ووضع مرفقيه على الطاولة بينما اضطجع دانى مسترخيًا للمرة الأولى. واصل دانى قائلاً: "لم يلحظ أحد تقريبًا أن لجنة الأوليمبياد كانت تفاضل ما بين ستة مواقع لبناء مضمار لسباق الدراجات. كم عدد الأشخاص الذين يمكنهم أن يخبروك بما يجرى فى مضمار سباق الدراجات الهوائية؟".

قال جارى هول: "لا شىء أكثر من سباق الدراجات".

قال دانى : "أحسنت، وفى غضون أسبوعين سوف نعرف أى الموقعين ستختاره لجنة الأوليمبياد لتضعه بصفة مؤقتة على اللائحة النهائية. وأنا واثق أنه حتى بعد إعلان اللائحة

لن يحصل الخبر على أكثر من فقرة قصيرة فى الصحيفة المحلية، وحتى عندئذ سيكون الخبر على الصفحات الرياضية فقط". لم يقاطعه أى من بين أو هول، بينما واصل دانى: "ولكن بحوزتى بعض المعلومات من مصدر وثيق لم تكلفنى أكثر من أربعة جنيهات وتسعة وتسعين بنسًا".

كرر بين وعلى وجهه الاستغراب: "أربعة جنيهات وتسعة وتسعين؟".

قال دانى : "إنه ثمن نسخة من المجلة الشهرية لرياضة ركوب الدراجات، سايكلنج مانثلى". وأخرج المجلة من حقيبة أوراقه وقال: "فى هذا العدد الشهرى، لم يتركوا مجالاً للشك بشأن أى من الموقعين سوف تضعه اللجنة فى لائحتها القصيرة، ومن الواضح أن رئيس تحريرهم له كلمة مسموعة عند الوزيرة". أعطى دانى المجلة لبين، وقد فتحها على الصفحة المعنية.

بعد أن أنهى بين قراءة المقال الرئيسى للمجلة: "وأنت تقول إن الصحافة العامة لم تلتقط هذا الخيط؟".

قال دانى: "ولم يتوجب عليهم أن يفعلوا؟".

قال بين: "ولكن ما أن يتم الإعلان عن الموقع فإن عشرات المقاولين سوف يتقدمون للحصول على التعاقد".

قال دانى: "لست مهتمًا ببناء الصالة المغطاة نفسها. إننى أنوى أن أجمع ربحى قبل وقت طويل من تحرك أول حفارة آلية إلى الموقع".

"وكيف تتوقع أن تقوم بهذا؟".

"أما ذلك فأعترف بأنه قد كلفنى أكثر قليلاً من أربعة جنيهات وتسعة وتسعين سنتًا، ولكن إذا نظرت على الغلاف الخلفى للمجلة" هكذا قال دانى وهو يقلب المجلة: "فسوف ترى أسماء الناشرين مطبوعة على السطر الأخير فى الركن الأيمن. لن يوضع العدد التالى من المجلة على أرفف الصحف

والمجلات قبل عشرة أيام أخرى، ولكن مقابل مبلغ أكبر قليلاً من ثمن النسخة الواحدة نجحت فى أن أحصل على البروفة الأولية للعدد. وهناك مقال فى الصفحة السابعة عشر بقلم رئيس الاتحاد البريطانى لرياضة ركوب الدراجات، ويقول فيه إن الوزيرة قد أكدت له أن هناك موقعين اثنين وحسب يتم التفكير بشأنهما تفكيرًا جديًا. وأن الوزيرة سوف تصرح رسميًا بتلك النتيجة فى مجلس العموم فى اليوم السابق مباشرة لصدور المجلة. ولكنه يواصل القول للتأكيد على أى من الموقعين ستدعم لجنته اختياره".

قال بين: "هذا أمر فى غاية الذكاء منك، ولكن لا شك أن مالكى هذا الموقع يدركون تمامًا أنهم قد يقعون على ثروة؟".

"فقط إن كان بوسعهم أن يحصلوا على نسخة من العدد القادم من مجلة رياضة ركوب الدراجات، لأنهم فى الوقت الحالى مازال باعتقادهم أن موقعهم موضوع على القائمة النهائية من ضمن ستة مواقع أخرى".

سأل بين: "إذن ما الذى تخطط للقيام به؟".

"تغيير مالكى الموقع الذى تفضله مجلة رياضة الدراجات مقابل سعر ثلاثة ملايين جنيه، على الرغم من أننى لم أكن قادرًا على تحديد هوية المشترى. ومع ذلك فما أن تعلن الوزيرة تصريحها، قد تصل قيمة الموقع إلى خمسة عشر مليونًا وربمًا عشرين مليونًا. أما الآن، وبينما مازالت هناك مواقع أخرى على القائمة النهائية فإذا ما عرض على مالكيه الحاليين لنقل أربعة أو خمسة ملايين، فأظن أنهم سيفضلون بيعه وكسب ربح سريع، بدلاً من المجازفة بانتظار ربح لن يتحقق على الإطلاق. مشكلتنا أنه ليس أمامنا إلا أقل من أسبوعين قبل أن يتم إعلان قائمة الموقعين المرشحين للبناء، وما إن تظهر وجهات نظر رئيس اتحاد رياضة ركوب الدراجات على الملأ فإنه لن تبقى أمامنا أى فرصة أخرى".

قال بين: "هل لى أن أقدم اقتراحًا؟".

قال دانى: "تفضل".

"مادمت واثقًا إلى هذا الحد من أن هذين الموقعين فقط سيتم اختيار واحد منهما، فلِمَ لا تشترى الموقعين؟ ربما لن يكون ربحك ضخمًا للغاية، ولَكن لن يكون من الممكن عندها أن تخسر على الإطلاق".

أدرك دانى الآن لم صار بين هو أصغر شريك فى تاريخ الشركة.

قال دانى: "فكرة نيرة، ولكن لن يكون لها قيمة كبيرة مادمنا لم نعرف بعد إن كان الموقع الذى نهتم بأمره من الممكن شراؤه. وهنا يأتى دوركم. وسوف تجد جميع التفاصيل التى تحتاج إليها فى هذا الملف، عدا معلومة من يملك الموقع، وعلى كل حال فلابد أن تقوم شركتكم بأى شىء لكى تُحلّ رزقها".

ضحك بين، وقال: "سأبدأ العمل فورًا يا نيك، وسأعاود الاتصال بك ما أن أصل إلى مالك الموقع".

قال دانى وهو ينهض: "لا تتباطأ فى هذا، فستكون العوائد أعلى كلما تحركنا أسرع".

رسم بين الابتسامة نفسها بينما ينهض لمصافحة عميله الجديد. وإذ يستدير دانى ليغادر رأى بطاقة دعوة مألوفة له على رف الموقد. سأل وهو يبدو مندهشًا: "هل ستذهب إلى حفل شراب تشارلى دانكان هذا المساء؟".

"نعم، سأفعل. إننى أستثمر فى عروضه من وقت إلى آخر".

قال دانى: "إذن فقد أراك هناك. وعلى كل حال سيكون بمقدورك أن تطلعنى على المستجدات".

قال بين: "سنفعل هذا، هل لى أن أستفسر عن أمر واحد قبل أن أشرع بالعمل؟".

قال دانى محاولاً ألا يبدو متوترًا: "نعم، بكل تأكيد".

"عندما نأتى لدفع المبالغ المستحقة، هل ستتحمل أنت وحدك المبلغ كاملاً؟".

قال دانى: "كل بنس منه".

"ولا تفكر فى السماح لأى شخص آخر كى يشاركك فى الصفقة؟".

قال دانى بكل حزم: "كلا".

⊸o⊷

قالت بيث: "التمس لى العذر، لقد ارتكبت خطيئة. مضى أسبوعان منذ اعترافى الأخير".

ابتسم رجل الدين ما إن تعرف على صوت بيث الرقيق. دائمًا ما كان يتأثر باعترافاتها، لأن ما تعتبره هى خطيئة لن يراه أغلب أبناء دار عبادته شيئًا يستحق الذكر.

قال: "أنا مستعد لتلقى اعترافك يا بنيتى". وكأنه لا يعرف بالمرة من تجلس بالجانب الآخر عبر النافذة ذات القضبان المتشابكة.

"لقد فكرت تفكيرًا خبيثًا بشأن أحدهم وتمنيت أن يعانى".

ثارت شفقة رجل الدين. "هل يمكنك أن تخبرينى بما دعاك لأن تفكرى تلك الأفكار الخبيثة يا بنيتى؟".

"لقد أردت لابنتى أن تحظى ببداية حياة أفضل مما حظيت أنا بها، وقد شعرت بأن مديرة المدرسة التى اخترتها لم تمنحنى أى فرصة لذلك".

قال رجل الدين: "ربما لم تتمكنى من رؤية الأمور من وجهة نظرها؟ وعلى كل حال قد تكونى أسأت الحكم على دوافعها". عندما لم تجب بيث عليه، فأضاف قائلاً: "تذكرى دائما يا بنيتى أننا لسنا بقادرين أبدا على أن نتحكم فى مستقبلنا، فلربما أهد لها الله ما نجهله".

قالت بيث: "إذن علىَّ أن أقوم بالاستغفار، وأنتظر حتى أكتشف مشيئته".

"أرى أن هذا سيكون حكمة منك يا بنيتى، وفى هذه الأثناء عليك بالصلاة واطلبى الرشاد من الله".

"وأى كفارة على أن أؤديها على أخطائى؟".

"عليك أن تتعلمى الندم، وأن تسامحى هؤلاء الذين لا يستطيعون أن يفهموا مشكلاتك. وأكثرى من الدعاء والصلاة".

"شكرًا لك يا سيدى".

انتظر رجل الدين حتى سمع الباب الصغير يغلق ليتأكد من مغادرة بيث. جلس وحده لبعض الوقت بينما يفكر فى مشكلة بيث، ومرتاحًا لأنه لم يقاطع بدخول معترف آخر. خرج من مقصورة الاعتراف وتوجه صوب قاعة جلوس الزوار بدار العبادة. سار بسرعة بجانب بيث التى كانت راكعة على ركبتيها محنية الرأس ممسكة بمسبحة فى يدها.

ما إن وصل إلى مكتبه حتى أغلق الباب وجلس إلى مكتبه وطلب رقمًا. كانت هذه واحدة من المرات التى شعر فيها بأن من واجبه أن يساعد الآخرين فى تحقيق ما يتمنون..

٥

أوصل آل الضخم سيده دانى حتى الباب الأمامى بعد أن تجاوزت الساعة الثامنة بدقائق قليلة. ما إن دخل دانى إلى المبنى لم يكن بحاجة لأن يخبره أحد بمكان مكتب تشارلى دانكان. فإن أصوات الضحك والأحاديث المرتفعة تنبعث من الطابق الأول، وقد خرج واحد أو اثنان من المدعوين وانتشروا أمام الباب.

صعد دانى السلالم المتهالكة سيئة الإضاءة، وهو يمر بملصقات مؤطرة لعروض أنتجها دانكان سابقًا، لا يذكر دانى

أن أيًا منها قد حقق نجاحًا ساحقًا. شق طريقه بجانب زوجين شابين متعانقين لم يتلفتا إليه بأكثر من نظرة عابرة. دخل إلى ما يعتبره دانكان أنه مكتبه وسرعان ما اكتشف سبب خروج المدعوين للوقوف أمام باب المكان، فقد كان مزدحما للغاية، وكان الضيوف يجدون صعوبة بالغة فى التحرك. قدمت له شابة تقف بالقرب من الباب كأس شراب وطلب دانى منها كوب ماء - فعلى كل حال هو بحاجة للتركيز إذا كان يرغب لاستثماره أن يدر ربحًا.

جال دانى ببصره فى أرجاء الغرفة باحثًا عن شخص يعرفه، فرأى كاتى الممثلة. أشاحت ببصرها بعيدًا ما إن أبصرته. جعله هذا يبتسم ويتذكر بيث. كم كانت تغيظه لأنه خجول للغاية وخصوصًا إذا ما دخل مكانًا ممتلئًا بالغرباء. لو أن بيث حاضرة هنا، فلعلها الآن كانت تثرثر مع مجموعة من الأشخاص لم يسبق لها أن التقت بهم. كم يشتاق إليها. لمس أحدهم ذراعه، وقاطع أفكاره، والتفت فوجد جيرالد بين يقف بجواره.

قال وكأنهما صديقان قديمان: "نيك، لدى أنباء سارة. لقد عرفت البنك الذى يمثل أحد مالكى الموقعين".

"وهل لديك أية صلات بشخصية هناك؟".

أقر بين قائلاً: "كلا بكل أسف، ولكن بما أن مقرهم الرئيسى فى جينيف، فقد يكون المالك أيضًا أجنبيًا وليس لديه أدنى فكرة عن القيمة المحتملة للموقع".

تبين دانى أن بين من النوع المتفائل على الدوام: "أو قد يكون إنجليزيًا وملمًا بالأمر تمامًا".

قال بين: "على أى من الاحتمالين، سنكتشف الأمر غدا لأن أحد مدراء البنك، مسيو سيجات، وعدنى بأن يعاود الاتصال بى فى الصباح ليعلمنى إن كان عميله على استعداد لأن يبيع".

سأل دانى: "والموقع الآخر؟".

"لن نهتم كثيرًا به إذا تبينا أن مالك الموقع الأول غير راغب

فى بيعه".

قال دانى: "لعلك على حق". دون أن يهتم بأن يشير إلى أنه هو من نصحه بذلك أولاً.

قال لورانس دافنبورت: "جيرالد". وانحنى يقبله على وجنتيه.

اندهش دانى حين رأى دافنبورت بوجه غير حليق، مرتديًا قميصًا من الواضح أنه سبق وارتداه أكثر من مرة خلال هذا الأسبوع، وبينما تبادل الرجلان التحية شعر دانى باشمئزاز تجاه كليهما حتى وجد أنه غير قادر على الانضمام إليهما فى الحديث.

سأل بين: "هل تعرف نيك مونكريف؟".

لم يبد دافنبورت أنه يعرفه أو يهتم لأمره.

قال دانى: "لقد التقينا فى حفل الختام الخاص بعرضك".

قال دافنبورت دون أن يبدى إلا أقل قدر ممكن من الاهتمام: "آه، صحيح".

"لقد شاهدت المسرحية مرتين".

قال دافنبورت وهو يوجه له الابتسامة المدخرة من أجل المعجبين: "يا له من إطراء".

سأله دانى: "هل ستمثل فى العرض التالى لتشارلى؟".

أجاب دافنبورت: "كلا، فبقدر ما أحببت أن أمثل فى مسرحية إرنست، لا يمكننى أن أتحمل أن أكرس مواهبى لخشبة المسرح وحدها".

سأله دانى ببراءة: "وما سبب ذلك؟".

"يضطر المرء لرفض العديد من الفرص إذا ما التزم بفترة عرض طويلة على المسرح. والواحد لا يعرف أبدًا متى سيطلبه أحدهم من أجل فيلم أو لدور البطولة فى مسلسل تليفزيونى جديد قصير الحلقات".

قال دانى: "ياللخسارة. كان من الممكن أن أستثمر المزيد من المال فى العرض التالى إذا كنت ممثلاً فيه".

قال دافنبورت: "كم هو لطيف منك أن تقول هذا، ربما ستحظى بفرصة أخرى فى وقت قريب من المستقبل".

قال دانى: "كم أتمنى هذا، لأنك نجم حقيقى". صار دانى مدركًا تمامًا بأنه ما من شىء يعد مبالغة عند لورانس دافنبورت مادام المرء يتحدث إلى لورانس دافنبورت عن لورانس دافنبورت".

قال دافنبورت: "حسنًا، إذا أردت أن تقوم باستثمار بارع، فإن لدى...".

صاح صوت قائلاً: "لارى!". التفت دافنبورت وقبل رجلا آخر، أصغر منه فى العمر كثيرًا. لقد ضاعت اللحظة المناسبة، غير أن دافنبورت قد ترك الباب مفتوحا على مصراعيه ودانى لن يتردد فى الدخول فى وقت لاحق.

بينما ابتعد دافنبورت قال بين: "أمر محزن".

سأل دانى: "وما هو؟".

قال بين: "كان نجم دفعتنا فى جامعة كامبريدج، ظننا جميعا أنه سيحظى بمستقبل فنى متألق، لكن ذلك لم يحدث".

قال دانى: "لاحظت أنك تناديه لارى، مثل لقب الممثل الإنجليزى الشهير لورانس أوليفيه".

"لعل هذا اللقب هو الشىء الوحيد المشترك بينهما".

أوشك دانى أن يشعر بالشفقة على دافنبورت عندما تذكر عبارة الكاتب الفرنسى آلكسندر دوما : "بوجود أصدقاء مثل هؤلاء، لا يحتاج المرء إلى أعداء". أضاف دانى قائلاً: "مازال الوقت فى صالحه على أى حال".

قال بين: "ولكن هذا إن لم يكن لديه كل تلك المشكلات، أليس كذلك؟".

قال دانى: "مشكلات؟". وفى اللحظة نفسها شعر بضربة يد خفيفة على ظهره.

قال تشارلى دانكان، وهو صديق فورى آخر اجتذبته رائحة النقود: "مرحبًا يا نيك".

أجاب دانى: "مرحبًا يا تشارلى".

قال دانكان وهو يملأ له كأسه الفارغ: "أرجو أن تكون مستمتعا بالحفل".

"نعم، شكرًا لك".

همس دانكان قائلاً: "أمازلت تفكر فى الاستثمار فى عرض كنوز ومجوهرات، أيها الفتى؟".

قال دانى: " نعم، يمكنك أن تسجل مساهمتى بمبلغ عشرة آلاف". ولم يضف، على الرغم من أن هذا سيكون تصرفا بلا معنى.

قال دانكان وهو يربت على ظهره من جديد: "أيها الرفيق البارع، سأرسل عقدًا إليك بالبريد غدًا".

سأل دانى: "هل يمثل لورانس دافنبورت فى أحد الأفلام فى الوقت الحالى؟".

"ما الذى يدفعك لهذا السؤال؟".

"مظهره بوجه غير حليق وملابس غير مهندمة. اعتقدت أنها قد تتعلق بدور ما يقوم بأدائه".

قال دانكان ضاحكًا: "كلا، كلا، إنه لا يلعب دورًا، كل ما هنالك أنه نهض لتوه من الفراش". وخفض صوته من جديد قائلاً: "أفضل الابتعاد عنه فى الوقت الحالى أيها الفتى الكبير".

سأل دانى: "وما سبب ذلك؟".

"إنه يستجدى المال ويقترضه من كل مصدر. إياك وأن تقرضه أى مال لأنه لن يعيده لك إطلاقًا. فغير معلوم لدى أحد بكم يدين من مال للأشخاص الموجودين فى هذه الغرفة

فقط".

قال دانى: "شكرًا لك على تحذيرك لى". ووضع كأسه المملوء على إحدى الصينيات العابرة وقال لدانكان: "على أن أغادر، ولكنى أشكرك كل الشكر فقد كان حقًا حفلاً ممتعًا".

"بهذه السرعة؟ لكنك حتى لم تلتق بالنجوم الذين سوف تستثمر أموالك بالاعتماد عليهم".

فقال دانى: "بل التقيت بهم".

التقطت الآنسة سوزلاند سماعة الهاتف من فوق مكتبها، وتعرفت على صوت المتصل فورًا.

قالت: "مساء الخير يا أبانا، كيف يمكننى أن أساعدك؟".

جاءها صوت رجل الدين يقول: "كلا يا آنسة سوزلاند، إنه أنا الذى يعرض المساعدة".

"إذن فما الذى تقصده؟".

"كنت أتمنى أن أساعدك على الوصول لقرار يتعلق بالطفلة كريستى كارترايت، وهى إحدى الصغيرات التى تتردد على دار العبادة مع أمها".

قالت مديرة المدرسة: "كريستى كارترايت؟ إننى أتذكر هذا الاسم".

"لابد أنك تتذكرينه يا آنسة سوزلاند. فأى مديرة مدرسة ذات كفاءة لابد أن تدرك أن كريستى لديها إمكانية كبرى للتفوق".

"وأى مديرة مدرسة ذات كفاءة لابد وأن تدرك أيضًا أن والدى الطفلة لم يجمعهما الزواج، وهى حالة من العلاقة لم تعتبر شرعية وقانونية حتى الآن من قبل أى ممن تولوا إدارة المدرسة، وأنا أعتقد أنك مازلت تتذكر هذا من الأيام التى خدمت فيها بمجلس إدارتنا".

أجاب رجل الدين: "وهكذا هو الأمر يا آنسة سوزلاند، ولكن دعينى أريح ضميرك وأؤكد أننى رتبت لإتمام مراسم الزواج فى دار العبادة، وعلقت تاريخ موعد زفافهما على لوحة الإعلانات بدار العبادة جنبًا إلى جنب المجلة الدورية الخاصة بنا".

وهنا ذكرته مديرة المدرسة قائلة: "ولكن لسوء الحظ لم يتم الزواج".

غمغم الأب مايكل: "نظرًا لظروف غير متوقعة".

"أنا واثقة أنه ليس على أن أذكرك يا سيدى بالتعاليم الخاصة بذلك، ففى نظر دار العبادة والعقيدة كان القتل ومازال كبيرة من الكبائر. وأخشى أن هذا لا يدع أمامى إلا خيارًا واحدًا وهو أن أخلى مسئوليتى من الأمر برمته".

"وهل تعتقدين أنك بهذا تخلين مسئوليتك من الأمر؟".

قالت المديرة بحدة: "هذا ظلم منك لى يا سيدى".

"لك الحق فى لومى يا آنسة سوزلاند وإننى أعتذر. وأخشى أننى مجرد عبد فان وضعيف، وبالتالى فإننى عرضة لارتكاب الأخطاء. ولعل أحد أخطائى كان عندما وجدت شابة ذات موهبة تفوق العادة تقدم طلبًا لتكون مديرة مدرسة سان فيرونيكا، ولم أطلع مجلس الإدارة بأنها أجرت فى وقت قريب عملية إجهاض، وأنا واثق أننى لست بحاجة لأن أذكرك يا آنسة سوزلاند بأن الإجهاض شأنه شأن القتل كبيرة من الكبائر".

٥٩

لأسابيع عديدة ظل دانى يتجنب البروفيسور مورى. كان يخشى أن الجهد الذى بذله فى مسابقة المقال لن يكفى لإثارة إعجاب البروفيسور الثرثار والمهذار.

لكن بعد أن غادر دانى المحاضرة الصباحية، رأى مورى يقف عند باب مكتبه. لم يجد مهربًا من الإصبع الذى يشير له بالاقتراب، ومثل تلميذ بالمدرسة تبعه دانى فى إذعان إلى غرفة مكتبه، وانتظر منه ملاحظاته اللاسعة، ونكاته اللاذعة الشائكة، وسهامه المسمومة التى يوجهها نحو هدف ثابت.

أحنى دانى رأسه بينما شرع البروفيسور مورى يتحدث بادئا بقوله: "لقد خاب أملى". كيف أمكن لدانى أن يستطيع التعامل مع المصرفيين السويسريين، ومع سماسرة الإويست إند، ومع الشركاء الأساسيين بشركة عقارية ذات تاريخ، لكنه يكاد يرتجف مهابة فى حضور هذا الرجل؟ واصل البروفيسور قائلاً: "إذن فأنت تدرك الآن إحساس أن يوشك المرء على تحقيق بطولة أوليمبية مجيدة، لكنه يخفق فى اللحظة الأخيرة فى اعتلاء المنصة".

رفع دانى ناظريه شاعرًا بالحيرة والغموض.

قال البروفيسور مورى مبتسمًا: "تهانينا، لقد فزت بالمركز الرابع فى مسابقة المقال. وبما أن هذا يرفع من درجاتك، فإننى

أنتظر منك أشياء مهمة عندما تدخل الامتحانات النهائية". نهض وهو مازال مبتسمًا، وكرر: "إننى أهنئك". وصافح دانى بمودة.

قال دانى وهو يحاول أن يستوعب الأخبار: "شكرًا لك يا بروفيسيور".

وأمكنه أن يسمع صوت نيك يقول له: " أحسنت صنعًا أيها البطل"، ولم يستطع من نفسه من أن يتمنى لو يقاسم بيث هذه الأنباء. ستكون فى غاية الفخر به. كم من الوقت يستطيع أن يحتمل الحياة بدون رؤيتها؟

غادر مكتب البروفيسيور وركض على طول الممر، ثم ركض خارجًا من الباب ونازلاً الدرج، حتى رأى آل الضخم لدى باب السيارة ينظر متوترا إلى ساعة يده. أصبح دانى الآن يعيش فى ثلاثة عوالم مختلفة، وفى العالم التالى الذى عليه أن يتوجه إليه الآن لا يمكنه تحمل مغبة التأخر عن موعده مع مسئولة المراقبة الخاصة به.

⊸o⊷

قرر دانى ألا يخبر الآنسة بينيت مسئولة المراقبة كيف سيقضى بقية مسائه، لأنه شك فى أنها سوف تعتبر حديثه مجرد عبث ولغو طائش، ومع ذلك فقد أظهرت سعادتها عندما علمت أنه أصاب نجاحا فى مسابقة المقال.

عندما عاد دانى للمنزل بعد لقائه بالآنسة بينيت كانت مولى قد قدمت بالفعل لمسيو سيجات قدحًا ثانيًا من الشاى. نهض المصرفى السويسرى من مكانه ما إن دخل دانى إلى الغرفة. اعتذر لتأخيره بضع دقائق، دون أن يقدم تفسيرًا لتأخره.

بدرت إيماءة صغيرة من سيجات قبل أن يعود إلى مجلسه من جديد، وقال: "أنت الآن المالك الفعلى لكلا الموقعين المزمع إنشاء صالة لسباق الدراجات فى أحدهما من أجل دورة الألعاب

الأوليمبية، وعلى الرغم من أنك لن تنتظر بعد هذا تحقيق ربح كبير، فلابد مع ذلك أن نشعر برضا تام إذا ما استعدنا مبلغ الاستثمار الأصلى".

"هل أعاد بين الاتصال من جديد؟" وهذا كان كل ما يريد دانى معرفته.

"نعم، لقد اتصل مجددًا هذا الصباح، وقدم عرضًا بمبلغ أربعة ملايين جنيه للموقع المرجح اختياره. أفترض أنك تريد منى أن أرفض العرض".

"صحيح، ولكن أخبره بأنك ستقبل عرضه ولكن بمبلغ ستة ملايين، مع الوضع فى الاعتبار أنه لابد من توقيع العقد قبل أن تعلن الوزيرة عن قرارها".

"لكن هذا الموقع سيساوى على الأقل اثنى عشر مليونًا إذا ما سارت الأمور حسب تصورنا".

قال دانى: "كن مطمئنًا، فإن كل الأمور تسير بالفعل حسب تصورنا. هل أبدى بين أى اهتمام بالموقع الآخر؟".

قال سيجات: "كلا. ولماذا ينبغى عليه ذلك فى حين أن الجميع يبدو أنهم يعلمون أى الموقعين سيتم اختياره".

بعد أن اطلع دانى على جميع المعلومات التى كان بحاجة للإطلاع عليها آثر أن يغير الموضوع فقال: "وماذا عن أعلى العروض التى قدمت بخصوص موقعنا الآخر فى طريق المايل إند رود؟".

"جاءنا أعلى العروض من شركة فارفاكس هومز، وهى إحدى الشركات الممتازة التى تعامل معها المجلس المحلى فيما مضى. لقد درست العرض الذى قدموه". وناول دانى كراسة دعاية مصقولة وبراقة الألوان وأضاف: "وليس لدى أى شك فى أنه بعد إجراء التعديلات القليلة الخاصة بلجنة البناء، فإن خطة العمل ستحصل على الضوء الأخضر للبدء خلال الأسابيع القليلة القادمة".

سأل دانى، محاولاً ألا يبدو عليه نفاد الصبر: "كم المبلغ المعروض؟".

قال سيجات وهو يراجع الأرقام: "آه، نعم. مع تذكر أن المبلغ الذى قمت بدفعه كان يزيد بقليل على المليون جنيه، فأعتقد أنك يمكنك أن تشعر بالرضا التام بأن شركة فارفاكس هومز تعرض مبلغ ١,٨٠١,١٥٦ مما يمنحك ربحًا يزيد على نصف المليون. وهو لا يعد فائدة سيئة لرأسمالك، مع الوضع فى الاعتبار أن المال لم ينفق إلا منذ أقل من عام واحد".

سأل دانى: "ولكن ما تفسيرك لرقم ١,٨٠١,١٥٦على التحديد؟".

"أظن أن السيد فارفاكس مدير الشركة توقع أن يكون هناك مفاوضات عديدة حول رقم الثمانمائة ألف، وبعد ذلك كتب تاريخ ميلاده ليملأ بقية الخانات".

ضحك دانى وشرع يدرس خطط فارفاكس لبناء مجمع سكنى هائل جديد للشقق الفخمة تحت اسم سيتى ريتش فى المكان نفسه الذى كان يعمل فيه فيما مضى ميكانيكيًا فى ورشة سيارات.

"هل تخول لى الاتصال بالسيد فارفاكس صاحب الشركة لأبلغه بقبول عرضه؟".

قال دانى: "نعم، فلتقم بهذا، وما أن تتصل به أحب أن أتبادل معه كلمة".

بينما كان سيجات يجرى المكالمة واصل دانى دراسته للخطط المبهرة التى قدمتها شركة فارفاكس لبناء المجمع السكنى الجديد. لم يكن لديه إلا تساؤل واحد فقط.

قال سيجات: "سأوصلك حالا بالسير نيكولاس يا سيد فارفاكس، فهو يتوق لأن يتبادل معك كلمة".

قال دانى: "لقد كنت أدرس خططكم للتو، وقد رأيت أنكم ستبنون شققًا بالأسطح".

قال فارفاكس: "هذا صحيح، أربع غرف نوم، وأربعة حمامات كلها متجاورة لبعضها البعض، على مساحة تتجاوز الثلاثة آلاف قدم مربع بقليل".

"تطل على ورشة السيارات التى تقع على الناحية الأخرى من طريق المايل إند".

فصحح له فارفاكس: "بل قل على مبعدة أقل من ميل واحد من وسط المدينة". ضحك كلاهما.

"هل ستعرض شقق الأسطح للبيع بسعر ستين وخمسمائة ألفًا يا سيد فارفاكس؟".

أكد فارفاكس قائلاً: "نعم، هذا هو السعر المطلوب".

قال دانى: "سأغلق الصفقة على ثلاثة ملايين إذا ضمنت لى منزل السطح".

قال فارفاكس: "بل مليونان وتكون الصفقة منتهية".

"موافق، ولكن بشرط واحد".

"وما هو؟".

أخبر دانى السيد فارفاكس بالتغيير الوحيد الذى أراده، ووافق عليه المقاول دون أى تردد.

⊸o⊷

كان دانى قد اختار الوقت بعناية: الحادية عشرة صباحًا. دار آل الضخم بالسيارة فى ميدان ردكليف مرتين قبل أن يتمكن من الوصول إلى المبنى رقم ٢٥.

سار دانى على طول ممر لم تقترب منه يد العناية مؤخرا. عندما بلغ الباب الأمامى، دق جرس الباب وانتظر لبعض الوقت، دون أن تأتيه أية إجابة. قرع مقبض الباب النحاسى مرتين، وأمكنه أن يسمع أداء طرقه تتردد بالداخل، ومع ذلك لم يستجب أحد أيضًا. دق الجرس مرة إضافية أخيرة قبل أن ييأس أخيرًا، ويقرر أن يحاول مجددًا ما بعد الظهيرة. كان على

وشك أن يصل إلى بوابة المنزل الخارجية عندما انفتح الباب فجأة وانبعث صوت غاضب يسأله: "من أنت عليك الل...؟".

قال دانى: "نيك مونكريف". واستدار وسار على طول الطريق المؤدى للباب الأمامى ليضيف قائلاً: "لقد طلبت منى أن أتصل بك ولكن رقمك لم يكن واردًا فى دليل الهاتف، وصادف أننى كنت أمر من هنا...".

كان دافنبورت يرتدى روبًا منزليًا حريريًا وخفين. كان من الواضح أنه لم يحلق لحيته لأيام عديدة وراح يطرف بعينيه أمام ضوء النهار كحيوان خرج من فترة بياته الشتوى الطويلة فى أول يوم من موسم الربيع. ذكره دانى قائلاً: "لقد قلت لى إن لديك استثمارًا تظنه قد يثير اهتمامى".

قال لورانس دافنبورت وهو يبدو أكثر تلهفًا وانتباهًا: "آه، نعم، إننى أتذكر الآن، نعم، نعم، ادخل".

دخل دانى من ردهة معتمة أعادت إليه ذكريات ما كان يبدو عليه منزل بولتونز قبل أن تضطلع مولى بمسئوليته.

قال دافنبورت: "تفضل باتخاذ مقعد ريثما أبدل ثيابى، لن أستغرق إلا دقيقة".

لم يتخذ دانى مجلسًا. راح يخطو فى الغرفة مبديًا إعجابه باللوحات الزيتية المعلقة وبالأثاث الفخم، على الرغم من أن هذا كله غطته طبقة من الغبار. اختلس النظر من النافذة الخلفية فرأى حديقة ضخمة الحجم ولكن غير معتنى بها.

الصوت المجهول الذى اتصل من جينيف هذا الصباح قد أخبره بأن قيمة بيع المنازل الكائنة فى هذا الميدان فى متوسط ثلاثة ملايين جنيه. ابتاع السيد دافنبورت المنزل رقم ٢٥ فى عام ١٩٩٥، عندما كان هناك ثمانية ملايين مشاهد يحرصون على متابعة حلقات مسلسل الوصفة الطبية مساء كل سبت ليكتشفوا أيًا من الممرضات سيغويها د. بيريزفورد ذلك الأسبوع. كما أضاف الصوت المجهول على الهاتف: "أن

دافنبورت قد رهن المنازل بمقابل مبلغ مليون جنيه لدى شركة نورويش يونيون للتأمين وأنه قد عجز عن سداد الأقساط خلال الشهور الثلاثة الأخيرة".

ابتعد دانى عن النافذة حين دخل دافنبورت إلى الغرفة. كان يرتدى قميصًا مفتوح الرقبة، وسروالاً جينز، وحذاء رياضيًا خفيفًا. كان السجناء رفاق دانى فى السجن يهتمون بهندامهم أكثر من هذا.

سأل دافنبورت: " هل أجلب لك مشروبًا؟".

قال دانى: "الوقت مبكرًا قليلاً بالنسبة لى".

قال دافنبورت وهو يصب لنفسه كأسًا كبيرًا من مشروب قوى: "لا يكون الوقت مبكرًا أكثر من اللازم أبدًا". احتسى حسوة وابتسم وشرع يتحدث قائلاً: "سأتوجه مباشرة إلى بيت القصيد لأننى أعرف أنك رجل مشغول. المسألة ببساطة أننى أحتاج لبعض النقود السائلة فى الفترة الحالية - بصورة مؤقتة فقط، أنت تفهم - فقط حتى أتعاقد مع أحدهم على مسلسل جديد، وفى الحقيقة، كان وكيل أعمالى معى على الهاتف هذا الصباح نفسه مقدمًا لى فكرة أو اثنتين".

قال دانى: "أتحتاج لقرض؟".

"نعم، هذه هى المسألة بكل اختصار".

"وما الذى يمكنك أن تقدمه كضمان؟".

قال دافنبورت: "حسنًا، لوحاتى الفنية الأصلية كبداية، لقد دفعت مقابلها أكثر من مليون جنيه".

قال دانى: "سأدفع لك ثلاثمائة ألف مقابل المجموعة كاملة".

غمغم دافنبورت وهو يصب لنفسه كأسًا آخر: "ولكننى دفعت فيها أكثر من ...".

"يفترض ذلك أنك تستطيع أن تثبت أن إجمالى ما دفعته يتجاوز المليون". حدق إليه دافنبورت، بينما يحاول أن يتذكر

أين التقيا آخر مرة فواصل دانى: "سآمر محامى أن يعد عقدًا، وسوف أرسل المال إليك يوم توقيعك له".

احتسى دافنبورت حسوة أخرى من الكأس. وقال: "سأفكر بالأمر".

قال دانى: "قم بهذا، وإذا رددت لى المبلغ الكامل خلال اثنى عشر شهرًا سأعيد لك اللوحات الفنية دون احتساب أى فائدة إضافية على القرض".

سأل دافنبورت: "إذن فما مصلحتك فى القيام بهذا؟".

"ليس هناك مصلحة، ولكن إن أخفقت فى رد المال فى غضون العام ستكون اللوحات ملكى".

قال دافنبورت: "لا يمكن أن أخسر فى هذه الحالة. وظهرت على وجهه ابتسامة عريضة.

قال دانى: "لنأمل هذا"، ونهض ليلحق به عندما شرع دافنبورت يخطو نحو الردهة.

قال دافنبورت: "كان ذلك طيبًا منك".

قال دانى بينما دافنبورت يفتح له الباب: "لنأمل أن يأتيك وكيل أعمالك بأعمال تليق بمواهبك المميزة".

قال دافنبورت: "لا تقلق بالمرة بهذا الشأن، وأراهن أنك سوف تستعيد مالك فى غضون أسابيع قليلة".

قال دانى: "يسعدنى سماع هذا. وبالمناسبة، فى حالة إن فكرت أن تبيع هذا المنزل...".

قال دافنبورت: "منزلى؟ كلا، مطلقًا. هذه مسألة خارج النقاش، لا تفكر فى ذلك".

أغلق الباب الأمامى كما لو أنه كان يتعامل مع أحد مندوبى المبيعات.

٦٠

بينما كانت مولى تصب القهوة السادة لدانى أخذ يقرأ التقرير الصحفى الخاص بصحيفة التايمز.

دار نقاش فى مجلس العموم البريطانى بين وزيرة الرياضة وبيلى كورماك، النائب عن منطقة ستراتفورد ساوث، وقد تم إلحاقه فى نهاية التقرير البرلمانى للصحيفة.

النائب كورماك (حزب العمل، عن منطقة ستراتفورد ساوث): "هل يمكن لسيادة الوزيرة أن تؤكد أنها قد توصلت إلى قائمة نهائية من موقعين اثنين من أجل إنشاء قاعة سباق الدراجات من أجل دورة الألعاب الأوليمبية؟".

الوزيرة: "نعم، أؤكد ذلك، وأنا واثقة أن زميلى الموقر سوف يسره أن يعلم أن الموقع الكائن فى دائرته الانتخابية هو واحد من الموقعين الموضوعين فى الاعتبار".

كورماك: "أشكر الوزيرة على جوابها. فهل هى مطلعة على أن رئيس الاتحاد البريطانى لرياضة ركوب الدراجات قد كتب إلىّ مشيرًا إلى أن لجنته قد أجرت اقتراعًا سريًا وجاءت النتيجة لصالح الموقع الكائن فى دائرتى الانتخابية؟".

الوزيرة: "نعم، أعرف هذا، من ناحية لأن زميلى المحترم قد أرسل لى نسخة من الرسالة (ضحك فى القاعة). واسمح لى أن أطمئنه بأننا سنأخذ رؤية الاتحاد البريطانى لركوب الدراجات مأخذ الجد قبل أن أتوصل لقرارى النهائى".

آندرو كراوفورد (حزب المحافظين، ستراتفورد ساوث): "هل تعلم الوزيرة أن تلك الأنباء لن تكون موضع ترحيب فى الدائرة الانتخابية الخاصة بى، حيث يوجد الموقع المرشح الآخر على القائمة القصيرة، بما أننا كنا ننتوى بناء مركز رياضى وترفيهى جديد على تلك القطعة من الأرض ولم نرغب فى بناء تلك القاعة الخاصة بسباق الدراجات من الأساس".

الوزيرة: "سأضع وجهة نظر الزميل الموقر فى اعتبارى قبل أن أتخذ قرارى النهائى".

وضعت مولى بيضتين مسلوقتين أمام دانى عندما رن جرس هاتفه الخلوى. لم يندهش لرؤية اسم بين يومض على الشاشة الصغيرة، على الرغم من أنه لم يتوقع منه أن يتصل فى هذا الوقت المبكر. فتح الموبايل، وقال: "صباح الخير".

"صباح الخير يا نيك. آسف على الاتصال فى هذه الساعة، ولكننى كنت أتساءل إذا ما كنت قرأت التقرير البرلمانى لصحيفة التيليجراف؟".

قال دانى: "لا أقرأ التيليجراف، ولكننى قرأت النقاش مع الوزيرة فى صحيفة التايمز. ما الذى تقوله صحيفتك؟".

"إن رئيس الاتحاد البريطانى لركوب الدراجات الهوائية تمت دعوته لأن يتحدث إلى لجنة مواقع دورة الألعاب الأوليمبية الأسبوع المقبل، قبل أربعة أيام من اتخاذ الوزيرة للقرار النهائى. من الواضح أن الأمر كله ما هو إلا شكليات

رسمية - فثمة مصدر مطلع صرح لصحيفة التيليجراف إن الوزيرة لا تنتظر إلا تقرير مسَّاحى الأراضى قبل أن تصدق نهائيًا على قرارها".

قال دانى: "وقد أوردت صحيفة التايمز القصة نفسها تقريبًا".

قال بين: "ولكنى لم أتصل بك لهذا السبب، لقد أردتك أن تعرف أننى تلقيت بالفعل هذا الصباح اتصالاً من سويسرا وهم يرفضون عرض الشراء الذى تقدمت به بسعر أربعة ملايين".

قال دانى: "أمر غير مفاجئ مع الاعتبار للظروف المحيطة".

قال بين: "ولكنهم أوضحوا أنهم يطلبون سعر ستة ملايين، طالما أن المبلغ بكامله يتم دفعه قبل أن تعلن الوزيرة قرارها النهائى فى غضون عشرة أيام".

قال دانى: "مازال الأمر واضحًا كالشمس، غير أننى لدى أنا أيضًا بعض الأخبار، وأخشى أنها ليست أخبارًا سعيدة. البنك الذى أتعامل غير مستعد لأن يقدم لى المبلغ كاملاً فى الوقت الحاضر".

قال بين: "ولكن لمَ لا يفعل؟ بالتأكيد يمكنهم أن يدركوا أى فرصة ثمينة أمامكَ؟".

"نعم، يدركون ولكنهم مازالوا يعتبرون أن فى الأمر مجازفة. ربما يتوجب علىّ أن أنبهك إلى أننى متعسر ماليًا قليلاً فى هذه اللحظة، وخاصة بعد مشروع أو اثنين لم يحققا ما تمنيته من أرباح".

"لكننى ظننت أنك حققت صفقة رابحة فى موقع طريق المايل إند رود؟".

قال دانى: "لم أحقق الربح الذى توقعته تمامًا، انتهى الأمر بربح يزيد على الثلاثمائة ألف بقليل، وكما أخبرت

جارى هول، فى وقت سابق، لقد خيب وكيلى السابق آمالى بدرجة سيئة، وعلىَّ الآن أن أدفع ثمن سوء تقديره للأمور".

سأل بين: "إذن فما المبلغ الذى يمكنك أن تضيفه؟".

قال دانى: "مليون واحد، مما يعنى أننا سنكون بحاجة إلى خمسة ملايين أخرى، لذا أخشى أن تكون ضاعت على الصفقة".

تبع ذلك فترة صمت طويلة، احتسى خلالها دانى قليلاً من قهوته وأزال قشرة البيضتين.

"نيك، لا أظنك ستدعنى أعرض هذه الصفقة على واحد من عملائى الآخرين؟".

قال دانى: "ولِمَ لا؟ لا تنس كل ما بذلته فيها أنت من جهود. أنا غاضب فقط من أننى لا أستطيع أن أؤمن رأس المال اللازم لأفضل صفقة عثرت عليها منذ سنوات".

قال بين: "هذه شهامة منك، ولن أنسى ذلك أبدًا. لك دين فى عنقى".

قال دانى وهو يغلق هاتفه: "بلا شك لى دين فى عنقك".

كان على وشك أن يلتهم بيضته عندما رن جرس الهاتف من جديد. نظر للشاشة ليرى من المتصل ليطلب منه الاتصال فيما بعد، لكنه أدرك أنه لا يستطيع لأن كلمة صوت ظهرت على الشاشة. فتح الهاتف وأنصت.

"تلقينا بالفعل عدة اتصالات هذا الصباح تقدم عروضًا لشراء موقعك، بما فيها عرض بقيمة ثمانية ملايين. ما الذى تريد منى أن أقوم به بشأن السيد بين؟".

"ستتلق منه اتصالاً ليقدم عرض شراء بمبلغ ستة ملايين. وسوف تقبلون عرضه". ثم أضاف دانى قبل أن يتاح للصوت أن يعلق: "بشرطين".

كرر الصوت من ورائه: "شرطان".

"عليه أن يودع ستمائة ألف فى البنك اليوم قبل إغلاق

التعامل وعليه أن يدفع المبلغ كاملاً قبل أن تعلن الوزيرة تصريحها فى غضون عشرة أيام".

قال الصوت: "سأعاود الاتصال بك ما إن يتصل بنا".

ألقى دانى نظرة إلى صفار البيض الذى ذكره بالبيض الذى كان يتناوله بالسجن وقال: "مولى، هلا سلقتِ لى بيضتين أخريين؟".

٦١

غادر سبنسر كريج مكتبه بالمحكمة فى الخامسة مساء، بما أن دوره قد حان لاستضافة العشاء الجماعى لجماعة فرسان الماسكتيرز. مازالوا حريصين على الالتقاء أربع مرات كل عام على الرغم من أن توبى مورتيمر لم يعد بينهم. صار العشاء الرابع معروفًا إحياء لذكرى توبى.

دائمًا ما اعتاد كريج إلى الاستعانة بمتعهدى تقديم الطعام من الخارج، بحيث لا يشغل باله إعداد الطعام أو التنظيف بعد العشاء، ومع ذلك راق له أن ينتقى الشراب بنفسه، وأن يتذوق الطعام ويختبره قبل وصول أول ضيف. كان جيرالد قد اتصل به فى وقت مبكر ذلك الصباح ليقول إن لديه بعض الأخبار المثيرة ليعلم بها الفريق، أخبار يمكنها أن تغير حياتهم تغييرًا تامًا.

لا يمكن لكريج أن ينسى آخر مرة كان فيها لقاء الفرسان قادرًا على تغيير حياتهم تغييرًا تامًا، ولكن منذ أن شنق كارترايت نفسه فى السجن، لم يعبأ أحد بمجرد الإشارة إلى هذا الأمر. فكر كريج بشأن رفيقيه وهو يقود سيارته عائدًا إلى منزله، جيرالد بين يزداد موقعه قوة فى شركته، والآن حاز مقعدًا فى حزب المحافظين عن دائرة ساسيكس، وبدا واقفًا من أنه سيصير عضوًا فى البرلمان ما إن يطالب رئيس

الوزراء بإجراء الانتخابات. وبدا لارى دافنبورت أكثر استرخاء وارتياحًا مؤخرًا، بل إنه سدد دينًا بمبلغ عشرة آلاف قد استدانه من كريج قبل عامين، لم يتوقع أن يردهما أبدًا. ولدى كريج أيضًا أخباره السارة التى يعلنها عليهم هذا المساء، ورغم أنه لم يكن شيئًا أكثر من المتوقع ولكنه كان مسرورًا على الرغم من هذا.

بدأت القضايا تتزايد من جديد بينما استمر فى الفوز بها، وصار مثوله أمام المحكمة فى قضية دانى كارترايت ذكرى شاحبة لا يكاد يتذكرها أغلب زملاء العمل - باستثناء زميلة واحدة. بقيت حياته الخاصة مرتبكة، على أقل تقدير: اللقاءات العابرة بنساء عابرات، وباستثناء أخت لارى لم يجد امرأة واحدة يود أن يراها لمرة ثانية. ومع ذلك، فقد أوضحت سارة دافنبورت تمام الوضوح أنه ليست مهتمة، ولكنه لم يفقد الأمل بعد.

عندما عاد كريج إلى منزله فى هامبلدون تيراس، تفقد خزانة الشراب فوجد أنه لا يملك شرابًا يليق باجتماع عشاء الفرسان. سار للمتجر القريب عند ناصية طريق كينجيز رود واختار ثلاث زجاجات مختلفة من الشراب. فعلى كل حال لديه ما يحتفل به اليوم.

بينما سار عائدًا إلى المنزل يحمل كيسين ممتلئين بالزجاجات، سمع صوت سرينة من بعيد، مما أعاد له ذكريات تلك الليلة البعيدة. لم تبهت ذكريات تلك الليلة بمضى الوقت، مثل سائر الذكريات. لقد اتصل الرقيب بالمحقق فولر، ثم ركض حتى المنزل، خلع عنه ثيابه، وأخذ حمامًا سريعًا دون أن يسمح للماء أن يلمس شعره، وارتدى حُلة تكاد تكون مطابقة تمامًا للأخرى، وقميصًا ورابطة عنق، وما هى إلا سبع عشرة دقيقة حتى كان قد عاد وجلس فى المكان نفسه بالمقهى.

إذا كان المحامى ردماين قد تفقد المسافة ما بين مقهى

دانلوب ومنزل كريج قبل بدء المحاكمة فربما كان استطاع أن يضع بذرة الشك فى عقول المحلفين. شكرًا للقدر أن تلك كانت قضيته الثانية فقط كمحام رئيسى، لأنه لو كان هو نفسه فى مكانه، يترافع فى قضية أمام خصم مثل آرنولد بيرسون، لكان قد تفقد كل حجر من حجارة الطريق على طول طريق العودة إلى المنزل وفى يده ساعة إيقاف لقياس الوقت.

لم يندهش كريج من الوقت الطويل الذى استغرقه المحقق الرقيب فولر للوصول إلى المقهى، فقد كان يعلم أن لديه مشكلات أهم ليتعامل معها فى الزقاق: رجل يحتضر، ومشتبه به يغطى الدم ملابسه. كما أن المحقق لم يكن لديه أى سبب حتى يشك فى تورط شخص غريب تمامًا، وخصوصًا عندمًا يدعم قصته ثلاثة شهود آخرين. أغلق عامل المقهى فمه، ولكنه كانت لديه مشكلاته مع الشرطة من قبل، مما يجعل منه شاهدًا لا يعتمد عليه، أيًا كان الجانب الذى سيدعمه. استمر كريج فى ابتياع كل مشروباته من دانلوب آرمز وعندما ترسل إليه الفواتير عند نهاية كل شهر لم يكن يعلق على أن الحساب غير مضبوط.

ما إن عاد إلى المنزل، ترك بعض المشروبات على طاولة المطبخ ووضع البعض الآخر فى، ثم صعد للطابق العلوى ليغتسل ويغير ملابسه بثياب أكثر بساطة وراحة. دق جرس الباب ما إن عاد للمطبخ وبدأ يفتح زجاجة من الزجاجات.

لم يتذكر متى كانت المرة الأخيرة التى رأى فيها جيرالد يبدو مبتهجًا ومرحًا إلى هذا الحد، وافترض أنه لابد أن الأمر يتعلق بالأنباء التى أخبره بها على الهاتف ذلك المساء.

بينما كان كريج يعلق معطف جيرالد ويقوده إلى الصالون قال له: "كيف حال العمل فى الدائرة الانتخابية؟".

"متعة كبرى، لكنى لا أطيق الانتظار حتى موعد الانتخابات العامة لكى أحوز مقعدًا فى مجلس العموم". صب كريج له كأسًا

من الشراب الثمين وسأله إن كان تلقى أى اتصال من لارى مؤخرًا فقال: "لقد مررت به لأراه ذات ليلة الأسبوع الماضى، لكنه لم يسمح لى بالدخول، وهو ما رأيته تصرفًا غريبًا منه".

قال كريج: "فى المرة الأخيرة التى زرته فيها فى البيت كان المكان فى حالة مزرية، قد يكون هذا هو السبب وحسب، أو لعله كان يستقبل حينها صديقًا حميمًا لم يرغب فى أن تلتق به".

قال بين: "لابد وأنه وجد عملاً، فقد أرسل لى شيكًا مصرفيًا الأسبوع الماضى بقيمة قرض منحته له قبل وقت طويل".

قال كريج: "وأنت أيضًا؟". ودق جرس الباب للمرة الثانية.

خطا دافنبورت داخلاً لينضم إليهما، وقد بدا أنه استعاد كل اختياله وثقته بنفسه. قبل جيرالد على وجنتيه كما لو أنه جنرال فرنسى يتفقد قواته. قدم له كريج كأسًا من الشراب، ولم يتمكن إلا من أن يعتقد أن لارى يبدو أصغر سنًا بعشر سنوات عما كان يبدو عليه آخر مرة رآه. قد يكون على وشك أن يصرح بأمر يفوق ما لدى كل منهما.

قال كريج: "فلنبدأ الليلة احتفالاً بالأصدقاء الغائبين". رفع الرجال الثلاثة كئوسهم وصاحو: "من أجل توبى مورتيمر".

سأل دافنبورت: "ومن الذى سنحتفل به تاليًا؟".

قال بين بلا تردد: "السير نيكولاس مونكريف".

سأل كريج: "ومن هذا عليه اللعنة؟".

"إنه الرجل الذى سوف يغير مصائرنا جميعًا".

سأل دافنبورت: "وكيف هذا؟". بلا أى استعداد لأن يكشف لهما أن مونكريف كان هو السبب فى أنه استطاع أن يسدد لهما ما عليه من ديون، جنبًا إلى جنب إلى ما عليه من ديون لآخرين غيرهما.

قال بين: "سأخبركما بكل التفاصيل خلال العشاء، لكن

هذه الليلة أنا أصر على أن أكون آخر من يصرح بمفاجأته وأنا على ثقة بأنكما لن تكونا قادرين على التفوق علىّ".

قال دافنبورت، وهو يبدو راضيًا عن نفسه أكثر من المعتاد: "لست فى مثل ثقتك من هذا يا جيرالد".

ظهرت امرأة شابة لدى الباب وقالت: "العشاء سيكون جاهزًا عندما تكونوا مستعدين يا سيد كريج".

سار الرجال الثلاثة إلى غرفة تناول الطعام وهم يتذكرون أيامهم فى كامبريدج، يتذكرون تلك الحكايات التى تصير أكثر مبالغة وضخامة مع كل عام يمر.

اتخذ كريج مكانه على رأس المائدة بينما يوضع أمام كل من ضيفيه مقادير من السلمون المدخن. ما إن تذوق الشراب وأومأ بالموافقة، التفت نحو دافنبورت وقال: "لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك يا لارى. دعنا نسمع أخبارك أولاً. من الواضح أن حظك تغير مؤخرًا".

اضطجع دافنبورت فى مقعده وانتظر حتى تأكد من استحواذه على انتباههم الكامل وقال: "منذ يومين تلقيت اتصالاً من إذاعة البى بى سى، يطلبون منى أن أمر بمكتب الإذاعة ليجروا معى حديثًا. لا يعنى ذلك فى العادة إلا أنهم يعرضون على مسرحية إذاعية مقابل أجر لن يغطى أجرة السيارة الأجرة الذى سيقلنى من ردكليف سكوير إلى بورتلاند بلاس، ولكن فى هذه المرة دعانى أحد المنتجين الأساسيين للغداء، وأخبرنى بأنهم سوف يضيفون شخصية جديدة لمسلسل هولبى سيتى، وكنت أنا خيارهم الأول. يبدو أن د. بيريزفورد قد تلاشى أخيرًا من ذاكرة الناس....".

قال بين وهو يرفع كأسه: "يا لها من ذاكرة!".

"طلبوا منى القيام باختبار شاشة الأسبوع القادم".

قال كريج رافعًا كأسه: "برافو".

"يقول لى وكيل أعمالى أنهم لم يفكروا فى أى شخص آخر

لهذا الدور، وهكذا لابد أن يكون قادرًا على التوصل لتعاقد مدته ثلاثة أعوام مع ضمان جميع مستحقاتى وبشرط تجديد صعب".

قال بين: "علىّ أن أعترف بأن هذا ليس سيئًا، ولكننى واثق أننى مازلت قادرًا على الاثنين. إذن فما الأخبار التى لديك يا سبنسر؟".

صب كريج كأسًا واحتسى منه قبل أن يتحدث.

"طلب رئيس مجلس اللوردات مقابلتى الأسبوع القادم". واحتسى حسوة أخرى بينما يدع الخبر يطفو فى الجو.

سأله دافنبورت: "هل سيعرض عليك وظيفته؟".

قال كريج: "كل شىء بأوان، ولكن السبب الوحيد الذى يجعله يرغب فى مقابلة شخص ما هو أنه سيدعوه لوضع الوشاح الحرير على صدره ويصير ممثلاً للادعاء".

قال دافنبورت: "وأنت لها يا رجل". بينما رفع هو وبين كأسيهما لتحية مضيفهما.

قال كريج ملوحًا للتهدئة: "لم يعلن الأمر بعد، فمهما كان ماتفعلانه لا تتفوها بكلمة بهذا الشأن".

اضطجع كل من كريج ودافنبورت فى مقعديهما والتفتا ناحية بين. فقال كريج: "إنه دورك يا رفيقنا القديم، إذن ما الأمر الذى سيغير مصائرنا جميعًا؟".

⊸o⊷

كانت هناك طرقة على الباب.

قال دانى: "ادخل".

وقف آل الضخم بفتحة الباب، ممسكًا بعلبة ضخمة. "لقد وصلت حالا يا زعيم، أين أضعها؟"

قال دانى: "اتركها فقط على الطاولة"، وواصل قراءته كما لو أنه العلبة وما تحتويه لا يمثلان أية أهمية. ما أن سمع

الباب يغلق وضع جانبًا كتاب آدم سميث حول نظرية اقتصاديات السوق الحرة وسار نحو الطاولة. نظر لبعض الوقت إلى الطرد الذى كتب عليه خطر، تحمل بحرص ثم ينزع ورق التغليف بنى اللون عن الصندوق الورقى. كان عليه أن ينزع طبقات عديدة من الشريط اللاصق قبل أن يستطيع أخيرًا رفع الغطاء.

أخرج من الصندوق زوجين من الأحذية المطاطية، مقاس ٩ ونصف، وجربهما فى قدميه - مناسبين تماماً. وبعدها أخرج زوجين من القفازات مصنوعين من مادة اللاتيكس اللينة ومصباحًا يدويًا كبيرًا. أضاء نور شعاعه الغرفة بكاملها. كان الغرض التالى الذى أخرجه من الصندوق هو حُلة من قطعة واحدة مصنوعة من النايلون الأسود وقناع يغطى أنفه وفمه. كان أمامه خياران إما الأسود أو الأبيض، لكنه اختار الأسود. الشىء الوحيد الذى تركه دانى فى الصندوق كما هو كان صندوقًا صغيرًا من البلاستيك مغلف بغلاف شفاف به أكياس هوائية صغيرة وكتب عليها أيضًا خطر. لم يفتح عنها غلافها لأنه كان يعلم بالفعل ما يوجد بداخلها. أعاد للصندوق القفازين، والمصباح اليدوى، والحُلة والحذاءين، والقناع، وتناول بكرة من شريط لاصق غليظ من الدرج العلوى للمكتب وأعاد غلق الصندوق. ابتسم دانى، إن الألف جنيه التى اشترى بها هذه الأشياء تم استثمارها استثمارًا طيبًا.

-o-

سأل كريج: "وبكم سوف تسهم أنت فى هذه الصفقة الصغيرة؟".

قال بين: "حوالى مليون من مالى الخاص، قد حولت منه بالفعل مبلغ ستمائة ألف من أجل أن أضمن توقيع العقد".

سأل كريج: "أليس هذا يفوق إمكانياتك؟".

أقر بين قائلاً: "لأقصى حد، ولكننى لن أجد فرصة مماثلة

على الأرجح مرة ثانية خلال عمرى كله، والربح سوف يسمح لى أن أعيش عليه بعد أن أصبح نائبًا فى البرلمان وأتقاعد من شراكتى فى الشركة".

قال دافنبورت: "دعنى أحاول أن أفهم ما تعرضه علينا، أيًا كان المبلغ الذى سندفعه فإنك تضمن لنا أن نضاعفه فى غضون أقل من شهر".

قال بين: "لا تستطيع أبدًا أن تضمن أى شئ تمامًا، ولكن هذا سباق بين حصانين اثنين فقط، وحصاننا هو الأفضل بكل وضوح. وبتعبير بسيط، لدى الفرصة لأن ألتقط قطعة من الأرض بسعر ستة ملايين، سوف تساوى من خمسة عشر إلى عشرين مليونًا ما إن تعلن الوزيرة أيًا من الموقعين اختارتهما من أجل بناء قاعة سباق الدراجات".

قال كريج: "هذا بافتراض أنها اختارت موقعك".

"لقد أريتكما ما نشر فى محاضر جلسات البرلمان وفيه مباحثاتها المتبادلة مع عضوى البرلمان".

قال كريج: "نعم أريتنا إياه، لكننى مازلت متحيرًا. إن كانت تلك صفقة سائغة لهذه الدرجة لِمَ لا يشترى هذا الشاب مونكريف الموقع بنفسه؟".

قال بين: "لا أعتقد أنه كان لديه ما يكفى من المال لتغطية مبلغ الستة ملايين من الأساس، ولكنه مازال سيدفع مليونًا من ماله الخاص".

قال كريج: "هناك شيء لا يريحنى فى هذا كله".

قال بين: "أنت شكاك كبير يا سبنسر. دعنى أذكرك بما حدث فى آخر مرة قدمت لجماعة الفرسان فرصة ذهبية كتلك - لقد ضاعفنا أنا ولارى وتوبى أموالنا بشراء تلك المزرعة فى جلاوسيسترشاير فى أقل من عامين. والآن أعرض عليكما صفقة أقل مخاطرة بكثير، عدا أننا هذه المرة سوف نضاعف أموالنا فى غضون عشرة أيام".

قال كريج: "حسنًا أنا على استعداد للمجازفة بمبلغ مائتى ألف، لكنى سأقتلك إذا فسد الأمر".

غاض الدم من وجه بين، وألجمت المفاجأة دافنبورت فلم ينبس بكلمة. قال كريج: "مرحى يا شباب، ما هى إلا مزحة، إذن أنا مستعد لدفع مائتى ألف، وماذا عنك أنت يا لارى؟".

قال دافنبورت وقد استرد نفسه بسرعة: "إذا كان جيرالد على استعداد لأن يجازف بمليون جنيهًا فإننى سأفعل مثله، أنا واثق تمامًا من قدرتى على الحصول على هذا المبلغ برهن منزلى دون أن يغير ذلك من نمط حياتى".

قال بين: "بل إن نمط حياتك سوف يتغير تمامًا فى غضون عشرة أيام يا رفيقى القديم. لا أنا ولا أنت سنضطر للعمل بعد ذلك أبدًا".

قال دافنبورت، فى محاولة لأن ينهض: "الجميع من أجل الفرد والفرد من أجل الجميع".

فصاح كريج وبين فى صوت واحد: "الجميع من أجل الفرد والفرد من أجل الجميع".

سأل كريج: "ولكن كيف ستتمكن من جمع بقية المبلغ؟ فعلى كل حال نحن الثلاثة لم نجمع إلا أقل من النصف".

"لا تنس المليون جنيه الخاصة بمونكريف، ورئيسى فى العمل سيدفع نصف مليون. كما أننى أجريت اتصالاتى مع قليل من الرفاق والزملاء ممن أستثمر لهم أموالهم على مدى سنوات، وحتى تشارلى دانكان يفكر فى الاستثمار فى هذا، وهكذا على أن أغطى المبلغ كاملاً مع نهاية الأسبوع. وبما أننى مضيف الاجتماع القادم لجماعة الفرسان، فأنا أفكر أننا سنحجز مائدة فى أرقى مكان يمكن لنا أن نجده".

قال كريج: "أو فى أرخص مكان يمكن لنا أن نجده، فى حالة أن الوزيرة اختارت الموقع الآخر".

٦٢

كان آليكس ردماين ينظر إلى نهر التيمز وهو بمنتزه لندن آى عندما وصلت بيث. نهض عن المقعد الطويل لتحيتها.

سألها وهو يجلس إلى جوارها: "هل سبق لك وأن اعتليتى لعبة العجلة الكبيرة؟".

قالت بيث: "نعم، مرة واحدة، أخذت والدى إليها عند افتتاحها. اعتدنا أن نرى ورشتنا من قمتها".

قال آليكس: "لن يمضى وقت طويل حتى يكون بمقدورك أن ترى مجمع ويلسون السكنى من هناك".

قالت بيث: "نعم. كان لطيفًا من المقاول أن يسمى المجمع السكنى باسم أبى. لو كان حيًا لطاب له ذلك".

قال آليكس: "علىَّ أن أعود إلى المحكمة فى الثانية تمامًا، لكننى احتجت لمقابلتك لأمر ضرورى، فلدى بعض الأخبار لك".

"من الطيب منك أن تفوت استراحة الغداء".

قال آليكس: "وصلنى خطاب من مكتب رئيس مجلس اللوردات، فقد وافق على إعادة فتح القضية". ألقت بيث بذراعيها حول آليكس. " ولكن فقط فى حالة أننا استطعنا أن نوفر دليلاً جديدًا".

سألت بيث: "ألا يمكن اعتبار شريط التسجيل دليلاً جديدًا؟". لقد أتى ذكره فى صحيفتين محليتين ما إن أطلقنا حملة تبرئة اسم دانى".

"أنا واثق أنهم سيضعونه فى اعتبارهم هذه المرة، ولكن إن اعتقدوا أن المحادثة تم تسجيلها تحت الإكراه، فسيكون عليهم استبعاده".

سألت بيث: "ولكن كيف سيكون فى مقدور أى شخص أن يثبت العكس؟".

"هل تذكرين أن كلاً من دانى وآل الضخم قد تقاسما الزانزانة مع شخص يسمى نيك مونكريف؟".

قالت بيث: "بالطبع، لقد كانا صديقين حميمين. وقد علم دانى القراءة والكتابة وحتى أنه حرص على حضور جنازته، على الرغم من أن أحدًا منا لم يسمح له بالتحدث إليه".

"حسن، قبل إطلاق سراح مونكريف ببضعة أسابيع كتب إلىّ يعرض استعداده للمساعدة بأى وسيلة فى مستطاعه، وكان مقتنعًا تمامًا ببراءة دانى".

قالت بيث: "ولكن هناك عددًا لا يحصى من الناس مقتنعين ببراءة دانى، وإذا كنت ترى أن آل الضخم لن يكون بالشاهد الكفء فما الذى يجعل الأمر مع نيك مختلفًا؟".

"لأن دانى أخبرنى ذات مرة بأن مونكريف كان يسجل يومياته بينما كان مسجونًا، ومن المحتمل أن يكون قد سجل واقعة تسجيل الشريط. تتعامل المحكمة مع اليوميات بجدية تامة، ذلك لأنها أدلة معاصرة للوقائع أولاً بأول".

قالت بيث عاجزة عن إخفاء فرحها: "إذن فكل ما عليك أن تقوم به هو أن تتصل بمونكريف".

قال آليكس: "ليس الأمر بهذه البساطة".

"ولمَ لا؟ إن كان على أتم الاستعداد لمد يد العون...".

"لقَد تم القبض عليه بعد إطلاق سراحه بفترة قصيرة

لأنه خرق قواعد إطلاق السراح المشروط".

سألته بيث: "إذن فقد أعيد إلى السجن؟".

"كلا، ذلك هو الأمر الغريب. فقد منحه القاضى فرصة واحدة أخيرة. لابد أنه كان لديه محام متمكن للدفاع عنه".

سألت بيث: "إذن فما الذى يمنعكِ من الاستعانة بيومياته كدليل؟".

"من المحتمل أنه بعد مشكلته القانونية الأخيرة قد لا يرحب برسالة تصل إليه من محام لم يسبق له أن التقى به بالمرة، يطلب منه أن يتورط فى مسألة قضائية أخرى".

"قال دانى إننى بوسعى دائمًا الاعتماد على نيك، فى السراء أو الضراء".

قال آليكس: "إذن فسوف أكتب له اليوم".

التقط دانى سماعة الهاتف.

قال الصوت على الخط الآخر: "لقد قام بين بتحويل مبلغ ستمائة ألف تلغرافى هذا الصباح، وهكذا فإذا دفع الخمسة ملايين وأربعمائة ألف المتبقية قبل نهاية الأسبوع، فسيكون موقع سباق الدراجات ملكًا له. اعتقدت أنك ترغب فى معرفة أن هناك عرضًا آخر للشراء تم تقديمه لنا هذا الصباح، والذى رفضناه بكل تأكيد. أتمنى أن تكون واثقًا مما تقوم به". انقطع الخط. كانت المرة الأولى التى يقدم فيها الصوت المجهول رأيه حول أى شىء.

اتصل دانى برقم مدير البنك الذى يتعامل معه فى بنك كاوتس. كان على وشك أن يقنع بين بأن الصفقة لا سبيل لها لأن تخفق.

"طاب صباحك يا سير نيكولاس، كيف يمكن لى أن أساعدك؟".

"طاب صباحك يا سيد واتسون. أريد أن أحول مليون جنيه من حسابى الجارى إلى حساب العملاء فى شركة بيكر، تريمليت، آند سمايثيز".

"بكل تأكيد أيها السير". ساد صمت طويل قبل أن يضيف السيد واتسون قائلاً: "أنت تدرك بالتأكيد أن هذا سيأتى على حسابك تمامًا؟".

قال دانى: "نعم، أدرك هذا. لكنه سيتم تغطيته فى أكتوبر ما إن نتلقى الشيك الشهرى من وديعة جدى".

قال السيد واتسون: "سوف أنهى الإجراءات اللازمة وأعاود الاتصال بك".

"لا يهمنى متى تنهى الإجراءات اللازمة يا سيد واتسون مادمت ستحول المبلغ كاملاً قبل إغلاق التعاملات هذا المساء نفسه". ثم أعاد سماعة الهاتف مكانها، وأطلق لعنة من بين شفتيه. ليست هذه هى الطريقة التى كان نيك سيتبعها فى مثل هذه الظروف. عليه أن يعود بسرعة إلى حالة نيك ومزاجه الخاص وطريقة تفكيره. التفت فرأى مولى تقف بفتحة الباب. كانت ترتجف ويبدو أنها غير قادرة على التحدث.

سألها دانى وهو يثب ناهضًا من مقعده: "ماذا هنالك يا مولى، هل أنت بخير؟".

همست قائلة: "إنه هو".

قال دانى: "هو؟".

"ذلك الممثل".

"أى ممثل؟".

"الذى يلعب شخصية د. بيريزفورد. تعرف، اسمه لورانس دافنبورت".

قال دانى: "حقًا؟ يحسن بك أن تقوديه إلى غرفة الصالون. اعرضى عليه بعض القهوة وأخبريه بأننى سأكون معه فى غضون دقيقة".

بينما انطلقت مولى تنزل الدرج، سجل دانى ملحوظتين جديدتين فى الملف الخاص ببين قبل أن يعيده إلى الرف من جديد. ثم سحب الملف الخاص بدافنبورت وقام بمراجعته فى عجالة.

كان على وشك أن يغلق الملف عندما التقطت عيناه ملاحظة تحت بند "الحياة المبكرة" جعلته يبستم. أعاد الملف إلى الرف ونزل الدرج ليقابل ضيفه الذى أتى على غير موعد.

نهض دافنبورت واقفًا حين دخل دانى إلى الغرفة، وفى هذه المرة صافحه بحرص. أخذ دانى للحظات عابرة حين رأى مظهره هذه المرة. فقد كان الآن حليقًا مرتديًا حُلة من أحسن طراز وقميص أنيق مفتوح الياقة. هل جاء ليعيد المال الذى اقترضه؟

قال دافنبورت: "آسف لأننى جئت بلا موعد هكذا، لم أكن لأفعل هذا إن لم يكن الأمر عاجلاً".

قال دانى بينما يتخذ مجلسه فى مواجهته: "أرجوك، لا داعى للأسف، كيف لى أن أساعدك؟".

وضعت مولى صينية على المائدة الجانبية وصبت قدحًا من القهوة لدافنبورت.

سألته مولى: "كريمة أو حليب يا سيد دافنبورت؟".

"لا هذا ولا ذاك، شكرًا لك".

"شكرًا يا سيد دافنبورت".

"كلا، شكرًا لك".

سألت مولى: "هل تود تناول بسكويت الشيكولاته؟".

قال دافنبورت وهو يربت على معدته: "كلا، شكرا لك".

اضطجع دانى فى جلسته مبتسمًا. تساءل إن كانت مولى ستظل مشدوهة هكذا إن هى عرفت أنها تقوم على خدمة ابن شخص كانت مهنته اصطحاب السيارات وركنها فى موقف سيارات تابع للبلدية.

"حسنًا، أرجو أن تعلمنى إن احتجت إلى أى شىء آخر يا

سيد دافنبورت". وغادرت الغرفة، وقد نسيت تمامًا أن تقدم لدانى شراب الشيكولاتة الساخنة المعتاد الخاص به. انتظر دانى حتى أغلق الباب. قال: "أنا آسف على هذا، إنها عاقلة تمامًا فى الأحوال العادية".

قال دافنبورت: "لا تقلق أيها الرفيق. لقد اعتاد المرء مثل هذه الأمور".

لن تكون مضطرًا لذلك فى القريب العاجل، هكذا دار بخلد دانى، ثم سأله : "والآن كيف يمكن لى أن أساعدك؟".

"إننى أريد أن أستثمر مبلغًا كبيرًا نوعًا ما فى صفقة تجارية. مسألة مؤقتة، كما تفهم هذا. وسوف أعيد لك المال فى غضون أسبوعين على الأكثر، ليس هذا وحسب ولكننى"، واصل قائلاً وهو ينظر نحو صورة الزعيم السياسى الأسكتلندى ماكتاجارت المعلقة فوق المدفأة: "سيكون بمقدورى أن أسدد رهن لوحاتى الفنية فى الوقت نفسه".

سوف يحزن دانى لفقدانه تلك اللوحات التى امتلكها قريبًا، كما أنه قد فوجئ بالسرعة التى ارتبط بها بتلك اللوحات الفنية. قال، وقد أدرك فجأة أن الغرفة تمتلئ باللوحات الفنية القديمة الخاصة بدافنبورت: "أنا آسف، كان هذا سذاجة منى، ولكن كن متأكدًا من أنها ستعود إليك فى اللحظة نفسها التى يرد فيها الدين".

قال دافنبورت: "سيكون هذا أقرب مما توقعت أنا فى الأصل، وخصوصًا إن كان بمقدورك أن تساعدنى فى تلك الصفقة الصغيرة".

سأل دانى: "ما المبلغ الذى تفكر فيه؟".

قال دافنبورت بلا تريث: "مليون، المشكلة هى أن أمامى أسبوعًا واحدًا فقط للحصول على ذلك المبلغ".

سأل دانى: "وماذا سيكون ضمانك فى هذه المرة؟".

"منزلى فى ميدان ردكليف سكوير".

تذكر دانى كلمات دافنيورت فى المرة الأخيرة التى التقيا فيها: منزلى؟ كلا، أبدًا. هذه مسألة خارج المناقشة، لا تفكر فى هذا حتى. وتقول إنك ستدفع المبلغ كاملاً فى غضون شهر، مستخدمًا منزلك كضمان؟".

"فى غضون شهر، هذا مؤكد - دون ذرة شك واحدة".

"وإن عجزت عن سداد مبلغ المليون جنيه فى ذلك الحين؟".

"فى هذه الحالة سيكون المنزل ملكك، شأنه شأن لوحاتى الفنية".

قال دانى: "إذن فقد اتفقنا. ومادمت لا تملك إلا أيامًا قليلة لكى تدبر المبلغ، سأتصل بمحاميّ مباشرة وأطلب منهم أن يعدوا لنا عقدًا بذلك".

عندما خرجا من الصالون وسارا إلى الردهة الخارجية، وجدا مولى تقف لدى الباب الأمامى ممسكة بمعطف دافنبورت.

قال دافنبورت بعد أن ساعدته على ارتداء معطفه وفتحت له الباب: "شكرًا لك".

قال دانى: "سأتصل بك"، دون أن يصافح دافنبورت وهو يخرج إلى الطريق. أوشكت مولى أن تؤدى له الانحناءة الملكية.

استدار دانى عائدًا إلى غرفة مكتبه. قال بصوت عالٍ: "مولى، لدى بعض الاتصالات الضرورية، لذا فقد أتأخر بضع دقائق على موعد الغداء". حين لم يتلق منها أى رد استدار فوجد مديرة منزله تقف بالباب وتتحدث إلى امرأة أخرى.

سألت مولى: "هل يتوقع حضورك؟".

أجابت الآنسة بينيت: "كلا، ليس هناك موعد بيننا. لقد أتيت بمحض المصادفة".

٦٣

انطلق صوت الساعة المنبهة فى تمام الثانية صباحًا، غير أن دانى لم يكن نائمًا. نزل من على الفراش وبسرعة ارتدى سرواله التحتى وقميصه القطنى قصير الكمين، وجوربيه وسرواله وحذاءه الرياضى والتى كان وضعها بالقرب من المقعد المجاور للنافذة.

لم يشعل نور الغرفة.

تفقد ساعة يده: الثانية وست دقائق. أغلق باب غرفة النوم ونزل الدرج ببطء، فتح الباب الأمامى فرأى السيارة متوقفة عند الرصيف. وعلى الرغم من عدم قدرته على الرؤية فقد كان يعلم أن آل الضخم يجلس خلف عجلة القيادة. جال دانى بصره فى الميدان، فوجد ضوءًا أو اثنين مازالا مشتعلين بالنوافذ، ولكن لا أحد يمكن رؤيته. دخل السيارة ولم يتحدث بشىء. أدار آل الضخم المحرك وقادها لمسافة مائة ياردة قبل أن يشعل الأضواء الجانبية.

لم يتحدث أى منهما بينما كان آل الضخم يقود السيارة متوجهًا مباشرة نحو منطقة الجسر. كان قد قاد على هذا الطريق بالاتجاه نفسه خمس مرات خلال الأسبوع الماضى؛ مرتين خلال النهار، وثلاث مرات خلال الليل – أو ما يسميه

"عمليات عسكرية ليلية". غير أن فترة التدريبات انتهت وانقضت تمرينات الاستعداد، والليلة سوف يتم تنفيذ العملية الكاملة. كان آل الضخم يتعامل مع الأمر برمته على أنه تمرين عسكرى، وصار بمقدوره أن ينتفع بالسنوات التسع التى قضاها فى الجيش. خلال النهار، كانت الرحلة تأخذ حوالى ثلاث وأربعين دقيقة، ولكن فى الليل كان بوسعه أن يقطع المسافة نفسها فى تسع وعشرين دقيقة، دون أن يتجاوز السرعة المسموح بها ولو لمرة واحدة.

بينما كانا يتقدمان بالسيارة متجاوزين مجلس العموم وعلى طوال الضفة الشمالية لنهر التيمز، ركز دانى على ما عليه أن يقوم به ما إن يصلا إلى المنطقة المستهدفة. انطلقا خلال المدينة ونحو منطقة إيست إند. لم يتشتت تركيز دانى إلا لدقيقة واحدة عندما مرًا بموقع بناء ضخم وضعت أمامه لوحة إعلانات ضخمة تعرض رسمًا نموذجًا رائعًا لما سيبدو عليه مجمع ويلسون السكنى بعدما ينتهى العمل فيه: ستون شقة فاخرة، ثلاثون مسكنًا اقتصاديًا، كما تعد اللوحة، وقد بيع منها تسع وحدات بالفعل، بما فى ذلك منزل السطح. ابتسم دانى.

واصل آل الضخم القيادة على طريق مايل إند رود قبل أن ينعطف يسارًا عند لوحة إرشادية تشير إلى ستارتفورد: مكان استضافة دورة الألعاب الأوليمبية لسنة ٢٠١٢. بعد ذلك بإحدى عشرة دقيقة، خرج عن الطريق الرئيسى وانطلق على مسار غير ممهد مفروش بالحصى. أطفأ أنوار السيارة، بما أنه كان يعلم تمام العلم كل منعطف ومنحنى، بل يكاد يعرف كل حجر ما بين هذا المكان هناك وما بين قطعة الأرض المستهدفة.

عند نهاية المسار تجاوز بالسيارة لوحة إرشادية كتب عليها: أرض خاصة: رجاء الابتعاد. واصل المضى خلالها، فعلى كل حال كانت الأرض ملكًا لدانى، وستظل هكذا لمدة ثمانية أيام

أخرى. أوقف آل الضخم السيارة وراء رابية صغيرة، أوقف المحرك وضغط زر فإذا النافذة الجانبية منفتحة. خلال عمليات استطلاع ما بعد الظهيرة كانوا أحيانًا ما يرون أحدهم يسير بكلبه أو جماعة من الصبية يلعبون كرة القدم بالقرب من المكان، أما الآن فلم يكن هناك أى شىء، ولا حتى بومة الليل ظهرت لرفقتهم.

بعد دقيقتين لمس دانى مرفق آل الضخم. خرجا من السيارة ودارا نحو الخلف. فتح آل الضخم صندوق السيارة بينما خلع دانى حذاءه الرياضى. رفع آل الضخم الصندوق خارج مؤخرة السيارة ووضعه على الأرض، تمامًا كما فعلا فى الليلة السابقة، عندما سار دانى على طول المسار ليعرف إن كان بوسعه أن يحدد مواقع الحصوات البيضاء الواحدة والسبعين التى وضعها فى شقوق وفتحات وفجوات بالأرض خلال النهار. نجح فى أن يحدد موقع ثلاثة وخمسين واحدة. عليه أن يحسن أداءه الليلة، قام بتدريب آخر على الأمر فى هذا المساء نفسه أعطاه فرصة ليؤكد الكومات الصغيرة التى فوتها فى المرة السابقة.

فى نور النهار كان بمقدوره أن يغطى الفدادين الثلاثة فيما يتجاوز الساعتين بقليل. وليلة أمس اقتضى منه الأمر ثلاث ساعات وسبع عشرة دقيقة، فى حين أن الأمر نفسه سيأخذ منه الليلة وقتًا أطول نظرًا لعدد المرات التى سيكون عليه فيها أن يجثى على ركبتيه.

كانت ليلة هادئة وصافية، كما وعدت النشرة الجوية، التى تنبأت بصباح ساطع الضوء. كان دانى قد اختار اليوم، بل والساعة، بكل عناية. تناول آل الضخم الحُلة المطاطية السوداء من الصندوق وناولها لدانى، الذى فتح سحابها وارتداها. حتى هذا التمرين البسيط قد تم التدريب عليه مرات عديدة فى الظلام. ناوله آل الضخم بعدها الحذاء المطاطى ثم القفازين

ثم القناع والمصباح اليدوى وأخيرًا العلبة البلاستيكية الصغيرة المكتوب عليها "خطر".

تمركز آل الضخم عند نهاية السيارة بينما انطلق زعيمه فى عمله. عندما بلغ دانى زاوية أرضه سار سبع خطوات أخرى قبل أن يمر بأول حصاة بيضاء. التقطها وألقى بها فى جيب عميق بثيابه. جثا على ركبتيه، وأشعل المصباح اليدوى ووضع قطعة صغيرة من جذر نبات فى شق الأرض. أطفأ المصباح اليدوى ونهض واقفا. بالأمس تدرب على التمرين نفسه دون أن تكون الجذور الصغيرة معه. ما هى إلا تسع خطوات أخرى وبلغ الحصاة الثانية، حيث كرر العملية بأكملها، وبعدها خطوة واحدة أخرى ووصل إلى الحصاة الثالثة وانحنى على شق صغير قبل أن يدس فيه الجذور الصغيرة بعناية وحرص. ثم خمس خطوات أخرى...

كان آل الضخم يرغب فى تدخين سيجارة رغبة حارقة، لكنه كان يعلم أن فى هذا مخاطرة لا يمكن لهم تحملها. يذكر ذات مرة فى البوسنة أن أحد الجنود أشعل سيجارة خلال عملية عسكرية ليلية، وبعدها بثلاث ثوانٍ نال جزاءه رصاصة فى أم رأسه تماما. كان آل الضخم يعلم أن الزعيم، دانى، لن يعود قبل ثلاث ساعات على الأقل، ولذا يتوجب عليه أن ألا يفقد تركيزه التام ولو لدقيقة واحدة.

كانت الحصاة رقم ثلاث وعشرين فى الركن القصى من أرض دانى. أضاء مصباحه اليدوى ووجهه نحو حفرة كبيرة، ثم وضع فيها المزيد من الجذور الصغيرة. ثم أضاف حصاة أخرى لما فى جيبه من حصى.

مط آل الضخم جسده وشرع يسير ببطء حول السيارة. كان يعلم أنهم خططوا للمغادرة قبل أول تباشير الصباح بوقت طويل، مما يعنى قبل ٦:٤٨ صباحًا، تفقد ساعة يده، كانت ٤:١٧ صباحًا. تطلع كل منهما عندما مرت فى السماء طائرة، إنها

أول طائرة سوف تحط على أرض مطار هيثرو هذا الصباح.

وضع دانى الحصاة رقم ٣٦ فى جيبه، حريصًا على أن يوزع ثقل الحصى فى جيوبه بالتساوى. كرر العملية المرة تلو الأخرى: خطوات قليلة، الانحناء على الأرض، إضاءة الكشاف اليدوى، دس بعض الجذور الصغيرة فى الشق، التقاط الحصاة وإسقاطها فى جيبه، إطفاء المصباح، النهوض واقفًا، السير - كان الأمر الآن أكثر مشقة بالمقارنة بالليلة السابقة.

تجمد آل الضخم فى مكانه بينما كانت إحدى السيارات تشق طريقها داخل الموقع ثم تتوقف على مبعدة خمسين ياردة تقريبًا. لم يكن متأكدًا إذا كان من فى السيارة قد رآه، انبطح على بطنه أرضًا وبدأ يزحف نحو العدو. تحركت سحابة فكشفت عن القمر، فظهر بصيص ضعيف من النور الفضى ليس أكثر – يبدو أنه حتى القمر يقف إلى جانبهم. أطفئت أضواء السيارة، ولكن بقى الضوء الداخلى مشتعلاً.

ظن دانى – من بعيد – أنه رأى أضواء سيارة، فخر منبطحًا على الأرض فى الحال. لقد اتفقا على أن يصدر آل الضخم ضوءًا متقطعًا من كشافه ثلاث مرات ليحذره إذا كان هناك أى خطر. انتظر دانى لأكثر من دقيقة، ولكن لم يظهر أى شعاع وامض من جهة آل الضخم، فنهض واقفًا وتوجه نحو الحصاة التالية.

كان آل الضخم الآن على مبعدة ياردات قليلة من السيارة المتوقفة، وعلى الرغم من أن نوافذها كانت تخفى ما خلفها نتيجة لبخار الماء، كان بوسعه أن يرى أن الضوء الداخلى للسيارة مازال مشتعلاً. رفع نفسه قليلاً على ركبتيه واختلس النظر من خلال النافذة الخلفية. بذل غاية جهده ليكبح جماح ضحكه عندما رأى امرأة فى وضع حميم مع رجل على المقعد الخلفى. لم يستطع أن يرى وجه الرجل الذى بصحبتها، لكنه استعاد نفسه سريعًا ولم يواصل مراقبة المشهد. انبطح

على بطنه من جديد وشرع يزحف زحفًا طويلاً عائدًا نحو القاعدة.

عندما بلغ دانى الحصاة رقم سبعة وستين كان قد بدأ يطلق اللعنات. كان قد غطى المساحة كاملة، وبطريقة ما فوت أربع حصوات، بينما سار عائدًا ببطء نحو السيارة كانت كل خطوة من خطواته تصير أثقل من التى قبلها. أمر واحد لم يضعه فى الحسبان وهو الوزن الكلى للحصى فى جيوبه.

ما إن عاد آل الضخم إلى القاعدة حتى ظل يراقب السيارة الدخيلة بعين يقظة. تساءل إن كان الزعيم قد أدرك وجودها. وفجأة سمع صوت المحرك يدور واشتعلت الأضواء قبل أن تنطلق السيارة عائدة على طريق الحصى وتختفى فى ظلمة الليل.

عندما رأى آل الضخم دانى يقترب نحوه أخرج الصندوق الفارغ من صندوق السيارة ووضعه على الأرض قبالته. بدأ دانى يخرج الحصى من جيوبه ويضعه فى الصندوق؛ وهو تمرين مجهد عندما يستطيع أضعف الأصوات أن يجذب الانتباه. ما إن أنهى هذه المسألة، خلع القناع، والقفازين، والحذاء والحُلة. أعطى كل هذا لآل الضخم، والذى وضعها فى الصندوق فوق الحصى. كان آخر ما تم وضعه فى الصندوق هو المصباح اليدوى والعلبة البلاستيكية الفارغة.

أغلق آل الضخم صندوق السيارة وصعد إلى مقعد القيادة بينما كان الزعيم يربط حزام الأمان. أدار المحرك، وانعطف بالسيارة وقادها ببطء عائدًا من خلال طريق الحصى. لم يتحدث أى منهما بشىء، حتى عندما بلغا الطريق الرئيسى. فالمهمة لم تنته بعد.

خلال الأسبوع، كان آل الضخم قد حدد عدة مخارج ومواقع بناء حيث يمكنهم التخلص من أى دليل بحوزتهم يرشد إلى مغامرتهم الليلية. توقف آل الضخم سبع مرات خلال الرحلة

التى استغرقت أكثر من ساعة بدلاً من الأربعين دقيقة المعتادة. وعندما كانا يقتربان بالسيارة من منطقة بولتونز، كانت الساعة بلغت السابعة والنصف. ابتسم دانى عندما رأى بضع قطرات من المطر تسقط على الواجهة الزجاجية للسيارة والمساحات الأوتوماتيكية تعمل من تلقاء نفسها. نزل دانى من السيارة وسار بالطريق المؤدى للمنزل وفتح الباب الأمامى. التقط رسالة كانت ملقاة على السجادة الصغيرة ومزق مظروفها ليفتحها بينما يصعد الدرج. عندما رأى التوقيع على السطر الأخير من الصفحة اتجه مباشرة إلى غرفة مكتبه وفتح بابها.

ما إن قرأ الرسالة لم يعرف بماذا عساه أن يجيب. فكر كما يفكر دانى، وتصرف كما يتصرف نيك.

٦٤

قالت سارة، "نيك، كم هو جميل أن أراك". مالت عليه وهمست: "والآن تأكد لى أنك كنت صبيًا طيبًا".

قال دانى وهو يجلس على المقعد المجاور لها: "على حسب ما تقصدينه بكلمة طيب".

"ألم تفوت أى موعد من مواعيد امرأتك المفضلة؟".

مرت بيث ببال دانى، حتى على الرغم من أنه كان يعلم أن سارة تتحدث عن الآنسة بينيت. فقال: "ولا مرة، الحقيقة أنها زارتنى مؤخرًا فى المنزل وصدقت على مسكنى بوصفه مسكنًا ملائمًا ورسمت علامات صح فى كل الخانات أمام أسئلتها".

"ولم يخطر ببالك بالمرة أن تسافر إلى خارج البلاد؟".

"لا أظن أن هذا ينطبق على السفر إلى اسكتلندا لزيارة السيد مونرو".

"حسن، ما الأمر التى تخبئه فى خزانة سرية لتطلع عليه محاميتك؟".

قال دانى: "ليس بالشىء الكبير، كيف حال لورانس؟". متسائلاً إن كان شقيقها قد أخبرها بأى شى حول مسألة القرض.

"فى أحسن حال. سيقوم باختبار شاشة من أجل الاشتراك فى مسلسل هولبى سيتى يوم الخميس القادم – إنه دور جديد كتب خصيصًا من أجله".

سأل دانى: "إذن ماذا يسمى هذا الدور؟ شاهد على جريمة؟". ثم ندم على الكلمات التى تفوه بها على الفور.

قالت سارة ضاحكة: "كلا، كلا، إنك تفكر فى الدور الذى لعبه فى مسلسل شاهد أمام النيابة، ولكن هذا قبل سنوات عديدة".

قال دانى: "بالتأكيد كان كذلك، ولكنه قدم أداء لا يمكن لى أن أنساه".

"لم أدرك أنك تعرف لارى منذ ذلك الحين".

قال دانى: "أعرفه من بعيد وحسب". واستراح جانبه عندما سمع صوتًا مألوفًا يقول: "مرحبًا يا سارة". انحنى تشارلى دانكان نحوها وقبلها على وجنتيها.

قال دانكان: "من الطيب أن أراك يا نيك، تعرفان بعضكما البعض بالتأكيد".

قالت سارة: "بالتأكيد".

همس دانكان قائلاً: "كونا حذرين فيما تعلقان به على العرض، فأنتما جالسان وراء أحد النقاد مباشرة". ثم رفع صوته قائلاً: "استمتعا بالعرض".

كان دانى قد قرأ نص مسرحية بلينج بلينج (كنوز ومجوهرات)، لكنه لم يستطع متابعته، لذا فقد اعتراه الفضول حول كيف سيتم تقديم النص على خشبة المسرح، العرض الذى أنفق عليه عشرة آلاف جنيه. فتح مطوية البرنامج ليقرأ: "إن المسرحية تتمتع برؤية كوميدية لبريطانيا خلال عهد تونى بلير". قلب الصفحات ليقرأ عن الكاتب وهو منشق تشيكى هرب من ....أطفئت الأنوار وارتفع الستار.

خلال الخمس عشرة دقيقة الأولى من العرض لم يضحك

أحد، وهو ما أدهش دانى بما أن المسرحية تم الترويج لها على أنها كوميديا خفيفة. عندما دخل نجم المسرحية أخيرًا، تبع ظهوره انطلاق بضع ضحكات، غير أن دانى لم يكن متأكدًا من أن هذه الضحكات مقصودة من قبل المؤلف. عندما نزل الستار معلنا الاستراحة وجد دانى نفسه يقاوم التثاؤب مللاً.

سأل سارة: "ما رأيك؟". متسائلاً إن كان قد فاته شىء ما.

وضعت سارة إصبعًا على شفتيها، وأشارت نحو الناقد الجالس أمامهما، والذى كان منهمكًا فى الكتابة بغضب. قالت: "دعنا نخرج ونتناول مشروبًا".

بينما يسيران ببطء فى الممر بين المقاعد لمست سارة ذراعه مسا هينًا وقالت له: "نيك، لقد جاء دورى لأطلب منك النصح".

قال دانى: "حول ماذا؟ لأننى على أن أحذرك فأنا لا أعرف أى شىء حول المسرح".

ابتسمت سارة وقالت: "كلا إننى أتحدث حول العالم الحقيقى. لقد نصحنى جيرالد بين بأن أستثمر بعض المال فى صفقة عقارية يسهم فيها، وقد ذكر اسمك، لذا فكرت أن أسألك إن كنت ترى أنه استثمار آمن".

لم يدر دانى كيف يجيبها، فبصرف النظر عن مقدار كراهيته لأخيها، ليس لديه أى نزاع مع هذه المرأة الساحرة، التى حالت دون عودته إلى السجن من جديد، بدفاعها عنه.

قال دانى: "إننى لا أنصح أصدقائى مطلقًا باستثمار مالهم فى أى شىء، إنه وضع لا يربح فيه أحد - فإن كسبوا مالاً ينسون على الفور أنك أنت التى نصحتهم بالاستثمار، وإن هم خسروا لا يتوقفون بالمرة عن تذكيرك بخسارتهم. نصيحتى الوحيدة لك ستكون ألا تقامرى بمقدار لا يمكنك تحمل عواقب خسارته، ولا تجازفى بالقدر الذى يحرمك من راحة البال ومذاق النوم فى الليل".

قالت سارة: "نصيحة طيبة، أنا ممتنة لك".

تبعها دانى نحو مقهى المسرح، وحين دخلا الغرفة المزدحمة بالناس رأى دانى جيرالد بين يقف إلى جوار طاولة، يصب كأسًا من الشراب الثمين لسبنسر كريج. تساءل فى نفسه إن كان كريج سيقوم باستثمار أى قدر من ماله فى موقعه الخاص بدورة الألعاب الأوليمبية، وآمل أن يكتشف الأمر فيما بعد خلال حفل افتتاح العرض.

قالت سارة: "دعنا نتجنبهما. إن سبنسر كريج لم يكن شخصًا مفضلاً بالنسبة لى أبدًا".

قال دانى: "ولا بالنسبة لى"، بينما كانا يشقان طريقهما نحو المقهى.

صاح بين وهو يلوح لهما بحماس: "مرحبًا يا سارة، يا نيك! إننا هنا، تعاليا وتناولا كأس شراب".

سار كل من دانى وسارة على مضض نحوهما. قال بين وهو يلتفت نحو كريج: "أتعرف نيك مونكريف؟".

قال كريج: "بالطبع، الرجل الذى سيغير مصائرنا جميعًا".

قال دانى وقد تلقى الجواب عن واحد من أسئلته: "لنأمل ذلك".

قال بين: "بعد العرض الذى رأيناه الليلة فإننا جميعًا بحاجة لبعض العون".

قالت سارة ودانى يناولها كأس شراب: "أوه، كان يمكن له أن يكون أسوأ من هذا".

قال كريج: "إنه هراء، وهكذا ضاع أحد استثماراتى أدراج الرياح".

قال دانى، منتهزًا الفرصة السانحة: "آمل أنك لم تستثمر الكثير فيه".

قال كريج: "كلا، إنه شىء لا يقارن بما استثمرته فى

مغامرتك الصغيرة". دون أن يرفع عينيه من على سارة.

همس بين لدانى خفية وقال: "لقد حولت المبلغ كاملاً هذا الصباح. وسوف يتم توقيع العقود فى وقت ما خلال الأيام القليلة المقبلة".

قال دانى بنبرة صادقة: "يسعدنى سماع هذا"، على الرغم من أن البنك السويسرى قد أعلمه بأمر التحويل قبل أن ذهابه إلى المسرح مباشرة.

أضاف بين: "وبالمناسبة، نظرًا لعلاقاتى السياسية نجحت فى الحصول على تذكرتين لحضور جلسات الاستجواب البرلمانية ليوم الخميس القادم، وعلى هذا فإن أردت مرافقتى للاستماع إلى بيان الوزيرة فعلى الرحب والسعة".

"هذا لطف منك، ولكن أليس من الأفضل أن تصطحب لورانس أو كريج؟". مازال غير قادر على أن يدعوه باسمه الأول سبنسر.

"لارى مرتبط باختبار شاشة فى ذلك اليوم نفسه، وسبنسر لديه موعد من رئيس مجلس اللوردات فى المساء نفسه فى الطرف الآخر من المبنى نفسه. نعرف جميعًا بماذا يتعلق هذا اللقاء". قالها وهو يغمز بعينه.

سأل دانى: "أحقًا؟".

همس بين: "نعم، نعلم. سيصبح سبنسر ممثلاً للإدعاء قريبًا جدًا".

قال دانى ملتفتًا إلى خصمه اللدود: "تهانينا".

قال كريج، دون حتى أن ينظر ناحيته أقل نظرة: "الأمر ليس رسميًا حتى الآن".

قال بين: "لكنه سيكون كذلك يوم الخميس المقبل، وعلى هذا يا نيك لمَ لا تقابلنى أمام مدخل سانت ستيفين لمجلس العموم فى الثانية عشرة والنصف ظهرًا ويمكننا الاستماع إلى بيان الوزيرة معًا قبل أن ننطلق للاحتفال بحظنا السعيد".

قال دانى وقد بدأت تدق أجراس ثلاثة: "سأراك هناك". نظر نحو سارة، التى كان كريج يضيق عليها الخناق. تمنى لو بوسعه أن ينقذها، لكنه الحشد المتجمع حمله بعيدًا عنها بينما يعود الجميع إلى داخل المسرح.

عادت سارة إلى مقعدها عند ارتفاع الستار تمامًا. كان النصف الثانى من المسرحية أفضل قليلاً من النصف الأول، غير أن دانى تشكك فى أن الرجل الذى يجلس أمامه قد أعجبه العرض على أى نحو.

عندما نزل الستار، كان الناقد هو أول من خرج نحو مقهى المسرح، وكم رغب دانى فى مرافقته، على الرغم من أن فريق الفنانين ظهروا لتحية الجمهور ثلاث مرات، لم يضطر دانى للوقوف لتحيتهم هذه المرة، كما أن أحدًا آخر لم يهتم بذلك. عندما أضيئت الأنوار أخيرًا، التفت دانى نحو سارة وقال: "إن كنت ذاهبة إلى الحفل، لمَ لا تسمحين لى بتوصيلك؟".

قالت سارة: "لست ذاهبة، وأشك فى أن كثيرين من هؤلاء لن يذهبوا هم أيضًا".

قال دانى: "جاء دورى لأطلب منك النصيحة، لمَ لا نذهب؟".

"المحترفون وهكذا فإنهم سوف يتجنبون الظهور فى حفلة حيث قد يعتقد الناس أنهم مسئولون بشكل أو بآخر عن هذا الفشل". توقفت قليلا قبل أن تقول: "أرجو ألا تكون استثمرت مبلغًا كبيرًا فى هذا العرض".

قال دانى: "ليس بالمبلغ الذى يحرمنى نوم الليل وراحة البال".

قالت وهى تشبك ذراعها بذراعه: "لن أنسى أبدًا نصيحتك، والآن فما رأيك فى أن تصطحب فتاة وحيدة لتناول العشاء؟".

تذكر دانى المرة الأخيرة التى تلقى فيها عرضًا شبيهًا، وكيف انتهت تلك الليلة. لم يكن يرغب فى أن يفسر الأمر من

جديد لفتاة أخرى، ولهذه الفتاة على وجه الخصوص. قال: "أنا آسف، ولكن...".

سألته سارة: "هل أنت متزوج؟".

قال دانى: "كم كنت أتمنى...".

قالت سارة: "كم كنت أتمنى لو أننى التقيت بك قبل أن تلتقى بك هى". وفكت ذراعها من ذراعه.

قال دانى دون تفسير: "كان هذا مستحيلاً".

قالت سارة: "اصطحبها معك فى المرة القادمة، كم أود أن ألتقى بها. طاب مساؤك يا نيك، وشكرًا مرة أخرى على نصيحتك لى". قبلته على وجنتيه وابتعدت بسرعة لتلحق بشقيقها.

بالكاد استطاع دانى أن يمنع نفسه من أن يحذرها من أن تستثمر بنسًا واحدًا فى صفقة الألعاب الأوليمبية الخاصة ببين، لكنه أدرك أنه مع فتاة بمثل ذكائها ستكون هذه مجازفة كبيرة.

انضم إلى الحشد الصامت بينما يخرجون من المسرح بأسرع وقت ممكن، غير أنه لم يستطع تجنب رؤية تشارلى دانكان البائس الذى تمركز عند باب الخروج. ابتسم ابتسامة باهتة لدانى.

"حسنًا، على الأقل لست مضطرًا لأن أنفق أية نقود على حفل الختام".

٦٥

التقى دانى بجيرالد أمـام مـدخـل سـانـت ستيفين لقصر ويستمينستر. كانت زيـارة دانـى الأولى لمجلس العموم، وكان يخطط أن تكون زيارة بين الأخيـرة له.

قال بين بصوت عالٍ لرجل الشرطة الواقف عند المدخل: "لدى تـذكـرتـان للحضور مـن الزوار". مـازال أمـامـهم وقت طويل لعبور الإجراءات الأمنية.

مـا إن انتهيـا مـن إفـراغ جيوبهما وعـبـرا مـن البوابات الإلكترونية، قاد بين دانـى خلال ردهـة رخامية طويلة حتى مدخل الاستقبال.

مرا أمام صف من الزوار الجالسين على مقعد أخضر طويل ينتظرون فى نفاد صبر السماح لهم بالدخول إلى مقصورة الزوار. أشار لهم بين وقال مفسرًا: "ليس معهم تذاكر خاصة، لن يسمحوا لهم بالدخول إلا فى وقت متأخر من هذا المساء، إن سمحوا لهم بالدخول على الإطلاق".

أخذ دانى بالجو السائد فى ردهة الاستقبال المركزية بينما كان بين يتحدث إلى رجل الشرطة الجالس إلى أحد المكاتب مقدمًا له التذاكر. كان هناك بعض النواب يتجاذبون أطراف

الحديث مع بعض الناخبين، وكان السياح يحدقون إلى أعلى نحو سقف الفسيفساء المزخرف، بينما كان هناك آخرون صار هذا المكان بالنسبة لهم معتادًا وجعلوا يسيرون فيه عارفين وجهتهم تمامًا منشغلين بمهامهم وأعمالهم.

بدا على بين الاهتمام بأمر واحد فقط: الحرص على أن يضمن مقعدًا طيبًا قبل أن تنهض الوزيرة وتلقى بيانها من منصة التحدث الخاصة بالوزراء. دانى أيضًا أراد له أن يحظى بأفضل زاوية رؤية ممكنة للأحداث.

أشار رجل الشرطة نحو ممر على اليمين. سار بين نحوه، وكان على دانى أن يسرع بخطواته حتى يلحق به. خطا بين على الممر المغطى بالسجاد الأخضر وصعد بضعة سلالم إلى الطابق الأول، كما لو أنه واحد من الأعضاء بالفعل. قابله هو ودانى عند أعلى السلم واحد من الحجاب، تفحص تذكرتيهما ثم قادهما إلى مقصورة الغرباء. أول ما أدهش دانى كانت المساحة الصغيرة لهذا المقصورة، وكم كانت المقاعد المخصصة للزوار قليلة العدد، مما يفسر عدد الأشخاص الذين عليهم الانتظار هناك بالطابق الأرضى. وجد لهم الحاجب مقعدين فى الصف الرابع وأعطى كلاً منهما نسخة من جدول أعمال الجلسة. انحنى دانى نحو الأمام ونظر نحو أسفل إلى القاعة، مندهشا لرؤية عدد قليل فقط من النواب حرصوا على حضور الجلسة، على الرغم من انتصاف اليوم. كان واضحًا أنه لا يوجد كثيرون من نواب المجلس مهتمين بموقع بناء صالة سباق الدراجات للألعاب الأوليمبية، حتى ولو كان بعض الأشخاص يتوقف مستقبلهم كله على قرار الوزيرة، وأحد هؤلاء يجلس الآن إلى جوار دانى.

قلب بين صفحات جدول الأعمال، وعندما بلغ الصفحة المقصود همس قائلاً لدانى وهو يشير إليها: "أغلب من حضر من النواب هم ممثلون عن لندن تحديدًا". كانت أصابع يده

ترتعش وهو يشير لدانى أعلى الصفحة: حيث كان مكتوبًا الثانية عشرة والنصف بعد الظهر، بيان وزيرة الرياضة.

حاول دانى أن يتابع ما يجرى فى القاعة بأسفل. شرح له بين أنه اليوم المخصص لاستجواب وزير الصحة، لكن هذا سينتهى تمامًا فى الثانية عشرة والنصف. سر دانى لمجرد رؤيته مقدار لهفة ونفاد صبر بين لأن يستبدل بمقعده فى مقصورة الزوار مقعدًا بالقاعة بأسفل على المقاعد الخضراء الطويلة.

بينما كانت الساعة الكبيرة المعلقة أعلى مقعد رئيس مجلس العموم تقترب من الثانية عشرة والنصف، بدأ بين يهز بعصبية جدول الأعمال، وكانت قدمه اليمنى تتحرك فى توتر. بقى دانى هادئًا، ولكنه كان يعلم من قبل ما القرار الذى ستعلنه الوزيرة.

عندما نهض رئيس المجلس فى الثانية عشرة والنصف، وأعلن: "بيان وزيرة الرياضة"، انحنى دانى للأمام ليحصل على رؤية أفضل بينما نهضت الوزيرة من مكانها الأمامى ووضعت ملفا أحمر أمامها على منصة التحدث المخصصة للوزراء.

"السيد رئيس المجلس، بعد إذنك سوف أعلن تصريحًا بخصوص أى موقع قمنا باختياره من أجل بناء صالة سباق الدراجات الخاصة بدورة الألعاب الأوليمبية. سوف يتذكر أعضاء المجلس أننى أطلعت المجلس الموقر فى وقت سابق من هذا الشهر أننا حصرنا الاختيار فى موقعين للمفاضلة بينهما لكننا لن نتوصل لقرار نهائى حتى نتلقى التقارير المفصلة من لجنة مساحى الأراضى عن كلا الموقعين". اختلس دانى نظرة نحو بين؛ ظهرت على جبهته قطرة عرق كبيرة. حاول دانى أن يظهر بمظهر القلق هو الآخر. "وصلت تلك التقارير إلى مكتبى أمس، وقد تم إرسال نسخ منها إلى لجنة مواقع دورة الألعاب الأوليمبية وكذلك إلى عضوى المجلس المحترمين

اللذين يتبع الموقعان دائرتيهما الانتخابيتين، وكذلك إلى رئيس الاتحاد البريطانى لرياضة ركوب الدراجات. ويمكن لأعضاء المجلس الحصول على نسخ من سكرتارية المجلس بعد إنهاء هذا البيان مباشرة.

"بعد قراءة التقريرين، اتفقت كل الأطراف المعنية أن هناك موقعًا واحدًا فقط منهما يمكن أن يعتبر صالحًا لهذا المشروع المهم". مر طيف ابتسامة على شفتى بين. "لقد أظهر تقرير مسح الأراضى أن أحد الموقعين بكل أسف قد اجتاحه نبات مؤذ وشرس يعرف بأعشاب العقدة اليابانية (ضحك). أستطيع أنْ أشعر بأن الأعضاء الموقرين، شأنهم شأنى، لم يسمعوا بهذه المشكلة من قبل، لذا سآخذ من وقتكم دقيقة فى تبيان عواقبها الوخيمة على الأرض. يعد عشبة العقدة اليابانية نباتًا عدوانيًا ومدمرًا، وما أن يتمكن حتى ينتشر بسرعة رهيبة ويجعل الأرض التى احتلها غير مناسبة لأى مشروع بناء. وقبل أن أتخذ قرارى النهائى سعيت لطلب النصح لندرك ما إن كانت المشكلة بسيطة ويمكن التغلب عليها، وقد أكد لى الخبراء فى هذا المجال أن نبات العقدة اليابانية من الممكن استئصاله فى حقيقة الأمر عن طريق المعالجة الكيميائية". تطلع بين بنظره، وبدا شعاع من الأمل فى عينيه. "ومع ذلك فإن التجارب السابقة أثبتت أن المحاولات الأولى لا يكتب لها النجاح على الدوام. والوقت المتوسط قبل أن يتمكن المجلس المحلى فى برمنجهام وليفربول و داندى من التخلص من العشب وتهيئة الموقع للبناء قد تجاوز العام".

"سوف يدرك الأعضاء المحترمون أنه من غير المعقول بالنسبة لوزارتى أن تخاطر بالانتظار لمدة عام آخر، أو ربما مدة أطول، قبل أن تشرع فى البناء على الموقع المتضرر. لم يكن أمامى إلا خيار واحد وهو أن أختار الموقع البديل الممتاز لإقامة المشروع عليه". شحب لون بين حتى صار مثل الطبشور الأبيض

عندما سمع كلمة "البديل". "وبناء عليه أستطيع أن أعلن أن وزارتى، بدعم من اللجنة البريطانية والاتحاد البريطانى لركوب الدراجات الهوائية، قد اختارت الموقع الكائن فى ستراتفورد ساوث لبناء صالة السباق الجديدة". عادت الوزيرة إلى مكانها فى انتظار أية أسئلة من الحضور.

نظر دانى إلى بين، الذى كان يحيط رأسه بيديه.

جاء أحد الحجاب راكضًا صاعدًا الدرج، وسأل باهتمام بادٍ: "هل صديقك على ما يرام؟".

قال دانى، دون أن يبدو عليه القلق: "أخشى أنه ليس كذلك، أيمكننا أن نأخذه إلى دورة المياه؟ لدى شعور بأنه سيصاب بالغثيان".

أمسك دانى بذراع بين وساعده على الوقوف على قدميه، بينما قادهما الحاجب على الدرج خارج المقصورة. سبقهما بسرعة وفتح الباب ليسمح لبين بأن يدخل المغتسل وهو يترنح. بدأ بين يتقيأ قبل حتى أن يصل للحوض بوقت طويل.

فك رابطة عنقه وفتح الزر العلوى لقميصه، وبدأ يتقيأ من جديد. أحنى رأسه وتشبث بحافة الحوض وهو يتنفس بصعوبة، ساعده دانى على خلع سترته. وببراعة يد أخرج الهاتف المحمول الخاص ببين من جيب داخلى لسترته وضغط زرًا ليظهر القائمة الطويلة للأسماء. راح يبحث فيها حتى وصل لاسم "الورانس". وبينما غرس بين رأسه فوق الحوض للمرة الثالثة، تفقد دانى ساعة يده. لابد أن دافنبورت الآن يتأهب لاختبار الشاشة الخاص به، نظرة أخيرة على نص السيناريو قبل أن يبدأ وضع المساحيق المناسبة للشخصية. بدأ دانى ينقر على الأزرار كاتبًا رسالة بينما سقط بين على ركبتيه، وهو يجهش بالبكاء، تمامًا كما فعلت بيث عندما رأت شقيقها الوحيد يفقد حياته. الوزيرة لم تختر موقعنا. آسف. رأيت أن أعلمك بالنتيجة. ابتسم ولمس زر الإرسال، قبل أن يترك الهاتف

استعرض قائمة الأسماء، حتى توقف عندما ظهر على الشاشة اسم "سبنسر".

-o-

تطلع سبنسر كريج إلى صورته فى مرآة بطول الجسم. كان قد ابتاع قميصًا جديدًا ورابطة عنق حريرية من أجل هذا المناسبة على الخصوص. كما قد استأجر سيارة خاصة لتقله إلى المحكمة فى الحادية عشرة والنصف صباحًا، فلا يمكنه أن يجازف بالتأخر على رئيس مجلس اللوردات. بدا وكأن الجميع يعلمون بشأن موعده معه، لأنه ظل يتلقى الابتسامات والتهنئات – من القضاة وكبار العاملين إلى السيدة التى تعد الشاى.

جلس كريج وحده بمكتبه يتظاهر بقراءته مذكرة دعوى وضعت على مكتبه هذا الصباح فقط. صار هناك الكثير من مذكرات الدعاوى مؤخرًا. انتظر بصبر نافد أن تصل عقارب الساعة إلى الحادية عشرة والنصف حتى يمكنه أن يصل إلى موعده فى الثانية عشرة. قال له أحد قدامى زملائه: "بادئ ذى بدء سيقدم لك عصير الكرز، ثم سيشرع فى الدردشة معك لبضع دقائق حول الحالة المؤسفة التى وصلت لها رياضة الكريكيت الإنجليزية، وهو ما يحمل مسئوليته لمحاولات الخصوم تشتيت انتباه اللاعبين، وفجأة ودون أى سابق إنذار سوف يخبرك رئيس مجلس اللوردات بثقة تامة بأنه سيرفع توصية لجلالتها - سيقول هذه النقطة بمنتهى التباهى والعنجهية - بضم اسمك إلى القائمة التالية من المحامين الذين سيضعون الوشاح الحريرى ويرتقون إلى منصب ممثل الادعاء. وعندئذٍ سوف يتحدث لبضع دقائق بشأن المسئولية المرهقة التى يضعها منصب كهذا على عاتق أى مرشح جديد، وإلى آخره..".

ابتسم كريج. كان هذا العام عامًا طيبًا بالنسبة له، وانتوى أن يحتفِل بهذا المنصب بأفخر صورة ممكنة. أخرج دفتر شيكاته وحرر شيكا بمبلغ مائتى ألف يدفع لشركة بيكر، تريمليت آند سمايثيز. كان هذا أضخم شيك حرره فى حياته، وكان قد طلب من البنك الذى يتعامل معه بالفعل أن يمنحه تسهيلاً خاصًا للسحب على المشكوف بدون رصيد كافٍ، ولكنه لم يسبق له أن رأى بين واثقًا من أمر ما إلى هذا الحَد. اضطجع فى مقعده وتمتع باللحظة التى يمر بها بينما كان يفكر كيف سينفق الأرباح: سيارة بورش جديدة، بضعة أيام فى فينيسيا. حتى سارة قد تحلم برحلة مثل هذه، ويفتنها الانتقال بقطار الشرق السريع.

دق جرس الهاتف على مكتبه.

"لقد وصلت سيارتك يا سيد كريج".

"أخبريه بأننى سأنزل حالاً". وضع الشيك فى مظروف، ووجهه إلى جيرالد بين العامل بشركة بيكر، تريمليت آند سمايثيز، وتركه على نشافة الحبر ونزل الدرج. سيصل مبكرًا بضع دقائق، لكنه لا ينوى أن يجعل سيادة رئيس المحكمة ينتظره. لم يتحدث إلى السائق خلال الرحلة القصيرة على طول ستراند، ثم الوايت هول، ثم مجلس اللوردات حيث توقفت السيارة أمام المدخل. راجع ضابط على البوابة اسمه على قائمة أوراقه ولوح للسيارة بالمرور. انعطف السائق يسارًا تحت قوس على الطراز القوطى وتوقف أمام مكتب رئيس مجلس اللوردات.

ظل كريج جالسًا مكانه منتظرًا حتى يفتح له السائق باب السيارة، وهو يستمتع بكل لحظة من الحدث. سار تحت القوس الصغير إلى أن حيَّاه حاجب يرتدى ثيابًا رسمية ويحمل لوحة أسماء أخرى. روجع اسمه للمرة الثانية قبل أن يصحبه الحاجب سائرين ببطء على طول درج مفروش بسجاد أحمر

إلى مكتب رئيس مجلس اللوردات.

طرق الحاجب على باب ثقيل من خشب البلوط، وأجاب صوت "ادخل". فتح الباب وانتحى جانبًا ليسمح لكريج بالدخول. كانت هناك امرأة شابة تجلس إلى مكتب فى الجانب البعيد من الغرفة. رفعت نظرها وابتسمت. " السيد كريج؟".

أجاب: :نعم".

"لقد وصلت مبكرًا قليلاً، لكننى سأتأكد حالاً لأرى إن كان سيادة اللورد غير مشغول".

كان كريج على وشك أن يقوله لها أنه يسره أن ينتظر، لكنها كانت قد التقطت بالفعل سماعة الهاتف لتقول: "لقد حضر السيد كريج يا سيادة اللورد".

رد صوت جهورى : "أدخليه من فضلك".

نهضت السكرتيرة من على مكتبها، عبرت الغرفة، وفتحت بابًا آخر ثقيلاً من البلوط وقادت السيد كريج إلى داخل مكتب رئيس مجلس اللوردات.

كان كريج يشعر بتعرق راحتى يديه بينما يدخل إلى الغرفة المكسوة بخشب البلوط والمطلة على نهر التيمز، وقد علقت صور لرؤساء مجلس اللوردات السابقين على كل جدار، وحين رأى ورق الحائط المزخرف بالأحمر والذهبى من ماركة بوجين لم يعد لديه أى مجال للشك أنه فى حضرة أهم شخصية قانونية فى طول البلاد وعرضها.

"اجلس من فضلك يا سيد كريج"، وهو يفتح ملفًا سميكًا أحمر اللون وضع فى منتصف مكتبه. لم يقدم له عصير الكرز بينما راح يتصفح بعض الأوراق. راح كريج ينظر إلى الرجل العجوز بجبينه العريض وبحاجبيه الرماديين الكثين مما يليقان بالشخصيات الكارتونية. رفع اللورد رأسه ببطء وحدق من وراء مكتبه الفخم الكبير إلى زائره.

"ارتأيت يا سيد كريج، مع الاعتبار للظروف الراهنة، أن

علىّ أن أتبادل معك حديثًا خاصًا بدلاً من أن تعلم تفاصيل الأمر من خلال الصحافة".

لم يـأت عـلـى ذكـر أى شـىء يـتعلق بلعبة الكريكيت الإنجليزية.

واصل متحدثًا بنبرة جافة ومحايدة: "لقد تلقينا التماس بطلب العفو الملكى فى قضية دانيال آرثر كارترايت". توقف قليلاً ليدع كريج يستوعب المغزى التام لما هو على وشك أن يقوله بيلوف: "هناك ثلاثة لوردات من القضاة، على رأسهم اللورد بيلوف، تقدموا بطلب ناصحين فيه أن نعيد مراجعة جميع الأدلة المتعلقة بالقضية، ويوصون بالإجماع أن ألتمس من جلالتها السماح بإعادة فتح القضية". توقف من جديد، برغبة واضحة ألا يتعجل فى كلامه. وواصل: "وبما أنك كنت شاهدًا من شهود الادعاء فى المحاكمة الأصلية، رأيت أن علىّ أن أحذرك من أن المحكمة ستطلب منك المثول أمامها، جنبًا إلى جنب - "، نظر من جديد إلى أوراقه وراجعها - "السيد جيرالد بين والسيد لورانس دافنبورت، من أجل استجوابكم أنتم الثلاثة فيما يتعلق بشهادتكم فى القضية الأصلية".

قبل أن يتمكن من المواصله، قال كريج مقاطعًا: "ولكنى ظننت أنه قبل أن يفكر القضاة فى إعادة فتح القضية من جديد، من الضرورى وجود دليل جديد لتقديمه".

"هناك دليل جديد سوف يقدم".

"شريط التسجيل؟".

"لا يوجد فى تقرير اللورد بيلوف أى ذكر لشريط تسجيل. ومع ذلك فإن هناك دعوى من شريك سابق لكارترايت فى الزنزانة -". ومن جديد عاد رئيس مجلس اللوردات لمراجعة الملف - ". سيد آلبرت كران، الذى يشهد بأنه كان حاضرًا عندما أقر السيد توبى مورتيمر، أظن أنك تعرفه، أقر بأنه شهد مقتل السيد بيرنارد ويلسون".

"لكن هذا لا يتعدى أقوالاً وشائعات، صادرة عن مجرم مدان. أمر لا يعتد به فى أى محكمة على الأرض".

"قد أتفق معك يا سيد كريج فى الأحوال العادية، ولكنت رفضت الالتماس لو لم يظهر دليل جديد ويقدم إلى المحكمة".

كرر كريج، وهو يشعر بانقباض مفاجئ فى معدته: "دليل جديد؟".

قال اللورد: "نعم، يبدو أن كارترايت تقاسم الزنزانة ليس فقط مع آلبرت كران، ولكن أيضًا مع سجين آخر كان يسجل يوميات سجل فيها بكل عناية وتفصيل كل شىء كان شاهدًا عليه فى السجن، بما فى ذلك التسجيل بالحرف للمحادثات التى جرت أمامه".

"إذن فمصدر الاتهام الوحيد هو دفتر يوميات كتبه مجرم مدان أثناء وجوده بالسجن".

قال اللورد بهدوء: "لا أحد يتهمك بأى شىء يا سيد كريج، وعلى الرغم من ذلك ففى نيتى أن أدعو الشاهد للمثول أمام المحكمة. وبالطبع ستتاح لك كل الفرص لتمثل جانبك فى هذه القضية".

سأل كريج: "ما اسم هذا الرجل؟".

قلب اللورد صفحة من ملفه وراجع الاسم، قبل أن يرفع عينيه قائلا: "السير نيكولاس مونكريف".

٦٦

جلس دانى فى ركنه المعتاد بفندق دورتشيستر يقرأ صحيفة التايمز. مراسل الصحيفة الخاص برياضة الدراجات نشر اختيار الوزيرة المفاجئ لموقع صالة السباق. نال الموضوع عمودًا صغيرًا، اندس ما بين أخبار رياضتى التجديف وكرة السلة.

تفقد دانى الصفحات الرياضية فى أغلب الصحف المحلية فى وقت سابق من هذا الصباح ووجد أن تلك الصحف التى اهتمت بإيراد بيان الوزيرة اتفقت على أنها لم يكن أمامها خيار آخر، ولم يكن لدى أى صحيفة منها، حتى الاندبندنت، ما يكفى من المساحة لتخبر قراءها عن ماهية العقدة اليابانية.

تفقد دانى ساعة يده. لقد تأخر جارى هول على الموعد بضع دقائق ولم يكن بوسع دانى إلا أن يتخيل تبادل الاتهامات الذى لابد أنه يحدث فى مكاتب شركة بيكر، تريمليت آند سمايثنز. قلب الصحيفة حتى الصفحة الأمامية وكان يقرأ ما استجد بشأن التهديد النووى من قبل كوريا الشمالية، عندما ظهر فجأة هول إلى جواره.

قال بأنفاس متقطعة: "آسف على التأخير، لكن الشريك الأول استدعانى عندما كنت موشكًا على مغادرة المكتب. يا له

من انتقاد قوى يتبادلونه بعد إعلان بيان الوزيرة، كل شخص يلقى باللوم على الجميع". جلس على مقعد مواجه لدانى وحاول أن يلتقط نفسه.

قال دانى بينما النادل ماريو قد اقترب منهما: "فلتسترخ ودعنى أدعوك لتناول قهوة".

"وشيكولاتة ساخنة أخرى لك يا سير نيكولاس؟" أومأ دانى، ووضع صحيفته جانبًا وابتسم نحو هول وقال: "حسنًا،على الأقل لا أحد يمكنه أن يلقى باللوم عليك أنت يا جارى".

قال هول: "أوه، كلا، لا يظن أحد أننى لى صلة بالصفقة ولهذا السبب فقد تمت ترقيتى".

قال دانى: "ترقيتك، أهنئك".

"شكرًا لك، لكن هذا ما كان ليحدث لولا الاستغناء عن جيرالد بين". نجح دانى بطريقة أو بأخرى أن يكبح ابتسامته فى حين واصل هول: "تم استدعاؤه إلى مكتب الشريك الأول بمجرد حضوره فى الصباح وقيل له أن ينظف مكتبه وأن يغادر المكان فى غضون ساعة واحدة. وجد واحد أو اثنين منا أنفسهما يحصلان على ترقية كنتيجة بهذه الأحداث".

"لكنهم لم يدركوا أننى وأنت من حمل الفكرة إلى بين فى المقام الأول؟".

"كلا. فما إن اتضح أنك لا تستطيع أن تتحمل المبلغ كاملاً صارت الفكرة فجأة هى فكرة بين. فى حقيقة الأمر تعتبر حاليا كشخص خسر استثمارًا كبيرًا معنا، وقد ترفع دعوى ضد الشركة". الأمر الذى لم يسبق لدانى أن فكر فيه - حتى ذلك الحين.

قال دانى متفقدًا الأخبار: "ترى ما الذى سيفعله بين الآن؟".

قال هول: "لن يحصل على عمل آخر فى مجالنا مرة أخرى على الإطلاق، أو على الأقل لن يحصل عليه إن تدخل الشريك

الأول فى الأمر بشكل من الأشكال".

سأل دانى، وهو مازال يتفقد الأخبار: "إذن فما الذى يفعله الرجل المسكين؟".

"قالت لى سكرتيرته إنه سافر إلى ساسكس ليبق مع أمه لبضعة أيام. إنها رئيسة الدائرة الانتخابية المحلية التى مازال يأمل فى تمثيلها فى الانتخابات القادمة".

قال دانى، متمنيًا ألا يكون محقًا: "لا أرى سببًا يمنع من ذلك، ما لم ينصح أحدًا من ناخبيه بالاستثمار فى عشب العقدة اليابانية".

ضحك هول وقال: "ذلك الرجل مقاتل شرس، وأراهن أنه سوف ينال مقعدًا برلمانيًا فى غضون عامين وبحلول ذلك الوقت لن يتذكر أى شخص حتى كل هذا الضجيج الحالى".

قطب دانى جبينه، وقد أدرك فجأة أنه ربما لا يكون قد أصاب بين بشىء إلا مجرد جرح، فى حين أنه لا يتوقع أن يتعافى كل من دافنبورت أو كريج بالسهولة نفسها. قال دانى وهو يفتح حقيبة أوراقه ويخرج منها مجموعة من المستندات: " أحتاج منك أن تشرف على بيع عقار فى ميدان ردكليف سكوير؛ رقم خمسة وعشرين. المالك السابق".

قال صوت: "مرحبًا يا نيك".

تطلع دانى نحو مصدره. رأى فوق رأسه رجلاً طويلاً متين البنيان لم يسبق له أن رآه من قبل. كان يرتدى اللباس الأسكتلندى الوطنى، له شعر بنى متموج وبشرة متوردة، ولابد أنه فى سن دانى. فكر نفسه مثل دانى، وتصرف مثل نيك. كان دانى قد أدرك أن هذا الموقف لابد وأن يحدث فى وقت ما، لكنه مؤخرًا بلغ من الاطمئنان إلى شخصيته الجديدة حدًا لم يعد يظن معه أنه قد يفاجأ على هذا النحو، أولاً عليه أن يكتشف ما إذا كان هذا الرجل زميل نيك بالمدرسة أم بالجيش، لأنه لم يكن رفيقًا له فى السجن بكل تأكيد. نهض واقفًا.

قال دانى: "مرحبًا". ومنح الغريب ابتسامة دافئة وصافحه. "أيمكننى أن أعرفك بأحد شركاء العمل، جارى هول".

انحنى الرجل وصافح هول، وهو يقول: "سررت بالتعرف عليك يا جارى. أنا ساندى، ساندى داوزون". متحدثًا بلكنة أسكتلندية قوية.

قال داوزون: "أنا وساندى كنا نعرف بعضنا البعض منذ زمن بعيد". آملاً فى أن يعرف إلى أى حد يمتد هذا الزمن بالتحديد.

قال داوزون: "بكل تاكيد، لكننى لم أر نيك منذ أن غادرنا المدرسة".

قال دانى وهو يبستم نحو هول مفتشًا فى يأس عن دليل آخر: "كنا نذهب إلى مدرسة لوريتو معًا. ما الذى تفعله حاليًا يا ساندى؟".

قال داوزون: "على نهج أبى، مازلت فى صناعة اللحوم، ونشكر القدر على أن لحوم الهايلاند مازالت هى اللحوم الأكثر رواجًا فى المملكة، وماذا عنك يا نيك؟".

قال دانى: "لقد تحسنت أحوالى كثيرًا منذ أن...". فى محاولة لأن يكتشف إن كان داوزون عرف بأن نيك كان مسجونًا.

قال ساندى: "نعم، بالطبع. إنه أمر رهيب، وظلم بين. ولكن يسعدنى أنك تجاوزت تلك المحنة بلا أى أثر أو خسائر". ظهرت الحيرة على وجه هول. لم يجد دانى ردًا مناسبًا على هذا. قال داوزون: "أتمنى أن تكون مازلت تجد الوقت لتلعب مباراة كريكيت بين الحين والآخر"، ثم واصل وهو يتجه بنظره نحو هول: "لقد كان من أفضل الرماة فى جيلنا بالمدرسة. أنا متأكد من هذا – فقد كنت الحارس بالفريق نفسه".

قال دانى وهو يربت على ظهره: "وكنت أفضل حارس رأيته فى حياتى".

قال داوزون: "أنا آسف على مقاطعتكما، لكن لم أتمكن من المرور بك دون تحيتك".

قال دانى: "لابد من ذلك، كان من الطيب أن أراك يا ساندى، بعد ذلك الوقت كله".

قال دانى قبل أن يستدير ليغادر: "وأنا أيضًا سررت برؤيتك". عاد دانى إلى مقعده، وتمنى ألا يسمع هول تنهيدة الراحة التى صدرت عنه عند مغادرة داوزون. بدأ يأخذ المزيد من الأوراق من الحقيبة حين عاد داوزون من جديد. "لا أظن يا نيك أن أحدًا قد أبلغك أن سكويفى هامفريز قد توفى؟".

قال دانى: "كلا، يؤسفنى سماع هذا".

"أصابته نوبة قلبية وهو فى ملعب الجولف بينما كان يلعب مباراة مع ناظر المدرسة. لم يعد الفريق كما كان منذ أن مات هامفريز".

"خسارة أيها العجوز المسكين سكويفى. كان مدربًا عظيمًا".

قال داوزون: "سأترككما فى أمان، رأيت أنك تود أن تعرف أمرًا كهذا، لقد خرج جميع سكان ماسلبرج فى جنازته".

قال دانى: "هذا أقل ما يستحقه"، أومأ داوزون وسار مبتعدًا.

هذه المرة لم يرفع دانى عينيه عن الرجل حتى رآه يغادر الغرفة.

قال: "آسف بشأن هذا".

قال هول: "من المحرج على الدوام الالتقاء ببعض رفاق الماضى البعيد. أغلب المرات لا يمكننى حتى أن أتذكر أسماءهم، ولكن أتفهمنى؟ سيكون من العسير أن تنسى صديقك ذلك. إنه لذو شخصية".

قال دانى: "نعم". وناوله بسرعة صكوك الملكية الخاصة بمنزل ميدان ردكليف.

فحص هول الأوراق لبعض الوقت قبل أن يسأل: "ما حدود السعر الذى تتوقع الحصول عليه من بيع هذا العقار؟".

قال دانى: "حوالى ثلاثة ملايين، عليه رهن بأكثر من مليون بقليل، وقد دفعت مليونًا آخر، وهكذا فإن أى مبلغ يتجاوز المليونين لابد وأنه سيعنى لى بعض الربح".

"أول شىء سأفعله هو أن أجرى مسحًا للعقار".

"المسكين بين لم يهتم بإجراء مسح لموقع ستراتفورد".

قال هول: "يدعى أنه قام بهذا، وأنا واثق أن مساح الأراضى الذى قام بهذا لم يسبق له أن سمع بعشب العقدة اليابانية. ولنكن منصفين، ولا أحد آخر بالشركة سمع بشىء كهذا".

قال دانى: "لم أسمع به على الإطلاق، حسنًا، إلا مؤخرًا".

تساءل هول: "هل هناك أية مشكلات مع المالك الحالى؟". وراح يقلب الصفحات إلى الصفحة الأخيرة من صكوك الملكية، ثم أضاف قبل أن يتمكن دانى من الرد: "هل هذا هو الشخص نفسه؟".

قال دانى: "نعم، لورانس دافنبورت، الممثل".

"أتعلم أنه صديق جيرالد؟".

انطلق آل الضخم من أمام الفناء الأمامى لفندق دورتشيستر، وانضم للسيارات المتوجهة نحو هايد بارك كورنر، وقال: "أنت على الصفحة الأولى من الإفيننج ستاندرد يا زعيم".

قال دانى وهو يتصور أسوأ الاحتمالات: "ماذا تعنى؟".

ناوله آل الضخم الصحيفة. حدق غلى العنوان الرئيسى: هل يحصل كارترايت على العفو الملكى؟

تصفح المقال سريعًا قبل أن يقرأه للمرة الثانية بمزيد من العناية.

"لا أدرى ما الذى ستفعله يا زعيم، إذا ما طلبوا من السير نيكولاس مونكريف المثول أمام المحكمة وتقديم شهادته للدفاع عن دانى كارترايت".

قال دانى، وهو ينظر نحو صورة لبيث يحيط بها مئات من المشاركين فى الحملة من أهالى منطقة بو: "إذا ما سارت الأمور حسب الخطة المرسومة فلن ينتهى بى الأمر متهمًا أو مدعى عليه".

٦٧

أرسل كريج فى طلب أربع فطائر بيتزا، ولن يكون هناك أى نادلات لتقدم لهم الشراب المبرد، خلال لقاء الفرسان هذا.

ما إن غادر كريج مكتب رئيس مجلس اللوردات وهو يقضى كل دقيقة تتوفر لديه فى محاولة اكتشاف كل شىء ممكن عن السير نيكولاس مونكريف. كان بمقدوره أن يتأكد من أن مونكريف تقاسم الزنزانة مع دانى كارترايت وآلبرت كران بينما كانوا سجناء فى بيلمارش. كما أنه اكتشف أن مونكريف قد أطلق سراحه من السجن بعد موت كارترايت بستة أسابيع.

ما لم يتمكن كريج من تحديده هو السبب الذى يدفع أى شخص إلى تكريس كيانه كله، كما يفعل مونكريف بكل وضوح، لتعقب أثر ثلاثة رجال لم يسبق له أن التقى بهم ثم يحاول تدمير حياتهم. إلا إذا.....اتضح الأمر عندما وضع صورتين فوتوغرافيتين لكل من مونكريف وكارترايت جنبًا إلى جنب فبدأ يفكر عندئذ لأول مرة فى ذلك الاحتمال. لم يستغرق منه الأمر طويلاً حتَى يتوصل إلى خطة ليكتشف ما إذا كان هذا الاحتمال هو الحقيقة فى واقع الأمر.

كانت هناك طرقة على الباب، فتح كريج الباب، فحيَّاه

جيرالد بين بمظهره البائس وممسكًا بزجاجة شراب رخيص. كانت قد تبخرت كل الثقة بالنفس التى سادت لقاءهم الأخير.

سأله دون أن يهتم حتى بمصافحته: "هل أتى لارى؟".

قال كريج وهو يقود صديقه القديم إلى غرفة الضيوف: "أتوقع وصوله فى أى لحظة، إذن أين كنت مختبئًا؟".

أجاب بين وهو يرتمى على مقعد مريح: "أقيم فى ساسكس مع أمى حتى تهدأ كل تلك العواصف".

سأله كريج وهو يصب له كأسًا: "هل هناك أية مشكلات فى الدائرة الانتخابية؟".

قال بين: "لا بأس، كان يمكن للأمور أن تكون أسوأ من ذلك، الليبراليون يروجون عنى الشائعات، ولكن لحسن الحظ أنهم يقومون بذلك أكثر من اللازم، بحيث لم يعد ينتبه إليهم أحد. عندما اتصل بى أحد محررى الصحف المحلية التافهة قلت له أننى استقلت من شراكتى فى شركة بيكر، تريمليت آند سمايثنز لأننى أردت أن أكرس المزيد من الوقت للعمل بدائرتى الانتخابية استعدادا للانتخابات العامة. بل إنه كتب مقالاً رئيسيًا داعمًا لى فى اليوم التالى".

قال كريج: "ليس لدى أدنى شك فى أنك سوف تتجاوز محنتك، بصراحة أنا أشد قلقًا بشأن لارى. لقد أخفق فى الحصول على دور فى مسلسل هولبى سيتى، ليس هذا وحسب لكنه راح يخبر الجميع بأنك أرسلت له رسالة على الهاتف الخلوى بشأن بيان الوزيرة قبيل اختبار الشاشة الخاص به بوقت قليل".

قال بين: "لكن هذا غير حقيقى. لقد كنت فى حالة من الصدمة لا تتيح لى أن أتصل بأى شخص حينها، ولا حتى أنت".

قال كريج: "لقد فعل هذا شخص ما، وأنا الآن أدرك أنه لم يكن أنت من أرسل الرسالتين، لابد وأنه شخص كان يعرف

باختبار الشاشة الخاص بلارى، كما كان يعرف بلقائى برئيس المحكمة".

"الشخص نفسه الذى توصل بسهولة لهاتفى الخلوى فى ذلك الوقت".

"السير نيكولاس مونكريف الذى نجده أمامنا حيثما ذهبنا".

قال بين دون أن يفكر فيما يقوله: "الوغد. سأقتله".

قال كريج: "ذلك ما كان علينا القيام به عندما كانت الفرصة متاحة أمامنا".

"ماذا تقصد؟".

"ستعرف كل شىء فى الوقت المناسب". حينها دق جرس الباب. "لابد أن هذا هو لارى".

بينما ذهب كريج ليفتح الباب، جلس بين يفكر بشأن رسائل الهاتف الخلوى التى لابد أن مونكريف قد أرسلها إلى كل من لارى وسبنسر بينما كان فاقدًا الوعى تقريبًا بدورة مياه مجلس العموم، لكنه مازال غير قادر على أن يفهم لماذا فعلها عندما انضم إليه لارى وكريج لم يستطع بين أن يصدق التغير الذى طرأ على لارى فى تلك الفترة القصيرة. كان يرتدى سروالاً من الجينز حالك اللون وقميصًا مجعدًا. ومن الواضح أنه لم يحلق منذ أن سمع ببيان الوزيرة. ارتمى على أقرب مقعد.

كانت أولى كلماته هى: "لماذا، لماذا، لماذا؟".

قال كريج، وهو يناوله كأس شراب: "ستعرف فى وقت قريب للغاية".

قال بين ما إن أعاد كريج ملأ كأسه: "من الواضح أنها كانت حملة موجهة ضدنا ومنظمة للغاية".

قال كريج: "ولا يوجد سبب يدفعنا للاعتقاد بأنه انتهى منا الآن".

كرر دافنبورت: "ولكن لماذا؟ لماذا يقرضنى مليون جنيه من

ماله إن كان يعلم أنه سوف يخسر كل فلس منها؟".

قال بين: "لأنه كان لديه ضمان منزلك ليغطى القرض، فلا سبيل لأن يخسر".

قال دافنبورت: "وماذا تظنان أنه فعل فى اليوم التالى مباشرة؟ لقد كلف شركتك القديمة ببيع منزلى. لقد وضعوا عليه بالفعل لافتة للبيع فى الحديقة الأمامية وبدأوا يعرضون العقار على مشترين محتملين".

قال بين: "أفعل هذا؟".

"وهذا الصباح تلقيت رسالة من محام يخبرنى فيها بأننى إذا لم أقم بإخلاء المنزل عند نهاية الشهر فلن يكون أمامهم خيار آخر....".

سأل كريج: "وأين ستعيش؟". آملا ألا ينتقل دافنبورت للسكنى معه.

"وافقت سارة على استضافتى حتى انتهاء تلك الفوضى".

سأل كريج بتوتر: "هل أخبرتها بأى شىء؟".

قال دافنبورت: "كلا، ولا أى شىء، على الرغم من أنه من الواضح أنها تعرف أن هناك ما يسوء. وتواصل سؤالى أين كانت المرة الأولى التى التقيت فيها بمونكريف".

قال كريج: "لا يمكنك أن تخبرها بهذا، وإلا سوف ينتهى بنا الأمر جميعًا فى محنة أشد سوءًا بكثير".

سأل دافنبورت: "كيف يمكن أن نكون فى محنة أسوأ مما نحن فيه؟".

قال كريج: "سيحدث هذا إن سمحنا لمونكريف أن يستأنف شن حملة ثأره علينا". لم يحاول كل من بين ودافنبورت أن يقاطعاه أو يعارضاه فواصل: "نحن نعرف أن مونكريف قد سلم دفتر يومياته إلى رئيس مجلس اللوردات. ولا ريب فى أنه سيتم استدعاؤه لتقديم شهادته أمام أعضاء مجلس اللوردات الذين ينظرون فى إصدار حكم بالعفو عن كارترايت".

قال دافنبورت: "آه، يا إلهى". وقد ارتسمت على وجهه نظرة يأس تام.

قال كريج: "لا داعى للذعر، أظن أننى قد توصلت إلى وسيلة للتخلص من مونكريف إلى الأبد". لم يبد الاقتناع على دافنبورت. "والأهم من ذلك، هناك إمكانية لأن نستعيد جميع أموالنا مرة أخرى، بما فى ذلك منزلك يا لارى إلى جانب لوحاتك الفنية".

سأل دافنبورت: "ولكن كيف يمكن هذا؟".

"صبرًا يا لارى صبرًا وسوف ينكشف لك كل شىء".

قال بين : "أفهم حيلته مع لارى، لأنه لا يمكن أن يخسر مهما حدث، ولكن لماذا يدفع مليونا من ماله الخاص بينما كان يعرف أنها صفقة خاسرة؟".

أعترف كريج قائلاً: "كانت ضربة تنم عن عبقرية تامة".

قال دافنبورت: "لا شك فى أنك ستتفضل وتنور المحكمة".

قال كريج متجاهلاً سخريته: "لأنه باستثماره ذلك المليون أقنع كلاً منكما، كما أقنعنى أيضا، لأننا لابد سنكسب".

قال بين: "ولكن مازال لزامًا عليه أن يخسر مليونًا إن كان يعرف أن الموقع الأول محكوم عليه بالفشل".

قال كريج: "إلا إذا كان بالفعل يملك الموقع من الأساس!!".

لم يتكلم أى من ضيفيه لبعض الوقت، بينما يحاولان أن يتبينا مغزى كلامه.

قال بين فى النهاية: "هل تشير إلى أننا كنا ندفع له لشراء موقعه الذى يملكه بالفعل؟".

قال كريج: "بل الأمر أسوأ من هذا، لأننى أعتقد أن النصيحة التى قدمتها له أنت يا جيرالد هى التى أوعزت له بالفكرة قاصدًا أنه لا يمكن أن يخسر على أى حال، وهكذا انتهى به الأمر غير مكتفٍ بقتلنا ولكن بتحقيق ربح غير عادى".

دق جرس الباب.

تساءل دافنبورت وهو يكاد يقفز من على مقعده: "من هناك؟".

قال كريج: "إنه العشاء لا أكثر، لمَ لا تدخلان المطبخ؟ سأطلعكما ونحن نتناول البيتزا بالضَبط على ما أخططه من أجل السير نيكولاس مونكريف، لأنه قد حان الوقت لنرد الهجوم".

قال دافنبورت: "لست واثقًا أننى بحاجة لمواجهة أخرى مع ذلك الرجل"، وهو وبين يسيران نحو المطبخ.

قال بين: "قد لا يكون أمامنا خيار غير هذا".

رأى لارى المائدة معدة لأربعة أشخاص فتساءل: "ألديك أى فكرة عمن سينضم إلينا؟".

هزَّ بين رأسه نافيًا: "ليس لدى أى فكرة، لكنى أعتقد أنه لن يكون مونكريف على الأغلب".

قال كريج وقد انضم إليهما فى المطبخ: "معك حق، ولكنه يمكن أن يكون واحدًا من زملائه القدامى فى المدرسة". أخرج الفطائر من علبها ووضعها فى فرن المايكرويف.

سأل بين: "هل ستشرح لنا ما الذى تلمح إليه طوال المساء؟".

قال كريج وهو يتفقد ساعة يده: "ليس بعد، وما عليكما إلا الانتظار لبضع دقائق أخرى حتى تتبينا كل شىء".

ألح بين قائلاً: "على الأقل أخبرنا بما كنت تقصده بأن مونكريف قد حقق ربحًا كبيرًا نتيجة للنصيحة التى قدمتها أنا له؟".

"ألم يكن أنت من أخبره بأن يشترى الموقع الثانى بحيث يكون من المستحيل أن يخسر على أى حال؟".

"نعم لقد فعلت، لكنى إذا كنت تتذكر لم يكن لديه ما يكفى من المال لشراء الموقع الأول أصلاً".

قال كريج: "أو أن هذا هو ما قاله لك، فوفقًا لصحيفة إيفننج ستاندرد، فمن المتوقع أن يباع الموقع الثانى الآن باثنى عشر مليونًا".

تساءل لارى: "ولكن لماذا يدفع مليونًا من ماله الخاص مقابل الموقع الأول إن كان يعرف بالفعل أنه سيحقق كل هذا الربح فى الموقع الثانى؟".

قال كريج: "لأنه كان ينوى على الدوام أن يحقق فوزًا وربحًا من كلا الموقعين، فيما عدا أنه بالنسبة للموقع الأول كنا نحن هدفه وضحايا وربحه الوحيد من الصفقة، فى حين أنه لم يخسر بنسًا ثم قال موجهًا حديثه إلى دافنبورت: "إن كنت قد أخبرتنا بأن مونكريف كان هو الذى أقرضك المال من البداية لكان بإمكاننا اكتشاف اللعبة".

بدا الخجل على دافنبورت، لكنه لم يحاول الدفاع عن نفسه.

قال بين: "لكن الأمر الذى مازلت لا أفهمه هو لماذا دفعنا لخوض غمار هذا. لا يمكن أن يعود السبب لأنه تقاسم الزنزانة مع كارترايت".

قال دافنبورت: "أتفق معك، لابد أن يكون هناك ما هو أكثر من ذلك".

قال كريج: "هناك ما هو أكثر، وإن كان هو ما أظنه، فإن مونكريف لن يعود لمضايقتنا لفترة أطول بكثير".

لم يبد الاقتناع على كل من بين ودافنبورت.

قال بين: "على الأقل أخبرنا كيف توصلت إلى واحد من رفاق المدرسة القدامى لمونكريف؟".

"هل سبق لكم أن سمعتما من قبل عن مجموعات البحث عن رفاق المدرسة القدامى على الإنترنت؟".

سأل بين: "إذن من حاولت أن تصل إليه من خلالها؟".

"أى شخص كان يعرف نيكولاس مونكريف عندما كان

بالمدرسة أو بالجيش".

سأل دافنبورت حين رن جرس الباب: "وهل اتصل بك أى واحد منهم؟".

قال كريج قبل أن يغادر المطبخ ليفتح الباب: "سبعة، ولكنَّ واحدًا منهم فقط كانت لديه جميع المؤهلات الضرورية".

تبادل كل من دافنبورت وبين النظرات دون أن يتكلما.

عندما ظهر كريج من جديد بعد ثوانٍ، كان مصحوبًا برجل طويل ومتين البنيان كان عليه أن يطأطئ رأسه ليمر من باب المطبخ.

قال كريج: "أيها السيدان، اسمحا لى أن أقدم لكم ساندى داوزون، كان ساندى فى النزل نفسه بمدرسة لوريتو مع نيكولاس مونكريف".

قال كريج: "لِمَ لا تحك لهما يا ساندى ؟".

"لقد اتصلت بِسبنسر على ظن منى أنه هو صديقى القديم نيك مونكريف، الذى لم أره منذ أن غادرنا المدرسة".

قاطعه كريج قائلاً: "وحين اتصل بى ساندى أخبرته بشكوكى نحو الرجل الذى يزعم أنه مونكريف، وقد وافق أن يضعه فى اختبار. وقد كان جيرالد هو من أطلعنى على أن مونكريف لديه موعد مع واحد من شركاء العمل، جارى هول، فى فندق دورتشيستر فى ذلك الصباح، وهكذا ظهر ساندى هناك بعد الموعد بدقائق قليلة".

قال داوزون: "لم يكن من العسير العثور عليه، فالجميع بداية من الحمال فى الردهة إلى مدير الفندق يبدو أنهم يعرفون السير نيكولاس مونكريف. كان جالسًا، فى المكان نفسه تمامًا الذى أخبرنى به البواب. عندما رأيته لأول وهلة شعرت يقينًا أنه نيك بلا شك، ولكن بما أنه مضت فترة خمسة عشر عامًا منذ أن رأيته لآخر مرة، فكرت أنه من الأفضل أن أتأكد. ولكن عندما سرت لأتحدث معه، لم يظهر أهون علامة على أنه

قد تعرف علّى ولا أظن أننى شخص من السهل نسيانه".

قال كريج: "ذلك أحد الأسباب التى جعلتنى أختارك أنت، ولكنه مع ذلك لا يعد دليلا، ليس بعد كل ذلك الوقت".

قال داوزون: "ولهذا قررت أن أقاطع اجتماعهما، لأرى ما إذا كان هو نيك حقًا".

سأل باين: "ثم ماذا حدث؟".

"شىء مثير للإعجاب. الهيئة نفسها، الصوت نفسه، بل وحتى الإيماءات والحركات، نفسها لكننى ظللت غير مقتنع، وهكذا قررت أن أضعه تحت الاختبار، عندما كان نيك بمدرسة لوريتو كان كابتن فريق الكريكيت، وكان راميًا جيدًا وسريعًا. هذا الرجل يعلم هذا ولكن عندما ذكرته بذلك بأننى كنت حارس الفريق لم يرفع حاجبًا على سبيل الدهشة أو التعجب. كان هذا هو خطأه الأول. لم يسبق لى أن لعبت الكريكيت فى المدرسة، وكنت أنفر من هذه اللعبة، وكنت عضوًا فى فريق الراجبى، فى الصف الثانى فى الهجوم - وهو ما لا يعد أمرًا مدهشًا - وهو ما قد لا يكون مفاجئًا - لذلك فقد ابتعدت مغادرًا، ولكن بقيت مع هذا أتساءل ما إذا كان قد نسى، وهكذا عدت إليه لأخبره بنبأ حزين وهو وفاة سكويفى هامفريز، وأن المدينة كلها مشت فى جنازته، فقال الرجل: "خسارة، كان مدربًا رائعًا"، وكان ذلك هو خطأه الثانى. فقد كان سكويفى هامفريز مدير السكن الطلابى الذى كنا نقيم به، وكان يحكم الطلاب بالحديد والنار؛ حتى أننا كنا نمتلئ منه رعبًا. لم يكن هناك أى احتمال لأن يكون قد نسى السيد سكويفى هامفريز. أنا لا أعرف من ذلك الرجل الذى كان موجوداً بفندق دورتشيستر، ولكن يمكننى أن أخبركم بأمر واحد مؤكد أنه ليس نيكولاس مونكريف".

سأل بين: "إذن فمن هو هذا الشيطان؟".

قال كريج: "أنا أعرف من هو على وجه التحديد، والأهم

من ذلك أننى بوسعى إثبات الأمر".

قام دانى بتحديث جميع ملفاته. لم يكن هناك شك أنه قد جرح بين، وأنه أعاق دافنبورت وشله تمامًا، ولكنه لم يكد يمس سبنسر كريج، فيما عدا تأخير موعد تقلده منصب ممثل الادعاء، والآن قد كشف دانى عن نفسه لهم، وسيدرك ثلاثتهم من المسئول عن انهيارهم.

عندما كان دانى ما يزال مجهولاً لهم، كان قادرًا على أن يلتقط خصومه وأن يتعامل معهم كلاً على حدة، بل وأن ينتقى الأرض التى سيحاربهم عليها، لكن لم تعد هذه الميزة ملكًا له، والآن هم واعون بوجوده كل الوعى، مما يجعله للمرة الأولى مكشوف الجانب أمامهم ومعرضًا لأى هجمة. سيرغبون فى الانتقام منه بالمثل، ولا يحتاج دانى لمن يذكره بما حدث فى المرة الأخيرة التى تعاونوا فيها معًا كفريق واحد.

تمنى دانى أن يتمكن من هزيمة ثلاثتهم من قبل أن يكتشفوا حقيقة من يناصبونه العداء. أمله الوحيد الآن أن يقدمهم للمحكمة. لكن هذا سيكون معناه الكشف عن أن نيك هو من قتل فى الحمام بسجن بيلمارش، وليس هو، وإن كان عليه أن يجازف بكشف هذا فلابد أن يكون التوقيت صحيحًا مائة فى المائة.

خسر دافنبورت منزله ولوحاته الفنية الثمينة، وقد تم إلغاء دوره فى مسلسل هولبى سيتى حتى من قبل أن يكمل اختبار الشاشة. انتقل ليقيم بشقة أخته فى تشاين ووك، وهو ما جعل دانى يشعر بالذنب لأول مرة؛ وتساءل كيف سيكون رد فعل سارة إن هى اكتشفت الحقيقة.

صار بين على وشك الإفلاس، ولكن هول قال إن أمه قد تكفله، وفى الانتخابات التالية مازال بوسعه أن يصير عضوًا

موقرًا عن منطقة ساسكس سنترال.

وهكذا لم يخسر كريج أى شىء مقارنة بصديقيه، وبالطبع لم يبد أى علامة على الندم. لم يكن لدى دانى أى شك من ناحية أى من الفرسان سيقود الهجوم المضاد عليه.

أعاد دانى الملفات الثلاثة إلى أماكنها على الرف. كان قد خطط من قبل لخطوته التالية، والتى كان واثقًا من أنها ستلقى بهم ثلاثتهم وراء قضبان السجن. سوف يمثل أمام أعضاء مجلس اللوردات الثلاثة كما طلب منه السيد ردماين، وسوف يقدم الدليل الجديد اللازم لاتهام كريج بجريمة القتل، ولاتهام بين بمشاركته فى الجريمة، ودافنبورت بتقديم شهادة زور أدت إلى إرسال رجل برىء إلى السجن، عقابًا على جريمة لم يرتكبها.

٦٨

خرجت بيث من قلب ظلمة محطة أنفاق نايتسبريدج. كانت فترة ما بعد ظهيرة مشرقة وصافية، كانت الأرصفة مزدحمة بالمتفرجين على واجهات المتاجر والخارجين لتناول غداء هذا اليوم.

كان آليكس ردماين فى غاية اللطف والدعم معها على مدار الأسابيع الماضية، وعندما تركته منذ أقل من ساعة كانت تشعر بثقة لا مثيل لها، تلك الثقة التى جعلت تتلاشى الآن، بينما كانت تسير باتجاه منطقة بولتونز، حاولت أن تتذكر كل ما قاله لها آليكس.

كان نيك مونكريف رجلاً نبيلاً صار صديقًا مخلصًا لدانى عندما كانا مسجونين معًا. وقبل عدة أسابيع من إطلاق سراحه كتب مونكريف رسالة إلى آليكس يعرض فيها القيام بأى شىء من شأنه أن يساعد دانى، الذى كان ببراءته التامة.

قرر آليكس أن يضع هذا العرض موضع الاختبار، وبعد إطلاق سراح مونكريف كتب إليه يطلب منه أن يلقى نظرة على يومياته التى كتبها فى السجن، جنبًا إلى جنب مع أى

ملاحظات أو رسائل موجزة تتعلق بالمحادثة المسجلة على شريط والتى جرت بين كل من آلبرت كران وتوبى مورتيمر. وأنهى آليكس الرسالة بسؤاله إن كان يوافق على المثول أمام المحكمة، وتقديم شهادته.

المفاجأة الأولى كانت عندما أرسلت اليوميات إلى مكتب آليكس فى الصباح التالى، والمفاجأة الثانية كانت الشخص الذى جاء بها، لقد كان آلبرت كران، والذى كان متعاونًا إلى أقصى حد ممكن، وأجاب عن جميع أسئلة آليكس، ولم يحتفظ إلا حينما سأله عن سبب عدم رغبة سيده فى المثول أمام المحكمة - ففى الحقيقة، لم يفكر حتى فى أن يظهر فى جلسة غير علنية مع السيد ردماين فى المكتب. افترض آليكس أنه ولابد شئ يتعلق برغبة مونكريف فى تجنب أية مواجهة مع الشرطة حتى ينتهى من إتمام فترة مراقبته، بعد إطلاق سراحه المشروط. غير أن آليكس لم يكن مستعدًا لأن ييأس من المحاولة بهذه السهولة. بينما يتناولان الغداء استطاع أن يقنع بيث بأنها إذا استطاعت أن تجعل مونكريف يغير رأيه ويوافق على تقديم شهادة أمام أعضاء مجلس اللوردات فلعل هذا يكون العامل الحاسم فى تبرئة سمعة واسم دانى.

قالت له بيث مبتسمة: "لا مشكلة فى هذا"، ولكنها الآن وهى وحدها قد بدأت تشعر بأن ثمة مشكلة وثمة ثقلاً يتزايد مع كل خطوة تخطوها.

أراها آليكس صورة فوتوغرافية لمونكريف وحذرها من أنها عندما تراه للمرة الأولى قد تظن لوهلة أنها تقف أمام دانى. لكن عليها أن تركز ولا تسمح لهذا التشابه بأن يشتت انتباهها.

انتقى آليكس اليوم المناسب، بل والساعة المحددة، التى يمكن لهذا اللقاء أن يحدث خلالها: حوالى الساعة الرابعة من بعد ظهيرة يوم الأحد. شعر بأن نيك لابد وأن يكون أكثر

استرخاء وفراغًا فى ذلك الوقت ، وأقل منعة أمام فتاة يائسة تظهر فجأة على عتبة بيته.

عندما تركت بيث الطريق الرئيسى وسارت نحو حى البولتونز، صارت خطواتها أكثر تباطؤًا. الشىء الوحيد الذى جعلها تتابع سيرها نحو الأمام هو تبرئة اسم دانى. دارت حول الحديقة شبه الدائرية حتى بلغت المنزل رقم ١٢. قبل أن تفتح البوابة الأمامية للحديقة راحت تتدرب على الكلمات التى أعدتها مع آليكس. اسمى بيث ويلسون، وأعتذر عن مجيئى بلا موعد فى أصيل يوم إجازة، ولكن أعتقد أنك تقاسمت الزنزانة مع دانى كارترايت، والذى كان.....

عندما انتهى دانى من قراءة المقال الثالث الذى أوصاه البروفيسيور مورى بقراءته، كان قد بدأ يشعر بأن ثقته قد زادت قليلا لمواجهة أستاذه. انتقل إلى قطعة كتبت قبل نحو العام بقلم جيه. كيه جالبريث حول نظرياته عن الاقتصاد مخفض الضرائب، وما يسفر عنه من....عندما دق جرس الباب. أطلق لعنة، لقد ذهب آل الضخم لمشاهدة مباراة ويست هام مع شيفيلد يونايتيد. أراد دانى أن ينضم إليه، ولكنهما اتفقا كلاهما على أنه لا يمكنه المجازفة بذلك، ويمكن له أن يزور أبتون بارك فى الموسم التالى؟ أعاد انتباهه من جديد نحو ما كتبه جالبريث، على أمل أن ينصرف من يطرق الباب أيًا كان، وعندئذ دق الجرس للمرة الثانية.

نهض واقفًا على مضض ودفع مقعده للوراء. من يكون هذا الطارق فى هذه الساعة؟ أحد جامعى التبرعات الخيرية أم مندوب مبيعات بارد وملمع الهيئة؟ أيًا كان من بالباب فقد أعد بالفعل جملته الأولى ليرد بها على من قاطعه هكذا يوم إجازة. نزل الدرج بسرعة وسار مسرعًا على طول الممر، على

أمل أن يتخلص من الطارق قبل أن يتشتت تركيزه. دق الجرس للمرة الثالثة.

فتح الباب بشدة.

"اسمى بيث ويلسون، وأعتذر عن مجيئى بلا موعد فى أصيل يوم إجازة...".

حدق دانى ناظرًا نحو المرأة التى طالما أحبها. لقد فكر بشأن هذه اللحظة فى كل يوم على مدى العامين الماضيين، وبشأن ما الذى سيقوله لها. وقف أمامها جامدًا غير قادر على النطق.

شحب وجه بيث، وراحت ترتجف. وقالت: "مستحيل".

أجاب دانى بينما يأخذها بين ذراعيه: "بل حقيقة يا حبيبتى".

حدث هذا بينما جلس رجل فى سيارة على الجانب المقابل من الطريق أخذ يلتقط الصور الفوتوغرافية لهما.

"السيد مونكريف؟".

"من المتصل؟".

"اسمى سبنسر كريج. أنا محام، ولدى عرض أقدمه لك".

"وما قد يكون عرضك هذا يا سيد كريج؟".

"إن كان بمقدورى أن أعيد إليك ثروتك، ثروتك الشرعية، فكم يساوى هذا فى ظنك؟".

"حدد السعر أنت".

"خمس وعشرون بالمائة".

"فى هذا مبالغة شيئا ما".

"سوف تستعيد أملاكك فى أسكتلندا، وسوف تطرد الساكن الحالى من منزلك فى حى بولتونز، وسوف تسعيد المبلغ الكامل الخاص بعملية بيع مجموعة الطوابع النادرة الخاصة بوالدك، ناهيك عن ملكية إضافية لمنزل فاخر فى لندن أظنك لا تعرف

عنه شيئًا، وأن تستعيد حساباتك المصرفية فى جينيف ولندن؟ كلا، لا أعتقد أن فى الأمر أى مبالغة على الإطلاق يا سيد مونكريف. بل فى الحقيقة، إنه سعر معقول للغاية عندما يكون البديل الوحيد هو صفرًا كبيرًا".

"ولكن كيف يمكن هذا؟".

"ما إن نوقع عقدًا معًا يا سيد مونكريف فسوف تستعيد ثورة والدك من جديد".

سأل هوجو فى ريبة: "ولن تكون هناك أية أتعاب أو مصاريف خفية؟".

فوعده كريج قائلاً: "كلا لا توجد أية أتعاب أو مصاريف خفية. بل فى الحقيقة سوف أمنحكم علاوة إضافية أظن أنها سوف تسر السيدة مونكريف".

"وما هى؟".

"وقع العقد، وبحلول مثل هذا الوقت فى الأسبوع القادم ستنال زوجتك لقب الليدى مونكريف".

٦٩

سأل كريج: "هل التقطت صورة لساقة؟".

أجاب بين: "ليس بعد".

"أعلمنى ما إن تقوم بهذا".

قال بين: "انتظر، إنه خارج الآن من المنزل".

سأل كريج: "ومعه سائقه؟".

"كلا، مع المرأة التى دخلت إلى المنزل بعد ظهر أمس".

"صفها لى".

"فى أواخر العشرينات من عمرها، طولها خمس أقدام، نحيفة ولها شعر بنى قوام ملفوف. قد دخلا الآن إلى المقعد الخلفى من السيارة".

قال كريج: "ابق خلفهما، وأبلغنى بالمكان الذى سيقصدانه". وضع سماعة الهاتف، وأدار كمبيوتره وأظهر صورة فوتوغرافية لبيث ويلسون، ولم يندهش حينما رأى أنها مطابقة للوصف السابق، ومع ذلك، اندهش لاستعداد كارترايت بأن يجازف مثل تلك المجازفة، فهل اعتقد الآن أنه صار منيعًا ولا يمكن قهره؟".

ما إن يحصل بين على صورة فوتوغرافية للساق اليسرى

لكارترايت، فسيحدد كريج موعدًا من المحقق الرقيب فولر. وعندئذ سوف يتنحى جانبًا ليدع لرجال الشرطة مهمة القبض على المجرم الهارب وشركائه".

أنزل آل الضخم دانى أمام مدخل الجامعة. وبعد أن قبلته بيث وثب نازلاً من السيارة وصعد مهرولاً درجات السلم المؤدى للمبنى.

لقد تبددت جميع خططه بقبلة واحدة، تبعتها ليلة لم يغمض له فيها جفن. عندما أشرقت الشمس فى الصباح التالى، صار دانى يعرف أنه لن يستطيع أن يعيش حياة تخلو من بيث، حتى ولو كان معنى هذا مغادرة البلاد والاضطرار للسفر إلى الخارج.

خرج كريج من مبنى المحكمة بينما كان المحلفون يتشاورون فى القرار الواجب اتخاذه. صعد درجات مبنى محكمة أولد بيلى واتصل ببين على هاتفه المحمول.

سأله: "إلى أين وصلا؟".

"ذهب كارترايت إلى جامعة لندن. إنه يدرس للحصول على درجة فى دراسات إدارة الأعمال هناك".

"ولكن منكريف حاصل بالفعل على درجة جامعية فى اللغة الإنجليزية".

"صحيح، ولكن لا تغفل أن دانى عندما كان فى سجن بيلمارش اجتاز امتحانى المستوى الرفيع فى كل من الرياضيات ودرسات إدارة الأعمال".

قال كريج: "هذا خطأ صغير آخر ظن صاحبنا أن أحدًا لن ينتبه إليه، وبعد ذلك إلى أين أخذ السائق الفتاة بعد أن تركهما

كارترايت؟".

"توجها نحو منطقة الإيست إند....".

قال كريج: "رقم سبعة وعشرين، بيكون رود، منطقة بو".

"وكيف عرفت؟".

"إنه عنوان منزل بيث ويلسون، صديقة كارترايت – كانت معه فى تلك الليلة بالزقاق، ألا تتذكر؟".

رد باين بسرعة: "كيف لى أن أنسى؟".

تجاهل كريج اندفاعه الصغير، وسأله: "هل نجحت فى التقاط صورها لها؟".

"بل عدة صور".

"جيد، ولكن مازلت بحاجة لصورة لقدم كارترايت اليسرى فوق الركبة تمامًا قبل أن أستطيع زيارة المحقق الرقيب فولر". تفقد كريج ساعة يده. وأضاف: "من الأفضل أن أعود للمحكمة بسرعة. لن يستغرق المحلفون وقتًا طويلاً حتى يجدوا موكلى مذنبًا. أين أنت فى هذه اللحظة؟".

"أمام المنزل رقم سبعة وعشرين فى بيكون رود".

قال كريج: "ابق بعيدًا عن الأعين، فسوف تتعرف تلك المرأة عليك من مبعدة مائة ياردة. سأتصل بك ما إن ترفع الجلسة".

⊸○⊷

فى أثناء استراحة الغداء، قرر دانى أن يتمشى قليلاً وأن يتناول شطيرة قبل أن يحضر محاضرة البروفيسور مورى، وحاول أن يتذكر النظريات الست الخاصة بأدم سميث فى حالة ما إن توقف إصبع البروفيسور مورى المحلق حولهم فوق رأسه هو مشيرًا إليه. ولم يلاحظ رجلاً يجلس إلى مقعد طويل على الجانب الآخر من الطريق، وإلى جانبه كاميرا.

⊸○⊷

بعد أن رفعت الجلسة بدقائق معدودة اتصل كريج بهاتف بين.

قال بين: "لم تغادر المنزل لمدة تزيد على الساعة، وعندما خرجت منه كانت تحمل حقيبة كبيرة".

سأل كريج: "وإلى أين ذهبت؟".

"ذهبت إلى مقر عملها فى شارع ماسون بوسط المدينة".

"وهل أخذت الحقيبة معها؟".

"كلا، تركتها فى حقيبة السيارة".

"وهكذا يبدو أنها تنوى البقاء فى منزل بولتونز لهذه الليلة على الأقل".

سأل بين: "يبدو الأمر كذلك أم تعتقد أنهما يخططان للهرب من البلاد؟".

"ليس من المحتمل أن يفكرا فى هذا إلا بعد الموعد الأخير لكارترايت مع مسئول مراقبته صباح الخميس، حينها سيكون قد أتم فترة عقوبته".

"مما يعنى أنه ليس لدينا إلا ثلاثة أيام أخرى لنجمع كل الأدلة التى نحتاج إليها".

"وما الذى فعله هو بعد الظهر؟".

"غادر الجامعة عند الرابعة مساء، وعاد إلى حى بولتونز. دخل منزله ولكن السائق غادر مجددًا على الفور. تبعته فى حالة ما إذا كان سيجلب الفتاة".

"وهل فعل هذا؟".

"نعم أخذها من العمل وقاد بها السيارة حتى المنزل".

"وماذا عن الحقيبة؟".

"حملها إلى داخل المنزل".

"لعلها تظن أنه من الآمن لها أن تستقر بالمنزل حاليًا. هل ذهب هو للركض؟".

قال بين: "إن كان قد ذهب فلابد أنه فعل ذلك بينما كنت

أتتبع الفتاة".

قال كريج: "لا تهتم بها غدا، من الآن فصاعدا ركز على كارترايت، لأننا إذا كنا نرغب فى التخلص منه فليس هناك إلا أمر واحد له أهمية".

قال بين: "الصورة الفوتوغرافية. ولكن ماذا لو لم يذهب للركض فى صباح الغد؟".

قال كريج: "إنه سبب أدعى لأن تتجاهل الفتاة وتبق وراءه هو، وفى هذه الأثناء سأطلع لارى على المستجدات".

"هل يقوم بأى شىء ليكسب قوته؟".

قال كريج: "ليس الكثير، ولكننا لا نستطيع أن نحتمل خصومته طالما مازال يقيم مع شقيقته".

كان كريج يحلق ذقنه عندما دق جرس الهاتف. فأطلق لعنة ناقمًا.

"لقد غادرا المنزل معًا".

"إذن فلم يذهب ليمارس الركض هذا الصباح؟".

"ليس بعد الساعة الخامسة صباحًا، سأعاود الاتصال بك إن طرأ أى تغيير على روتينه اليومى".

أغلق كريج الهاتف وأكمل حلاقته. جرح نفسه، فأطلق اللعنات من جديد.

عليه أن يكون فى المحكمة فى تمام العاشرة صباحًا، حيث سيصدر القاضى حكمه فى قضية السطو المعقدة والمستفحلة. على الأغلب سيحكم على موكله بالسجن لمدة سنتين، على الرغم من أنه طلب أن توضع فى الاعتبار جنحه الثلاث والعشرون الأخرى.

مسح كريج ذقنه ببعض مرطب لما بعد الحلاقة وهو يفكر بشأن التهم التى سيواجهها كارترايت فى النهاية: الهرب من سجن بيلمارش منتحلاً شخصية سجين آخر، سرقة مجموعة

الطوابع النادرة والبالغ قميتها أكثر من خمسين مليون دولار، تحرير شيكات مزورة فى حسابين بنكيين، مع الوضع فى الاعتبار حوالى ثلاث وعشرين جنحة أخرى يجب وضعها فى الاعتبار. ما إن يتفحص القاضى هذا القدر من التهم، فإن كارترايت لن يرى نور الشمس إلا وكل طموحه هو أن يتلقى معاش العجائز من خريجى السجون، ورأى كريج أن الفتاة هى الأخرى سوف تواجه حكمًا بالسجن لفترة طويلة من أجل مساعدة وتحريض مجرم، وبعد أن يتبينوا ما كان كارترايت يخطط للقيام به منذ أن فر من السجن، فلن يتحدث أحد عن مسألة منحه العفو. بل إن كريج كان قد بدأ يشعر بالثقة فى أن رئيس مجلس اللوردات سيعاود الاتصال به وأنه هذه المرة سيقدم له عصير الكرز، بينما يتحادثان حول المستوى المتدهور للعبة الكريكيت الإنجليزية.

◄○►

قال آل الضخم: "إننا مراقبون".

سأله دانى: "ما الذى يجعلك تظن ذلك؟".

"لاحظت سيارة تتبعنا بالأمس. وهى خلفنا الآن أيضا".

"انعطف عند أول تقاطع ولنر إن كان مازال معنا".

أومأ آل الضخم، ودون أى تنبيه انعطف فجأة نحو اليسار.

سأله دانى: "هل مازال يتبعنا؟".

قال آل الضخم وهو يتفقد المرآة العاكسة: "كلا، لقد ممض فى طريقه".

"أى نوع من السيارات كانت؟".

"فورد موندو سوداء داكنة".

سأل دانى: "كم يوجد منها فى اعتقادك بلندن؟".

زمجر آل الضخم. كرر قائلاً وهو يتوجه صوب منطقة بولتونز: "لقد كان يتتبعنا".

قال دانى: "سأذهب للركض. وسوف أبلغك إن رأيت أى شخص يتتبعنى".

غير أن آل الضخم لم يضحك على هذه الدعابة.

قال بين: "لقد اكتشف سائق كارترايت أننا نراقبه، وهكذا لم يكن أمامى خيار آخر إلا أن أبتعد بسيارتى وأغيب عن أعينهم خلال ما تبقى من اليوم. أنا فى طريقى الآن إلى إحدى شركات تأجير السيارات لأستبدل بسيارتى سيارة أخرى، وسوف أعود للمهمة مع طلوع النهار، ولكننى سأكون أكثر حرصًا فى المستقبل ذلك لأن سائق كارترايت حذق للغاية، وأنا واثق أنه سبق له العمل فى الشرطة أو الجيش، مما يعنى أنه سيكون على تغيير السيارة يوميا".

سأله كريج: "ما الذى قلته لتوك؟".

"سيكون على تغيير .....".

"لا، قبل ذلك".

"أنا واثق أن سائق كارترايت سبق له العمل فى الشرطة أو الجيش".

قال كريج: "هذا مؤكد، فلا تنس أنه سائق مونكريف الذى سجن معه هو وكارترايت فى الزنزانة نفسها".

قال بين: "صحيح، إنه كران، آلبرت كران".

"يعرف باسم آل الضخم. لدى إحساس بأن المحقق الرقيب فولر سيقع على قضية مثل الكنز".

سأل بين: "هل تريدنى أن أعود هذا المساء وأن أتأكد من هذا الأمر؟".

"كلا. قد يتضح أن كران مجرد مكافأة إضافية، ولكننا لا يمكننا أن نجازف باكتشافه أننا نتتبعهم. ابتعد تمامًا حتى ما بعد ظهيرة الغد، لأنك لابد وأن تتأكد الآن أن كران سيكون فى انتظارك ومفتشًا عنك. بعد أن يوصل كارترايت إلى المنزل

ويذهب لإحضار فتاته، فى ذلك الحين سوف تجد كارترايت ذاهبًا لممارسة الركض".

-o-

بينما كان دانى سائرًا فى الردهة قدم له البروفيسيور مورى التحية وهو يتحدث مع بعض الطلاب ممن كانوا يقدمون امتحاناتهم.

قال له: "بعد عام من الآن يا نيك، ستخوض امتحاناتك النهائية". كان دانى قد نسى كل النسيان كم صار أمامه قليل من الوقت قبل امتحاناته النهائية، ولم يهتم بأن يخبر البروفيسور مورى بأنه لا يعلم فى أى مكان بالعالم سيكون موجودًا بعد عام من الآن. أضاف البروفيسيور قائلاً: "وعندها سأتوقع منك أشياء عظيمة".

"أتمنى أن أكون عند حسن ظنك".

قال مورى: "سيكون توقعى فى محله، على الرغم من أنك نموذج لشخص يتلقى تعليمًا خارج المسار الرئيسى ثم يكتشف أن لديه الكثير للحاق به. أعتقد أنك سوف تكتشف يا نيك ذلك الأمر عندما يحين الوقت لاجتياز امتحاناتك، لن تنجح وحسب بل وسوف تتفوق على أغلب أقرانك".

قال دانى: "هذا إطراء جميل يا بروفيسيور".

قال البروفيسيور بينما يحول انتباهه إلى طالب آخر: "أنا لا أطرى أحدًا".

سار دانى خارجا نحو الشارع فوجد آل الضخم يفتح له الباب الخلفى للسيارة: "هل هناك أى شخص يراقبنا اليوم؟".

فقال آل الضخم وهو يتخذ مجلسه وراء عجلة القيادة: "كلا يا زعيم".

لم يقل دانى لآل الضخم أنه اعتقد أنه من الممكن تمامًا أن يكون هناك شخص يتتبعهما. وتساءل كم سيمضى من الوقت

قبل أن يكتشف كريج الحقيقة، إن لم يكن قد اكتشفها بالفعل حتى الآن. لم يكن دانى يحتاج إلا يومين آخرين قبل أن تكتمل فترة مراقبته، وعندئذ سيطلع العالم بأكمله على الحقيقة. عندما توقفا فى منطقة بولتونز، وثب دانى خارجًا من السيارة واتجه للمنزل.

سألته مولى بينما يصعد الدرج: "أترغب فى بعض الشاى؟".

"لا أريد، شكرًا لك، سأذهب للركض".

خلع دانى ثيابه وارتدى الملابس المخصصة للركض.قرر أن يمدد فترة الركض هذا اليوم بما أنه كان يحتاج لبعض الوقت ليفكر فى لقائه بآليكس ردماين فى الصباح التالى، بينما كان يهرول فى طريقه نحو الباب الخارجى رأى آل الضخم يشق طريقه إلى المطبخ، بلا شك لكى يتناول قدحًا من الشاى مع مولى قبل أن يغادر ليجلب بيث. راح دانى يركض ركضًا خفيفًا إلى جانب الطريق باتجاه منطقة إمباركمنت، انطلق الأدرينالين يتدفق فى عروقه بعد أن ظل جالسًا أغلب النهار يستمع إلى المحاضرات.

بينما كان يمر بمنطقة تشاين ووك تجنب النظر نحو شقة سارة، حيث يعلم أن شقيقها يعيش حاليًا. إن كان قد قام بذلك لرأى رجلاً آخر وتعرف على شخصه يقف بالنافذة المفتوحة ويلتقط له صورًا. واصل دانى ركضه نحو ميدان البرلمان، وعندما مر بمدخل سانت ستيفين لمجلس العموم تذكر أمر بين وتساءل ترى أين هو الآن.

كان يقف على الجانب المقابل من الطريق مركزًا عدسة الكاميرا، محاولاً أن يبدو كأحد السياح ممن يلتقطون الصور لساعة بيج بن.

◄○►

سأل كريج: "هل حصلت على صورة لصاحبنا وهو بثيابه

الرياضية؟".

أجاب بين: "بل صورًا عديدة تكفى لإقامة معرض خاص بها".

"أحسنت فعلاً. أحضرها إلى بيتى الآن، ويمكننا أن نلقى نظرة عليها أثناء العشاء".

قال بين: "بيتزا مرة أخرى؟".

"ليس لوقت طويل. ما إن يدفع لنا هوجو مونكريف فسوف نتخلص من كارترايت، وعلاوة على هذا سنجنى ربحًا طيبًا فى الوقت ذاته، وهو أمر أنا واثق تمامًا أنه لم يكن جزءًا من خطته طويلة المدى".

"لست واثقًا إن كان دافنبورت يستحق المليون الخاص به".

"أوافقك، ولكنه مازال مصدر إزعاج، ولا نريده أن يفتح فمه فى الوقت غير المناسب، وخصوصًا الآن وهو يقيم لدى سارة. أراك قريبا يا جيرالد".

وضع كريج سماعة الهاتف، وصب لنفسه شرابًا وفكر بشأن ما الذى سيقوله قبل أن يتصل بالرجل الذى ظل يتطلع لتبادل الحديث معه طيلة الأسبوع.

قال عندما أجاب الهاتف: "أيمكننى أن أتحدث مع المحقق الرقيب فولر؟".

أجاب صوت: "تقصد المفتش فولر، من يتصل به؟".

"سبنسر كريج، محام".

"سأصلك به يا سيدى".

"سيد كريج، لقد مضى وقت طويل منذ آخر مرة سمعت فيها صوتك. ليس من الممكن أن أنسى المرة الأخيرة التى اتصلت بى فيها".

قال كريج: "ولا أنا، وهذا هو سبب اتصالى نفسه هذه المرة أيضًا، يا حضرة المفتش - تهانينا بالمناسبة".

قال فولر: "شكرا لك، ولكننى لا أعتقد أن هذا هو السبب

الوحيد لاتصالك".

قال كريج ضاحكًا: "أنت على حق، ولكن لدى معلومة قد تقرب ترقيتك إلى منصب رئيس مباحث".

قال فولر: "كلى آذان صاغية".

"ولكن علىّ أن أوضح فى البداية يا حضرة المفتش أنك لم تتلق أى معلومات منى. أنا واثق أنك سوف تتفهم السبب فى ذلك ما إن تتبين الأمر. أفضل عدم التحدث بهذا الشأن على الهاتف".

قال فولر: "بالطبع، ما المكان والموعد المناسبان للقاء؟".

"نلتقى فى شيرلوك هولمز الثانية عشرة والربع غدًا؟".

قال فولر: "مناسب للغاية. أراك عندها سيد كريج".

وضع كريج سماعة الهاتف ورأى أن عليه أن يجرى اتصالاً آخر قبل أن يصل جيرالد بين، ولكن قبيل أن يلتقط السماعة، دق جرس الباب، عندما فتحه وجد بين يقف بالمدخل المسقوف وهو يبتسم ابتسامة واسعة. لم يكن قد رآه على هذه الدرجة من السرور لفترة طويلة من الوقت. مر بيين بجانب كريج دون أن يتفوه بكلمة واحدة، وسار نحو المطبخ وهو يضع ست صور فوتوغرافية على الطاولة.

نظر كريج نحو الصور وفهم على الفور ما السر وراء كل هذا الاختيال والرضا الباديان على بين. فوق ركبة الساق اليسرى لدانى مباشرة كانت هناك ندبة تكاد تمحى، ولكنها كانت واضحة بما فيه الكفاية بحيث ترى بالعين المجردة.

قال كريج: "هذا هو الدليل الذى يحتاج إليه فولر". والتقط سماعة هاتف المطبخ لكى يتصل برقم فى أسكتلندا.

أجابه صوت: "هوجو مونكريف".

قال كريج: "قريبًا ستكون السير هوجو مونكريف".

٧٠

"كما تعرف يا نيكولاس سيكون هذا لقاؤنا الأخير".

"صحيح يا آنسة بينيت".

"لم نكن على الدوام متفقين تمام الاتفاق ولكن أشعر بأن كلاً منا خاض التجربة بسلامة وأمان".

"أتفق معك يا آنسة بينيت".

"عندما تخرج من هذا المبنى للمرة الأخيرة، ستكون رجلاً حرًا، وقد أكملت فترة مراقبتك".

"نعم يا آنسة بينيت".

"ولكن قبل أن أستطيع توقيع الأمر رسميًا لدى بضعة أسئلة لك".

"بالطبع يا آنسة بينيت".

التقطت أحد الأقلام من على المكتب ونظرت نحو القائمة الطويلة من الأسئلة التى تطلب وزارة الداخلية الإجابة عنها قبل أن يتم إعفاء السجين نهائيًا.

"هل تتعاطى حاليا أية مخدرات؟".

"كلا يا آنسة بينيت".

"هل وقعت تحت أى إغراء مؤخرًا بارتكاب جريمة ما".

"لا يا آنسة بينيت".

"خلال العام الماضى هل اختلطت بأى من المجرمين

المعروفين؟".

قال دانى: "كلا يا آنسة بينيت، ليسوا مجرمين معروفين". تطلعت الآنسة بينيت نحوه فواصل:"ولكننى توقفت عن الاختلاط بهم، وليس لدى أى رغبة لمعاودة الالتقاء بهم إلا فى المحكمة".

قالت الآنسة بينيت وهى تضع علامة صح أمام الخانة المقصودة: "كم يريحنى أن أسمع ذلك، أمازلت لديك مكانًا تعيش فيه؟".

"نعم، ولكننى أتوقع الانتقال منه قريبًا جدًا". ارتفع القلم من جديد فواصل: "إلى مكان آخر كنت قد عشت فيه من قبل، وهو أمر مسموح به رسميًا". ترك القلم علامة أخرى.

"هل تعيش حاليًا مع أسرتك؟".

"نعم، أعيش معهم".

تطلعت الآنسة بينيت من جديد وقالت له: "المرة الأخيرة التى سألتك فيها هذا السؤال يا نيكولاس أخبرتنى بأنك تعيش بمفردك".

"لقد تصالحنا وتصافينا".

قالت، وهى تعلم بالقلم للمرة الثالثة: "كم يسعدنى سماع ذلك يا نيكولاس".

"هل هناك من تعوله؟".

"نعم، ابنتى كريستى".

"إذن، فهل تعيش حاليا مع زوجتك وابنتك؟".

"بيث وأنا مازلنا مخطوبين، وبمجرد الانتهاء من تسوية مشكلة أو اثنتين مازال علىَّ أن أتعامل معهما، فإننا نخطط للزواج قريبًا جدًا".

قالت الآنسة بينيت: "يسعدنى سماع ذلك، قد يمكن للجنة إطلاق السراح المشروط تقديم يد العون فى تسوية تلك المشكلات؟".

"هذا لطف بالغ منك يا آنسة بينيت، ولكننى لا أظن ذلك. وعلى الرغم من هذا فلدى بالفعل موعد مع محامى فى صباح الغد، وآمل أن يكون بمقدوره أن يساعدنى على تسوية الأمور".

قالت الآنسة بينيت وهى تعود إلى أسئلتها: "أرى هذا، هل لدى خطيبتك عمل بدوام كامل".

قال دانى: "نعم، لديها. إنها مساعدة شخصية لرئيس شركة سيتى للتأمين".

"وهكذا ما إن تجد عملاً ستصيران زوجين مكونين أسرة ذات دخلين".

"نعم، ولكن فى المستقبل القريب سيكون راتبى أقل من راتبها".

"ولماذا؟ ما العمل الذى تتمنى أن تشغله؟".

قال دانى: "أتوقع أن أحصل على وظيفة أمين مكتبة فى مؤسسة كبيرة".

قالت الآنسة بينيت: "لا يمكننى أن أفكر فى شىء أفضل من هذا". ثم رسمت علامة صح أخرى على خانة جديدة وانتقلت إلى السؤال التالى: "هل تفكر فى السفر إلى الخارج فى المستقبل القريب؟".

قال دانى: "ليس لدى أى خطط للقيام بهذا".

قالت الآنسة بينيت: "وأخيرًا، هل أنت قلق من ناحية أنك فى وقت من المستقبل قد ترتكب جريمة أخرى؟".

طمأنها قائلاً: "لقد اتخذت قرارًا سوف يجعل ذلك الخيار مستحيلاً بالنسبة لى خلال المستقبل القريب".

قالت له الآنسة بينيت وهى تضع علامة صح الخانة الأخيرة: "يسرنى سماع ذلك. هكذا تكتمل أسئلتى. شكرًا لك يا سيد نيكولاس".

"شكرا لك يا آنسة بينيت".

قالت وهى تنهض من وراء مكتبها: "أتمنى حقًا أن يكون بمقدور محاميك أن يحل لك تلك المشكلات التى تزعجك".

قال دانى وهما يتصافحان: "هذا لطف بالغ منك يا آنسة بينيت، لنتمنى هذا".

"وفى أى وقت تشعر بأنك فى حاجة لأى نوع من المساعدة أو العون، لن يكلفك الأمر سوى مكالمة هاتفية واحدة".

قال دانى: "أظن أنه من المحتمل للغاية أن أحدهم سوف يتصل بك بهذا الخصوص قريبًا للغاية".

قالت الآنسة بينيت: "أتطلع للسماع منهم، وأرجو أن يمضى كل شىء على ما يرام معك أنت وبيث".

قال دانى: "شكرًا لك".

"إلى اللقاء يا نيكولاس".

"إلى اللقاء يا آنسة بينيت".

فتح نيكولاس مونكريف الباب وخرج إلى الشارع رجلاً حرًا. ومن الغد سيكون دانى كارترايت.

"أمازلت مستيقظة؟".

قالت بيث: "نعم".

"أمازلت تأملين أن أغير رأيى؟".

"نعم، ولكنى أعرف أنه لا جدوى من محاولة إقناعك يا دانى. لقد كنت دائمًا معاندًا لا تلين. آمل فقط أن تدرك أنه إذا اتضح أنه القرار الخطأ فقد تكون هذه ليلتنا الأخيرة معًا".

قال دانى: "ولكن إن كنت محقًا، ستكون لدينا عشرة آلاف ليلة مثل ليلتنا هذه".

"ولكن نستطيع أن نحظى بعمر كامل من الليالى المماثلة بدون أن تضطر للمجازفة على هذا النحو".

"لقد جازفت هذه المجازفة فى كل يوم منذ خروجى من

السجن، ليس لديك أى فكرة يا بيث عما يكون عليه الأمر عندما تتلفتى من حولك على الدوام فى انتظار أن يصيح أحدهم : "لقد انتهت اللعبة أيها الصبى دانى، ستعود إلى السجن من جديد لتقضى فيه ما تبقى من عمرك"، ولكن على الأقل بهذه الطريقة قد يكون هناك شخص ما على استعداد لأن يستمع إلى روايتى أنا لما حدث".

"ولكن ما الذى يقنعك بأن هذه هى الطريقة الوحيدة لإثبات براءتك؟".

قال دانى: "أنت التى أقنعتنى بذلك، عندما رأيتك تقفين بعتبة الباب – وتقولين : أنا آسفة على إزعاجك يا سير نيكولاس" ـ محاكيًا طريقتها فى الحديث بسخرية – "أدركت عندها أننى لم أعد أريد أن أكون السير نيكولاس. أنا دانى كارترايت، وأحب بيث بيكون من منطقة ويلسون رود".

ضحت بيث على الخلط بين اسمها واسم الحى السكنى وقالت: "لا أتذكر متى كانت آخر مرة ناديتنى فيها بهذا".

"عندما كنت فتاة بضفائر فى الحادية عشرة من عمرها ومتسخة الثياب".

استراحت بيث على الوسادة ولم تتحدث بأى شىء لبعض الوقت. تساءل دانى إن كانت قد استغرقت فى النوم، حتى تناولت يده وقالت : "ولكن مازال من المحتمل أن تقضى ما تبقى من عمرك فى السجن".

قال دانى: "كان لدى وقت أكثر من كاف للتفكير فى هذا الشأن، وقد اقتنعت أننى إذا توجهت إلى قسمٍ الشرطة بصحبة آليكس ردماين وأسلمت نفسى - بالإضافة إلى هذا المنزل وكذلك ممتلكاتى محلها، والأهم من هذا كله، إلى جانبك أنت، ألا تعتقدين أن يمر بخاطر أى إنسان أننى قد أكون بريئًا؟".

قالت بيث: "أغلب الناس لن يكون لديهم هذا الاستعداد لتحمل هذه المجازفة، سيكونون سعداء للغاية أن يقضوا ما

تبقى من حياتهم بصفتهم السير نيكولاس مونكريف، مع هذا العز كله الذى تتقلد فيه".

"ولكن هذه هى المسألة على وجه التحديد يا بيث، أنا لست السير نيكولاس مونكريف، إننى دانى كارترايت".

"وأنا لست بيث مونكريف، ولكننى أفضل أن أكون هكذا أكثر من أن أمضى العشرين عامًا التالية أزورك فى سجن بيلمارش أول أحد من كل شهر".

"ولكن لن يمر بك يوم واحد دون أن تتلفتى من حولك، ودون أن تسىء فهم أهون الإشارات والإيماءات، وتعملى على تجنب أى شخص قد يكون يعلم دانى أو حتى نيك. ومن يمكنك أن تتقاسمى سرك معه؟ أمك؟ أمى؟ أصدقاؤك؟ والإجابة هى لا أحد. وما الذى سنقوله لكريستى عندما تكبر بما يكفى لتدرك؟ هل نتوقع منها أن تعيش حياة من الكذب والخداع، دون أن تعرف أبدًا من هما والداها؟ كلا، إن كان هذا هو البديل، فإننى أفضل أن أجازف هذه المجازفة. وعلى كل حال، إذا ما صدق أعضاء مجلس اللوردات الثلاثة كلامى وآمنوا بقضيتى بما يكفى لأن يصدروا عفوًا ملكيًا، ربما سوف يرون بأن موقفى أكثر قوة إذا ما كنت مستعدًا لأن أسلم نفسى وأثبت برائتى".

"أعلم أنك على حق يا دانى، غير أن الأيام القليلة الماضية كانت أسعد ايام حياتى".

"وأنا كذلك يا بيث، ولكنها ستكون أيامًا أسعد عندما أصير رجلا حرا. لدى إيمان بالقدر كاف لأن يجعلنى أظن أن آليكس ردماين، وفريزر مونرو، وحتى سارة دافنبورت لن يستريحوا حتى يتأكدوا من إحقاق الحق وإقرار العدالة".

قالت بيث وهى تمر بأصابعها فى شعره: "لعلك مغرم بسارة دافنبورت، ألست كذلك؟".

ابتسم لها دانى: "لابد أن أعترف بأن السير نيكولاس مونكريف قد أغرم بها، أما دانى كارترايت فلا وألف لا،

بالمرة".

قالت: "لمَ لا نمضى يومًا آخر معا، ونجعله يومًا لا يمكن نسيانه. بما أَنه قد يكون يومنا الأخير من الحرية، سأدعك تفعل فيه ما تشاء".

قال دانى: "لنبق فى المنزل معًا ونكتفى بهذا".

تنهدت بيث وهى تبتسم وتقول: "هؤلاء هم الرجال دائمًا".

"يمكننا أن نأخذ كريستى إلى حديقة الحيوانات فى الصباح. ثم نتناول الغداء فى مطعم رامزى للأسماك والبطاطس".

سألت بيث: "وبعد ذلك؟".

"سوف أذهب إلى آبتون بارك لأتفرج على ممباراة فريق ويست هام يونايتيد...بينما تعيدى أنت كريستى إلى والدتك".

"وفى المساء؟".

"يمكنك أن تختارى الفيلم الذى تفضلينه ... بشرط أن يكون فيلم جيمس بوند الجديد".

"وبعد ذلك؟".

قال وهو يأخذها بين ذراعيه: "وبعد ذلك سيكون من أمرنا ما كان طوال ليالى هذا الأسبوع".

قالت بيث: "فى هذه الحالة فإننى أفضل أن نلتزم بالخطة الأولى، وأن تحرص على أن تكون فى الموعد تمامًا مع آلكيس ردماين فى صباح الغد".

قال دانى : "لا أطيق صبرًا لرؤيته وجهه عندما نلتقى. إنه يظن أن لديه موعدًا مع السير نيكولاس مونكريف لمناقشة يومياته واحتمال أن يجعله يغير رأيه ويوافق على الظهور بصفته شاهدًا، وفى الحقيقة سيجد نفسه وجهًا لوجه أمام دانى كارترايت، الذى يريد أن يسلم نفسه للعدالة".

قالت بيث: "سوف يسعد آليكس كل السعادة، لم يتوقف عن

القول: "لو أتيحت لى فقط فرصة ثانية".

"حسن، إنه على وشك أن يحظى بها. ويمكننى أن أقول لك يا بيث أننى لا أطيق صبرا ذلك اللقاء، لأنه سيجعلنى حرًا حقًا للمرة الأولى منذ أعوام". انحنى دانى نحوها وقبلها برقة.

همست له بيث: "هذا أمر آخر سيكون عليك الاعتياد على الحرمان منه خلال الأشهر القادمة"، وفى اللحظة نفسها صدر صوت ضجة تشبه التصفيق من الطابق الأرضى.

أشعل دانى الضوء المجاور للفراش، وهو يقول: "ترى ما مصدر هذا الصوت فى هذا الوقت؟". سمع أصوات خطوات ثقيلة تصعد الدرج. ما كاد يدلى قدميه من الفراش حتى رأى ثلاثة من ضباط الشرطة بستراتهم الرسمية حاملين للهراوات يقتحمون الغرفة، ووراءهم ثلاثة آخرن. قام أول ثلاثة بشل حركة دانى وألقوا به على الأرض، رغم أنه لم يبد أى محاولة للمقاومة. دفع اثنان منهم وجهه نحو السجادة بينما لوى ثالثهما ذراعيه وراء ظهره وقيد يديه بزوجين من الأصفاد. بركن عينيه، كان بوسعه أن يرى شرطية تثبت بيث إلى الجدار، بينما شرطية أخرى تضع فى يديها الأصفاد.

صاح فيهما مندفعًا ومنهارًا: "إنها لم تفعل أى شىء!"، ولكن قبل أن يتمكن من السير لخطوة واحدة أخرى ارتطمت برأسه هراوة بضربة قوية جدًا فانبطح على الأرض.

ووثب فوقه رجلان منهم، ضغط أحدهم بركبته على منتصف عموده الفقرى والآخر جلس فوق ساقيه. عندما دخل المفتش فولر إلى الغرفة، قاموا بجذب دانى ليقف على من ساقيه.

بعد أن انتهوا من طقوس القبض، قام واقفًا وسار نحو دانى.

قال ووجوههم على مبعدة بوصات قليلة: "لقد حان الوقت يا كارترايت، وهذه المرة سوف أحرص على أن أجعلهم يلقون

بالمفتاح فى النهر. أما عن فتاتك فلا مزيد حتى من زيارات يوم الأحد، لأنها ستكون مغلقًا عليها فى أمان بسجنها الخاص".

اندفع دانى يقول: "بأى تهمة؟".

"مساعدة مجرم هارب من العدالة والتستر عليه. العقوبة المعتادة ما يقرب من الست سنوات، إن كنت أتذكر بدقة. خذوهما".

تم جر كل من دانى وبيث على الدرج وكأنهما جواليا من البطاطس وخرجوا بهما من الباب الأمامى حيث كانت بانتظارهم ثلاث من سيارات الشرطة، تومض بالضوء، مفتوحة الأبواب. اشتعلت أضواء غرف النوم فى كل بيوت الميدان الفخم بينما استيقظ جميع الجيران من نومهم ليختلسوا النظر من نوافذهم إلى ما يجرى فى المبنى رقم ١٢.

ألقوا بدانى إلى المقعد الخلفى من السيارة التى فى المنتصف، وأحاط به ضابطان واحد عن كل جانب، وهو لا تغطيه إلا منشفة كبيرة. كان بوسعه أن يرى آل الضخم يقاسى المعاملة نفسها فى السيارة التى أمامه. غادرت السيارات الميدان فى موكب، دون أن تتجاوز السرعة المسموح بها، ودون أن تطلق السارينات. كان المفتش فولر مسرورًا لأن العملية بكاملها لم تستغرق أكثر من عشر دقائق. كانت مصادره قد أعطته معلومات صحيحة حتى أدق التفاصيل.

مرت بعقل دانى فكرة واحدة فقط. من ذا الذى سيصدقه عندما يقول لهم إنه كان على موعد مع محاميه فى الصباح التالى مباشرة، حيث كان ينتوى أن يسلم نفسه أمام السلطات فى أقرب قسم شرطة؟

٧١

قالت والدة آليكس له: "ليتك وصلت مبكرًا قليلاً".

قال آليكس: "هل الأمر بهذا السوء؟".

أجابته أمه: "بل أسوأ مما تتخيل، لابد أن تدرك وزارة العدل أن القضاة عندما يتقاعدون ويعودون إلى منازلهم لا يجدون أمامهم من يحكمون عليه إلا زوجاتهم البريئات".

سألها آليكس وهو يدخل إلى غرفة الجلوس: "بماذا توصينهم إذن؟".

"لابد من إطلاق الرصاص على القضاة فى أعياد ميلادهم السبعين، ويصدر عفو ملكى لزوجاتهم ويمنحون معاشاتهم مع الشكر القومى".

قال آليكس مقترحًا: "قد أستطيع التوصل إلى حل مقبول بدرجة أكثر".

"مثل ماذا؟ أن يكون من القانونى مساعدة زوجات القضاة على الانتحار؟".

قال آليكس: "بل أمر أقل درامية من هذا، لا أعرف إن كان حضرة القاضى قد أخبرك أم لا، ولكننى أرسلت إليه تفاصيل إحدى القضايا التى أعمل عليها حاليًا، وبصراحة لا يمكننى متابعتها بدون نصائحه".

"إن خيب أملك يا آليكس فلن أطعمه بعد الآن".

قال آليكس وأبوه يدخل إلى الغرفة: "إذن فإن عندى فرصة كبيرة".

سأل الرجل العجوز: "فرصة لأى شىء؟".

"فرصة لأن أتلقى بعض العون فى قضية...".

سأله والده وهو ينظر عبر النافذة: "قضية كارترايت؟".

أومأ آليكس فقال والده: "نعم، لقد أنهيت لتوى قراءة صور المستندات. وفى حدود ما أراه حتى الآن لم يعد هناك جرائم أخرى كثيرة لم يرتكبها الفتى: القتل، الهرب من السجن، سرقة خمسين مليون دولار، تحرير شيكات لحسابين بنكيين لا يملكهما، بيع مجموعة طوابع نادرة ليست ملكه، السفر للخارج باستخدام جواز سفر شخص آخر، بل وحتى انتحال لقب شريف يحق شرعًا أن يرثه شخص آخر. لا يمكن للمرء حقًا أن يندهش إن عاملته الشرطة أسوأ معاملة ممكنة".

سأل آليكس: "أيعنى هذا أنك غير مستعد لمعاونتى؟".

قال القاضى السابق ردماين: "أنا لم أقل ذلك" وهو يلتفت لمواجهة ابنه: "بل على العكس، أنا فى خدمتك، لأنه إذا كان هناك أمر واحد مؤكد فسيكون هو أن دانى كارترايت برىء".

الكتاب الخامس

سداد الديون

٧٢

جلس دانى كارترايت على المقعد الخشبى الصغير بقفص الاتهام وانتظر دقات الساعة العاشرة وقت بدء المحاكمة. راح يتطلع نحو قاعة المحكمة ورأى محاميه الاثنين مستغرقين فى حديث عميق، بانتظار أن يظهر القاضى.

فى وقت مبكر من هذا الصباح أمضى دانى ساعة مع آليكس ردماين وكيله بغرفة المقابلات بالطابق الأرضى من المحكمة، وقد قام المحاميان بما يستطيعان حتى يطمئنانه، ولكنه كان يعلم تمام العلم أنه على الرغم من براءته من تهمة قتل بيرنى، فإنه لا دفاع لديه أمام تهم النصب، والسرقة، والخداع والهرب من السجن؛ وهى جرائم عقوبتها مجتمعة من ثمانى إلى عشر سنوات بإجماع الآراء، بداية من خبراء الجرائم والقضايا المسجونين فى سجن بيلمارش إلى المتخصصين الحقيقيين بالقانون والعقوبات الذين يلعبون أدوارهم هنا فى محكمة أولد بيلى.

لا يحتاج دانى لأن يخبره بأحد أنه إذا أضيفت تلك العقوبة إلى عقوبته الأصلية فلن يخرج من سجن بيلمارش إلا فى جنازته.

كان المكان المخصص لجلوس الصحافة والإعلام على يسار دانى مكتظًا بالصحفيين، وقد فتحوا دفاتر ملحوظاتهم

وأشهروا أقلامهم كما لو أنهم بانتظار أن يصلوا للرقم ألف فى تلك الأعمدة التى كتبت بالفعل خلال الشهور الستة الماضية. قصة حياة دانى كارترايت، الرجل الوحيد الذى تمكن من الهرب من سجن بريطانى مشدد الحراسة، والذى سرق أكثر من خمسين مليون دولار من بنك سويسرى بعد أن باع مجموعة من الطوابع النادرة ليست ملكه، وانتهى الأمر بالقبض عليه فى حى بولتونز فى الساعات الأولى من الصباح بينما كان راقدًا إلى جوار خطيبته (هذا ما ورد فى صحيفة التايمز)، أو بين ذراعى صديقة الطفولة الفاتنة (كما ورد فى صحيفة ذا صن). لم تتفق الصحف على أن دانى كان يعتبر امتدادًا لأى من السارق سكارليت بيمبرنال أم لجاك السفاح. خلبت القصة ألباب الجمهور على مدى شهور، وكان الإقبال على حضور اليوم الأول من المحكمة أكثر من الإقبال على العرض الافتتاحى لإحدى مسرحيات الويست إند، وقد بدأت الصفوف تتكون أمام مدخل محكمة أولد بيلى من الرابعة فجرًا فى ذلك الصباح للدخول إلى قاعة تتسع لأقل من مائة مقعد ونادرًا ما كانت تمتلئ عن آخرها. اتفق أغلب الناس على أن دانى كاراترايت من المرجح أن يقضى ما تبقى من حياته فى سجن بيلمارش وليس فى حى بولتونز.

آليكس ردماين، وكيله القاضى السابق الموقر ماثيو ردماين المستشار العام سابقًا، قد بذلا غاية جهدهما لمساعدة دانى خلال الشهور الستة الماضية، بينما كان دانى محتجزًا فى زنزانة أصغر من دولاب أدوات التنظيف الخاصة بمولى، ورفض كلاهما أن يتقاضيا ولو مليمًا واحدًا عن خدماتهما، على الرغم من أن السير ماثيو قد حذره إنهما إذا استطاعا أن يثبتا للمحكمة أن الأرباح والمنافع التى اكتسبها خلال العامين

الماضيين تحق له هو وليس لهوجو مونكريف، فسوف ينتهى به الأمر بدفع فاتورة باهظة لهما علاوة على النفقات، هذا على سبيل التذكير لا أكثر. كان هذا واحدا من الأوقات القليلة التى انطلق فيها ثلاثتهم فى الضحك.

تم إطلاق سراح بيث بكفالة فى الصباح التالى للقبض عليها. ولم يندهش أحد من أن كلاً من دانى وآل الضخم حرما من المعاملة نفسها.

كان السيد جينكينز بانتظارهما فى بيلمارش ليقدم لهما التحية، وحرص باسكو على أن يتقاسما الزنزانة نفسها، وفى غضون شهر استلم دانى من جديد وظيفته السابقة كأمين مكتبة السجن، تمامًا كما أخبر الآنسة بينيت. وتم وضع آل الضخم فى أعمال المطبخ، وعلى الرغم من أن الطعام لم يكن يقارن بطهى مولى، فإن كلاً منهما كان يحصل على أفضل الخيارات السيئة المتاحة بالسجن.لم يحاول آليكس ردماين ولو لمرة واحدة أن يذكر دانى كارترايت بأنه لو كان قد استمع لنصيحته وأقر بذنبه وارتكابه القتل الخطأ فى المحاكمة الأولى لكان الآن رجلاً حرًا، يدير ورشة سيارات ويلسون، ومتزوجًا من بيث ويعينها على كفالة الأسرة، ولكن رجل حر بأى المعانى؟ كان يمكن لآليكس أن يسمعه يطرح هذا السؤال.

كما كان هناك أيضًا لحظات عابرة من النصر فى ظل تلك الكارثة، هكذا أراد القدر أن تكون الأمور. نجح آليكس ردماين فى إقناع المحكمة بأنه على الرغم من أن بيث مذنبة على المستوى النظرى بالتهمة التى وجهت إليها، فإنها لم تعلم بأن دانى مازال حيًا إلا من أربعة أيام فقط، وأنهما كانا بالفعل قد حددا موعدًا لمقابلة آليكس ردماين فى مكتبه فى الصباح نفسه الذى ألقى فيه القبض عليهما. حكم عليها القاضى بالسجن لمدة ستة شهور مع إيقاف التنفيذ. منذ ذلك الحين كانت تقوم بزيارة بيلمارش يوم الأحد الأول من كل شهر.

غير أن القاضى لم يتحل بهذه الدرجة من الرأفة عندما تعلق الأمر بالدور الذى لعبه آل الضخم فى المؤامرة. أشار آليكس فى مرافعته الأولى أن موكله، آلبرت كران، لم يجن أى مكسب مالى من ثروة مونكريف، فيما عدا تلقيه لراتبه الشهرى بوصفه السائق الخاص لدانى بينما سمح له بالنوم فى غرفة صغيرة بالطابق الأرضى من منزل بولتونز. أما ممثل الادعاء، السيد آرنولد بيرسون، فقد قام بتفجير قنبلة صغيرة لم يتأهب آليكس للرد عليها فى حينها.

"هل يمكن للسيد كران أن يفسر لنا كيف تم إيداع مبلغ عشرة آلاف جنيه فى حسابه الخاص بعد أيام معدودة من إطلاق سراحه من السجن؟".

لم يكن لدى آل الضخم أى تفسير، وحتى لو كان لديه، لم يكن ينوى أن يخبر بيرسون من أين جاء ذلك المال.

فلم تتعاطف معه هيئة المحلفين.

أرسل القاضى آل الضخم إلى السجن بحكم خمس سنوات أخرى – أى ما تبقى من حكمه السابق. حرص دانى بسرعة على أن يكون حسن السير وسلوك بالسجن، وهكذا كان يتصرف بمنتهى الالتزام خلال فترة احتجازه. والتقارير المشرفة التى أعدها الضابط راى باسكو، وصدق عليها مأمور السجن، كانت تعنى أن آل الضخم سيتم إطلاق سراحه خلال أقل من العام. سوف يفتقده دانى، على الرغم من أنه واثق أنه إذا ألمح لهذا الأمر كثيرًا فلن يتردد آل الضخم عن التورط بمشكلات ليحرص على البقاء فى بيلمارش حتى يتم إطلاق سراح دانى نهائيًا.

فى زيارة بيث يوم الأحد كان لديها خبر واحد طيب.

"أنا حبلى".

قال دانى وهو يحتضنها: "أبهذه السرعة؟".

قالت بيث: " لنأمل أن يكون أخًا لكريستى".

"إن كان صبيًا فسوف نسميه بيرنى".

قالت بيث: "كلا، بل سوف نسميه...." انطلقت صافرة معلنة انتهاء وقت الزيارة قبل أن تكمل بيث عبارتها.

قال دانى عندما كان يقوده باسكو من جديد إلى زنزانته: "هل لى أن أطرح سؤالاً؟".

أجابه باسكو: "بالطبع، ولا يعنى هذا أننى سوف أجيب عنه".

"لقد كنت تعلم بالأمر من البداية، أليس كذلك؟". ابتسم باسكو، ولكنه لم يجبه.

بينما بلغا الزنزانة سأله دانى: "ما الذى جعلك واثقًا لهذه الدرجة أننى لست نيك؟".

أدار باسكو المفتاح فى قفل الزنزانة ودفع الباب الثقيل. دخل دانى، مفترضا أن باسكو لن يجيب سؤاله، ولكن عندئذ أومأ باسكو إلى الصورة الفوتوغرافية الخاصة ببيث التى لصقها على الجدار.

قال دانى وهو يهز رأسه: "إلهى. لم أنزع صورتها بالمرة عن الجدار".

ابتسم باسكو، وخرج للردهة وأغلق الباب بقوة.

تطلع دانى ببصره نحو المقصورة المخصصة لحضور العامة والجمهور ليرى بيث، فى شهرها السادس من الحمل، وتنظر للأسفل نحوه مبتسمة الابتسامة نفسها التى يذكرها جيدًا من أيام الملعب فى مدرسة كليمنت آتلى الشاملة، الابتسامة نفسها التى يعرف أنها سوف تبقى كما هى حتى آخر أيامه، بصرف النظر عن طول المدة التى سيعلنها القضاة حكمًا عليه.

على كلا جانبى بيث جلست والدتها ووالدة دانى، نموذج للمساندة التى لا تتزحزح. كما جلس فى المقصورة أيضًا

الكثيرون من أصدقاء دانى وداعميه من حى الإيست إند ممن يستعدون للموت فى سبيل إثبات براءته. استقرت عينا دانى على البروفيسيور آميرخان مورى، صديق أوقات الشدة، قبل أن تنتقلا إلى شخص آخر يجلس فى نهاية الصف، لم يتوقع أن يراه مرة أخرى. انحنت سارة دافنبورت من على شرفة المقصورة وابتسمت نحوه.

فى مقصورة المحامين كان آليكس ووالده مازالا مستغرقين فى الحديث. خصصت صحيفة التايمز صفحة كاملة للأب والابن اللذين ظهرا معًا كفريق دفاع فى القضية. كانت تلك هى المرة الثانية فقط فى التاريخ التى يعود فيها أحد القضاة السابقين للعب دور المحامى، وبالطبع كانت المرة الأولى التى يعرفها أى شخص والتى قاد فيها ابن والده فى الدفاع بإحدى القضايا.

تجددت الصداقة بين دانى وردماين خلال الشهور الستة الماضية، وقد أدرك دانى أنهما سيظلان صديقين مقربين لبقية حياتيهما. اتضح أن والد آليكس من المعدن نفسه الخاص بالبروفيسيور مورى – معدن نفيس ونادر. كلا الرجلين كانا متعاطفين كل التعاطف: البروفيسيور مورى على صعيد مواصلة التعلم، والسير ماثيو فى مضمار العدالة. وكان من شأن حضور القاضى العجوز فى قاعة المحكمة كمحامٍ أن دفع جميع المحامين والصحفيين الساخرين للتفكير بمزيد من الحذر فى جوانب تلك القضية، غير أنهم ظلوا متحيرين إلى أى مدى قد اقتنع بأن دانى كارترايت قد يكون بريئًا.

أما ممثل الادعاء السيد آرنولد بيرسون ووكيله جلسا على الطرف الآخر من المقعد الطويل المخصص للمحامين، وراحا يراجعان مرافعة الادعاء سطرًا بعد سطر مع إجراء التعديلات العرضية الصغيرة. كان دانى مستعدًا لكلماته التى ستسقط سمًا عندما ينهض بيرسون من مكانه ويخبر المحكمة بأن

المتهم ليس فقط مجرمًا آثمًا وخطيرًا، بل لا يوجد له إلا مكان أوحد وحيد يمكن للمحكمة أن ترسله إليه على مدى ما تبقى من عمره.

كان أليكس ردماين قد أخبر دانى أنه لا يتوقع إلا ثلاثة شهود للمثول أمام القاضى: رئيس المباحث فولر، وسير هوجو مونكريف وفريزر مونرو. غير أن آليكس ووالده حرصا على أن يتم استدعاء شاهد رابع. وقد نبه آليكس دانى إلى أن يفعل كل ما وسعه أن يفعله لمنع أى شىء يحاول أى قاضٍ يُعين القيام به حيال القضية.

لم يكن من المفاجئ بالنسبة لسير ماثيو أن يستدعى القاضى السيد هاكيت كلاً من طرفى الدفاع إلى غرفته قبل بدء الإجراءات، ليحذرهما من أى إدارة للدفة نحو أى دليل أو شهادة تخص جريمة القتل الأولى، أو الحكم الذى توصلت إليه هيئة المحلفين وصدق عليه بعدها القضاة الثلاثة عند استئناف الدعوى، وواصل مؤكدًا أنه يجب ألا يحاول أى من الطرفين الإشارة إلى ضم محتويات شريط تسجيل معين باعتباره دليلاً، أو الإشارة لأسماء كل من سبنسر كريج، ممثل الادعاء البارز حاليًا، وجيرالد بين، الذى تم انتخابه عضوًا برلمانيًا، أو الممثل المعروف لورانس دافنبورت، الذى لابد أن هذا سيثير نقمته ولابد أن يتوقعوا منه ملاحقة قانونية.

كان من المعروف فى الدوائر القانونية أن كلاً من القاضى السيد هاكيت والسير ماثيو ردماين لم يتبادلا الحديث إلى بعضهما البعض خلال الثلاثين عامًا المنصرمة. عندما كان كلاهما محاميًا قد كسب السير ماثيو الكثير للغاية من القضايا أمام المحاكم الابتدائية مما لا يدع أى مجال للشك أى منهما الأكثر تفوقًا كمحام. كانت الصحافة ووسائل الإعلام تتمنى أن تشتعل من جديدٍ نار منافستهما القديمة ما إن تبدأ المحاكمة.

تم اختيار هيئة المحلفين فى اليوم السابق، وهم الآن بانتظار أن يتم استدعاؤهم للدخول إلى قاعة المحكمة ليستمعوا إلى أقوال الشهود قبل أن يتوصلوا للقرار النهائى فى قضية المملكة ضد دانيال آرثر كارترايت.

٧٣

راح القاضى السيد هاكيت يمسح قاعة المحكمة بعينيه تمامًا كما يفعل رامى الكرة فى مباراة الكريكيت حين يتفقد الملعب ليعرف مواضع اللاعبين ليطاردهم. استقرت نظرته على السير ماثيو ردماين، الذى كان متحفزًا فى الملعب بانتظار الكرة الافتتاحية. لم يكن أى من اللاعبين الآخرين يسبب للقاضى أهون توجس أو قلق، غير أنه كان يعرف أنه لن يكون بمقدوره أن يسترخى طالما بقى سير ماثيو فى صوب مرمى الكرة.

وجه انتباهه نحو اللاعب الأول فى فريق الادعاء، السيد آرنولد بيرسون ممثل الادعاء وغير المعروف باندفاعه فى اللعب والمبادرات.

"سيد بيرسون، هل أنت مستعد لمرافعتك الافتتاحية؟".

أجاب بيرسون وهو ينهض ببطء من مكانه: "إننى مستعد يا سيادة القاضى". راح يمسك طيات عباءته ويمس قمة شعره المستعار العتيق، ثم وضع الملف على منصة صغيرة مرتفعة قليلاً وشرع يقرأ الصفحة الأولى كما لو أنه لم يرها من قبل.

شرع يقول، وهو يسلط نظره بين الاثنى عشر مواطنًا الذين تم اختيارهم لإصدار الحكم فى هذه القضية. "اسمى آرنولد

بيرسون، وسوف أكون ممثلاً لجلالة الملكة فى هذه القضية، وسوف يقوم بمساعدتى السيد دافيد سيمس. والدفاع سيقوده السيد آليكس ردماين مع مساعدة السير ماثيو ردماين".

سلطت كل الأعين الموجودة بقاعة المحكمة نحو الرجل العجوز المتهدل بركن المقعد ويبدو وكأنه سوف يستغرق فى نوم عميق.

واصل بيرسون قائلاً: "أعضاء هيئة المحلفين، هناك خمسة اتهامات موجهة للمتهم. أولى هذه التهم هو أنه قد فر بكامل إرادته من سجن بيلمارش، السجن مشدد الحراسة فى جنوب شرق لندن، بينما كان يقضى فترة عقوبة عن جريمة سابقة".

"التهمة الثانية هى أن المتهم قد سرق من السير هوجو مونكريف عقارًا ضخمًا فى أسكتلندا وهو قصر يضم أربع عشرة غرفة نوم، تحيط به أرض صالحة للزراعة تبلغ مساحتها اثنى عشر ألف فدان".

"التهمة الثالثة أنه سكن منزلاً، وبالتحديد المنزل رقم ١٢ فى حى بولتونز، لندن، إس دابليو ٣ وهو ليس ملكًا له".

"التهمة الرابعة تتعلق بسرقته مجموعة فريدة من طوابع البريد النادرة ثم قام ببيعها بمبلغ أكثر من خمس وعشرين مليون جنيه".

"والتهمة الخامسة هى أن المتهم قد حرر شيكات وسحبًا من رصيد مصرفى فى بنك كاوتس بستراند، لندن، وحول المال إلى حساب خاص فى سويسرا، وليس من حقه التصرف فى أى من الحسابين، وأنه تربح بالقيام بهذا".

"سوف تثبت النيابة أن جميع الاتهامات الخمسة مرتبطة ببعضها البعض، وقد ارتكبها شخص واحد، وهو المتهم دانيال كارترايت، والذى كان ينتحل شخصية السير نيكولاس مونكريف، أى الوريث والمستفيد الشرعى والحقيقى من وصية الراحل السير آلكسندر مونكريف، ومن أجل إثبات هذا أيها السيدات والسادة أعضاء هيئة المحلفين، سيكون علىَّ أولاً أن

أعود بكم إلى سجن بيلمارش لأعرض عليكم كيف صار بمقدور المتهم أن يضع نفسه فى وضعية تتيح له ارتكاب كل تلك الجرائم الوقحة. وللقيام بهذا قد يتعين علىَّ أن أشير للجريمة الأولى التى سجن بسببها كارترايت".

وهنا قاطعه القاضى هاكيت بصرامة وحزم قائلاً: "لن تقوم بشىء مثل هذا، فالجريمة الأولى التى ارتكبها المتهم لا صلة لها بالجرائم المعروضة على المحكمة الآن. لذا فلا تشير إلى القضية السابقة إلا إذا كنت قادرًا على إظهار صلة مباشرة وواضحة بينها وبين قضيتنا هذه". كتب السير ماثيو الكلمات، صلة مباشرة وواضحة. "هل حديثى واضح بما فيه الكفاية يا سيد بيرسون؟".

"لا شك فى هذا يا سيادة القاضى، وإننى أعتذر. لقد كان هذا تقصيرًا منى".

قطب السير ماثيو حاجبيه. سيضطر آليكس لعمل مجادلة بارعة لكى يثبت أن الجريمتين متصلتان إن لم يرغب فى استفزاز غضبة القاضى هاكيت فلا يقاطعة بينما هو فى منتصف تدفقه وحماسته. وقد سبق للسير ماثيو أن فكر فى هذا الشأن تفكيرًا وافيًا.

أضاف بيرسون وهو يقلب الصفحة التالية من ملفه: "سوف أكون أكثر حرصًا فى المستقبل".

تساءل آليكس ما إذا كان بيرسون قد أبدى الخضوع والإذعان من البداية المبكرة على أمل أن يقف القاضى فى صفه من عليائه، بما أنه يعلم تمام العلم أن قرار القاضى أكثر نفعًا للادعاء بكثير من الدفاع.

واصل بيرسون قائلاً: "أعضاء هيئة المحلفين، أود منكم أن تتذكروا الجرائم الخمس لأننى بصدد أن أعرض لكم كيف أنها تتداخل وتتشابك ببعضها البعض، وبالتالى لا يمكن إلا أن يكون ارتكبها الشخص نفسه: المتهم، دانيال كارترايت".

أمسك بيرسون طيات عباءته مرة أخرى قبل أن يتابع قائلاً: "إن السابع عشر من يونيه لعام ٢٠٠٢ كان يومًا من الصعب أن يمحى من ذاكرتكم، بما أنه تاريخ فوز إنجلترا على الأرجنتين فى كأس العالم". سره أن يرى كم من أعضاء هيئة المحلفين يبتسمون فى تذكر. فواصل "فى ذلك اليوم، وقعت مأساة أليمة بسجن بيلمارش، وهو السبب الذى أوجدنا جميعنا اليوم هنا، بينما كانت الغالبية العظمى من السجناء فى الطابق الأرضى يتابعون مباراة كرة القدم على التليفزيون، اختار أحد السجناء تلك اللحظة لينتحر. كان هذا الرجل هو نيكولاس مونكريف، والذى شنق نفسه فى دورة مياه السجن. خلال العامين السابقين على هذا، تقاسم نيكولاس مونكريف الزنزانة مع سجينين آخرين، أحدهما هو المتهم دانيال كارترايت".

"كان كلا الرجلين فى الطول نفسه تقريبا، ولم يفصل بينهما فى العمر إلا بضعة شهور. والحقيقة أنهما كانا متشابهين فى المظهر بحيث أنهما فى الزى الموحد للسجن يتم الخلط بينهما وكأنهما شقيقان توأم. سيادة القاضى، بعد إذن سيادتكم، سوف أقوم عند هذه النقطة بتوزيع صور فوتوغرافية لكل من مونكريف وكارترايت على هيئة المحلفين، بحيث يمكن لهم أن يروا بأعينهم مقدار التشابه ما بين الرجلين".

أومأ القاضى موافقًا وتناول حاجب المحكمة مجموعة من الصور الفوتوغرافية من مساعد بيرسون. ناول اثنتين منهما إلى القاضى، قبل أن يوزع الصور المتبقية على أعضاء هيئة المحلفين. انحنى بيرسون للوراء حتى يتأكد من أن كل عضو من المحلفين أخذ وقته الكافى ليتأمل الصورتين. وما إن تأكد من ذلك، قال: "سأصف لكم الآن كيف قام كارترايت باستغلال هذا التشابه، وقص شعره وغير من لكنته، وانتهز فرصة الموت المأساوى لنيكولاس مونكريف، انتهازًا يرجو من ورائه الربح بلا أى شك. وعلى الرغم من ذلك، وكما هو الحال مع جميع

الجرائم المريعة، فقد كان بحاجة لشىء من الحظ".

"تجلى نصيبه الأول من الحظ فى أن مونكريف قد طلب من كارترايت أن يعتنى بسلسلة فضية معلق بها مفتاح، وخاتم مرسوم عليه شعار أسرته، وساعة يد نقش عليها الحرفان الأولان من اسمه، وقد كان يضع تلك الأشياء طيلة الوقت ولا يخلعها إلا عندما يذهب للاستحمام. ونصيبه الثانى من الحظ أن مونكريف كان لديه شريك فى المؤامرة موجود فى المكان المناسب فى الوقت المناسب".

"والآن، يا أعضاء هيئة المحلفين قد تسألون كيف أمكن لكارترايت والذى كان يقضى حكمًا بالسجن لاثنتين وعشرين سنة عقابًا على جريمة....".

نهض آليكس واقفًا على قدميه معترضًا عندما قال القاضى: "لا تمض أكثر فى هذا السبيل، يا سيد بيرسون، إلا إذا كنت تختبر مدى صبرى عليك".

قال بيرسون: "إننى أعتذر" وقد أدرك أن أى عضو فى هيئة المحلفين لم يتسن له أن يتابع التغطية الصحفية على مدى الشهور الستة الماضية صار يعرف الآن بكل تأكيد ما الجريمة الأولى التى عوقب عليها كارترايت بهذا الحكم الطويل.

"كما كنت أقول إنكم قد تسألون كيف أمكن لكارترايت الذى يقضى عقوبة سجن باثنين وعشرين عامًا، أن يكون بمقدوره أن يستبدل بهويته هوية شخص آخر كان محكومًا عليه بالسجن لثمانية أعوام، والأهم من هذا أنه كان من المقرر إطلاق سراحه خلال ستة أسابيع. بالطبع كان اختبار الحامض النووى (الدى إن إيه) سيكشف الحقيقة، وغالبًا ما كانت فصيلة الدم مختلفة، وعدم التطابق فى سجلاتهما. وهنا جاء نصيبه الثانى من الحظ، لأن هذا كله ما كان من المحتمل أن يحدث إن لم يكن لدى كارترايت شريك هو آلبرت كران، الرجل الثالث الذى تقاسم الزنزانة مع كل من مونكريف وكارترايت. ما إن

سمع بشأن مسألة الانتحار فى الحمام حتى بدل الاسمين فى ملفات السجلات الطبية للمستشفى، بحيث يتأكد الوهم بأن من انتحر هو كارترايت وليس مونكريف".

"بعد أيام قليلة أجريت الجنازة فى دار عبادة سانت مارى بمنطقة بو، حيث حضر أفراد العائلة المقربون للمتهم، بمن فيهم أم طفلته، حيث اقتنعت بأن الجسد الذى تم دفنه هو جسد دانيال كارترايت".

"قد تتساءلون أى نوع من الرجال على استعداد لأن يخدع حتى أفراد أسرته؟ سأقول لكم أى نوع من الرجال. إنه هذا الرجل". مشيرًا نحو دانى وواصل: " بل قد بلغت به الوقاحة أن يحضر جنازته منتحلاً شخصية نيكولاس مونكريف بحيث يشهد دفنه ويتأكد من أنه سيفلت بفعلته".

ومن جديد انحنى بيرسون للوراء بحيث يمكن لمغزى كلماته أن يغوص عميقًا فى عقول هيئة المحلفين. واصل قائلاً: "ارتدى كارترايت على الدوام ساعة يد مونكريف، خاتمه الذى يحمل شعار الأسرة والسلسلة الفضية المعلق بها مفتاح، من أجل أن يخدع طاقم الحراسة وزملاءه السجناء فيصدقوا أنه فى الحقيقة نيكولاس مونكريف، الذى لم يكن أمامه إلا ستة أسابيع من حكمه ليخدمها بالسجن".

وفى يوم السابع عشر من يوليو ٢٠٠٢ خرج دانيال كارترايت من الباب الرئيسى لسجن بيلمارش كرجل حر، على الرغم من العشرين عامًا الأخرى المتبقية من فترة عقوبته. فهل اكتفى بأن يهرب من السجن؟ كلا. فقد استقل على الفور أول قطار إلى أسكتلندا بحيث يطالب كاذبًا بحقه فى ممتلكات وعقارات عائلة مونكريف، ثم يرجع إلى لندن فيقيم فى منزل المدينة الخاص بنيكولاس مونكريف والذى يقع بحى بولتونز".

"غير أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد يا أعضاء هيئة المحلفين. فقد كان لدى كارترايت من الوقاحة بعد ذلك أن

يبدأ فى سحب النقود من الحساب البنكى للسير نيكولاس مونكريف فى بنك كاوتس بستراند. ولعلكم تظنون أن فى هذا الكفاية، ولكن كلا. لقد أخذ طائرة بعد ذلك إلى جينيف من أجل الاجتماع برئيس بنك كوبيرتين وشركاه، وهو بنك سويسرى عريق، وقدم له مفتاحًا فضيًا إلى جانب جواز سفر نيكولاس مونكريف، مما سمح له بفتح خزانة خاصة كانت تضم مجموعة خرافية من الطوابع النادرة ملك للجد الراحل لنيك مونكريف، واسمه السير آلكسندر مونكريف. فما الذى فعله مونكريف ما إن وضع يديه على هذا الإرث العائلى الذى قضى السير آلكسندر مونكريف أكثر من سبعين عامًا من حياته فى جمعه؟ لقد باعه فى اليوم التالى لأول من ظهر فى المشهد وعرض الشراء، وربح مبلغ خمسة وعشرين مليون جنيه، ربحًا ممتازًا للغاية".

رفع السير ماثيو أحد حاجبيه. كم كان من الغريب أن يؤدى آرنولد بيرسون بهذه البراعة.

واصل بيرسون قائلاً: "وهكذا صار الآن كارترايت من أصحاب الملايين، وقد تسألون أنفسكم ما الذى قد قام به بعد ذلك. سأخبركم. طار عائدًا إلى لندن، اشترى لنفسه سيارة بى إم دابليو من أحدث طراز، ووظف لديه سائقًا خاصًا ومديرة منزل، واستقر فى منزل بولتونز وواصل كذبه أنه هو نيكولاس مونكريف. وكان من الممكن أن يظل يعيش بهذه الكذبة حتى اليوم، يا هيئة المحلفين، لولا إخلاص رئيس المباحث فولر لمهنته واحترافيته التى لا غبار عليها، إنه الرجل الذى ألقى القبض على كارترايت عند ارتكابه جريمته الأولى عام ١٩٩٩، والذى قام هذه المرة وحده بدون شريك"، - دون السير ماثيو تلك العبارة - "بتتبع أثره ومراقبته ثم قبض عليه واسلمه لأيدى العدالة فى نهاية الأمر. تلك هى القضية ياأعضاء هيئة المحلفين من وجهة نظر الادعاء، ولكن فيما بعد سوف أستدعى

شاهدًا لن يدع لديكم أى شك فى أن المتهم، دانيال كارترايت، مذنب فى التهم الخمس التى تشملها لائحة الاتهام".

عاد بيرسون إلى مقعده، نظر السير ماثيو نحو منافسه القديم ومس جبهته كما لو أنه يرفع له القبعة. وقال: "أحسنت".

أجابه بيرسون: "شكرًا لك يا ماثيو".

قال القاضى ناظرًا إلى ساعة يده: "أيها السادة، أظن أن هذه اللحظة قد تكون مناسبة لأن نأخذ راحة للغداء".

صاح حاجب القاعة: "رفعت الجلسة"، ونهض كل الموظفين الرسميين بالمحكمة وانحنوا انحناءة هينة. رد القاضى هاكيت تحيتهم وغادر قاعة المحكمة.

أقر آليكس لوالده: "ليس سيئًا".

"أتفق معك، على الرغم من آرنولد العجوز قد وقع فى خطأ واحد قد يندم عليه طويلاً".

سأله آليكس: "وما هو؟".

مرر السير ماثيو قطعة الورق لابنه والتى دون عليها عبارة: وحده بدون شريك.

٧٤

قال سيرماثيو، "هناك أمر واحد ينبغى عليك أن تجعل هذا الشاهد يقر به، ولكن فى الحين نفسه لابد ألا نجعل القاضى أو آرنولد يدركان ما نحن مقدمان عليه".

قال آليكس مبتسمًا: "لا مشكلة فى هذا". وعاد القاضى هاكيت إلى قاعة المحكمة فنهض الجميع.

انحنى القاضى انحناءة هينة قبل أن يتخذ مجلسه على المقعد الجلدى الأحمر عالى الظهر. فتح دفتر ملاحظاته على نهاية تحليله للمرافعة الافتتاحية للسيد بيرسون، وفتح صفحة جديدة وكتب عبارة الشاهد الأول، ثم أومأ باتجاه السيد بيرسون، الذى قام من مكانه وقال: "أستدعى السيد رئيس المباحث فولر".

لم يكن آليكس قد رأى فولر منذ المحاكمة الأولى، منذ أربعة أعوام، ولم يكن من المحتمل أن ينسى تلك المناسبة، حين ظل فولر يفوز عليه ويهزمه بغاية من السهولة. وإن طرأ عليه أى تغير فقد بدا أكثر ثقة مما كان عليه فى السابق. ألقى فولر بالقسم دون حتى أن يلقى بنظرة عابرة نحو البطاقة المكتوب عليها نص القسم.

قال بيرسون: "المحقق رئيس المباحث فولر، هلا بدأت بتقديم نفسك للمحكمة".

"اسمى رودنى فولر، وأنا أخدم بقسم شرطة المتروبوليتان الذى يقع فى بالاس جرين، تشيلسى".

"هل يمكننى أيضًا أن أسجل أنك قمت بإلقاء القبض على دانيال كارترايت عند ارتكابه لجريمته السابقة والتى حكم عليه بالسجن بسببها؟".

"هذا صحيح يا سيدى".

"كيف تمكنت من أن تعرف أن كارترايت قد يكون هرب من سجن بيلمارش وأنه ينتحل شخصية السير نيكولاس مونكريف؟".

"فى يوم الثالث والعشرين من أكتوبر العام الماضى تلقيت اتصالاً هاتفيًا من مصدر موثوق به أخبرنى بأنه بحاجة لأن يرانى لأمر ضرورى".

"وهل أخبرك بتفاصيل الأمر فى ذلك الحين؟".

"كلا يا سيدى. فهو كسيد نبيل ليس من النوع الذى يخوض فى تفاصيل كهذه على الهاتف".

كتب السير ماثيو عبارة سيد نبيل، وهى ليست كلمة من المعتاد أن يستخدمها رجل شرطة عند الإشارة إلى أحد مخبريه. ثانى مرة يتصيد فيها زلة خلال النهار الأول. لم يكن يتوقع الكثير من هذه الزلات بينما كان آرنولد بيرسون واقفًا على قدميه يرسل التمريرات القصيرة للمحقق فولر.

قال بيرسون: "إذن فقد تم ترتيب لقاء".

"نعم، اتفقنا على أن نلتقى فى اليوم التالى فى موعد ومكان من اختياره".

"وعندما التقيت به فى اليوم التالى أبلغك أن لديه بعض المعلومات تتعلق بدانيال كارترايت".

قال فولر: "نعم، وهو ما كان مفاجئًا قليلاً بالنسبة لى،

لأننى كنت أعتقد خطأ أن كارترايت قد شنق نفسه. بل إن واحدًا من ضباطى قد حضر جنازته".

"كيف كان إذن رد فعلك على هذا الاكتشاف؟".

"لقد تعاملت مع الأمر بمنتهى الجدية، ذلك أن السيد النبيل أثبت فيما قبل أنه مصدر يعتمد على معلوماته".

وضع السير ماثيو خطا تحت كلمة السيد النبيل.

"وما الذى فعلته بعد ذلك؟".

"وضعت فريق مراقبة على مدار الأربع والعشرين ساعة على منزل رقم ١٢ فى بولتونز، وسرعان ما اكتشفنا أن المقيم فيه مدعيًا أنه السير نيكولاس مونكريف يشبه كارترايت تشابهًا مدهشًا".

"ولكن بالتأكيد لم يكن هذا كافيًا لكى تشرع فى القبض عليه".

أجاب رئيس المباحث: "بالطبع، لا، كنت بحاجة إلى دليل ملموس أكثر من هذا".

"وماذا كان هذا الدليل الملموس؟".

"فى اليوم الثالث من المراقبة استقبل المشتبه به زيارة من الآنسة إليزابيث ويلسون، وأمضت الليلة معه".

"الآنسة إليزابيث ويلسون؟".

"نعم. إنها أم ابنة كارترايت، وكانت تزوره بانتظام بينما كان مسجونًا. وجعلنى هذا متأكدًا من دقة وصحة المعلومات التى تلقيتها".

"وعندئذ قررت أن تلقى القبض عليه؟".

"نعم، ولكن بما أننى أعرف أننى أتعامل مع مجرم خطير له سوابق عنيفة، طلبت قوة احتياطية من شرطة مكافحة الشغب. فلم أكن مستعدًا لأن أجازف فيما يتعلق بسلامة العامة والناس العاديين".

غمغم بيرسون قائلاً: "هذا أمر مفهوم تمامًا، هلا وصفت

للمحكمة كيف تمكنت من القبض على هذا المجرم العنيف؟".

"فى الثانية صباحا من اليوم التالى، حاصرنا المنزل الكائن بمنطقة البولتونز وهاجمناه، وبخصوص القبض على كارترايت، قمت بتقييده والقبض عليه بتهمة الهرب من أحد سجون جلالة الملكة، كما أننى اتهمت إليزابيث ويلسون بتقديم العون والتستر على مجرم، كما قام جزء آخر من فريقى بالقبض على آلبرت كران والمقيم بالمبنى نفسه، لأن لدينا من الأدلة ما يجعلنا نعتقد أنه كان شريكًا مع كارترايت".

سأل بيرسون: "وما الذى حدث للسجينين الآخرين اللذين تم اعتقالهما؟".

"أطلق سراح إليزابيث ويلسون بكفالة فى الصباح التالى، وفيما بعد حكم عليها بستة أشهر سجنًا مع إيقاف التنفيذ".

"وآلبرت كران؟".

"كان مازال فى فترة المراقبة فى ذلك الحين، وأعيد إلى سجن بيلمارش لاستكمال فترة عقوبته".

"شكرًا لك يا سيادة رئيس المباحث ليس لدى أية أسئلة أخرى من أجلك حاليًا".

قال القاضى: "شكرًا لك يا سيد بيرسون، فهل تريد استجواب الشاهد يا سيد ردماين؟".

قال آليكس وهو ينهض من مكانه: "بكل تأكيد يا سيدى".

"حضرة رئيس المباحث لقد أخبرت المحكمة بأن شخصًا من عامة الشعب قد تطوع لإخبارك بمعلومات مكنتك من القبض على دانيال كارترايت".

قال فولر، وهو يقبض على السياج الصغير لمقصورة الشهود: "نعم، ذلك صحيح".

"إذن فلم يكن الأمر، كما اقترح زميلى المحامى، أنه كان عملاً مقصورًا على الشرطة، وأنك قمت به وحدك بلا شريك؟".

"كلا. ولكن كما أنك تدرك ولا شك يا سيد ردماين تعتمد الشرطة على شبكة علاقات من المخبرين والمرشدين، وبدون هؤلاء كان يمكن لنصف المجرمين المسجونين حاليًا أن يكونوا طلقاء يرتعون فى الشوارع ويرتكبون المزيد من الجرائم".

"إذن فقد اتصل بك فى مكتبك هذا السيد النبيل، كما وصفته قبل قليل؟". أومأ المفتش التحرى برأسه موافقًا. "ورتبت للقائه فى مكان متفق عليه بينكما فى اليوم التالى؟".

أجاب فولر مصرًا على ألا يفلت منه أى شىء: "نعم".

"وأين كان هذا اللقاء يا حضرة رئيس المباحث؟".

التفت فولر نحو القاضى قائلاً: "أفضل يا سيدى ألا أفصح عن مكان اللقاء".

قال القاضى السيد هاكيت: "هذا أمر مفهوم، واصل يا سيد ردماين".

"إذن فلا جدوى من أن أطلب منك يا حضرة المفتش أن تعلن اسم مخبرك مدفوع الأجر؟".

قال فولر: "لم يكن مدفوع الأجر"، وندم على ما تفوه به فى اللحظة نفسها.

"حسن، على الأقل نحن نعرف الآن أنه كان سيدًا نبيلاً صاحب مهنة محترمة وغير مدفوع الأجر".

قال والد آليكس فى همسة مسموعة: "أحسنت فعلاً"، فقطب القاضى حاجبيه.

"حضرة رئيس المباحث، كم من الضباط وجدتهم ضروريين لتنفيذ أمر القبض على رجل واحد وامرأة واحدة كانا بالفراش فى الثانية صباحًا؟" تردد فولر فى الإجابة فسأله مرة أخرى: "كم كان عددهم يا حضرة رئيس المباحث؟".

"أربعة عشر".

قال آليكس: "أظن أنهم بلغوا العشرين".

"إذا حسبنا القوة الاحتياطية فقد يبلغون العشرين".

قال آليكس: "يبدو هذا مبالغًا فيه قليلاً من أجل رجل وامرأة".

قال فولر: "قد يكون مسلحا، وهى مجازفة علينا وضعها فى الاعتبار".

سأل آليكس: "وهل كان بالفعل مسلحًا؟".

"كلا لم يكن.....".

شرع آليكس يقول: "ربما لم يكن مثل المرة الأولى...".

قال القاضى مقاطعًا له قبل أن ينهى عبارته: "حسبك هذا يا سيد ردماين".

قال والد آليكس، بصوت عالٍ بما يكفى لأن يسمعه جميع من بقاعة المحكمة: "محاولة جيدة".

قال القاضى فى صرامة: "هل تود أن تقدم إسهامًا ما يا سير ماثيو؟".

فتح والد آليكس عينيه وكأنه حيوان فى الغابة استيقظ من سبات طويل. ونهض ببطء من جلسته وقال: "كم هو لطيف منك أن تسألنى يا حضرة القاضى، ولكن كلا، لا أود أن أتدخل فى هذه النقطة. ربما فيما بعد". وعاد من جديد إلى مكانه.

سرت حركة فى مقعد الصحافة والإعلام ما إن تم تجاوز الحدود لأول مرة. زم آليكس شفتيه خشية أن يندفع منه الضحك. وحتى القاضى هاكيت بالكاد تمكن من السيطرة على نفسه.

قال القاضى: " واصل يا سيد ردماين"، وقبل أن يتمكن آليكس من الاستجابة، نهض والده من جديد واقفًا على قدميه، وقال بمنتهى اللطف والعذوبة: "أرجو المعذرة يا سيادة القاضى، ولكن أى ردماين تقصد؟".

هذه المرة انطلقت هيئة المحلفين فى الضحك. ولم يحاول القاضى أن يرد بأى شىء، وعاد السير ماثيو للجلوس من جديد، وأغلق عينيه هامسًا: "هلم هاجم بقوة يا آليكس".

"حضرة رئيس المباحث، لقد أخبرت المحكمة بأنك بعد أن رأيت الآنسة ويلسون تدخل إلى المنزل بت مقتنعًا بأن من يقيم هناك هو دانيال كارترايت وليس السير نيكولاس مونكريف".

قال فولر، وهو مازال قابضًا على السياج الصغير لمقصورة الشهود: "نعم، ذلك صحيح".

"ولكن بمجرد أن قبضت على موكلى يا حضرة المحقق، ألم تنتابك ولو لحظة شك بأنك قد تكون ألقيت القبض على الرجل غير المقصود؟".

"كلا يا سيد ردماين، وخصوصًا بعد أن رأيت الندبة على...".

"بعد أن رأيت الندبة على ساقه؟".

"أقصد بعد تحليل الحامض النووى الذى أجريناه على كمبيوتر قسم الشرطة" متداركًا خطأه.

همس والد آلكيس: "اجلس، فقد حصلت على كل ما تحتاج إليه، ولن يتبين هاكيت مغزى تلك الندبة".

"شكرًا لك يا حضرة رئيس المباحث. لا مزيد من الأسئلة يا سيادة القاضى".

سأل القاضى هاكيت: "هل تود استجواب الشاهد من جديد يا سيد بيرسون؟".

قال بيرسون: "كلا، شكرًا لك يا سيادة القاضى"، وكان يدون أمامه عبارة : "وخصوصًا بعد أن رأيت الندبة على...". ويحاول أن يفسر مغزاها.

قال القاضى: "شكرًا لك يا حضرة رئيس المباحث. يمكنك مغادرة مقصورة الشهود".

مال آليكس نحو والده فيما يشق رئيس المباحث طريقه خارجًا من القاعة وهمس: "لكننى لم أجعله يقر بأن "السيد النبيل المحترف" كان فى الحقيقة هو كريج".

"ذلك الرجل لن يصرح أبدًا باسم مصدره، ولكنك مع ذلك

استطعت أن توقع به مرتين. ولا تنس أنه مازال هناك شاهد آخر لابد وأنه يعرف أيضًا من الذى أوشى بدانى عند الشرطة، ولن يشعر بالارتياح فى قاعة المحكمة بالتأكيد، وهكذا عليك أن تضيق عليك الخناق قبل أن يكتشف القاضى ما نرمى إليه بوقت كاف. إياك أن تنسى أننا لا نستطيع تحمل ارتكاب الخطأ نفسه مجددًا كما حدث مع القاضى اللورد براونى ومسألة شريط التسجيل الذى لم يسمح بتشغيله".

أومأ آليكس بينما أولى القاضى هاكيت انتباهه لمقعد المحامين وقال: "لعل هذا وقت مناسب لأخذ راحة قصيرة".

"رفعت الجلسة".

٧٥

كان آرنولد بيرسون مستغرقًا فى الحديث مع محاميه المساعد عندما قال القاضى هاكيت بصوت عالٍ: "هل أنت مستعد لاستدعاء الشاهد التالى يا سيد بيرسون؟".

نهض بيرسون من مجلسه. "نعم سيادة القاضى. إننى أستدعى السير هوجو مونكريف".

راقب آليكس السير هوجو مونكريف وهو يدخل إلى قاعة المحكمة. إياك وأن تتسرع فى إطلاق حكم مسبق على أحد الشهود، هكذا علمه والده منذ نعومة أظافره، غير أن السير هوجو كان متوترًا بكل وضوح. تناول منديلاً من جيبه العلوى ومسح جبينه قبل أن يصل حتى إلى منصة الشهود.

قاد الحاجب السير هوجو إلى منصة الشهود. تلا الشاهد القسم من البطاقة الممسك بها الحاجب أمامه، ثم تطلع ببصره نحو مقصورة الحضور، مفتشا عن المرأة التى كان يتمنى لو أنها استدعيت للشهادة بدلاً منه. حين عاد ببصره لأسفل ابتسم له السيد بيرسون ابتسامة دافئة.

"السير هوجو، هلا أخبرت المحكمة ببياناتك من أجل التسجيل".

"السير هوجو مونكريف، صاحب ضيعة، فى دانبروث بأسكتلندا".

"دعنى أبدأ يا سير هوجو بسؤالك متى كانت المرة الأخيرة التى رأيت فيها ابن أخيك، نيكولاس مونكريف".

"فى اليوم الذى حضر فيه كل منا جنازة والده".

"وهل أتيحت لك الفرصة للتحدث إليه فى تلك المناسبة المؤسفة؟".

قال هوجو: "كلا، بكل أسف. كان مصحوبًا باثنين من ضباط السجن قالا إننا غير مسموح لنا بأن نتواصل معه على أى نحو".

سأل بيرسون: "ما نوع العلاقة التى ربطت بينك وبين ابن أخيك؟".

"مودة خالصة. لقد أحببنا جميعًا نيك. فقد كان شابًا رائعًا، وقد رأت العائلة أنه لاقى بعض سوء الحظ".

"إذن فلم تكن هناك أية مشاعر سيئة عندما علمت أنت وأخوك بأنه قد آل إليه الجزء الأعظم من الميراث ومن ممتلكات والديكما".

قال هوجو: "بالطبع لا، فإن نيك سوف يرث تلقائيًا التركة واللقب بعد موت والده، بالإضافة إلى ممتلكات العائلة".

"إذن فلابد أنها كانت صدمة كبيرة أن تكتشف أنه شنق نفسه فى السجن، وأن ذلك المنتحل قد سلب مكانه".

أحنى هوجو رأسه للحظات، قبل أن يقول: "كانت صدمة هائلة على زوجتى مارجريت وعلىَّ أنا، ولكن الفضل يرجع لرجال الشرطة المخلصين لعملهم ولحلقة مقربة من الأصدقاء وأفراد العائلة فى أننا نحاول ببطء وصعوبة التعافى من آثارها وتجاوزها".

همس السير ماثيو: "كلام محفوظ مسبقًا".

تجاهل بيرسون تعليق ماثيو وسأل: "هل يمكنك أن تؤكد

يا سير هوجو على أن السلطات قد أقرت حقك فى الحصول على لقب العائلة؟".

"نعم، بوسعى تأكيد هذا يا سيد بيرسون. فإن خطاب حصولى على اللقب أرسل إلىّ قبل بضعة أسابيع".

"هل يمكنك أن تؤكد أن الممتلكات الموجودة بأسكتلندا علاوة على المنزل الكائن فى لندن والحسابين المصرفيين فى لندن وسويسرا صارا من جديد تحت تصرف العائلة؟".

"أخشى أننى لا يسعنى تأكيد هذا الأمر يا سيد بيرسون".

سأل القاضى السيد هاكيت: "ولمَ لا؟".

ظهر على السير هوجو شىء مَن الاضطراب والارتباك بينما يتلفت نحو القاضى ويقول: "إنها سياسة كلا البنكين ألا يقوما بالتصديق على أى ملكية مادامت هناك دعوى قانونية مازالت أمام المحاكم يا سيادة القاضى، وقد أكدوا لى أنه بمجرد أن تصل القضية إلى نهايتها وينطق المحلفون بحكمهم النهائى سيتم التحويل القانونى للطرف المستحق للممتلكات".

قال القاضى وهو يبتسم ابتسامة لطيفة له: "لا تخش شيئًا، فسوف تصل محنتك إلى نهايتها قريبًا".

نهض السير ماثيو واقفًا فجأة. "اعذرنى للمقاطعة يا سيادة القاضى، ولكن هل يفترض جوابك هذا للشاهد ضمنيًا أنكم قد توصلتم إلى قرار فى هذه القضية بالفعل؟" مبتسمًا ابتسامة دافئة.

أتى دور القاضى ليشعر بالاضطراب والارتباك. فأجاب: "كلا، بالطبع كلا يا سير ماثيو، كنت أؤكد وحسب أنه أيًا كانت نتيجة هذه المحاكمة، فإن الانتظار الطويل للسير هوجو سيصل لنهايته قريبًا".

"أنا ممتن يا سيادة القاضى. كم يريحنى كل الراحة أن أتبين أنكم لم تتوصلوا لقرار قبل أن يمثل الدفاع المتهم ويمنح فرصته لعرض القضية من جانبه". وعاد للاستقرار فى مكانه

من جديد.

نظر بيرسون فى عبوس وتجهم نحو السير ماثيو ولكن كان الرجل العجوز قد أغلق عينيه بالفعل، وقال: "يؤسفنى يا سير هوجو أن تخوض غمار تلك المحنة البغيضة، والتى لم يكن لك فيها أى ذنب. ولكن كان من المهم أن نعرض لهيئة المحلفين مقدار الخسارة والغم الذى جلبها على عائلتك المتهم دانيال كارترايت. وكما أوضح سيادة القاضى فإن محنتك سرعان ما سوف تصل على نهايتها".

قال السير ماثيو: "لست على ثقة من هذا".

تجاهل بيرسون من جديد المقاطعة وقال: "ليس لدى أى أسئلة أخرى يا سيادة القاضى"، ثم عاد إلى مكانه.

همس ماثيو قائلاً وعيناه مغلقتان: "كل كلمة مما مضى تم الاتفاق عليها مسبقًا وتدربا عليها معًا، فلتقد هذا الرجل اللعين على طول الطريق المظلم الطويل، وعندما لا يتوقع ذلك بالمرة اطعنه بسكين فى القلب. أعدك يا آليكس أنه لن ينزف قطرة دم واحدة، لا دم العوام ولا دم الملوك".

قال القاضى: "سيد ردماين، آسف على مقاطعتكما، ولكن هل تنوى أن تستوجب هذا الشاهد؟".

"نعم يا سيدى".

همس السير ماثيو وهو يعود من جديد إلى مقعده: "هيًا تقدم يا بنى. ولا تنس أنه الشخص الذى يريد لكل هذا أن ينتهى بأسرع وقت ممكن لينال الغنيمة".

شرع آليكس يقول: "السير هوجو، لقد أخبرت المحكمة بأن علاقتك بابن أخيك، نيكولاس مونكريف، كانت علاقة وثيقة ـ وعلى حد تعبيرك مودة خالصة كما أظن أنك وصفتها — وأنك كنت ستتحدث إليه فى جنازة والده لولا أن ضابطى السجن منعاك من ذلك".

قال هوجو: "نعم، ذلك صحيح".

"دعنى أسألك متى اكتشفت لأول مرة أن ابن أخيك فى حقيقة الأمر ميت، وليس حيًا يرزق، كما كنت تعتقد، ويعيش فى منزله ببولتونز؟".

قال هوجو: "قبل القبض على كارترايت بأيام قليلة".

"هذا معناه حوالى عام والنصف بعد تاريخ جنازة أخيك التى التقيت فيها بابنه ولم يسمح لك بالتواصل معه خلالها".

"نعم، أظن ذلك".

"فى تلك الحالة، أنا مضطر لأن أسألك يا سير هوجو كم من المرات خلال فترة الثمانية عشر شهرًا التقيتما أنت وابن أخيك الذى تجمعك به علاقة وثيقة أو حتى تحدثتما على الهاتف؟".

قال هوجو بنوع من الإعجاب بالنفس: "ولكن هذا هو بيت القصيد، إنه لم يكن نيك".

وافقه آليكس قائلاً: "صحيح، لم يكن هو، ولكنك أخبرت المحكمة لتوك بأنك لم تكتشف تلك الحقيقة إلا قبل القبض على موكلى بأيام قليلة".

تطلع هوجو بنظره نحو مقصورة الحضور، وكأنه ينشد نوعًا من العون والإلهام، فهذا لم يكن واحدًا من الأسئلة التى توقعتها مارجريت وأخبرته كيف عليه أن يجيب عنها. قال وهو يحاول أن يرتجل شيئًا بسرعة: "حسن، كل منا يعيش حياة مزدحمة بالانشغالات، وهو يعيش فى لندن، بينما أقضى أغلب وقتى فى أسكتلندا".

قال آليكس: "أظن أنهم الآن لديهم هواتف فى أسكتلندا".

تدفقت موجة من الضحك فى القاعة.

قال هوجو متهكمًا: "إن مخترع الهاتف أسكتلندى يا سيدى".

فقال آليكس: " وهذا أدعى لأن تستعمل هاتفًا".

سأل هوجو: "ما الذى تحاول أن توحى به؟".

أجاب آليكس: "لا أحاول أن أوحى بأى شىء، ولكن هل تنكر أنه عندما حضر كلاكما مزادًا لبيع الطوابع النادرة فى قاعة سوذبيز بلندن فى سبتمبر ٢٠٠٢، كما أنكما قضيتما الأيام القليلة التالية فى جينيف نزيلين بالفندق نفسه أنت والرجل الذى تعتقد أنه ابن أخيك، ورغم ذلك لم تقم بأى محاولة للتحدث إليه؟".

قال هوجو وقد ارتفع صوته: "كان بوسعه أن يتحدث هو إلى، فهذا أمر بدأه هو".

"لعل موكلى لم يرغب فى التحدث إليك، لأنه كان على علم تام بنوع علاقتك بابن أخيك. لعله كان يعلم أنك لم تكتب له رسالة أو تتحدث إليه خلال الأعوام العشرة السابقة. لعله كان يعلم أن ابن أخيك ينفر منك، وأن والدك – أى جده – قد حرمك من الميراث فى وصيته؟".

"أرى أنك تصدق كلام مجرم بدلاً من كلام عضو فى عائلة نبيلة".

"كلا يا سيد هوجو. لقد اطلعت على هذا كله من عضو فى العائلة النبيلة".

تساءل هوجو فى تحد: "من هو؟".

أجابه آليكس: "إنه ابن أخيك، السير نيكولاس مونكريف".

"لكنك لم تعرفه بالمرة".

أقر آليكس: "كلا، لم أعرفه، ولكنه بينما كان سجينًا، حيث لم تقم بزيارته أو الكتابة إليه على مدى أربعة أعوام، حرص على تسجيل يومياته، وهى التى كشفت عن الكثير".

نهض بيرسون واقفًا. "سيدى القاضى، أنا أعترض. تلك اليوميات التى يشير إليها زميلى الموقر لم تتم إضافتها إلى مجموعة الأدلة المعروضة على المحلفين إلا قبل أسبوع واحد، وعلى الرغم من أن وكيلى المحامى قد كافح بكل همة لكى يقرأها

سطرًا سطرًا، لكنها تحتوى على أكثر من ألف صفحة".

قال آليكس: " سيدى القاضى، قام المحامى بقراءة كل كلمة فى تلك اليوميات، وقد قام من أجل التيسير على المحكمة بوضع علامات على أية فقرات قد نلفت إليها انتباه المحلفين لاحقًا، وليس هناك أدنى شك فى أنها مقبولة ومسموح بها".

قال القاضى هاكيت: "قد تكون اليوميات مقبولة، لكننى لا أستطيع أن أعتبرها وثيقة الصلة. السير هوجو ليس هو من يحاكم فى هذه القضية، وعلاقته بابن أخيه ليست بيت القصيد، لذا أقترح عليك أن تمض قدمًا فى استجوابك يا سيد ردماين".

لمس السير ماثيو عباءة ابنه. سأل آليكس القاضى: "هل لى بكلمة مع محامى المساعد؟".

أجاب القاضى هاكيت، وهو مازال يتألم من لقائه الأخير بالسير ماثيو: "إن كان ولابد، ولكن لتكن كلمة مقتضبة وسريعة".

جلس آليكس. همس له السير ماثيو: "لقد أوضحت نقطتك يا بنى، وعلى أى حال، فإن السطر الأكثر أهمية ودلالة فى دفاتر اليوميات لابد وأن يخدمنا على نحو أفضل مع الشاهد التالى. أضف إلى ذلك أن العجوز هاكيت يتساءل فى نفسه إن كان قد خاض فى مناحى بعيدة لدرجة أنه منحنا ما يكفى من العتاد والذخيرة للمطالبة بإعادة المحاكمة. سيرغب فى تحاشى إعطائنا هذه الفرصة بأى ثمن. إن هذه القضية هى آخر ظهور له فى المحكمة العليا قبل أن يتقاعد، ولا يرغب فى أن يكون آخر ما يذكر به هو إعادة محاكمة، لذا عندما تستأنف استجوابك قل له إنك تتقبل رأى سيادته بدون جدال، ولكن بما أنك قد تحتاج للإشارة إلى فقرات بعينها من اليوميات فى مناسبات لاحقة بعد ذلك، فإنك تأمل أن يكون زميلك ممثل الإدعاء قد وجد الوقت الكافي لمراجعة صفحات

قليلة قام محاميك المساعد بوضع علامات واضحة عليها للتيسير عليه".

نهض آليكس من مكانه، وقال: "إننى أتقبل رأى سيادتك بدون جدال، ولكن بما أننى قد أحتاج لإشارة إلى فقرات بعينها من اليوميات فيما بعد، فلا يسعنى إلا أن آمل أن يأخذ خصمى الوقت الكافى لمراجعة السطور القليلة التى قمنا بوضع علامات عليها من أجل أن يراجعها". ابتسم السير ماثيو. قطب القاضى حاجبيه، وبدا السير هوجو متحيرًا تمامًا.

أولى آليكس انتباهه نحو الشاهد من جديد، والذى كان عندئذٍ يمسح العرق عن جبينه كل بضع دقائق.

"سِير هوجو، هل لى أن أؤكد أن رغبة والدك التى نص عليها فى وصيته تسليم الممتلكات الكائنة فى دانبروث إلى هيئة صيانة التراث بأسكتلندا مع مبلغ كافٍ لضمان رعايتها وصيانتها".

أقر هوجو قائلاً: "هذا صحيح فى حدود علمى".

"إذن فيمكنك أن تؤكد أيضا أن دانيال كارترايت أذعن لتلك الرغبة، وأن تلك الممتلكات حاليًا بين أيدى هيئة صيانة التراث الأسكتلندية؟".

أجاب هوجو على مضض: "نعم، أنا قادر على تأكيد هذا".

"هل وجدت وقتًا مؤخرًا لزيارة العقار رقم ١٢ فى بولتونز ورأيت أى حالة صار عليها حاليًا؟".

"نعم، فعلت. لا أرى قدرًا هائلاً من الاختلاف عما كان عليه من قبل".

"سير هوجو، هل تود منى استدعاء مديرة المنزل حتى تخبر المحكمة بأدق التفاصيل عن الحالة التى وجدت عليها المنزل ما إن تسلمت عملها؟".

قال هوجو: "لا داعى لهذا، قد يكون المنزل تعرض لشىء من الإهمال، لكننى أوضحت مسبقًا أنى أقضى أغلب وقتى فى

أسكتلندا، ونادرا ما أزور لندن".

"إذا كان الأمر كذلك يا سير هوجو، فدعنا ننتقل إلى الحساب المصرفى لابن أخيك فى بنك كاوتس فرع ستراند. هل يمكنك أن تخبر المحكمة كم من المال كان موجودًا فى رصيده عندما وقع موته المأوساوى؟".

أجاب هوجو محتدًا: "وكيف يمكن لى أن أعرف هذا؟".

أخرج آليكس كشف حساب مصرفى من ملف، وهو يقول: "إذن فدعنى أعلمك بهذا يا سير هوجو، ما يزيد على السبعة آلاف بقليل".

أسرع السير هوجو يرد بنبرة انتصار: "ولكن من المؤكد أن المهم كم من المال فى هذا الحساب فى الوقت الحاضر؟".

قال آليكس وهو يستخرج كشف حساب بنكى آخر: "أنا متفق معك تمام الاتفاق حول هذا، عند إغلاق التعاملات بالأمس بلغ الحساب ما يزيد بقليل عن الاثنين وأربعين ألفا".

ظل هوجو يختطف النظرات نحو أعلى حيث مقصورة الحضور من الجمهور بينما يمسح جبينه. "وبعد ذلك، علينا أن نضع فى الاعتبار مجموعة الطوابع النادرة التى أوصى بها والدك، السير آلكسندر، لحفيده نيكولاس".

"لقد باعها كارترايت من وراء ظهرى".

"أظن يا سير هوجو أنه باعها تحت سمعك وبصرك".

"ما كنت لأوافق أبدًا على التفريط فى شىء طالما اعتبرته العائلة ميراثًا لا يقدر بثمن".

قال آليكس: "ترى هل تود أن تراجع لقليل من الوقت هذه الوثيقة؟ فبحوزتى وثيقة قانونية موقع عليها من محاميك، السيد ديزموند جالبريث، يوافق فيها على بيع مجموعة الطوابع الخاصة بوالدك مقابل خمسين مليون دولار للسيد جين هانساكر من أوستن بولاية تكساس".

قال هوجو: "حتى ولو كان هذا صحيحًا، فلم أر مليمًا

واحدًا من هذا المبلغ، لأن كارترايت هو من انتهى إلى بيع المجموعة لهانساكر".

قال آليكس: "لقد باعها بالفعل، ومقابل مبلغ سبعة وخمسين مليونًا ونصف - أى أكثر من المبلغ الذى تمكنت من الوصول له بسبعة ملايين والنصف".

سأل القاضى: "إلى أين يقودنا هذا كله يا سيد ردماين؟ فعلى الرغم من أن موكلك تمكن من زيادة ربح الصفقة الخاصة. بممتلكات آلكسندر مونكريف مازالت الحقيقة أنه قد سرق كل شىء فى المقام الأول. فهل تحاول أن توحى لنا أنه كان فى نيته على الدوام أن يعيد كل الميراث إلى مستحقيه الشرعيين؟".

"كلا يا سيدى. ومع هذا، فإننى أحاول أن أوضح أنه ربما قد لا يكون دانى كارترايت ذلك الشرير الأثيم كما يحاول الادعاء أن يجعلنا نظن. بل الفضل يرجع إلى إدارته فى أن السير هوجو سينال مبلغًا أكبر بكثير مما كان متوقعًا".

راح السير ماثيو يدعو دعاء صامتًا.

قال السير هوجو: "ذلك ليس صحيحًا! لقد نقص المبلغ كثيرًا".

فتح السير ماثيو عينيه وانتصب فى جلسته. همس قائلاً: "حمدا لك يا رب على الاستجابة لدعائى. أحسنت يا بنى".

قال القاضى السيد هاكيت: "أنا الآن فى منتهى الحيرة، إذا كان رصيدك البنكى قد زاد بمبلغ سبعة ملايين دولار والنصف عما كان متوقعًا يا سير هوجو، فكيف يمكن أن ينتقص هذا المبلغ نقصًا كبيرًا؟".

"لأننى مؤخرًا وقعت عقدًا قانونيًا مع طرف ثالث أبدى استعداده للكشف عن تفاصيل ما جرى لابن أخى بشرط أن أوافق على التنازل عن نسبة خمسة وعشرين بالمائة من ميراثى كاملاً".

غمغم السير ماثيو قائلاً: "عد إلى مجلسك ولا تزد كلمة واحدة".

طالب القاضى بالتزام الهدوء والنظام، ولم يطرح آليكس سؤاله التالى إلا بعد أن عاد الهدوء للقاعة من جديد.

"متى قمت بالتوقيع على هذا الاتفاق يا سير هوجو؟".

أخرج هوجو دفتر يوميات صغير من جيبه الداخلى، وراح يقلب الصفحات حتى وصل إلى الصفحة الذى يبحث عنها وقال: "فى الثانى والعشرين من أكتوبر من العام الماضى".

راجع آليكس ملاحظاته. "اليوم السابق على اتصال أحد السادة النبلاء فولر لتنظيم لقاء مجهول المكان".

قال هوجو: "ليس لدى أدنى فكرة عما تتحدث بشأنه".

قال آليكس: "بالطبع لا تدرى شيئًا، فلم يكن لديك أى وسيلة لتدرك ما كان يجرى من وراء ظهرك، ولكن لابد لى أن أسألك يا سير هوجو، بعد أن قمت بتوقيع عقد قانونى تتنازل فيه عن ملايين الجنيهات من ثروة عائلتك التى سوف تستعيدها، ماذا كان لدى هذا السيد النبيل ليقدمه فى مقابل توقيعك؟".

"أخبرنى بأن ابن أخى قد توفى منذ أكثر من عام، وأن ذلك الرجل الجالس فى قفص الاتهام يحل محله وينتحل صفته".

"وماذا كان رد فعلك على ذلك النبأ غير المعقول؟".

قال هوجو: "لم أصدقه فى البداية، ولكن بعد ذلك أرانى عدة صور لكارترايت ونيك فأقررت بالتشابه الكبير بينهما".

" يعز علىّ التصديق يا سير هوجو، أن يكون فى ذلك دليل كاف لرجل ثاقب النظرة مثلك حتى يوافق على التنازل عن خمسة وعشرين بالمائة من ثروة عائلته".

"كلا، ليس كافيًا. لكنه أمدنى بعدة صور فوتوغرافية أخرى ليدعم مزاعمه".

فحفزه آليكس على أمل: "صور فوتوغرافية أخرى ؟".

"نعم، واحدة منها لساق المتهم اليسرى، وتظهر ندبة أعلى ركبته تبرهن على أنه كارترايت، وليس ابن أخى".

همس سير ماثيو: "غير الموضوع".

"لقد أخبرت المحكمة يا سير هوجو، بأن الشخص الذى طالبك بخمسة وعشرين بالمائة مما تستحقه شرعًا وقانونًا مقابل هذه المعلومات أنه رجل نبيل صاحب مهنة محترمة".

قال هوجو: "نعم، إنه لكذلك بلا أى شك".

"إذن فقد يكون الوقت قد حان لأن تعلن اسم هذا الرجل النبيل صاخب المهنة المحترمة".

قال هوجو: "لا يمكننى ذلك".

ومرة أخرى، اضطر آليكس لأن ينتظر حتى يتمكن القاضى من استعادة الهدوء إلى قاعة المحكمة قبل أن يطرح سؤاله التالى.

"ولمَ لا؟".

همس سير ماثيو: " دع هاكيت يتولى الأمر، فلندع ألا يكتشف بنفسه من يكون هذا السيد المحترم قبل أن ينطق هوجو باسمه".

قال هوجو وهو يمسح العرق عن جبينه: "لأن واحدًا من بنود الاتفاق يشترط ألا أكشف عن اسمه تحت أية ظروف".

وضع القاضى السيد هاكيت قلمه على المكتب: "والآن، استمع إلىّ يا سير هوجو، واستمع بحرص شديد. إن كنت لا ترغب فى توجيه قرار بإهانة المحكمة ضدك، لتقضى ليلتك فى زنزانة حتى تنعش ذاكرتك، فأقترح عليك أن تجيب سؤال السيد ردماين، وأن تخبر المحكمة باسم ذلك الرجل المحترم الذى طالبك بخمسة وعشرين بالمائة من ممتلكاتك قبل أن يصير مستعدًا لأن يكشف أن المتهم محتال. هل أوضحت وجهة نظرى بما يكفى؟".

بدأ هوجو يهتز ويرتجف بلا إرادة منه. حدق لأعلى نحو

المقصورة، فرأى مارجريت تومئ له موافقة. التفت من جديد للقاضى، وقال: "السيد سبنسر كريج، ممثل الادعاء".

بدأ جميع من بالقاعة فى التحدث فى اللحظة نفسها.

قال السير ماثيو: "يمكنك أن تجلس الآن يا بنى، لأننى أعتقد أن هذا ما يسمونه فى الحى الذى ترعرع فيه دانى عصفوران بحجر واحد. والآن لن يكون أمام قاضينا الموقر إلا أن يدعك تستدعى للمحكمة سبنسر كريج، إلا إذا رغب فى إعادة محاكمة".

ألقى السير ماثيو نظرة فرأى آرنولد بيرسون يتطلع بنظره نحو ابنه. كان يرفع له قبعة لم تكن موجودة على رأسه، وقال: "أحسنت يا آليكس".

٧٦

سأل آليكس، "كيف تظن أن المحامى مونرو سوف يقابل هجوم بيرسون عليه فى الاستجواب؟".

أجابه السير ماثيو: "ثور هرم ضد مصارع هرم كذلك، فالخبرة والبراعة التامتان سوف تثبتان أنهما أكثر أهمية من الاتهام، لذا سأراهن لصالح مونرو".

"إذن فمتى أظهر العباءة الحمراء لهذا الثور؟".

قال السير ماثيو: "لا تفعل، اترك هذه المتعة من نصيب المصارع الهرم. لن يستطيع بيرسون أن يقاوم التحدى، وسيكون لهذا أثر أوقع عندما يأتى من جهة الادعاء".

أعلن حاجب قاعة المحكمة: "محكمة".

ما استقر الجميع فى أماكنهم المحددة حتى تحدث القاضى إلى هيئة المحلفين قائلاً: "طاب صباحكم أعضاء هيئة المحلفين. استمعنا إلى السيد بيرسون ينهى مرافعة الادعاء فى هذه القضية، والآن سوف نعطى الدفاع فرصته لأن يعرب عن وجهة نظره فى هذه المحاجة، وبعد استشارة كلا الجانبين، سيكون على أن أدعوكم لإلغاء إحدى التهم، وتحديدا أن المتهم

حاول سرقة ممتلكات عائلة مونكريف فى أسكتلندا. فقد أكد السير هوجو مونكريف أن هذا لم يكن حقيقيًا، وأن الضيعة، وفقًا لما نص عليه السير آلكسندر فى وصيته، قد صارت الآن بين يدى هيئة صيانة التراث الأستكلندية. ومع ذلك، مازال يواجه المتهم أربع تهم خطيرة أخرى، وأنتم، أنتم فقط، تقع عليكم مسؤلية إصدار حكم فيها".

ابتسم فى لطف نحو هيئة المحلفين قبل أن يولى انتباهه نحو آليكس. "سيد ردماين، هلا استدعيت شاهدك الأول" بنبرة تنم عن الاحترام لما كان عليه فى اليوم السابق.

قال آليكس وهو ينهض من مكانه: "أشكرك سيدى القاضى، سوف أستدعى السيد فريزر مونرو".

ما إن دخل مونرو إلى قاعة المحكمة حتى منح ابتسامة خاصة لدانى فى قفص الاتهام. كان قد زاره فى سجن بيلمارش خمس مرات خلال الأشهر الستة الماضية، وعلم دانى أنه حضر كذلك جلسات استشارية عديدة مع آليكس والسير ماثيو.

ومرة أخرى لن يتلقى أى أتعاب لقاء الخدمات التى يقدمها له. لقد تم تجميد جميع الحسابات البنكية الخاصة بدانى، وهكذا كان كل ما يملكه من دخل ١٢ جنيهًا شهريًا لقاء عمله كأمين مكتبة بالسجن، وهو مبلغ لن يفى أجرة السيارة الأجرة الذى يقل مونرو من نادى كاليدونيان إلى المحكمة.

ارتقى فريزر مونرو منصة الشهور. كان يرتدى حُلة رسمية سوداء وسروالاً مقلمًا بأقلام رفيعة، وقميصًا أبيض ورابطة عنق من الحرير الأسود. وبدا وكأنه واحد من كبار موظفى المحكمة أكثر من كونه مجرد شاهد، مما يمنحه سلطة التأثير على هيئة محلفين أسكتلندية. انحنى انحناءة هينة للقاضى قبل أن يتلو القسم.

قال آليكس: "هلا أفصحت عن بياناتك الشخصية بغرض التسجيل لا أكثر".

"اسمى فريزر مونرو وأقيم فى العقار ٤٩ بشارع آرجايل، دانبروث فى أسكوتلندا".

"وما عملك؟".

"أنا محام أمام المحكمة العليا بأسكتلندا".

"هل لى أن أؤكد أنك كنت رئيسا سابقا لنقابة المحامين الأسكتلندية؟".

"صحيح يا سيدى". هذا أمر لم يكن يعرفه دانى.

"وأنك أحد مواطنى إدينبيرج؟".

"لى ذلك الشرف يا سيدى" وهو أمر آخر لم يكن دانى يعرفه.

"هلا فسرت للمحكمة يا سيد مونرو طبيعة علاقتك بالمتهم؟".

"بالطبع يا سيد ردماين. كان لى الشرف أن أمثل قانونيًا السير آلكسندر مونكريف أول من حمل اللقب فى العائلة، كما كان والدى من قبلى ممثلاً له".

"وهل مثلت مصالح السير نيكولاس مونكريف أيضًا؟".

"نعم، فعلت يا سيدى".

"وهل أدرت شئونه القانونية بينما كان فى الجيش، وبعد ذلك حينما كان فى السجن؟".

"نعم. كان يتصل بى هاتفيًا من وقت إلى آخر بينما كان فى السجن، ولكن الجزء الأكبر من أعمالنا تمت عبر المراسلات المطولة".

"وهل قمت بزيارة السير نيكولاس بينما كان فى السجن؟".

"كلا، لم أزره. لقد طلب منى السير نيكولاس بصراحة ألا أقوم بهذا، وقد لبيت رغبته".

سأل آليكس: "أين التقيت به لأول مرة؟".

"عرفته طفلاً عندما كان يافعًا فى أسكتلندا، ولكن قبل

المرة التى عاد فيها إلى دانبروث لحضور جنازة والده، لم أكن قد رأيته لاثنى عشر عامًا".

"هل تمكنت من التحدث إليه فى تلك المناسبة؟".

"بكل تأكيد. كان الضابطان اللذان اصطحباه فى غاية التعاون والمراعاة، وسمحا لى أن أقضى ساعة مع السير نيكولاس فى جلسة استشارة خاصة".

"والمرة الثانية التى التقيت به خلالها كانت بعد سبعة أو ثمانية أسابيع، عندما جاء إلى أسكتلندا ما إن تم إطلاق سراحه من سجن بيلمارش".

"ذلك صحيح".

"ألديك أى سبب يدعوك للاعتقاد بأن الشخص الذى قام بزيارتك فى تلك المناسبة لم يكن هو السير نيكولاس مونكريف؟".

"كلا يا سيدى. فأنا لم أكن قد رأيته إلا لساعة واحدة على مدى الاثنى عشر عامًا الماضية، والرجل الذى دخل مكتبى كان شديد الشبه بالسير نيكولاس، ليس هذا وحسب بل إنه كان يرتدى ثيابه نفسها التى كان يرتديها فى المرة السابقة التى التقينا فيها، كما كان يمتلك جميع المراسلات التى جرت بيننا على مدى أعوام، وكان يرتدى الخاتم الذهبى الذى يحمل شعار العائلة إلى جانب سلسلة فضية والمفتاح الذى أراه لى جده قبل بضعة أعوام".

"إذن، فقد كان هو السير نيكولاس مونكريف بكل معنى الكلمة؟".

"نعم، كان هو بالنسبة للعين المجردة يا سيدى".

"بعد الإدراك المتأخر لحقيقة الوضع، وعندما تستعيد تلك الأوقات، هل سبق لك أن تشككت فى أن الرجل الذى تظنه السير نيكولاس مونكريف كان فى الحقيقة مدعيًا ومزورًا؟".

"كلا. فعلى كل الاعتبارات قدم نفسه بكل كياسة ولباقة

وأدب، وهى صفات نادرة بالنسبة لشاب حديث السن. بل إنه ذكرنى بجده الراحل أكثر من أى عضو آخر فى العائلة".

"كيف تمكنت فى نهاية الأمر من اكتشاف أن عميلك لم يكن هو السير نيكولاس مونكريف، ولكنه دانى كارترايت؟".

"بعد القبض عليه واتهامه بالاتهامات الموجهة إليه فى هذه المحاكمة".

"هل لى أن أؤكد، لمجرد التسجيل، يا سيد مونرو، أن مسئولية إدارة ممتلكات مونكريف قد عادت إليك؟".

"ذلك صحيح يا سيد ردماين، على الرغم من أننى لابد أن أقر بأننى لن أستطيع أن أديرها يومًا بيوم بالموهبة والبراعة نفسها التى تحلى بها دانى كارترايت على الدوام".

"هل سيكون من الصحيح إذا قلنا إن الممتلكات صارت الآن فى وضعية مالية أفضل مما كانت عليه قبل بضعة أعوام؟".

"بدون أدنى شك. على الرغم من رأس المال توقف عن النمو منذ أن أعيد السيد كارترايت إلى السجن".

تدخل القاضى قائلاً: "أرجو حقًا يا سيد مونرو أنك لا توحى بأن هذا يقلل أو يهون من خطورة الاتهامات الموجهة؟".

قال مونرو: "كلا يا سيادة القاضى، ولكننى تبينت مع التقدم فى العمر أنه لا توجد إلا أمور قليلة للغاية يمكن أن تكون بيضاء أو سوداء، والأغلب أن تكون الأمور ذات درجات مختلفة من الرمادى. ويمكننى أن أوجز الأمر يا سيدى بالقول إنه كان شرفًا لى أن أخدم السير نيكولاس مونكريف، وكان امتيازًا خاصًا لى أن أعمل مع السيد كارترايت. إن كلاً منهما شامخ مثل نخلة راسخة حتى ولو ترعرع كل منهما فى تربة مختلفة، ولكن مع هذا يا سيدى القاضى، ألا نعانى جميعًا بطرق مختلفة أننا سجناء ظروف نشأتنا".

فتح السير ماثيو كلا عينيه وحدق إلى مونرو، باعتباره رجلاً كان يرجو لو ربطته به أواصر الصداقة من زمن بعيد.

واصل آليكس قائلاً: "لا يمكن لهيئة المحلفين يا سيد مونرو أن تغفل أنك تكن احترامًا وإعجابًا عظيمين للسيد كارترايت، ولكن مع وضع هذا فى الاعتبار فقد يجدون من العسير عليهم فهم كيف يتورط الرجل نفسه فى مثل ذلك الخداع الشائن".

"لقد طرحت هذا السؤال على نفسى بلا توقف خلال الشهور الستة الماضية يا سيد ردماين وقد توصلت إلى نتيجة مفادها أن عذره الوحيد قد يكون مواجهة ظلم أشد وطأة قد وقع....".

"سيد مونرو" قاطعه القاضى محتدًا قائلاً: "كما تعلم جيدًا، هذا ليس الوقت والمكان المناسبين للإعراب عن آرائك الشخصية".

التفت مونرو نحو القاضى، وقال: "إننى شديد الامتنان لإرشادك لى يا سيدى القاضى، ولكننى أقسمت أننى أقول الحقيقة كاملة، وأفترض أنك لا تفترض بى أن أقوم بشىء على خلاف هذا".

فقال القاضى على الفور: "كلا، لا أتوقع منك شيئًا بخلاف هذا، ولكننى أكرر أن هذا ليس المكان المناسب للإعراب عن آرائك ورؤاك".

"سيدى القاضى، إن لم يستطع الإنسان أن يعرب عما يعتقده من آراء ووجهات نظر بصراحة ونزاهة فى المحكمة الجنائية المركزية، فلعلك تستطيع أن تخبرنى بأى مكان آخر يجد فيه حرية التعبير عن الحقيقة؟".

سرت فى قاعة المحكمة موجة من الإشادة والاستحسان.

قال القاضى السيد هاكيت: "أظن أن الوقت قد حان لتواصل استجوابك يا سيد ردماين".

قال آليكس: "ليس لدى مزيد من الأسئلة لهذا الشاهد يا سيدى القاضى". بدا الارتياح على القاضى.

بعد أن عاد آليكس إلى مجلسه، انحنى السير ماثيو نحوه وهمس قائلاً: "أنا بالفعل أشعر بشيء من الأسف على عزيزنا آرنولد. لابد أنه الآن ممزق بين أن يتصدى لهذا العملاق فيجازف بأن يهزم أمامه، أو أن يتجاهله تماما تاركًا لهيئة المحلفين انطباعًا بأنهم سيمتعون أحفادهم بتلك الحكاية".

لم يطرف للسيد مونرو جفن بينما كان يحدق بثبات إلى بيرسون، الذى كان مستغرقًا فى الحديث مع محاميه المساعد، وكل منهما يبدو على الدرجة نفسها من الحيرة والارتباك.

قال القاضى: "لا أود أن أستعجلك يا سيد بيرسون، ولكن هل تنوى استجواب هذا الشاهد؟".

نهض بيرسون بمزيد من البطء عما اعتاده، ولم يمسك طيات عباءته أو يلمس شعره المستعار. ألقى نظرة على قائمة أسئلته التى أهدر إجازة نهاية الأسبوع فى إعدادها، وغير رأيه.

"نعم يا سيدى، ولكننى لن آخذ وقتًا طويلاً من الشاهد".

غمغم السير ماثيو: "وقتًا طويلاً على ما أرجو".

تجاهل بيرسون الملاحظة، وقال: "يؤلمنى أن أفهم يا سيد مونرو أن رجلاً فى مثل بصيرتك وخبرتك بالشئون القانونية لا يمكنه أن يتريب ولو للحظة أنه عميله كان شخصًا مدعيًا زائفًا".

طرق مونرو بأصابعه على جانب مقصورة الشهود، وانتظر ما يكفيه من الوقت حتى شعر بأن بوسعه أن يفلت من اللوم. وقال أخيرا: "هذا أمر من السهل تفسيره يا سيد بيرسون، كان دانى كارترايت فى جميع الأوقات جديرًا بالتصديق إلى أقصى حد، ومع هذا فيجب على أن أعترف بأنه كانت هناك لحظة واحدة خلال علاقتنا التى دامت لعامين عندما خانه حذره".

سأل بيرسون: "ومتى حدث هذا؟".

"عندما كنا نتناقش حول مجموعة جده من الطوابع النادرة واضطررت أن أذكره بأنه حضر افتتاح معرض خاص بتلك المجموعة فى معهد سميثسونيان فى واشنطون العاصمة. كنت مندهشًا لأنه لم يبد عليه تذكره لتلك المناسبة، وهو ما وجدته أمرًا محيرًا، بما أنه كان العضو الوحيد فى الأسرة الذى تلقى دعوة للحضور".

تساءل بيرسون: "أولم تسأله حول هذا الموضوع؟".

قال مونرو: "كلا، شعرت بأنه لن يكون هذا من اللائق فى هذا الوقت".

قال بيرسون: "ولكن، إن تشككت حتى ولو للحظة أن هذا الرجل" وأشار بإصبعه نحو دانى دون أن ينظر نحوه: "ليس هو السير نيكولاس، فإنها مسئوليتك بالتأكيد أن تتقصى الأمر".

"لم أشعر بذلك فى حينه".

"لكن هذا الرجل كان ينفذ عملية احتيال كبرى على عائلة مونكريف، وقد كنت طرفًا فيها".

أجاب مونرو: "لا أرى الأمر على ذلك النحو".

"ولكن بما أنك كنت الوصى على ممتلكات عائلة مونكريف، فلا شك أنه كان من واجبك أن تفصح عن أن كارترايت كان محتالاً".

قال مونرو بهدوء: "كلا، لم أر أن هذا جزء من واجبى".

"ألم يروعك يا سيد مونرو أن هذا الرجل قد أقام فى مسكن المدينة الخاص بعائلة مونكريف دون أن يكون له أى حق فى هذا؟".

أجاب مونرو: "كلا، لم يروعنى هذا".

"ألم تفزعك فكرة أن هذا الدخيل قد صار الآن متحكمًا بثروة مونكريف كلها التى كنت حارسًا عليها بمنتهى الغيرة نيابة عن العائلة على مدى أعوام طويلة؟".

"كلا يا سيدى لم تفزعنى تلك الفكرة".

سأل بيرسون: "ولكن فيما بعد، عندما تم القبض على عميلك بتهم تشمل النصب والسرقة، ألم تشعر بأنك قد أهملت فى أداء واجبك؟".

"لا أحتاج إليك لتنصحنى ما إذا كنت أهملت أم لم أهمل فى أداء واجبى يا سيد بيرسون".

فتح السير ماثيو إحدى عينيه. وأبقى القاضى رأسه محنية.

قال بيرسون وكان صوته يرتفع مع كل كلمة يقولها: "ولكن هذا الرجل سرق فضة العائلة على حد تعبير الكاتب الاسكتلندى هارولد ماكميلان، ولم تحرك ساكنًا لمنعه".

"كلا يا سيدى، إنه لم يسرق فضة العائلة وأنا واثق أن الكاتب هارولد ماكميلان لو اطلع على الأمر لوافقنى على ذلك، الشىء الوحيد الذى سرقه دانى كارترايت كان هو اسم العائلة".

قال القاضى وقد تعافى قليلاً من هجمة السيد مونرو السابقة عليه: "يمكنك بلا شك أن تفسر للمحكمة المعضلة الأخلاقية التى أواجهها فى افتراضك هذا".

أدرك السيد مونرو أنه قد استحوذ على انتباه جميع من بقاعة المحكمة حتى الضابط الذى يقف بالباب، والتفت مواجهًا القاضى: "سيادة القاضى غير مضطر لإزعاج نفسه بأية معضلات أخلاقية، لأننى كنت مهتمًا وحسب بالدقائق والمفارقات القانونية للقضية".

قال القاضى السيد هاكيت وهو يتتبعه بمنتهى الحرص: "الدقائق والمفارقات القانونية؟!".

"نعم سيادة القاضى. إن السيد دانى كارترايت كان هو الوريث الوحيد لثروة مونكريف، لذا لا يمكننى أن أدرك أى قانون قد خرقه إن كان هناك أى خرق للقانون من الأصل".

اضطجع القاضى للوراء، راضيًا لأن يترك لبيرسون مهمة الغوص فى الرمال الناعمة التى يجره إليها مونرو.

سأل بيرسون هامسًا: "هل يمكنك أن تفسر للمحكمة يا سيد مونرو، ما الذى تعنيه بالتحديد بقولك ذلك؟".

"الأمر فى غاية البساطة يا سيد بيرسون، إن السير نيكولاس مونكريف الراحل كتب وصية أورث فيها كل ما يملك لدانيال آرثر كارترايت الساكن فى ستة وعشرين بطريق بيكون، لندن إيه ٣ إى، مع استثناء واحد وهو تخصيص راتب سنوى بقيمة عشرة آلاف جنيها أوصى به لصالح سائقه السابق السيد آلبرت كران".

فتح السير ماثيو عينه الأخرى، وهو ليس واثقًا إن كان يثبتها على مونرو أم على بيرسون.

سأل مونرو وهو يبحث يائسًا عن مهرب: "وهل تم تسجيل هذه الوصية ووقع عليها شاهدان على نحو قانونى ملائم؟".

"لقد قام السير نيكولاس بتوقيعها فى مكتبى خلال بعد ظهيرة يوم جنازة والده. ونظرًا لحزن الموقف ولمسئوليتى عن الرعاية القانونية لممتلكات العائلة – كما تفضلت وأشرت لذلك بكل تأكيد يا سيد بيرسون – طلبت من الضابط الكبير راى باسكو والضابط الكبير أن يتفضلا بالشهادة على توقيع السير نيكولاس فى حضور شريك آخر من شركائى بالشركة". ثم التفت مونرو للقاضى قائلاً: "إن الوثيقة الأصلية بحوزتى يا سيادة القاضى، إن كنت مهتمًا بفحصها".

أجابه القاضى: "كلا، شكرًا لك، يا سيد مونرو، يسرنى تمامًا أن أثق بكلمتك".

انهار بيرسون مرتميًا على مقعد المحامين الطويل، وقد نسى تمامًا أن يقول: "ليس لدى مزيد من الأسئلة يا سيادة القاضى".

سأل القاضى: "هل تود أن تعيد استجواب هذا الشاهد يا

سيد ردماين؟".

قال آليكس: "مجرد سؤال واحد يا سيادة القاضى. هل أوصى السير نيكولاس مونكريف بأى شىء لعمه هوجو مونكريف يا سيد مونرو؟".

قال مونرو: "كلا، ولا أقل من بنس واحد".

"ليس لدى المزيد من الأسئلة يا سيادة القاضى".

امتلأت القاعة بهمسات خافتة بينما ينزل مونرو من على منصة الشهود، ويسير نحو قفص الاتهام ويصافح المتهم يدًا بيد.

قال آليكس بعد أن غادر مونرو قاعة المحكمة: "سيدى القاضى، هل لى أن أناقش سيادتكم فى نقطة قانونية".

"بكل تأكيد يا سيد ردماين، ولكن علىّ أن أخلى القاعة أولاً وأصرف هيئة المحلفين. أعضاء هيئة المحلفين الموقرين، كما سمعتم للتو فإن محامى الدفاع يطلب مناقشة نقطة قانونية معى. قد لا يتعلق الأمر بهذه القضية على أى نحو، ولكن إن كان متعلقًا بها فسوف أبلغكم بعد عودتكم فورًا".

بينما يغادر هيئة المحلفين تطلع آليكس نحو مقصورة الحضور المكتظة بالناس، واستقرت عيناه على امرأة شابة جذابة لاحظ أنها كانت تجلس على أحد طرفى الصف الأمامى كل يوم منذ أن بدأت المحاكمة. كنت أنتوى أن يسأل دانى من تكون هذه المرأة.

ما إلا دقائق معدودة وأشار الحاجب للمقاعد الخالية وصاح: "تم إخلاء القاعة يا سيدى القاضى".

قال القاضى: "شكرًا لك يا سيد هيبل، والآن يا سيد ردماين كيف يمكننى مساعدتك؟".

"سيدى القاضى، بعد الدليل المقدم من حضرة المحترم السيد مونرو، يقترح الدفاع أنه ليس هناك قضية للحكم فيها فيما يتعلق بالاتهامات ثلاثة وأربعة وخمسة، أى تحديدًا شغل

منزل حى بولتونز، والانتفاع ببيع مجموعة الطوابع النادرة، وتحرير شيكات مصرفية على حساب بنك كاوتس. ونحن نطلب أن تلغى جميع تلك التهم، لأنه من الواضح بذاته أنه من المستحيل أن يسرق المرء شيئًا يمتلكه بالفعل".

أخذ القاضى بضع دقائق ليتأمل الحجة قبل أن يجيب: "أنت تشير لنقطة عادلة ونزيهة يا سيد ردماين. ما رأيك يا سيد بيرسون؟".

قال بيرسون: "أرى أن علىَّ أن أوضح يا سيدى القاضى، أنه على الرغم من أنه قد يكون الواقع أن المتهم هو المنتفع بوصية السير نيكولاس مونكريف، فلا شىء يوحى بأنه كان مدركًا لذلك فى حينه".

قاطعه آليكس على الفور: "سيدى القاضى، كان موكلى يعلم تمام العلم بوجود وصية السير نيكولاس وبمن هم المنتفعون بها".

سأل القاضى: "وكيف يكون هذا ممكنًا يا سيد ردماين؟".

"بينما كان السير نيكولاس فى السجن يا سيادة القاضى، كما قد أوضحت فى مناسبة سابقة، كان يسجل يومياته على الدوام. وقد سجل بها تفاصيل وصيته فى اليوم التالى على عودته إلى سجن بيلمارش من جنازة والده".

أوضح القاضى قائلاً: "غير أن هذا لا يثبت أن كارترايت كان مطلعًا على أفكاره".

"كان من الممكن أن أتفق معك يا سيادة القاضى لو لم يكن المتهم نفسه هو من أشار للفقرات الخاصة بالوصية حتى يأخذها محامىّ المساعد فى الاعتبار". أومأ السير ماثيو برأسه مؤيدًا.

هب السيد بيرسون هنا ليخلص القاضى من بين أيديهم قائلاً: "فى تلك الحالة ليس لدى النيابة أى اعتراض على إلغاء تلك الاتهامات من القائمة".

قال القاضى: "أنا ممتن لتدخلك يا سيد بيرسون، وأرى أنه سيكون هذا هو القرار الصائب، وهكذا سأبلغ المحلفين به ما إن يعودوا".

قال آليكس: "شكرًا لك يا سيادة القاضى وأنا مدين للسيد بيرسون لتعاونه فى هذه النقطة".

قال القاضى: "ومع هذا، فأنا واثق يا سيد ردماين أنك لا تحتاج لتذكيرك بأن الاتهام الأشد خطورة، هو الهرب من السجن أثناء قضاء فترة العقوبة مازال موجودًا على لائحة الاتهام".

قال آليكس: "أنا مدرك لهذا تمام الإدراك سيدى القاضى".

أومأ القاضى. "إذن فسوف أطلب من الحاجب أن يستدعى هيئة المحلفين لأبلغهم بالتطورات".

"هناك أمر يتعلق بالقضية يا سيادة القاضى".

قال القاضى وهو يعيد القلم إلى موضعه: "نعم يا سيد ردماين؟".

"سيدى القاضى بعد الشهادة التى قدمها السير هوجو مونكريف نستدعى للمثول أمام المحكمة السيد سبنسر كريج ممثل الادعاء كشاهد، وقد طلب إعفاء سيادتكم له بما أنه فى الوقت الحاضر يعمل على قضية أخرى فى جزء آخر من هذا المبنى، ولن يكون بمقدوره الحضور أمام سيادتكم قبل صباح الغد".

اندفع كثير من الصحفيين ورجال الإعلام خارج قاعة المحكمة للاتصال بمكاتبهم.

قال القاضى: "السيد بيرسون؟".

"ليس لدينا أى اعتراض سيدى القاضى".

"شكرًا لكما، ما إن يحضر أعضاء هيئة المحلفين. وبعد أن أطلعهم على تلك النقاط سوف نصرفهم خلال ما تبقى من

اليوم".

قال آليكس: "كما تشاء يا سيادة القاضى، ولكن قبل أن تفعل هذا، هل لى أن أذكرك بتغيير طفيف فى إجراءات جلسة الغد؟". وضع القاضى السيد هاكيت قلمه من جديد وأومأ موافقًا.

"سيدى القاضى، لا شك فى أنك تعرف تمام المعرفة أنه من التقاليد المعروفة فى المحاكم الإنجليزية السماح للمحامى المساعد أن يستجوب أحد الشهود فى أى قضية، من أجل أن يكتسب بعض الخبرة وأن تتاح له الفرصة للتقدم فى مساره العملى".

"يمكننى أن أفهم إلام يؤدى هذا يا سيد ردماين".

"إذن فبعد إذن سيادتك سيقوم محامىّ المساعد السير ماثيو بقيادة فريق الدفاع عند استجوابنا للشاهد التالى، السيد سبنسر كريج".

وهنا اندفع من تبقوا من رجال الصحافة نحو باب القاعة.

٧٧

قضى دانى ليلة أخرى من السهاد فى سجن بيلمارش، ولم يكن سبب سهاده هو غطيط آل الضخم فى نومه.

جلست بيث على فراشها وهى تحاول أن تقرأ كتابًا، لكنها لم تقلب الصفحة أبدًا بما أن عقلها كان مشغولاً بنهاية لقصة أخرى.

لم ينم آليكس ردماين ليلته هو الآخر، لأنه كان يعلم أنهم إذا ما أخفقوا فى الغد فلن تتاح له فرصة ثالثة على الإطلاق.

لم يتجشم السير ماثيو ردماين عناء الخلود للفراش أصلاً، بل راح يراجع مرارًا وتكرارًا ترتيب أسئلته.

راح سبنسر كريج يتقلب فى فراشه فى محاولة لأن يكتشف أى الأسئلة من المرجح أن تطرح عليه، وكيف يمكنه أن يتجنب الإجابة عنها.

أما آرنولد بيرسون فلم يغمض له جفن.

ونام القاضى السيد هاكيت نومًا هانئًا.

وعندما جلس دانى فى قفص الاتهام كانت القاعة رقم أربعة قد امتلأت عن آخرها بالفعل. نظر فى أرجاء قاعة المحكمة، وكم أدهشه أن يرى عراكًا وتزاحمًا بين المحامين والقانونيين

على أفضل الأماكن التى يمكنهم متابعة القضية منها.

امتلأت المقاعد المخصصة للصحافة بمراسلى صفحات الحوادث والجرائم ممن كتبوا خلال الأسبوع الماضى مئات الأعمدة، ونبهوا على قرائهم أن يتوقعوا قصة صفحة أولى فى طبعات الغد. كانوا لا يطيقون صبرًا على المواجهة ما بين أعظم المحامين على الإطلاق منذ إف إى سميث ممثل الادعاء فأصغر أبناء جيله فى هذا المنصب (وفقًا لصحيفة التايمز)، أو النمس فى مواجهة الثعبان (وفقًا لصحيفة ذا صن).

تطلع دانى ببصره نحو مقصورة الحضور وابتسم لبيث الجالسة بمكانها المعتاد إلى جوار أمه. وكانت سارة تجلس فى نهاية الصف الأمامى محنية الرأس، وعلى المقعد المخصص للمحامين كان السيد بيرسون يتجاذب أطراف الحديث مع محاميه المساعد. وبدا أكثر استرخاء منه فى أى وقت آخر خلال المحاكمة؛ فذلك لأنه اليوم سيكون مجرد مشاهد وليس مشاركًا.

والمكان الوحيد الخالى فى قاعة المحكمة كان الطرف الآخر من مقعد المحامين بانتظار دخول آليكس ردماين ومساعده. تم إضافة رجلى شرطة آخرين ليمنعوا القادمين بعد الموعد المحدد من الدخول إلا إذا كانوا من الموظفين الرسميين بالمحكمة.

جلس دانى فى مركز قفص الاتهام، وهو أفضل مكان يمكنه من رؤية كل شىء، كما كان يتمنى لو أنه يستطيع قراءة نص هذه المسرحية قبل أن يرفع الستار عن أحداثها.

سبحت فى سماء القاعة سحابة من التوقع والترقب بينما كان الجميع بانتظار المشاركين الأربعة المتبقين حتى يظهروا. فى العاشرة إلا خمس دقائق، فتح شرطى باب قاعة المحكمة وساد صمت فوق رءوس المتجمعين بالخارج وتنحى هؤلاء الواقفون ممن لم يجدوا لهم مكانًا خاليًا ليسمحوا بمرور كل من آليكس ردماين ومساعده حتى مقعد المحامين.

الفصل السابع والسبعون

لم يحاول السير ماثيو هذا الصباح أن ينزوى فى ركن المقعد مغلقًا عينيه. بل إنه حتى لم يجلس. بقى واقفًا منتصب القامة يجول بنظره فى أرجاء قاعة المحكمة. لقد مضت أعوام عديدة منذ أن ظهر كمحامٍ فى أى محكمة. ما إن انتهى من تحديد اتجاهه ووقفته حتّى فرد مسندًا خشبيًا صغيرًا كانت زوجته قد أخرجته الليلة السابقة من مخزن، ولم يتم استخدامه بالمحكمة على مدى عشر سنوات. وضعه أمامه على المكتب، ثم أخرج من حقيبته مجموعة أوراق دون عليها بخط يده المنمق الأسئلة التى قضى سبنسر كريج ليلته فى محاولة توقعها. وأخيرًا ناول آليكس صورتين فوتوغرافيتين كان كلاهما يعرف أن الصورتين ستحددان مصير دانى كارترايت.

وبعد أن صار كل شىء فى موقعه وعلى خير ما يرام، التفت السير ماثيو مبتسمًا نحو خصمه القديم وقال: "طاب صباحك يا آرنولد، أتمنى حقًا ألا نزعجك كثيرًا اليوم".

رد له بيرسون ابتسامته وقال: "يا له من شعور أتفق معه تمام الاتفاق، بل إننى سأخرق عادة جريت عليها خلال عمرى كله، وأتمنى لك حظًا موفقًا. على الرغم من أننى لم أفعلها ولو لمرة واحدة على مدى سنوات فى المحاكم، إذ لم أتمن فوز خصمى إطلاقًا. ولكن هذا يوم استثنائى".

انحنى له السير ماثيو انحناءة هينة، وقال: "سأبذل كل جهدى لتحقيق أمنيتك". وعندئذٍ جلس، مغلقًا عينيه وقد شرع يهيئ نفسه.

انشغل آليكس بإعداد الوثائق، والمخطوطات، والصور الفوتوغرافية والأشياء الأخرى المتعلقة بالقضية فى مجموعات منتظمة بحيث ما إن يرفع والده يده اليمنى، مثل عداء فى الأوليمبياد، سيجد ما يلزمه بين يديه على الفور".

توقفت ضجة الأحاديث غير ذات الأهمية عندما دخل القاضى السيد هاكيت إلى قاعة المحكمة. سار متمهلاً عبر

المقاعد الثلاثة إلى مركز المنصة، محاولاً أن يعطى الانطباع بأنه ما من شىء مشئوم سوف يجرى فى قاعة المحكمة هذا الصباح.

جلس على المقعد الأوسط فملأه تمامًا، وقضى وقتًا أطول من المعتاد فى تنظيم أقلامه وفحص دفاتره بينما انتظر أن يتخذ المحلفون أماكنهم.

وما إن جلسوا حتى قال بنبرة صوت ودودة عطوفة: "طاب صباحكم. السادة أعضاء هيئة المحلفين، الشاهد الأول اليوم سيكون هو ممثل الادعاء سبنسر كريج. وسوف تتذكرون أن اسمه قد ورد خلال استجواب السير هوجو مونكريف. لم يكن السيد كريج من بين الشهود الذين حددهم الدفاع أو حددهم الادعاء، ولكن طلبه للمثول أمام هذه المحكمة لا يعنى أنه لا يفعل ذلك عن طيب خاطر. وعليكم أن تتذكروا أن واجبكم الوحيد هو أن تقرروا ما إن كانت شهادة السيد كريج ذات صلة بالقضية المعروضة أمام هذه المحكمة، وهى تحديدًا هل فر المتهم من السجن دون وجه حق؟ وحول هذه المسألة، وهذه المسألة وحدها، سيكون عليكم أن تتوصلوا إلى قرار".

ابتسم القاضى السيد هاكيت ناظرًا نحو هيئة المحلفين قبل أن يحول انتباهه إلى محامى الدفاع المساعد، وقال: "سير ماثيو، هل أنت مستعد لاستدعاء الشاهد؟".

نهض ماثيو ردماين ببطء من مكانه. وأجاب: "نعم، أنا مستعد يا سيدى القاضى"، غير أنه لم يتصرف بأى درجة من التعجل. صب لنفسه كوب ماء، ثم وضع نظارته على أرنبة أنفه، وفتح أخيرًا ملفه المغلف بالجلد الأحمر. وعندما شعر باستعداده التام للمواجهة، قال: "إننى أستدعى السيد سبنسر كريج". ترددت كلماته فى القاعة مثل ناقوس إعلان الموت.

خرج شرطى إلى الردهة وصاح: "السيد سبنسر كريج!".

تركز انتباه الجميع الآن على باب قاعة المحكمة فى انتظار

دخول الشاهد الأخير. ما هى إلا لحظات وظهر سبنسر كريج، مرتديًا زيه القانونى، وسار إلى داخل قاعة المحكمة كما لو أن الأمر مجرد يوم آخر فى حياته المشحونة بالقضايا والمرافعات.

دخل كريج إلى مقصورة الشهود، والتقط الكتاب المقدس، وواجه المحلفين، وتلا القسم بأسلوب الواثق من نفسه والحازم. كان يعلم أن المحلفين، وهم وحدهم، من سيقررون مصيره. أعاد الكتاب المقدس إلى الحاجب، والتفت مواجهًا السير ماثيو.

بدأ السير ماثيو حديثه بصوت هادئ، كما لو أنه يرغب بتقديم العون للشاهد بكل وسيلة ممكنة: "سيد كريج، هلا تفضلت بإعلان بياناتك للتسجيل!".

"سبنسر كريج، أسكن فى ثلاثة وأربعين هامبيلدون تيراسى، لندن إس دابليو ٣".

"وما عملك؟".

"إننى محام ممثل الادعاء".

"إذن فلا حاجة بى لأن أذكر عضوًا بارزًا بالسلك القضائى بدلالة اليمين، أو بسلطة هذه المحكمة".

أجابه كريج: "لا حاجة بك بالمرة ولو أنك فعلت ذلك فيما يبدو".

"سيد كريج، متى اكتشفت أول مرة أن السير نيكولاس مونكريف هو فى حقيقة الأمر السيد دانيال كارترايت؟".

"أحد اصدقائى كان بالمدرسة مع السير نيكولاس التقى به بالمصادفة فى فندق دورتشيستر. وسرعان ما أدرك أن هذا الرجل مدع ومحتال".

وضع آليكس علامة صح فى المربع الأول. من الواضح أن كريج كان قد توقع أول أسئلة أبيه، وأجابه بإجابة معدة مسبقًا على خير نحو.

"ولماذا يقرر هذا الصديق أن يطلعك أنت، على وجه

التحديد، بهذا الاكتشاف الخطير؟".

"لم يطلعنى يا سير ماثيو، لقد طرح الأمر خلال حديث عادى أثناء تناول العشاء".

وعلامة صح أخرى.

"إذن فما الذى دفعك لأن تتخذ هذه الوثبة العملاقة فى المجهول وتتوصل إلى نتيجة أن الرجل الذى يقدم نفسه على أنه سير نيكولاس مونكريف كان فى حقيقة الأمر دانيال كارترايت؟".

قال كريج: "لم يبد الأمر كذلك فى البداية، إلى أن عرفنى أحدهم بشخص يفترض أنه السير نيكولاس ذات أمسية بالمسرح وهالنى مقدار التشابه فى الشكل، إن لم يكن فى الأسلوب، بينه وبين كارترايت".

"هل كانت تلك هى اللحظة التى قررت فيها الاتصال برئيس المباحث فولر وإطلاعه على ما يساورك من شكوك؟".

"كلا. رأيت أن هذا قد لا يكون قرارًا متعقلاً، وهكذا اتصلت أولاً بأحد أعضاء عائلة مونكريف تحسبًا كما تفضلت وقلت إننى كنت أتخذ قفزة هائلة فى المجهول".

وضع آليكس علامة أخرى على قائمة الأسئلة. حتى الآن لم يمس والده بقفازه خصمه.

سأل السير ماثيو رغم معرفته التامة بالإجابة: "أى أعضاء العائلة قمت بالاتصال به؟".

"إنه السيد هوجو مونكريف، عم السير نيكولاس، والذى أعلمنى أن ابن أخيه لم يتصل به منذ اليوم الذى أطلق سراحه من السجن، الأمر الذى ضاعف شكوكى".

"فهل كان هذا هو الوقت الذى اتصلت فيه بالسيد فولر؟".

"كلا، كنت لاأزال أرى أننى بحاجة إلى دليل ملموس".

"ولكن المفتش فولر كان يمكنه أن يخلصك من هذا العبء

يا سيد كريج. لا يمكننى أن أفهم لماذا يختار رجل كثير المشاغل مثلك أن يتورط فى هذا؟".

"لقد أوضحت ذلك بالفعل يا سير ماثيو، لقد شعرت بأنها مسئوليتى أن أحرص على عدم إهدار وقت الشرطة".

"ما أطيب إحساسك بالواجب العام". تجاهل كريج التعليق الشائك للسير ماثيو، وابتسم لهيئة المحلفين. أضاف السير ماثيو: "ولكن ينبغى علىّ أن أسألك من الشخص الذى نبهك للمكاسب المحتملة من قدرتك على إثبات أن الرجل الذى ينتحل شخصية السير نيكولاس مونكريف هو فى الحقيقة مزور مدع؟".

"المكاسِب؟".

"نعم، المكاسب يا سيد كريج".

قال كريج: "لست متأكدًا من أننى أفهمك". وضع آليكس أول علامة إكس على قائمته. كان من الواضح أن الشاهد يحاول أن يكسب بعض الوقت.

قال السير ماثيو: "إذن اسمح لى أن أساعدك" مد يده اليمنى فناوله آليكس ورقة واحدة. مر السير ماثيو بعينيه على الصفحة، مما منح كريج وقتًا ليتساءل أية مفرقعات يمكن أن تحتوى عليها هذه الورقة.

قال السير ماثيو: "هل سأكون محقًا إذا اقترحت يا سيد كريج أنه إذا استطعت إثبات أن من انتحر فى سجن بيلمارش كان نيكولاس مونكريف وليس دانى كارترايت، فإن السيد هوجو مونكريف سوف يرث لقب العائلة، ليس هذا وحسب بل وسوف يرث إلى جانب اللقب ثروة طائلة؟".

قال كريج دون أن يجفل: "لم أكن أدرك لذلك فى حينه".

"إذن فقد كنت تتصرف بدوافع من الإيثار التام؟".

"نعم، كان الأمر هكذا أيها السير، جنبًا إلى جنب رغبتى فى أن يتم سجن مجرم خطير وعنيف".

"سوف نناقش بعد دقائق مسألة المجرم الخطير والعنيف الذى لابد من سجنه يا سيد كريج، ولكن قبل ذلك، اسمح لى أن أسألك متى تغلبت إمكانية الكسب السريع والهائل على إحساسك المرهف بالواجب العام؟".

قاطعه القاضى قائلاً: "سير ماثيو، هذه ليست اللغة المناسبة التى أتوقعها من محامٍ مساعد عندما يخاطب ممثلاً للادعاء".

"إننى أعتذر سيدى القاضى. سوف أعيد صياغة سؤالى. سيد كريج، متى أدركت لأول مرة فرصة كسب عدة ملايين من الجنيهات من المعلومة التى التقطتها من صديق لك خلال تناول العشاء؟".

"عندما دعانى السير هوجو للتصرف نيابة عنه بصفة خاصة".

وضع آليكس علامة صح أخرى أمام سؤال آخر متوقع، على الرغم من أنه كان يعرف أن كريج يكذب.

"سيد كريج، هل تعتبره أمرًا مشينًا لممثل الادعاء أن ينال خمسة وعشرين بالمائة من ميراث رجل مقابل معلومة لم يكن هو حتى مصدرها؟".

قال كريج فى هدوء: "صار من الشائع الآن يا سير ماثيو أن ينال المحامون أتعابهم وفقًا للنتائج التى يتوصلون لها، وأنا أدرك أن هذه الطريقة كانت فى مهدها على أيامكم، لذا ربما يجب علىّ أن أوضح أننى لم أتقاض أى أتعاب أو تغطية للنفقات، وأنه فى حالة أن اتضح أن شكوكى فى غير محلها فمعنى هذا أن بددت قدرًا كبيرًا من وقتى ومن مالى".

ابتسم له السير ماثيو: "إذن سوف يسرك أن تعرف يا سيد كريج أن جانب الإيثار والغيرة من طبيعتك هو من يكتب له الفوز اليوم". لم يفهم كريج ما المغزى وراء التعليق اللاذع لسير ماثيو، برغم من أنه كان فى أشد الاحتياج لاكتشاف المقصود منه.

أخذ السير ماثو وقته الكافى قبل أن يضيف: "كما لعلك تعرف فإن المحكمة قد أبلغت مؤخرًا من السيد فريزر مونور، المحامى الخاص للراحل سير نيكولاس مونكريف، بأن موكله قد أوصى بكل ممتلكاته لصديقه الحميم السيد دانى كارترايت. وهكذا فإن مخاوفك قد تحققت وقد بددت قدرًا كبيرًا من الوقت ومن المال. ولكن على الرغم من الثروة الطائلة لموكلى، اسمح لى أن أؤكد لك يا سيد كريج فإننى لن أتقاضى منه خمسة وعشرين بالمائة من ميراثه مقابل خدماتى".

قال كريج غاضبًا: "ولن تتمكن من هذا، بما أنه سيقضى الخمس والعشرين سنة التالية فى السجن، وسيكون عليه بالتالى أن ينتظر وقتًا طويلاً إلى حد رهيب قبل أن يتمكن من الاستفادة من ثروته التى نزلت عليه من السماء".

قال السير ماثيو بكل هدوء: "قد أكون مخطئًا يا سيد كريج، ولكننى أرى أن هيئة المحلفين هى التى ستتخذ هذا القرار وليس أنت".

"قد أكون مخطئًا يا سير ماثيو ولكننى أعتقد أنك ستجد أن هناك هيئة محلفين قد اتخذت القرار نفسه قبل وقت مضى".

"وهو ما يعيدنا بالتحديد للقائك مع رئيس المباحث فولر، والذى كنت حريصًا أشد الحرص على ألا يكتشفه أى شخص". بدا كريج كما لو أنه على وشك أن يجيب، ثم عدل عن رأيه بوضوح، وترك السير ماثيو يواصل حديثه: "ولأن رئيس المباحث صاحب ضمير يقظ، أبلغ المحكمة أنه طالب بدليل أقوى من الصور الفوتوغرافية التى توضح التشابه بين الرجلين قبل أن يفكر فى مسألة إلقاء القبض. وفى إجابته عن أحد أسئلة المحامى الأول بفريق الدفاع، أكد أنك زودته بهذا الدليل".

كان سير ماثيو يعرف أنه يجازف. لو أن كريج أجاب قائلاً

إنه لا يعرف أى شىء عما يتحدث بشأنه، وأنه اكتفى بإطلاع رئيس المباحث على شكوكه وترك له أمر تقرير ما يجب القيام به، ما كان للسير ماثيو أن يطرح عليه أسئلة أخرى حول هذا الشأن، ولكان انتقل عندها إلى موضوع آخر، ولكان أدرك كريج أنه يحاول أن يستطلع لا أكثر – وأنه لم يتوصل إلى شىء له قيمة. غير أن كريج لم يرد على الفور، مما منح السير ماثيو الثقة فى أن يجازف مجازفة أكبر. التفت نحو آليكس وقال بصوت مسموع بما يكفى لأن يسمعه كريج: "أعطنى تلك الصورة الفوتوغرافية التى يظهر فيها كارترايت وهو يجرى فى إمباركمنت، تلك التى تظهر الندبة".

ناول آليكس والده صورتين فوتوغرافيتين كبيرتين.

وبعد صمت طويل قال كريج: "قد أكون أخبرت رئيس المباحث بأنه إذا كان الرجل الذى يقطن فى منزل حى بولتونز له ندبة على فخذه الأيسر، فوق الركبة مباشرة، فسوف يثبت هذا أنه فى الحقيقة دانى كارترايت".

لم تكشف النظرة على وجه آليكس أى شىء، على الرغم من أن قلبه تسارعت دقاته بقوة.

"وهل أعطيت رئيس المباحث بعد ذلك بعض الصور الفوتوغرافية لتثبت وجهة نظرك؟".

اعترف كريج قائلاً: "نعم، لعلنى فعلت".

قال السير ماثيو: "ربما لو رأيت نسخة من الصورتين لأنعش هذا ذاكرتك؟". ومد له يده بالصورتين. المخاطرة الأكبر مما سواها.

قال القاضى: "أود أن أرى الصورتين، وأظن أن هيئة المحلفين تود هذا كذلك يا سير ماثيو". التفت آليكس فرأى أكثر من عضو من المحلفين يومئون برأسهم موافقة.

قال السير ماثيو: "بكل تأكيد يا سيادة القاضى". أعطى آليكس مجموعة من الصور الفوتوغرافية للحاجب، الذى

أعطى اثنتين للقاضى قبل أن يوزع ما تبقى منها على المحلفين، وإلى بيرسون وأخيرًا إلى الشاهد.

حدق كريج إلى الصورتين غير مصدق. لم تكونا هما الصورتين اللتين التقطهما جيرالد بين عندما كان كارترايت يمارس ركضه المسائى. إن لم يكن قد اعترف بمعرفته بمسألة الندبة لكان الدفاع تقهقر وتراجع عن هذا الأمر، وما كان المحلفون علموا بأى شىء. أدرك أن السير ماثيو قد حقق ضربة بارعة، لكنه مازال ثابتًا لا يتزحزح، ولن يتلقى أى ضربة أخرى.

قال السير ماثيو: "سيدى القاضى، سوف ترى أن الندبة الذى يشير إليه الشاهد على الفخذ الأيسر للسيد كارترايت، فوق الركبة تمامًا. لقد اندملت مع مرور الوقت، لكنها مازالت واضحة للعين المجردة". ثم أولى انتباهه من جديد نحو الشاهد وقال: سوف تتذكر يا سيد كريج أن رئيس المباحث فولر قد شهد تحت القسم بأن هذا كان الدليل الذى اعتمد عليه قبل أن يتخذ قراره بالقبض على موكلى". لم يبد كريج محاولة لمعارضته، ولم يضغط عليه السير ماثيو أكثر من هذا، بما أنه شعر بأن نقطته قد اتضحت تمامًا، توقف قليلاً ليمنح المحلفين مزيدًا من الوقت لتفحص الصورتين، بما أنه يرغب فى أن يثبت الندبة فى عقولهم بصورة لا يمكن محوها قبل أن يطرح السؤال الذى يثق بأن كريج لم يكن يتوقعه.

"متى اتصلت برئيس المباحث فولر؟".

ساد الصمت من جديد، بينما حاول كريج أن يكتشف ما وراء هذا السؤال، شأنه شأن جميع الآخرين بقاعة المحكمة عدا آليكس.

أجاب قائلاً فى نهاية الأمر : "لست متأكدًا من فهمى للسؤال".

"إذن دعنى أنعش ذاكرتك يا سيد كريج. لقد اتصلت

بالمحقق فولر فى الثالث والعشرين من أكتوبر من العام الماضى، فى اليوم السابق من لقائك به فى مكان غير محدد لتسلمه الصورتين اللتين تظهران ندبة دانى كارترايت. ولكن متى كانت المرة الأولى التى تواصلت فيها مع المحقق فولر؟".

حاول كريج أن يجد مهربًا لتلافى الإجابة عن سؤال السير ماثيو. نظر نحو القاضى، ملتمسا بعض الإرشاد والعون، فلم يتلق منه شيئًا.

تمكن أخيرًا من أن يقول: "لقد كان هو الشرطى الذى جاء إلى مقهى دانلوب آرمز عندما اتصلت برقم الطوارئ بعد أن شاهدت دانى كارترايت يطعن صديقه حتى الموت".

قال السيد ماثيو بسرعة: "صديقه"، لتسجيل الكلمة قبل أن يتمكن القاضى من المقاطعة. ابتسم آليكس لبراعة والده.

قطب القاضى السيد هاكيت حاجبيه. أدرك الآن أنه لا يمكنه أن يمنع السير ماثيو من طرح أسئلة تتعلق بالقضية الأصلية الآن وقد أثار كريج نفسه الموضوع على الملأ عن جهل أو غفلة. كرر السير ماثيو وهو ينظر نحو المحلفين: "صديقه". توقع أن يقفز آرنولد بيرسون واقفًا ليقاطعه، ولكن لم تبدر أى حركة عن الطرف الآخر من مقعد المحامين.

قال كريج بكل ثقة: "هكذا وَصف بيرنارد ويلسون فى محاضر المحكمة".

قال السير ماثيو: "هذا صحيح تمامًا وسوف أشير لتلك المحاضر فيما بعد، ولكن الآن أود أن أرجع لمسألة رئيس المباحث فولر. فى المرة الأولى التى التقيت به فيها، بعد موت بيرنارد ويلسون، قدمت له شهادتك".

"نعم، فعلت".

"الحقيقة يا سيد كريج أنك قدمت ثلاث شهادات: الأولى، بعد الجريمة بسبع وثلاثين دقيقة؛ والثانية، وهى التى كتبتها فيما بعد تلك الليلة لأن النوم جافاك؛ والثالثة بعد

ليلة الجريمة بسبعة شهور، عندما مثلت فى مقصورة الشهود عند محاكمة دانى كارترايت. وأنا تحت يدى جميع تلك الشهادات، وعلى أن أعترف يا سيد كريج أنها تتطابق معًا على نحو جدير بالإعجاب". لم يرد كريج بشىء منتظرًا الفرصة المفاجئة، "ومع ذلك، ما حيرنى كثيرًا هو مسألة الندبة على الساق اليسرى لدانى كارترايت، ذلك لأنك قلت فى شهادتك الأولى – ناول آليكس لأبيه صفحة واحدة من الورق، قرأ منها – "رأيت كارترايت يلتقط سكينًا من على النضد المخصص للشراب وتبع المرأة والرجل الآخر نحو الزقاق. وبعدها بدقائق سمعت صرخة. وعندئذٍ جريت نحو الزقاق ورأيت كارترايت يطعن ويلسون فى صدره المرة تلو الأخرى. ثم عدت إلى المقهى واتصلت فورًا بالشرطة". رفع السير ماثيو عينيه عن الورقة. "هل تود أن تجرى أية تعديلات على تلك الشهادة؟".

قال كريج فى حزم: "كلا، فهذا ما حدث تمامًا".

قال السيد ردماين: "حسن، ليس تمامًا، ذلك لأن تقارير الشرطة تقول إنك اتصلت بهم فى الحادية عشرة وثلاث وعشرين دقيقة، لذا فعلى المرء أن يسأل ما الذى كنت تفعله ما بين...."

اندهش القاضى حين لم ير بيرسون يقفز واقفًا للمقاطعة، وظل ساكنًا فى مكانه وقد عقد ذراعيه أمام صدره، فتدخل القاضى قائلاً: "سير ماثيو، هل يمكنك أن تظهر صلة هذا السؤال بموضوع القضية، مع العلم بأن التهمة الوحيدة المتبقية فى لائحة الاتهام الخاصة بموكلك هى الفرار من السجن؟".

انتظر السير ماثيو وقتًا كافيًا بحيث يمتلك الفضول من المحلفين حول سبب عدم السماح له باستكمال سؤاله السابق، ثم أجاب قائلاً: "كلا، لا يمكننى ذلك يا سيادة القاضى، وعلى الرغم من هذا فإننى أود أن أكمل مسار أسئلة تتعلق بهذه القضية، وتحديدًا بشأن الندبة على الساق اليسرى

للمتهم"، وعاد للنظر نحو كريج من جديد: "هل لى أن أؤكد يا سيد كريج أنك لم تشهد دانى كارترايت يطعن فى ساقه، مما تخلف عنه الندبة الذى يظهر أثرها واضحًا فى الصورتين الفوتوغرافيتين اللتين أعطيتهما لرئيس المباحث وكانتا هما الدليل الذى اعتمد عليه فى القبض على موكلى؟".

حبس آليكس أنفاسه. مر بعض الوقت قبل أن يقول كريج فى النهاية: "كلا، لا أظن ذلك".

"إذن أرجو أن تتسامح معى لبرهة، يا سيد كريج، واسمح لى أن أطرح ثلاثة سيناريوهات محتملة لما حدث. ثم يمكنك بعدها أن تخبر المحلفين، من خلال خبرتك العريضة بالعقلية الإجرامية، أى منها تعتبر أنه الأكثر احتمالاً".

تنهد كريج قائلاً: "مادمت تشعر بأن هذه اللعبة سوف تساعد المحلفين على أى نحو يا سير ماثيو فلتتفضل بذلك على الرحب والسعة".

قال السير ماثيو: "أعتقد أنك ستجد أن هذه اللعبة سوف تساعد المحلفين". حدق كل من الرجلين فى الآخر لبعض الوقت قبل أن يضيف السير ماثيو: "اسمح لى أن أقترح السيناريو الأول. يلتقط دانى كارترايت السكين من على النضد المخصص للشراب تمامًا كما قلت أنت، يتبع خطيبته إلى الزقاق، ويطعن نفسه فى ساقه، ثم ينزع السكين ويطعن صديقه حتى الموت".

تناثرت الضحكات فى قاعة المحكمة. انتظر كريج حتى هدأ الضحك قبل أن يجيب.

"ذلك افتراض هزلى يا سير ماثيو وأنت تعلم هذا".

"أنا مسرور لأن هناك أخيرًا أمرًا واحدًا يمكننا الاتفاق عليه يا سيد كريج. دعنى أنتقل إلى السيناريو الثانى. قد يكون من الممكن أن بيرنى ويلسون هو من التقط السكين من على النضد وخرج هو وكارترايت إلى الزقاق، يطعن كارترايت فى

ساقه، ثم ينزع السكين ويطعن نفسه حتى الموت".

هذه المرة انضم المحلفون إلى زمرة الضاحكين.

قال كريج: "وهذا افتراض هزلى بدرجة أكبر، لست أدرى ما الذى تظن أن هذه الفوازير تثبته".

قال السير ماثيو: "هذه الفوازير تثبت أن الرجل الذى طعن دانى كارترايت فى ساقه هو الرجل نفسه الذى طعن بيرنى ويلسون فى صدره، لأن السكين المستخدمة هى نفسها – تلك التى تم التقاطها من فوق النضد المخصص للشراب. وهكذا فإننى أتفق معك يا سيد كريج بأن السيناريوهين الأولين هزليان، ولكن قبل أن أعرض عليك السيناريو الثالث، اسمح لى أن أطرح عليك سؤالاً أخيرًا". تركزت كل عين فى قاعة المحكمة الآن على السير ماثيو: "إن لم تكن قد شهدت كارترايت وهو يطعن فى ساقه، كيف أمكنك أن تعرف بأمر الندبة؟".

تحول تحديق الأعين نحو كريج. لم يعد يتحلى بالهدوء. شعر بأن يديه منداتان بالعرق وهما تقبضان على سياج مقصورة الشهود.

قال كريج، محاولاً أن يظهر بمظهر الواثق: "لابد أننى قرأت محاضر المحكمة".

قال السير ماثيو: "أتعرف أن ما هى المشكلة التى يواجهها محارب قديم مثلى عندما يتقاعد هى أنه لا يجد ما يفعله بوقت فراغه، وهكذا فعلى مدى الشهور الستة الماضية كانت المادة التى أقرأها وأنا على الفراش دائمًا هى هذه المحاضر والوثائق الخاصة بالقضية". وأمسك بملف يبلغ سمكه نحو خمس بوصات، وأضاف: "ومن الغلاف للغلاف. ليس لمرة واحدة بل مرتين. وأحد الأمور التى اكتشفتها خلال السنوات التى قضيتها فى المحاكم أنه غالبًا ما لا تكون الأدلة الواردة هى وسيلة نجاة المجرمين، بقدر ما تكون هى الأدلة الغائبة. دعنى أؤكد لك يا سيد كريج أنه لم يرد ذكر، من الصفحة الأولى

للصفحة الأخيرة، لجرح الساق اليسرى لدانى كارترايت".

أضاف السير ماثيو، بنبرة هامسة تقريبا: "وهكذا أصل للسيناريو الأخير يا سيد كريج، لقد كنت أنت من التقط السكين من على النضد المخصص للشراب قبل أن تركض خارجًا إلى الزقاق. لقد كنت أنت من غرس السكين فى ساق دانى كارترايت. وكنت أنت من طعن بيرنى ويلسون فى صدره وتركته وهو يحتضر بين ذراعى صديقه. وسوف تكون أنت من يقضى ما تبقى من حياته فى السجن".

تفجر الضجيج فى قاعة المحكمة.

التفت السير ماثيو نحو آرنولد بيرسون، الذى لم يرفع إصبعًا لمساعدة زميله فى المهنة، ولكن بقى ملتفًا على نفسه فى ركن مقعد المحامين عاقدًا ذراعيه.

انتظر القاضى حتى طلب الحاجب من الحاضرين العودة للهدوء والنظام ثم قال: "أرى أنه ينبغى علىّ أن أعطى الفرصة للسيد كريج كى يرد على اتهامات السير ماثيو بدلاً من أن نتركها معلقة هكذا فى الهواء".

قال كريج بهدوء واتزان: "إن هذا يسرنى كل السرور يا سيادة القاضى، ولكن أولاً ينبغى على أن أقترح على السير ماثيو سيناريو رابع على الأقل جدير بأن يصدق".

رجع السير ماثيو للخلف وقال: "لا أطيق صبرًا".

"مع وضع خلفية وتنشئة موكلك فى الاعتبار أليس من المحتمل أن يكون أصيب بجرح ساقه فى وقت ما قبل تلك الليلة المعنية؟".

"ولكن هذا رغم ذلك لا يفسر كيف يمكنك أن تعرف بشأن الندبة من الأصل".

قال كريج فى تحدٍ وجرأة: "لست مضطرًا لتقديم تفسير، لأن هناك هيئة محلفين قد قررت أن موكلك لا يمكنه أن يثبت مزاعمه". وبدا راضيًا عن نفسه تمامًا.

قال السير ماثيو، ملتفتًا نحو ابنه، الذى ناوله عند الإشارة المتفق عليها صندوقًا صغيرًا من الورق المقوى. وضع السير ماثيو الصندوق على مسند أمامه، وأخذ وقته الكافى قبل أن يخرج منه سروالاً من الجينز ويرفعه أمام أعين المحلفين ويقول: "هذا هو سروال الجينز الذى أعادته مصلحة السجون إلى الآنسة إليزابيث عندما اعتقدوا أن دانى كارترايت قد انتحر. وأنا واثق من أن المحلفين سيهتمون كل الاهتمام عند رؤية أن هناك قطع ملطخًا بالدم أسفل منطقة الفخذ الأيسر، وهو ما يتطابق تمامًا مع...".

أخفت الضجة التى ثارت بعد ذلك ما تفوه به السير ماثيو من كلمات. التفت الجميع ناظرين نحو كريج، راغبين فى معرفة أى إجابة سيجيب بها، لكنه لم يمنح أى فرصة للإجابة، بما أن بيرسون نهض أخيرًا واقفًا.

أعلن بيرسون وهو يكاد يصيح لكى يسمع صوته: "سيدى القاضى، لابد أن أذكر السير ماثيو بأن السيد كريج ليس هو من تتم محاكمته، وأن ذلك الدليل" – مشيرًا نحو السروال الذى مازال السيد ماثيو يرفعه – "ليس له أى علاقة بمسألة تحديد ما إذا كان كارترايت قد هرب من السجن أم لا".

لم يعد بمقدور القاضى السيد هاكيت أن يخفى غضبه. وحل محل ابتسامته العذبة العبوس والغضب. ما إن عاد الهدوء من جديد إلى قاعة المحكمة، قال: "لم يعد بمقدورى الاتفاق معك يا سيد بيرسون. على أن القطع الملطخ بالدم فى سروال المتهم غير ذى صلة بهذه القضية". توقف لبرهة قبل أن يتجه بنظره نحو الشاهد بازدراء. ويواصل: "ومع ذلك، أشعر بأنه لم يعد أمامى خيار آخر سوى إلغاء هذه المحاكمة وأن أصرف هيئة المحلفين حتى يتم إرسال كل محاضر ووثائق هذه القضية والقضية الأولى إلى كبير ممثلى الادعاء، لأننى أرى أنه هناك إخفاقًا هائلاً للعدالة قد جرى فى القضية التى

اتهم فيها دانيال آرثر كارترايت".

هذه المرة لم يحاول القاضى أن يقضى على الضجيج الذى تبع هذا حيث انطلق الصحفيون نحو الباب، وقد أخرج بعض منهم هواتفهم النقالة قبل أن يغادروا قاعة المحكمة.

التفت آليكس ليهنئ والده، فوجده قد تكور على نفسه فى ركن المقعد، وقد أغلق عينيه. رفع أحد جفنيه، ونظر نحو ابنه وقال: "مازالت النهاية بعيدة يا بنى".

الكتاب السادس

الحكم

٧٨

ما إن أتم رجل الدين زفاف العريس والعروسة حتى انضم السيد والسيدة كارترايت إلى بقية المدعوين حيث كانوا يجتمعون حول قبر دانى كارترايت.

كانت رغبة العروسة فى أن يتم تكريم نيك على هذا النحو، ووافق رجل الدين على أن يعقد قرانهما فى ذكرى الرجل الذى كان موته سببًا لأن يثبت دانى براءته.

فيما عدا دانى، لم يكن هناك سوى رجلين اثنين ممن كانوا يعرفون الرجل الذى دفن فى مكان غريب عليه. وقف أحدهما منتصب القامة على الطرف الأقصى من المقبرة، يرتدى حُلة سوداء طويلة الذيل، وقميصًا بياقة طويلة الأطراف ورابطة عنق حريرية. كان هو فريزر مونرو الذى ارتحل من دانبروث وحتى الإيست إند فى لندن ليمثل آخر رغبة من رغبات مونكريف. حاول دانى أن يقدم له الشكر على حكمته وقوته فى جميع الأوقات، غير أن السيد مونرو قال له: "كم كنت أتمنى لو بوسعى أن أخدم كلاً منكما معًا، لكن هكذا كان القدر". هكذا

قال الرجل قوى الإيمان، وهو أمر آخر لا يعرفه دانى عنه.

عندما التقوا جميعًا فى منزل عائلة ويلسون قبل إتمام مراسم الزواج، أخذ مونرو بعض الوقت متأملاً اللوحات الفنية الخاصة بدانى. وقال له: "لم يكن لدى أدنى فكرة يا دانى أنك من هواة جمع الأعمال الفنية العظيمة لكل من ماكتاجارت وبيبلوى ولاودر".

ابتسم دانى. "أعتقد أنك ستجد أن من جمعها هو لورانس دافنبورت. كل ما قمت به هو أننى امتلكتها فقط، ولكن بعد أن اعتدت عليها فإننى أنتوى أن أضيف إلى مجموعتى بعض أعمال المدرسة الأسكتلندية".

قال مونرو: "تمامًا مثل جدك". قرر دانى ألا يوضح للسيد مونرو أنه ليس حفيد السير آلكسندر وأنه لم يقابله قط. أضاف مونرو على استحياء: "بالمناسبة، على أن أعترف أننى نجحت فى توجيه ضربة تحت الحزام لواحد من خصومك بينما أنت سجين فى بيلمارش".

"أيهم؟".

"السير هوجو مونكريف، وليس أقل من هذا. والأسوأ من هذا، أننى فعلت هذا دون موافقتك، وهو أمر مخالف لقواعد المهنة بالنسبة لى. وأردت أن أزيح هذا الثقل عن كاهلى فى وقت ما".

قال دانى محاولاً الحفاظ على ملامح الجدية: "حسن، إنها فرصتك الآن يا سيد مونرو. فما الذى قمت به فى غيابى؟".

"علىَّ أن أعترف بأننى قد أرسلت كل المستندات التى تخص مدى صحة الوصية الثانية للسير آلكسندر إلى مكتب ممثل الادعاء وأعلمتهم بحقيقة أننى شعرت باحتمال ارتكاب جريمة". لم يتحدث دانى. فقد كان يعلم من قبل من خلال علاقتهما السابقة ألا يقاطع السيد مونرو بينما هو متدفقًا فى الحديث. "وبما أن شيئًا لم يحدث على مدى شهور عديدة،

افترضت أن السيد جالبريث نجح فى أن يخفى الأمر كله".
توقف قليلاً ثم واصل قائلا: "إلى أن قرأت خبرًا هذا الصباح فى صحيفة سكوتسمان وأنا على الطائرة المتجهة إلى لندن".
فتح حقيبة أوراقه الحاضرة دائمًا إلى جانبه، وأخرج صحيفة وناولها لدانى.

حدق دانى إلى العنوان الرئيسى. القبض على السير هوجو مونكريف بتهمة التزوير والشروع فى الاحتيال. كان الموضوع مصحوبًا بصورة كبيرة للسير نيكولاس مونكريف لم توفه كل حقه فى رأى دانى. عندما انتهى دانى من قراءة الموضوع، ابتسم وقال لمونرو: "حسن، لقد قلت من قبل إنه لو ضايقنا أدنى الضيق فسوف ننال منه".

قال مونرو بضيق للهجة العبارة: "هل قلت ذلك أنا من قبل؟".

انتقلت عينا دانى نحو الشخص الثانى من الحاضرين الذى كان صديقًا لنيك، وكان يعرفه أفضل كثيرًا مما عرفه دانى أو حتى مونرو. كان آل الضخم واقفًا فى وضع انتباه ما بين راى باسكو وآلان جينكينز. سمح له المأمور بالخروج من السجن من أجل حضور جنازة صديقه. ابتسم دانى عندما التقت أعينهما، لكن آل الضخم أحنى رأسه على الفور. لم يكن يرغب فى أن يراه أشخاص غرباء وهو يبكى.

وجه دانى انتباهه نحو آليكس ردماين، الذى لم يكن يستطيع أن يخفى سروره عندما طلبت منه بيث الحضور ليشهد زفافهما. وقف آليكس إلى جوار والده، الرجل الذى أتاح لدانى أن يكون حرًا الآن.

قبل إلغاء المحاكمة بأيام قليلة وعندما التقوا جميعًا فى مكتب آليكس بالمحكمة، سأل دانى السير ماثيو ما الذى كان يقصده عندما قال: "مازالت النهاية بعيدة". فأخذ القاضى القديم العجوز دانى نحو جانب، بحيث لا تسمع بيث كلماته،

وأخبره بأنه على الرغم من إلقاء القبض على كل من كريج، وبين، ودافنبورت، واتهامهم بقتل بيرنى ويلسون، فإنهم مازالوا يزعمون براءتهم، ومن الواضح أنهم يتعاونون كفريق واحد. وقد حذر دانى من أنه هو وبيث سيخوضون غمار محاكمة أخرى عليهما فيها أن يشهدا بما حدث فى تلك الليلة لصديق آخر دفن فى هذا المكان نفسه. إلا إذا....

لم يستطع دانى أن يمنع نفسه من النظر عبر الناحية الأخرى من الطريق، حيث وضعت مؤخرًا لافتة كبيرة جديدة محل القديمة: ورشة سيارات كارترايت، تحت إدارة جديدة. ما إن أنهى المفاوضات واتفق على السعر مع مونتى هيوز، حرر مونرو عقدًا يتيح لدانى أن يضطلع بالعمل الذى يمكن أن يصل إليه كل صباح ما إن يعبر الطريق.

المصرفيون السويسريون أكدوا بوضوح أن دانى قد دفع سعرًا أعلى من اللازم فى الورشة التى على الجانب الآخر من الطريق. لم يتجشم دانى عناء أن يفسر للمسيو سيجات الفرق بين كلمتى السعر والقيمة، بما أنه لا يظن أن سيجات أو بريسون قد أمضيا وقتًا كافيًا فى قراءة أعمال السيد أوسكار وايلد.

ويبقى الإيمان والأمل والإحسان، ثلاثتهم؛ ولكن أعظمهم مقامًا الإحسان.

أمسك دانى بيد زوجته. سوف يطيران غدًا إلى روما لقضاء شهر العسل الذى تأخر طويلاً، وخلاله سيحاولان أن ينسيا أنهما عند عودتهما سوف يواجهان محاكمة أخرى طويلة قبل أن تنتهى محنتهما فى النهاية. اختار ابنهما ذو الأسابيع العشرة هذه اللحظة للتعبير عن مشاعره مندفعًا فى البكاء، ولكن ليس لذكرى السير نيكولاس مونكريف، ولكن لأنه أحس أن مراسم الزواج قد دامت وقتًا أطول من اللازم، وعلى أى حال كان يشعر بالجوع.

هدهدته بيث قائلة برقة: "ششششش، ما هى إلا دقائق ونعود للمنزل"، هكذا وعدته أمه وهى تأخذ نيك الصغير بين ذراعيها.

٧٩

"أحضروا السجناء".

كانت القاعة رقم أربعة بمحكمة أولد بيلى محتشدة بالناس قبل تمام العاشرة صباحًا، ولكن هذا طبيعى فلا يقدم كل يوم للمحاكمة ممثل ادعاء، وعضو بالبرلمان، وممثل شهير، بتهمة القتل، والشجار فى مكان عام والتآمر لتضليل العدالة.

توزع أشهر المحامين على المقعد المخصص لهم وهم يتفقدون ملفاتهم، ويرتبون وثائقهم ويضعون اللمسات الأخيرة على المرافعة الافتتاحية للقضية، فيما انتظروا أن يجلس السجناء فى قفص الاتهام.

كل واحد من المتهمين الثلاثة كان يمثله أبرز وأفضل العقول القانونية، ودامت الأحاديث فى أروقة المحكمة ماداموا متمسكين بقصتهم الأصلية، كان من المشكوك فيه أن يصل أى من المحلفين الاثنى عشر إلى حكم بالإجماع. هدأت الأحاديث والثرثرة عندما اتخذ كل من سبنسر كريج، وجيرالد بين، ولورانس دافنبورت فى قفص الاتهام.

ارتدى كريج ملابس محافظة للغاية، حلة داكنة الزرقة

مقلمة، قميصًا أبيض ورابطة عنقه البنفسجية اللون المفضلة لديه فبدا وكأنه قد دخل من الباب الخطأ، وأنه من المفترض أن يجلس على مقعد المحامين بانتظار أن يلقى مرافعته الافتتاحية.

كان بين يرتدى حلة رمادية، ورابطة عنق مدرسية وقميصًا عاجى اللون، كما يليق بعضو فى البرلمان يمثل مقعدًا ريفيًا، وبدا عليه الهدوء.

كان دافنبورت يرتدى الجينز الكالح، وقميصًا مفتوح الياقة وسترة بسيطة. كان غير حليق، وهو ما سوف تصفه الصحافة فى الصباح التالى بهيئة المتشرد، ولكن الصحف ستقول كذلك أنه يبدو مثل من لم ينم لأيام عديدة. تجاهل دافنبورت النظر نحو مقاعد الصحفيين وتطلع ببصره نحو مقصورة الحضور من العامة، فى حين راح يتحدث كل من بين وكريج إلى بعضهما البعض وكأنهما جالسان فى مطعم مزدحم بانتظار تقديم الغداء لهما. ما إن رآها دافنبورت جالسة فى مكانها حتى راح يحدق بنظرة خاوية أمامه وانتظر ظهور القاضى.

أفسح الجميع الطريق فى القاعة المكتظة ليدخل القاضى السيد آرميتاج. انتظر تحيتهم ثم ردها لهم، وجلس فى المقعد الأوسط على المنصة. ابتسم بمحبة كما لو أنه يوم عادى آخر من أيام المحكمة. أمر حاجب القاعة أن يستدعى المحلفين. انحنى الحاجب قبل أن يختفى خلال باب جانبى، ليعاود الظهور بعد دقائق متبوعًا بالاثنى عشر مواطنًا الذين تم اختيارهم عشوائيًا لتحديد مصير المتهمين الثلاثة.

سمح محامى لورانس دافنبورت بطيف ابتسامة أن يلوح على وجهه عندما رأى أن هيئة المحلفين تتكون من سبع نساء وخمسة رجال. شعر بثقة فى أن النتيجة لن تكون حكمًا بالإجماع.

بعد أن اتخذت هيئة المحلفين أماكنها فى المقصورة، راح

كريج يتفحصهم باهتمام بالغ، مدركًا أنهم هم، وهم وحدهم، من سيقررون مصيره. كان قد أوعز من قبل للارى أن يقيم تواصلاً بصريًا مع النساء من هيئة المحلفين بما أنهم لا يحتاجون لأكثر من ثلاث منهن لا يحتملن فكرة الزج بلورانس دافنبورت فى السجن. إذا تمكن لارى من هذه المهمة البسيطة وحسب فقد يصيرون أحرارًا جميعًا. غير أن كريج انزعج لرؤية أن دافنبورت لا يطيع هذا الأمر البسيط، وبدلاً من ذلك يظهر وكأنه منشغل بالنظر شارد أمامه.

ما إن استقر المجلس بالمحلفين، دعا القاضى محامى الادعاء أن يقرأ التهم.

"هلا نهض المتهمون الثلاثة".

نهض الرجال الثلاثة واقفين.

"سبنسر مالكولم كريج، أنت متهم أنك فى ليلة الثامن عشر من سبتمبر ١٩٩٩ قمت بقتل بيرنارد هنرى ويلسون. ما ردك على هذه التهمة، هل أنت مذنب أم غير مذنب؟".

قال كريج فى جرأة: "غير مذنب".

"جيرالد دافيد بين، أنت متهم بأنك فى ليلة الثامن عشر من سبتمبر ١٩٩٩ اشتركت فى مشاجرة انتهت بمقتل بيرنارد هنرى ويلسون. ما ردك على هذه التهمة، هل أنت مذنب أم غير مذنب؟".

قال بين فى حزم: "غير مذنب".

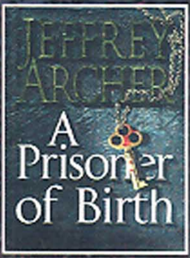
"لورانس آندرو دافنبورت، أنت متهم بتضليل العدالة، وبأنك فى الثالث والعشرين من مارس لعام ٢٠٠٠ قدمت شهادة تحت اليمين تعرف أنها شهادة زور. ما ردك على هذه التهمة، هل أنت مذنب أم غير مذنب؟".

تركزت جميع الأعين التى بالقاعة على الممثل، الذى وجد نفسه مرة أخرى فى قلب دائرة الضوء على المسرح. رفع لورانس دافنبورت رأسه وتطلع نحو مقصورة الحضور من العامة، حيث

جلست شقيقته على طرف الصف.

ابتسمت سارة لأخيها ابتسامة مشجعة.

أحنى دافنبورت رأسه، وللحظات بدا عليه التردد قبل أن يقول هامسًا بصوت لا يكاد يسمع: "مذنب".



مما كُتب فى الثناء على الأعمال السابقة لجيفرى آرتشر

«لعله أعظم حكّاء فى زماننا».

ميل أون صانداى

«يتمتع جيفرى آرتشر بموهبة خاصة فى نظم خيوط الحبكة الروائية لا يمكن وصفها إلا بالعبقرية».

الديلى تيلجراف

«إنه حكّاء من معدن آلكسندر دوماس نفسه».

الواشنطون بوست

«لا خلاف على قدرة آرتشر على الابتكار، وعلى تمكّنه وأسلوبه اليسير النابض بالحياة».

صانداى تيلجراف

«آرتشر هو سيّد التسلية والإمتاع».

التايم

«يُعَدُّ آرتشر روائياً متمكّناً، ويجتاز بتفوق أصعب اختبار يضعه القراء - وهو الرغبة فى قلب الصفحة رغبة فى معرفة ما الذى سيحدث بعد ذلك».

الصانداى تايمز

«ملكة السرد لدى آرتشر متقنة وذكية ومفعمة بالأحداث وعناصر التشويق والمفاجآت».

بابليشرز ويكلى

«قليلون هم من اشتهروا بما برع فيه آرتشر وهو أسر القارئ وحثّه على قلب الصفحات على جناح السرعة».

التايمز

«ليس هناك روائى أفضل منه بين كتاب القصة فى زماننا هذا».

لارى كنج

www.jeffreyarcher.co.uk

6 281072 059637
282204392